بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة دكتوراه

المختصرات الفقهية في المذهب المالكي

ذ محمد جوهار

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فهذا موضوع تناولت فيه "ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري". وإني لما عزمت على القيام بهذه الدراسة عرضت الأمر على فضيلة الدكتور السعيد بوركبة –حفظه الله وبارك في جهوده العلمية- ناقشني في هذا الموضوع، ثم رحب بالفكرة، ووافق على الإشراف عليه جزاه الله خير الجزاء. وقد كان معي طوال مدة الإشراف مثالا للنبل ودماثة الأخلاق، وحسن المعاملة، يرشدني ويوجهني ويستنهض همتي إلى العمل المفيد. فلا يسعني إلا أن أزجي له خالص الشكر وصادق الامتنان.

أ- نبذة عن الموضوع

لقد شاءت إرادة الله تعالى أن تتسع دائرة انتشار نفوذ المذهب المالكي في كثير من بلاد دار الإسلام، فانبعث من الحجاز، وذاع صيته في الشام والعراق ومصر واليمن وآسيا الوسطى والمغرب والأندلس وغيرها.

وتعتبر مرحلة القرن الهجري الثالث من أهم المراحل التي تكونت خلالها القاعدة الأساسية للمدرسة المالكية الفقهية العريقة من حيث التنظير للتشريع الإسلامي، إذ جاء تأليف علماء المالكية في هذه المرحلة سجلا حافلا يستجيب لواقع الحال ومقتضيات ظروف تنظيم البلاد الإسلامية، فكان ذلك ذخيرة فقهية متميزة بحكم وظيفته، خاصة وأن علم الفقه هو علم ينظم المجتمع البشري

عامة، ويعد إحدى خصائص الأمة الإسلامية، فهو نظام عام ينظم جميع المصالح المجتمعية والأخلاقية داخل المجتمع الإسلامي، وهو الذي يرسم المنهج القديم في جميع مجالات الحياة الإنسانية، ويهدف إلى سعادة الفرد في الدنيا والآخرة.

ولأهميته البالغة رغب الشارع في تعلمه، وخص المشتغلين والمهتمين بعلم الفقه بميزات لم ينلها غيرهم من المهتمين بالعلوم الأخرى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين«[1]. من أجل ذلك، اعتنى به العلماء منذ الصدر الأول.

ثم جاء من بعدهم من سلك طريقهم: الفقهاء التابعين، ثم صار على نهج هؤلاء أتباع التابعين، إلى أن جاء عصر الأئمة المجتهدين، فجمعوا الآثار وخصصوها، وانتقدوا ما يحتاج منها إلى نقد، وبينوا ما يصلح للدلالة، وما فيه قادح، ومارسوا كيفية إدراج الجزئي في الكلي والخاص تحت العام، وقاسوا النظير على نظيره والشبيه على شبيهه، فأصبحت هذه الأصول علوما وصناعات، فانضبط بذلك علم الفقه، وانتظم أمر الاجتهاد، ثم انحصرت هذه العلوم في مذاهب فقهية متعددة، انقرض بعضها ولم يبق له أثر، ومنها ما كتب له البقاء، فكثر أتباعه والمنتسبون إليه، وأشهر هذه المذاهب خمسة: المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية. فهؤلاء هم الذين وقع اتفاق العلماء على تقليدهم ودراسة كتبهم، والبناء على قواعدهم، والتفريع على أصولهم دون غيرهم ممن تقدمهم أو عاصرهم، مع اختلاف في أعيانهم، والاعتراف بفضل من سبقهم.

وبذلك استطاعت هذه الأمة أن تحافظ على حلقات هذا الإسناد بفضل عدول خصهم الله سبحانه وتعالى وشرفهم بحملهم هذا الدين جيلا بعد جيل، إنجازا لما وعد به رسول الله صلى الله

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، بلفظ: »من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله«، حديث رقم 69، وانظر حديث: 6788 و6884. ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، حديث رقم 1719 و1721، وكتاب الإمارة، حديث رقم 3548 و3549. وابن ماجه في مقدمة سننه، حديث رقم 217. والدارمي في مقدمة سننه، حديث رقم 226 و228. وأحمد في سننه في مسند الشاميين، حديث رقم 16231 و16246. ومالك في موطئه في كتاب الجامع، حديث رقم 1400.

عليه وسلم حين قال: »يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله«[2]، يجمعون أقاويل من سلفهم، ويحفظون فقههم، ويجتهدون فيما أحدث الناس من وقائع ونوازل، معتمدين في ذلك الأصول الأولى (القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والإجماع، وغير ذلك).

ومن خصهم الله تعالى بهذه المزية عالم المدينة مالك بن أنس رحمه الله، فقد كان من أثبت الناس في حديث المدنيين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوثقهم إسنادا، وأعلمهم بقضاء عمر بن الخطاب، وأقاويل عبد الله بن عمر، وعائشة، رضي الله عنهم، وأصحابهم من الفقهاء السبعة، حيث انتهت الرئاسة إلى إمام دار الهجرة، ووسد الأمر إليه، وضرب الناس إليه أكباد الإبل حتى قيل إنه المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: »يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة«[3]، إذ جلس الإمام مالك للتدريس بمدينة

(2) مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت. 807هـ) تحت باب : أخذ الحديث من الثقات : 140/1، عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رفعه، قال: »يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين«. رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع. وأورده الإمام البيهقي في سننه، تحت باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، فيقول: كُفّوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع، أو أنه لا يبصر الفتيا. قال الشافعي رحمه الله: ليس هذا بعداوة ولا غيبة إذا كان يقوله لمن يخاف أن يتبعه فيخطئ باتباعه، وهذا من معاني الشهادات. حديث 20700: أخبرنا أبو سعيد الماليني أنبأ أبو أحمد بن عبد الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا حماد بن زيد عن بقية بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين«. وأخرجه الطبراني (260-360هـ) في مسند الشاميين: 344/1 عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: »يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين«. وأورده ابن عبد البر في التمهيد: 28/1 تحت باب: بيان التدليس ومن يقبل نقله، و59/1 عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري وعن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة. وأورده الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: 45/1 عند تحدثه عن أتباع التابعين. وانظر المشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، تحقيق الألباني، ص: 248، والكنز رقم الحديث 28918.

(3) انظر سنن البيهقي: 383/1، والتمهيد: 35/6، والانتقاء لابن عبد البر: 19-20، ومسند أحمد: 299/2: في باقي مسند المكثرين، حديث رقم 7639، وسنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في عالم المدينة: حديث رقم 2604، عن أبي هريرة.

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم زمنا طويلا، يقرئ السنة ويفتي الناس، واشتهر علمه في الآفاق، وجاء الناس يأخذون عنه من أقطار الإسلام المختلفة، فأخذ عنه جِلةٌ، يكفي أن نذكر منهم الإمام الشافعي صاحب المذهب المذكور، وغيره من العلماء المبرزين في وقته، وهذا يدل على جلالة الإمام وفضله ومكانته التي لا يجادل فيها إلا جاهل.

ثم أخذ الناس عن مالك السنة والفقه في آن واحد، وانتشر علمه شرقا وغربا عن طريق تلاميذه، ويكفي أن نعرف أن مذهبه وصل إلى الأندلس قبل وفاته، ثم قام أصحابه الذين لقنوا علومه بجميع رواياته ومختاراته، فحرروها وخرجوا عليها، وتكلموا في أصولها ودلائلها، وتفرقوا في الأمصار يحملون علوم مالك وآدابه، فنفع الله به خلقا كثيرا، فأضحى مالك وفقهه شجرة أصلها ثابت في المدينة، وفروعها تعانق العراق ومصر والمغرب وغيرها، فتأسست المدارس الفقهية، وتفرعت أصولها كما وكيفًا، ومن ذلكم مدرسة المدينة التي يمثلها ابن كنانة، وعبد الله بن نافع الصائغ، والمغيرة بن عبد الرحمن، ومحمد بن مسلمة، وعبد الملك ابن الماجشون، ومطرف، وغيرهم.

في حين كانت مدرسة العراق تتألف من رواد أهمهم: عبد الرحمن بن سهيل، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، والقاضي إسماعيل، والإمام الأبهري، والقاضي أبو الفرج البغدادي، وابن الجلاب، وابن القصار، والقاضي عبد الوهاب، وغيرهم.

وكانت المدرسة المغربية تتكون من علي بن زياد، والبهلول بن راشد، وعبد الله بن غانم، وأبو بكر اللباد، وابن أبي زيد القيرواني، وغيرهم. كما أن المدرسة المصرية يمثلها عثمان بن الحكم الجذامي وعبد الرحمن بن خالد الجمحي وابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم قامت بدور أساس في تثبيت فقه مالك، خاصة عن أحد تلامذته المذكورين سابقا، ويتعلق الأمر بالإمام ابن القاسم الذي يعتبر حبر هذه المدرسة، ومن أثبت الناس رواية عن مالك، وأعلمهم بأقواله، حيث صحبه عشرين سنة، وتفقه به وبنظائره، ومنه أخذ أسد بن الفرات وسحنون راويي المدونة، وغيرهم، حيث تعتبر هذه المدونة من أهم الكتب التي عليها الاعتماد في الفقه المالكي، إذ عكف عليها الفقهاء قديما وحديثا بالتعليق والتهذيب والاختصار، ويعتبر هذا الاختصار أهم الدوافع الأساسة لاختياري هذا الموضوع.

ب- أسباب اختياري هذا الموضوع

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو الرغبة الأكيدة مني في الإسـهام في التراث العلمي بالمغرب، خاصة الفقه المالكي، لاسيما وأن مثل هذا الموضوع لم ينل من العناية ما يكفيه، خاصة وأن المختصرات عرفت تحولا كبيرا في الفقه المالكي منذ ابن عبد الحكم في القـرن الثالث، مـرورا بابن أبي زيد القيرواني (ت. 386هـ) الـذي أسـهم إسـهامات فعليـة في المختصرات الفقهيـة، كما أن شيخـه أبا سعيـد البراذعي (ت. 400هـ) اقتفى منهج شيخه في الشرح والتهذيب والتعليـق والاختصـار، ثم جاء ابن الحاجب فاختصر هـذا التهـذيب، معتمدا على أمهات المذهب، وكان خليل خاتمة المختصرين والمحققين، فاعتنى ذا الكتاب الجليل، وشرحه في "توضيحه" واختصره، وهكـذا جاءت سلسلة المختصرات عنه بشكل لم تنظم تنظيما محكما، فجاء البحث قصد تسليط الضوء على المختصرات ومشاكلها والصعوبات التي تعتـرض البحث في هذا الموضوع.

جـ -الصعوبات الجمة التي اعترضتني

لاشك أن كل عمل لابد أن تعتريه بعض الصعوبات التي تقف حجر عثـرة في طريقـه، خاصة في ميدان البحث العلمي، وتتجلى هذه الصعوبات فيما يلي:

أولا: قلة المادة العلمية في الموضوع: فكما نعلم جميعا، إن المختصرات الفقهية لم تعـرف إقبالا كبيرا في البحث العلمي، إذ لم يتجه البحث في تدقيق المصـطلحات العلميـة، خاصـة أن الفقهـاء يمددون ما قيـل في القديـم والحديث، وقلما تجـد من تنـاول الموضوع بالتفصيل، وربما لقلة المصادر.

ثانيا: لم أعثـر على بحـث علمـي حديث العهد يتناول المختصرات بالشـكل الـذي يستفيـد فيـه الباحـث والمهتم بالتراث العلمـي، ولسـت أدري لماذا لم تتجـه البحـوث الجامعية المعاصرة هذا الاتجاه؟

ثالثا: ندرة المصادر: مما لاشك فيه أن المادة العلمية في مثل هذه المواضيع تكون نزرا قليلا، وهو ما عثر عليه البحث في عدد كبير من المصادر والمراجع وا لات وغيرها، بحيث لم تعـرف هذه الظاهرة تحليلا علميا ينير طريق الباحث، ولا تجد في المصادر والمراجع ما يشفي الغليل، وكل

ما في الأمر، أنك تجده يذكر هذه الظاهرة دون ذكره كيف تعامل معها المختصِر؟ وما هي منهجيته في الاختصار؟

هذه كلها عوامل وأسباب تقف أمام الباحث سدا منيعا وتحول دون دخوله أغوار هذه الظاهرة.

د- كيفية معالجة هذا الموضوع وذكر محتوياته

يعتبر موضوع المختصرات من الموضوعات التي يصعب على الباحث التعامل معها، ذلك أن ظاهرة المختصرات يصعب أن ترصدها في شكل من الأشكال، ولاسيما لمن يرى أ ا أسهمت إلى حد كبير في شيوع الشروح والحواشي الفقهية، وغياب روح التجديد والابتكار.

وقد حاول البحثُ أن يظهر الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه الظاهرة عبر دراسة نماذج مختصرة بعد التغلب على هذه الصعوبات التي وقفت في طريق إنجازي هذا العمل، ورتبته على الشكل الآتي:

أولا: **التمهيد**، ثم إن البحث يتكون من: ثلاثة أبواب، وتسعة فصول، وثلاثة عشر مبحثا، وواحدا وخمسين فرعا، فضلا عن المقدمة والخاتمة.

فالباب الأول فيه حديث عن نشأة الفقه وتطوره ومراحله، حيث يتناول مرحلة التأسيس والتقعيد الفقهي وغيرهما مما تضمنه هذا المبحث الأول من الفصل الأول. ثم تلاه المبحث الثاني من الفصل نفسه المتضمن لمميزات الفقه عبر القرون الخمسة المضمنة في المبحث الثالث ضمن فروع تعطي نظرة موجزة عن مميزات الفقه وأوضاعه من القرن الثالث إلى القرن السابع، ثم ختمت هذا الفصل بالبحث عن حركة الفقه الإسلامي ضمن فروع خمسة، تحدثت فيها عن الحركة الفقهية على مستوى المذاهب الفقهية المعروفة.

أما الفصل الثاني فيتناول حركة الفقه المالكي وتأسيسه وتفريعه ومدارسه, وخصصت المبحث الأول منه للحديث عن تأسيس المذهب المالكي ضمن فروع خمسة شملت جل المراحل التي قطعها المذهب المالكي من حيث التأسيس والتصحيح والتفريع والتأليف والتطبيق، ثم تلا ذلك المبحث الثاني الذي سلط ضوءا على المدارس المالكية ودورها في تفعيل المذهب المالكي عبر فروع خمسة، وختمت هذا الفصل بالحديث عن المؤلفات المالكية ودورها في ترسيخ المذهب المالكي ضمن مطالب.

ثم تلا ذلك الفصل الثالث الذي تحدثت فيه عن الاختصار والمختصرات في أهـم العلـوم، مبرزا في ذلك تاريخ المختصرات، وما تلا ذلك من الحديث بإسهاب عن الاختصار في فروع، ثم ختمت الفصل الثالث بالحديث عن أهم العلوم النقلية التي عرفت المختصرات ضمن فروع أبرزت مجموعة من العلوم التي تعرضت للاختصار مع ذكر بعض المؤلفات المختصرة في كل فن.

ثم انتقلت إلى **الباب الثاني** الذي عنونته بالمختصرات في الفقه الإسلامي بصفة عامة والفقه المالكي بصفة خاصة، حيث تضمن هذا الباب ثلاثة فصول، بدأت الحديث في الفصل الأول عن المختصرات الفقهية في المذاهب الإسلامية عبر فروع، ثم تطرقت من خلالها لبعض المختصـرات الفقهية داخل المذاهب الإسلامية، مبرزا في ذلك تأثير هذه المختصرات على الحركة الفقهية، وتلا ذلك المبحث الثاني المتضمن أساسا المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، تحدثت عـن ذلـك ضمن فروع خمسة، أسهبت القول فيها عن دواعي المختصرات وأسباب أخرى أسهمت في تأثير هذه المختصرات في الفقه المالكي، ثم ختمت هذا الفصـل بمبحـث ثالـث يتضـمن أهـداف المختصرات، وقد تحدثت فيه عن أهداف المختصرات من فروع خمسة تضمنت شرحا مستفيضـا عن مرامي المختصرات.

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني وقد عنونته بموقف الفقهاء من المختصرات، حيث تم الحديث في مقدمة هذا الفصل عن انتقادات الفقهاء للمختصرات والمختصرين ضمن فروع خمسة، أسـهبت القول فيها عن الألغاز وأساليب المختصرات، وغيرها من العيوب الموجهة أساسا إلى المختصرات، ثم تلا ذلك مبحث ثان تضمن مختصرات بعض أمهات المالكية ضمن فروع فصلت القول فيها عن المختصرات في أمهات المالكية، ودور ذلك في تفعيل الفقه المالكي، ثم ختمت هذا الفصل بمبحث ثالث تضمن المختصرات في غير أمهات المالكية في فروع وعبر القرون الخمسة المواكبـة للقـرن الثالث إلى القرن السابع، حيث تحدثت فيها عن أهم المختصرات التي برزت في هذه القـرون، ثم تلا ذلك الفصل الثالث المتضمن لأسباب تطورات المختصرات في الفقـه المـالكي في مباحـث وفروع، تضمن المبحث الأول أسباب التطور في المختصرات ومشاكل أخرى في فروع تضـمنت الدوافع والأسباب التي أدت إلى تطور المختصرات، ثم تلا ذلـك المبحـث الثـاني في أصـناف المختصرات وأنواعها والتعليقات عليها ضمن فروع أسهبت القول فيها عن الشروح والتعليقـات وغيرهما من أصناف المختصرات، ثم ختمت هذا الباب بمبحث ثالث تضـمن دور الأندلسـيين

والمغاربة في تفعيل المختصرات ضمن فروع شرحت كلها عبر نقط في هذا الصدد.

ثم انتقلت إلى **الباب الثالث** وما تضمنه من الفصول والمباحث والفروع، فعنونت الباب بأثر ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي، مع دراسة بعض المؤلفات، وتحدثت في الفصل الأول عن ظاهرة التعقيدات في المذهب المالكي، ثم يليه المبحث الأول عن ظاهرة التعقيدات في كتب الفروع عند المالكية، فالفرع الأول في الجمود في كتب الفروع، ثم الفرع الثاني في التعقيدات في الهوامش والحواشي. وختمت هذا المبحث بالحديث عن انتشار نظم الفروع، وفي المبحث الثاني تعرضت للمنظومات الفقهية المختصرة، حيث تناولت في الفرع الأول أصناف المختصرات المنظومة، ثم ختمت هذا المبحث بفرع ثالث في أثر هذه المنظومات على الفقه المالكي، كما خصصت الفصل الثاني لدراسة مختصر ابن أبي زيد القيرواني، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول التعريف بابن أبي زيد، وضمن هذا المبحث فروع تصب كلها في تسليط الضوء على حياة ابن أبي زيد القيرواني، ويلي ذلك في الفرع الثاني التعريف بمختصرات ابن أبي زيد ودراسته، ويتضمن الفرع الثالث عناية العلماء بالمختصر، ثم يلي ذلك الفرع الرابع في مكانة مختصر ابن أبي زيد في الفقه المالكي وأثره عليه، ثم ختمت هذا الفصل بمبحث خامس يتضمن دراسة علمية لبعض نماذج من مختصر ابن أبي زيد، وخاصة في كتاب الزكاة وغيره، حيث أبرزت فيه بعض الجوانب الإيجابية والسلبية لمختصره.

ثم يلي ذلك المبحث الثاني في دراسة أخرى لكتاب التهذيب على اعتبار أن التهذيب شبيه إلى حد ما بالاختصار، ويتضمن هذا المبحث فروع خمسة، حيث خصصت الفرع الأول للتعريف بصاحب التهذيب، ثم الفرع الثاني تطرقت فيه لمكانة التهذيب في الفقه المالكي، ثم استعرضت في الفرع الثالث أقوال الفقهاء في التهذيب، وضمن الفرع الرابع أبرزت عناية الفقهاء بالتهذيب، ثم ختمت هذا المبحث بدراسة نماذج من كتاب التهذيب وما فيها من مواطن الخلل، مع مقارنة بين المؤلف وبين شيخه أبي محمد فيمن قلده في المختصر، ثم عقدت المبحث الثالث لمختصر ابن الحاجب ودوره في الفقه المالكي، حيث خصصت الفرع الأول للتعريف بابن الحاجب ومختصره، وفي الفرع الثاني تعرضت لمكانة ابن الحاجب في الفقه المالكي، ثم يليه الفرع الثالث في موقف العلماء من مختصر ابن الحاجب، ثم يليه الفرع الرابع في عناية الفقهاء بالمختصر، وختمت هذا المبحث بالفرع الخامس المتضمن لدراسة بعض نماذج من مختصر ابن الحاجب. ويلي ذلك الفصل

الثالث ويتضمن التحولات في المختصرات الفقهية من القرن الثالث إلى القرن السابع، ثم ختمت هذا الباب بأثر التحولات التي عرفته المختصرات وخاصة في القرن السابع، ثم يلي ذلك الخاتمة.

وتجدر الإشارة إلى أنني وجدت صعوبة كبيرة في تسويد المباحث والفروع وحتى الفصول، حيث تجد مثلا المادة العلمية في الفرع الأول ولا تجدها في الثاني، أو تجدها بـ ـر يسير، مما يحتم على الباحث في بعض الفروع أن لا تتجاوز المادة العلمية ورقة أو ورقتين في معظم الأحيان، في حين تجد الفروع الأخرى تفوق فيها المادة العلمية أكثر من ذلك بكثير، مما يشكل على الباحث صعوبة جمة في تسويد الفروع والمباحث وغيرها. إلا أن هذا ليس مهما، فالمهم في نظري هو إيصال الفكرة ولو في بضعة أسطر، والله أعلم.

الباب الأول

نشأة الفقه ومراحله وتطوره

توطئة

مما لاشك فيه أن الفقه الإسلامي مر بمراحل مختلفة سواء في نشأته أو مراحل تطوره. وإن من يتأمل مؤلفات المتقدمين في أصناف العلوم والصنائع منذ دونت العلوم وانقضى عصر الأمية يراها قائمة كبقية المستحدثات في هذا الوجود، تنتقل من طور إلى طور.

ومعلوم أن العلوم إنما توضع أولا قواعدها البسيطة، ثم تتكون على التدريج شيئا فشيئا بقدر الاحتياج إليها، والعلوم والكتب المؤلفة فيها تابعان لأطوار الدول من قوة وضعف. وأعتقد أن الفقه شأنه في ذلك شأن بقية العلوم، فهو مر بالمراحل المذكورة، ولتسليط الضوء على ذلك، عالجت في هذا الباب ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نشأة الفقه.

الفصل الثاني: حركة الفقه المالكي وتأسيسه وتفريعه ومدارسه.

الفصل الثالث: في الاختصار والمختصرات في أهم العلوم.

وتحت كل فصل من هذه الفصول مباحث، وفي ضمن هذه عدة فروع.

الفصل الأول
نشـــــأة الفـقـــه

تمهيد

إن الحديث عن الفقه ونشأته وتطوره ومراحله يستلزم منا الحديث عـن نواتـه وبـذوره وتطـوره، ولعل البحث كفيل بالاستفاضة في ذلك، لذا فالحديث عن الفقه يستلزم ألا يغيب عن أذهاننـا أن مصادره الأساسة هما الكـتاب والسنة في بداية الأمر، ثم توسع بعد ذلـك وشمـل مصادر أخرى كالقيـاس والإجمـاع وغيرهما، وخاصة عندما وردت على الصحابة رضـي الله عنهم أقضية لا يـرون فيها نصا من كتاب أو سنة، وإذ ذاك كانوا يلجأون إلى القياس، وكـانوا يعبرون عنه بالرأي.

غير أنه ببزوغ فجر القرن الرابع الهجري، زاد الإقبال على القرآن والحديث، وكان المحدثون يعتبرون أكبر العلماء شأنا، ويعدون من أعظم رجال الإسلام، وهو منعرج حاسـم في تـاريخ التشريع الإسلامي، حيث أغلق فيه باب الاجتهاد وتوقف الابتكار، وأصبح الفقيـه لا يسـتطيع إصدار حكمه الخاص إلا في المسائل الفرعية، وذلك في نطاق المذهب وعلى أصوله العامة. بينمـا كان قبل ذلك أمر تدبر القرآن والسنة والاجتهاد في المسائل الدينية شائعا بين العلماء، كل يجتهد في رأيه، ويستنبط حكمه، ويسلك منهجا يختلف عن منهج غيره، فلم تكن هناك مذاهب محـددة المعالم، والأقوال ملزمة الاتباع، بل كان شعارهم جميعا قول الإمام مالك(4) رضي الله عنـه: »إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط!«.

وإذا كانت كل هذه الحركة الفقهية أسهمت إلى حد كبير في نشأة الفقه، فإن مراحل الفقه لا تختلف عن ذلك في شيء، وهذا ما سنقف عليه من خلال المبحث الموالي.

(4) هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر، ينتهي نسبه إلى ذي أصبح من اليمن، قدم أحد أجداده إلى المدينـة وسكنها، وجده أبو عامر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلب العلم على علماء المدينـة، وأول من لازمه منهم عبد الرحمن بن هرمز، أقام معه مدة طويلة. مات سنة 179هـ. (انظر ترجمته في: الديباج: 29/1، والمدارك: 58/1، والبداية والنهاية لابن كثير: 271/10، وتذكرة الحفاظ للـذهبي: 193/1، و تذيب التهذيب لابن حجر: 10/5، والفكر السامي: 376/2).

المبحث الأول
مراحل الفقه الإسلامي

تمهيد

مما لاشك فيه أن بداية الفقه الإسلامي مرتبط أساسا بنزول الوحي، عكس ما ذهب إليه بعض الفقهاء الذين يرون أن بداية الفقه الإسلامي لم تكن إلا بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى؛ ذلك أن الفقه هو اجتهاد بالرأي لمعرفة الحكم الشرعي عن طريق العلم بأدلته التفصيلية، والرسول صلى الله عليه وسلم كان مبلغا لكلمات ربه، وما كان يقول برأيه الخاص.

على أن هناك من الفقهاء من يرى أن الفقه الإسلامي -شأنه شأن كل كائن حي- لا ينشأ من لا شيء، ولا يبلغ كماله طفرة واحدة، بل نشأ من شيء موجود سابق عليه، ويأخذ في السير متدرجا في مراتب الحياة والوجود، حتى يبلغ أقصى ما يقدر له من نضج وكمال، ثم ينال منه الزمن وأحداثه حتى يدركه الهرم.

والمجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كانت له قواعده القانونية التي تحكم شتى مناحي حياته من ضروب المعاملات كالبيع والرهن والشركة والمضاربة والإجارة، ومن قواعد الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، ومن قواعد العقوبات على بعض الجرائم.

فلما جاء الإسلام أقر الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من القواعد والمبادئ التي كانت تبلورت فصارت أعرافا لدى العرب لصلاحية هذه القواعد لبناء حياة سليمة، وهدم القواعد الأخرى التي لا تتفق مع التشريع الإسلامي، وفي ذلك يقول أحمد شاه ولي الدين الدهلوي(5) فيما نقله عنه أبو المعاطي: »إن كنت تريد النظر في معاني شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحقق أولا حال الأميين الذين بعث فيهم، وثانيا كيفية إصلاحه لها، فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالملة الحنيفية لتقويم عوجها وإزالة تحريفها، وإشاعة نورها، وذلك قوله تعالى: ﴿ملة

(5) الشيخ ولي الدين الدهلوي المحدث الشيخ: محمد بن إسحاق الدهلوي، مهاجر مكة المكرمة والمتوفى بها. له عدة مؤلفات. توفي سنة 1311هـ.

أبيكم إبراهيم﴾[6]، وكما كان الأمر كذلك، وجب أن تكون أصول تلك الملة مسلمة وسننها مقررة، إذ النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث إلى قوم فيهم بقية سنة راشدة، فلا معنى لتغييرها وتبديلها، بل الواجب تقريرها، لأنه أطوع لنفوسهم وأثبت عند الاحتجاج عليهم«[7].

»...ثم اختلط الصحيح بالفاسد مع الزمن، وغلب على العرب الجهل والشرك والكفر، فبعث الله رسوله المصطفى مقوما لعوجهم، ومصلحا لفسادهم، فنظر صلى الله عليه وسلم في شريعتهم، وما كان منها موافقا لمناهج إسماعيل عليه السلام، أو من شعائر الله أبقاه، فما كان منها تحريفا أو إفسادا أو من شعائر الشرك والكفر أبطله، وما كان من العادات (أي المعاملات) وغيرها بين آدابها ومكروهها ومحرمها، ونهى عن الرسوم الفاسدة، وأمر بالصالحة، فتمت بذلك نعمة الله، واستقام دينه«[8].

ولكن الدين الإسلامي والفقه الإسلامي مستقل عن هذا كله، لأن بداية الفقه الإسلامي لا يمكن إلا أن تكون بعد نزول القرآن الكريم، وبعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل إليه من ربه؛ لأن هذين هما المصدران اللذان يرجع إليهما كل فقيه[9]، إما بطريق مباشر أو غير مباشر لمعرفة الحكم الشرعي.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد برأيه الشخصي في بعض الأحيان حيث لا يوجد نص قرآني، ويأخذ برأي الصحابة في بعض الموضوعات المطروحة للنظر، ولكن الوحي السماوي كان معه مراقبا ومراجعا ومصححا في بعض الأحيان. وإذا كان الأمر كذلك في القرن الأول، فإن الأمر يختلف في القرنين الثاني والثالث، حيث عرف الفقه حركة نشيطة تمثلت في الانتقال من مرحلة التكوين والحفظ في الصدور، إلى التدوين والكتابة في السطور، وتميز كل علم عن غيره، ووضع أسسه وقواعده، وكان لعلم الفقه من بينها مكان واعتبار، إذ فتحت الأمصار واتسع الإسلام في الديار، فنزلت النوازل، واستجدت الوقائع والأحداث، وظهرت جزئيات النصوص التي كانت كامنة بين العموم والخصوص، فعمد الفقهاء إلى جمع أقوال الأئمة المتهدين

---

(6) سورة الحج، الآية: 76.

(7) المدخل لدراسة التشريع، للدكتور أبو المعاطي، ص: 159.

(8) انظر المرجع السابق، ص: 160.

(9) انظر: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، لمصطفى الهروس، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، تحت إشراف الدكتور فاروق حمادة، ص: 367.

وروايتها وتفسيرها، فخصصوا وعمموا، وانتقدوا منها ما يحتاج إلى نقد، وبينوا ما يصلح للدلالة وما فيه قادح، وردوا الفروع إلى الأصول، فقاسوا النظير على نظيره، والشبيه على شبيهه، ولم يكن حجاب التقليد سدا حصينا وحاجزا يقف بين العلماء وبين نصوص الكتاب والسنة، فانضبط بذلك علم الفقه، وانتظم أمر الاجتهاد الذي يتوقف عليه تقدم الأمة وصون حقوقها، فأصبح لعلم الفقه فروع ودروب تحتاج إلى صنعة وممارسة، وظهرت المدارس الفقهية بمختلف اتجاهاتها الفكرية.

ورغم الخلاف الحاصل بين أئمتها في بعض المبادئ والأصول، فإن الفقه ازداد قوة ورسوخا، فأصبح الفقه علما عظيما وكنزا مهما ثمينا، امتدت فروعه وتنوعت أبوابه وفصوله، ونضج واستوى، فألفت فيه مصنفات عظام جامعة بين الفرع وأصله في مختلف المذاهب الفقهية[10]...

أما مذهب مالك فقد عرف التدوين في عهد صاحبه الذي ألف كتابه "الموطأ"، ثم انتقلت حركة التدوين إلى أصحابه وتلاميذهم الذين عمدوا إلى جمع مسموعاتهم من مالك وتلامذته من بعده، واستودعوا هذه الروايات والأقوال في كتب، وتعهدوها بالشرح والإيضاح، فكثرت وتنوعت، واختار العلماء من بينها مصنفات تلقوها بالقبول لامتيازها عن غيرها من حيث التصنيف والترتيب، والاستيعاب والشهرة، واصطلحوا على تسميتها بأمهات كتب المذهب[11]...

ولسنا بصدد الحديث عن ذلك بقدر ما يهمنا أن جل المؤرخين الذين أرخوا لتاريخ الفقه الإسلامي اختلفوا اختلافا كثيرا في مراحل الفقه الإسلامي التي مر منها، فهناك من يرى أنها خمسة[12]، ومنهم من يرى أنها سبعة[13]؛ يقول الدكتور عبد الودود السريتي في هذا الصدد: «(...) منهم من جعل أدوار الفقه أربعة، ومنهم من جعلها خمسة[14]، ومنهم من جعلها ستة،

(10) المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، لمصطفى الهروس، ص: 367، تحت إشراف الدكتور حمادة، كلية الآداب بالرباط، دبلوم الدراسات العليا.
(11) المرجع نفسه، ص: 368.
(12) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي للدكتور أبو المعاطي، ص: 161.
(13) الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، للدكتور مصطفى الزرقاء، ص: 146.
(14) تاريخ الفقه الإسلامي ونظرياته العامة، دار النهضة العربية الحديثة، بيروت، ص: 91.

ومنهم من جعلها سبعة، وهذا المسلك هو الذي نرتضيه لأنه أوضح وأكثر تفصيلا، وقد اخترت أن يكون التقسيم لأدوار الفقه خمسة أدوار«. في حين يرى بعضهم خلاف ذلك. وأعتقد أن مراحل الفقه الإسلامي خمسة، وهي: 1)مرحلة التأسيس، 2)ومرحلة التكوين والجمع، 3)ومرحلة التقعيد الفقهي، 4)ومرحلة التفريع الفقهي، 5)ومرحلة التطبيق الفقهي، وسأتناول هذه المراحل بالتفصيل.

إذن، ما هي مرحلة التأسيس؟

الفرع الأول: مرحلة التأسيس

بدأت مرحلة التأسيس في الفقه الإسلامي منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله إليه، ودامت هذه المرحلة اثنتين وعشرين سنة وعدة أشهر، وفيها نزل القرآن الكريم، وتم نزوله بقوله تعالى: : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(15).

وهذه المرحلة تدخل في تطور الفقه من قبل المجاز لا الحقيقة، ذلك أن المصادر الأساسية للتشريع قد اكتملت في هذه المرحلة، وهي القرآن والسنة، أما ما كان من اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة في هذه المرحلة فهو قليل نادر. أما عن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق النظر والمشورة فقد وردت طائفة من الأخبار التي تؤكد هذا الاجتهاد(16).

في حين يرى الدكتور فاروق النبهان عكس ما ذهب إليه أبو المعاطي؛ إذ يقول: »لقد دأب المؤرخون على اعتبار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم هو المرحلة الأولى من المراحل التاريخية التي مر بها الفقه الإسلامي، وأعتقد أن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يكون منفصلا عن المراحل التاريخية، لأنه عصر متميز في جميع العصور اللاحقة، فهو ليس حلقة من الحلقات التاريخية المتصلة، وإنما هو عصر النشأة المتكاملة للتشريع الإسلامي«(17).

«...وقد كان لفظ "الفقه" يطلق في عصر النبوة على كل ما يفهم من نصوص الكتاب والسنة، سواء كان من أمور العقيدة أو التشريع العملي أو الآداب... ولفظ الفقه والعلم كانا

(15) سورة المائدة، الآية: 5.
(16) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، للدكتور أبو المعاطي، ص: 161.
(17) المدخل للتشريع الإسلامي، للدكتور محمد فاروق النبهان، ص: 102.

مترادفين في العرف الإسلامي... [18]. وكان الفقهاء يسمون لذلك القراء.. وبقي الأمر كـذلك صدر الملة...»[19].

(18) المدخل الفقهي، مصطفى الزرقا، ص: 148.
(19) مقدمة ابن خلدون، ص: 446.

خصائص هذه المرحلة: من أهم الخصائص التي اختص ا الفقه في عصر النبوة ما يأتي:

-كانت السلطة التشريعية والقضاء والفتيا للرسول صلى الله عليه وسلم وحده، ومصدره الوحي بقسميه، ومن هنا لم يكن مجال للخلاف. أما الاجتهادات التي صدرت من بعض الصحابة فلا تعتبر تشريعا، إلا أن أقرها الرسول عليه السلام، وحينئذ تدخل في السنة[20]، »ويكون إقراره لغيره على مثل ذلك كالاقتداء بالفعل، فالإقرار دليل زائد مثبت...«[21]. يقول الدهلوي في هذا الصدد: »فالفقه في هذا العصر كان واقعيا لا نظريا، إذ لم يكن البحث في الأحكام يومئذ مثل بحث فقهاء الإسلام المتأخرين الذين كانوا يبنون بأقصى جهدهم الأركان والشروط والآداب، كل شيء يمتاز عن الآخر بدليله، ويفرضون الصور من واقعهم، ويتكلمون من تلك الصور المفروضة، ويعدون ما يقبل الْعد ويحصرون ما يقبل الحصر، إلى غير ذلك...« [22].

لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فقها مدونا، بل ترك لهم جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية مبثوثة في القرآن والسنة، لكنها على أكمل ما يتصور مرونة، واستمرت مرحلة التأسيس إلى آخر وفاة آخر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اية القرن الأول الهجري تقريبا، وقد مر الفقه الإسلامي في هذه المرحلة بأطوار متعددة، متأثرا بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت ا الأمة الإسلامية، مما جعل بعض الفقهاء يقسم هذه المرحلة إلى مراحل متعددة، لكل مرحلة خصائصها المتميزة[23].

فقد بدأت هذه المرحلة بخلاف ثار بين المهاجرين والأنصار حول الخلافة: أتكون في المهاجرين أم تكون في الأنصار؟ وانتهى الخلاف باتفاق الجميع على استخلاف أبي بكر الصديق[24] رضي الله عنه، وامتدت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، واختلط العرب الفاتحون معهم، وتفرق الصحابة في الأمصار، وكان عليهم أن يواجهوا المشكلات الجديدة التي لم ينص على بعضها كتاب ولا سنة عن طريق الاجتهاد وإعمال الرأي في ضوء القواعد الشرعية. ثم

(20) المدخل لدراسة الفقه، خالد عيد، ص: 126.

(21) الموافقات للشاطبي: 72/4.

(22) الإنصاف في بيان أسباب الخلاف، ص: 4، بتصرف.

(23) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، للدكتور أبو المعاطي، ص: 163، بتصرف.

(24) أبو بكر الصديق رضي الله عنه: خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤنسه في الغار، عبد الله بن أبي قحافة القرشي التميمي. (انظر ترجمته في: أسد الغابة: 309/3، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 2/1، وشذرات الذهب: 21/1، وطبقات ابن سعد: 119/3، والعبر: 16/1).

كانت الفتنة الكبرى التي حدثت أيام عثمان[25] بن عفان رضي الله عنه، والتي انتهت بمقتله... ثم حدث بعد ذلك النزاع السياسي بين علي[26] بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، وتفرق المسلمون إلى شيع وأحزاب سياسية، وآل الأمر أخيرا إلى معاوية...[27].

وبجانب الشيعة نشأ الخوارج وهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عندما قبل التحكيم بعد موقعة صفين[28]... وتتميز هذه المرحلة بما يلي:

1- اجتهاد الصحابة في هذه المرحلة: كان اجتهاد الصحابة -رضي الله عنهم- على ثلاثة أنواع:

الأول: **اجتهاد** في **بيان النصوص وتفسيرها**، وذلك كاجتهادهم في عدة من تحيض من المطلقات، فقد أفتى ابن مسعود[29] ووافقه عمر[30] بن الخطاب بأن المطلقة لا تخرج من عدتها إلا

(25) عثمان بن عفان: أمير المؤمنين عثمان بن عفان، أبو عمرو الأموي، ذو النورين، ومن جمع الأمة في مصحف واحد، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، روى جملة كثيرة من العلم. توفي يوم الجمعة ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتا عشرة سنة، وعاش بضعا وثمانين سنة. (انظر ترجمته في: أسد الغابة: 584/3، والإصابة: 455/2، وتاريخ الخلفاء، ص: 147، وتذكرة الحفاظ: 8/1، وشذرات الذهب: 40/1).

(26) علي بن أبي طالب: أمير المؤمنين رضي الله عنه، أبو الحسن الهاشمي، قاضي الأمة، نهض بأعباء العلم والعمل، استشهد في سابع عشر رمضان من عام 40هـ وسنه ستون سنة. (انظر ترجمته في: أسد الغابة: 91/4، والإصابة في تمييز الصحابة: 105/2، وتاريخ بغداد: 133/1، وتاريخ الخلفاء ص: 166، وتذكرة الحفاظ: 10/1).

(27) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، للدكتور أبو المعاطي، ص: 164.

(28) المرجع نفسه، ص: 164.

(29) عبد الله بن مسعود: أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين... مات بالمدينة سنة 32هـ وله نحو من ستين سنة. (انظر ترجمته في: أسد الغابة: 384/3، والإصابة: 360/2، وتاريخ بغداد: 147/1، وتذكرة الحفاظ: 31/1).

(30) عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، أبو حفص العدوي الفاروق، الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الله به الإسلام، وهو الصادق الملهم، وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل. (انظر ترجمته في: أسد الغابة: 145/4، والإصابة: 511/2، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص: 108، وتذكرة الحفاظ: 5/1، وشذرات الذهب: 33/1).

إذا اغتسلت من حيضتها. وأفتى زيد[31] بن ثابت بأ ا تخرج من العدة في الحيضة الثالثة، ومنشـأ الخلاف هنا اختلافهم حول معنى "القرء"، ففهمه زيد على أنه الطهر، وفهمه ابن مسعود على أنه الحيضة، وهو في اللغة يأتي بالمعنيين...

الثاني: **اجتهاد بالقياس** على الأشباه والنظائر التي وردت في الكتاب والسنة، مـن ذلـك اجتهادهم في تحديد عقوبة شرب الخمر[32]...

الثالث: اجتهاد بالرأي دون اعتماد على نص مباشر أو قياس، وإنما استنباط من الشريعة، وهذا هو النوع الغالب، والذي سمي فيما بعد بالاستحسان أو المصالح المرسلة...

2- بدأت هذه المرحلة والمسلمون وحدة واحدة رغم هذا الخلاف الطارئ الذي ثار بـين الأنصار والمهاجرين حول موضوع الخلافة.

3- كان كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهون عن كتابة شيء من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا تختلط الأحاديث بالقرآن[33].

4- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد جمع كبار الصحابة في المدينة وحـرم علـيهم التفرق في الأمصار[34]...

5- لاشك أن مناهج الصحابة في الفتوى كانت مختلفة، خاصة مـع ازديـاد الفتوحـات الإسلامية، وتجدد المشكلات وتنوعها وغرابتها عن بيئة الجزيرة العربية[35].

«...اتسعت الفتوحات **الإسلامية** وامتد سلطا ا إلى أمم وشـعوب متباينـة ذات نظـم حضارية ومدنية وعادات تقليدية بما لم يكن معروفا في الجزيرة العربية، وانتقل الصحابة من طور الاعتماد إلى طور الاجتهاد لزوال ذلك المرجع وحلول مخلفاته الدستورية القرآن والسـنة محـل

(31) زيد بن ثابت: أبو سعيد الأنصاري الخزرجي المقرئ، كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، أمـره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم خط اليهود، فجدد الكتابة وكتب الوحي، وحفظ القـرآن وأتقنـه وأحكام الفرائض. توفي سنة 45 للهجرة. (انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفـة الصـحابة: 278/2، والإصابة: 543/1، وتذكرة الحفاظ: 30/1، وشذرات الذهب: 54/1، وطبقـات الشـيرازي ص: 46).

(32) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي لأبي المعاطي، ص: 165.

(33) المرجع نفسه، ص: 167.

(34) المرجع نفسه، ص: 167.

(35) المرجع نفسه، ص: 168.

بيانات الشفهية؛ قصد مواجهة مسائل كثيرة في شؤون الحياة تحتاج إلى تشريع في ضـوء قواعـد الإسلام ومفاهيمه، فأخذ الفقه يتطور وينمو شعاعه في مختلف الميادين[36].

ولما كانت طبيعة الفقه الإسلامي لا ترفض ما هو غريب عنه، واجه كبار الصحابة وقـائع جديدة بفقه متميز، ويحسن بي في هذا الإطار أن ألقي نظرة على أهم السمات التي تميز ا فقههم، وعن مدى استجابتهم لمستجدات الأحداث، سواء كانت هذه الاستجابة لكل عقدة حلا ولكل مشكل علاجا...».

ويمكن تلخيص أهم السمات التي تميز ا الفقه في عصر الخلفاء الراشدين في ثلاث نقط:

1)طريقة كبار الصحابة في استنباط الأحكام، فقد قامت على أساس الرجوع إلى كتـاب الله، فإن لم يجدوا بحثوا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا اجتهدوا...

2)اختلافهم في فقه الأمور المستجدة، فقد كانت بذور هذا الانقسام في الفهم والاجتـهاد موجودة منذ عصر النبوة كما في قصة بني قريظة[37].

وقد سجلت كتب الفقه الإسلامي وغيرها أن كبار الصحابة اختلفوا في كثير من المسائل، كاختلافهم في قول الرجل لزوجه: أنتِ علي حرام، فهذا القول يحمل على المدخول ـا علـى البْت، أي الطلاق الثلاث، وهو قول زيد بن ثابت وعلي من الصحابة... إلا أن بعـض هـؤلاء قال: يمين مختلطة، وهو قول عمر وابن مسعود وابن عباس[38].

3)كما اتسم الفقه في هذا الطور بالواقعية العلمية، فلم يكن يفترض الوقائع وحلولها، وإنما كان الخوض في الأمور الواقعية التي تحتاج إلى صلاح وحل عادل من الكتاب أو السنة أو القياس أو الإجماع في ظرف اتسعت فيه البلاد الإسلامية، واحتضنت شعوبا وقبائل بعادا ـا ونظمهـا المختلفة، وحرصا على عدم إضاعة الوقت في أمور لم تحدث بعد؛ حيث واجه الصحابة الكبـار تلك العادات والتقاليد وما جد من أقضية لم تكن معهودة من قبل، فأقروا الصالح منـها وألغـوا فاسدها، وهذبوا ما احتاج إلى ذيب. غير أن اية هذا العصر، أي عصر الخلفاء الراشدين وبداية ولاية معاوية إلى أواخر القرن الأول الهجري، بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسـية، وفي هذه المرحلة جدت أحداث كان لها صدى بالغ وأثر ظاهر في الفقه، ولقيت استجابة علمية مـن

(36) كتاب الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، للدكتور مصطفى الزرقا، ص: 156، بتصرف.
(37) المدخل الفقهي العام، مصطفى الزرقا، ص: 165، بتصرف.
(38) بداية ا تهد لابن رشد: 58/2، دار الرشاد الحديثة.

علماء صغار الصحابة وكبار التابعين في ضوء شريعة الوحي[39]...

أدت الخلافات بين علي ومعاوية[40] وانتهائها بقضية التحكيم المشهورة إلى انقسام الأمة الإسلامية إلى طوائف ثلاث: الخوارج والشيعة والجمهور، وتحت كل طائفة طوائف عديدة.

ولم يقتصر هذا الانقسام الثلاثي على الجوانب السياسية فحسب، بل تسرب إلى الأحكام التشريعية والاستنباطات الفقهية، فقد اختلف المسلمون في الرأي، وتوسعوا في الاجتهاد دون النظر في أدواته الأساسة في بعض الأحيان[41].

تلك أهم المراحل الأساسة التي مر منها الفقه الإسلامي في بدايته، وقد رأينا أنه عرف تقلبات جذرية أسهمت إلى حد كبير في تطور الفقه وتأسيسه، وإن كان الفقه في هذه المرحلة لم يظهر بعد باعتباره مادة لها أصولها وفروعها، إلا أنه أخذ يؤسس لمرحلة قادمة، حيث تم جمع عدد كبير من المسائل الفقهية، وتم الرجوع إلى الأصول الأساسة للتشريع قصد تأصيل هذه المسائل، وهو ما أخذ يبحث عن تأسيس مادة اسمها الفقه، وقد بذل الصحابة والتابعون من بعدهم مجهودات كبيرة في وضع كل مسألة على أصلها، وقد رأينا مميزات الفقه في تلك المرحلة.

وإذا كان الأمر كذلك، فما هي وضعية الفقه في مرحلة الحفظ واستنباط القواعد الفقهية ضمن النصوص التشريعية؟

ذلك سؤال سيجيب عنه الفرع الموالي.

الفرع الثاني: مرحلة الحفظ واستنباط القواعد الفقهية

تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي عرفها الفقه الإسلامي، حيث تم فيها حفظ مجموعة من القواعد الفقهية، واستقراء النصوص الشرعية، واستنباط القواعد الفقهية والأصولية. وقد بدأت

---

(39) الفقه الإسلامي ومدى استجابة علماء المسلمين في تطبيقه على ما استجد من أحداث ووقائع، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب بالرباط، إعداد محمد عز العرب، ص: 52، تحت إشراف الدكتور محمد بن البشير.

(40) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، كان من دهاة العرب، يضرب به المثل، أسلم يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه. تولى الخلافة سنة 41هـ، فكانت مدة خلافته عشرين سنة إلا شهرا. (انظر ترجمته في: مروج الذهب للمسعودي: 42/2، وشذرات الذهب: 65/1، وكتاب وفيات ابن قنفذ ص: 73).

(41) الفقه الإسلامي ومدى استجابته، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، إعداد: محمد عز العرب، إشراف الدكتور: محمد بن البشير، ص: 56.

هذه المرحلة منذ القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ويمكن إجمال مميزات هذه المرحلة فيما يلي:

«...1- قامت الدولة العباسية في أوائل هذه المرحلة، أعني عام 132هـ، وكان قيامها على الدين، فقربت الفقهاء، وحاولت السيطرة على الوضع الاقتصادي والثقافي.

2- ظهور المذاهب الفقهية، ويبتدئ هذا العصر بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

وينتصف القرن الرابع الهجري حيث دب الضعف والتقهقر في الخلافة العباسية، وصار الأمر فيها إلى الموالي، وتقطعت أوصالها إلى ولايات متعددة، وقد نتج عن هذا التراجع الحضاري أن انهار النشاط الفقهي، وابتعد الفقهاء عن الاجتهاد، وركنوا إلى التقليد. وفي هذه الفترة –فترة عصر المذاهب- عرف الفقه الإسلامي تطورا هائلا، وقادت حركته المذاهب الفقهية حتى عرف هذا العصر بعصر الفقه الذهبي وعصر ازدهار الفقه، وعصر التدوين، وعصر المجتهدين، وما شاكلها من التسميات...»[42].

ولا غرابة في ذلك مادام العصر هو أزهى عصور الدولة العباسية، فلم يكن النشاط العلمي في هذا الدور مقتصرا على الفقه وحده، بل شمل النواحي الأدبية والفلسفية... وقد أنجبت هذه المرحلة ثلاثة عشر فقيها مجتهدا[43]...

»على أن ازدهار الفقه قد تحكمت فيه عوامل كثيرة أهمها: عناية الخلفاء العباسيين بالفقهاء، حيث عرفوا لهم قدرهم، كما أن فقهاء هذا العصر عرفوا قدر العلم، فنجد أن الإمام مالكا رفض أن يسعى إلى الخليفة، فما يكون من الرشيد[44] إلا أن يسعى إليه في مجلسه، ويرسل إليه ولديه

(42) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، ص: 123، بتصرف.

(43) تاريخ التشريع الإسلامي، للأستاذين السبكي والبربري، ص: 194.

(44) الرشيد الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي. استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة 170ه، بعد الهادي. روى عن أبيه وحده ومبارك بن فضالة. وروى عنه ابنه المأمون وغيره. توفي سنة 223هـ. (تنظر ترجمته في: الكامل لابن الأثير: 106/6، وشذرات الذهب: 334/1، والعبر: 312/1، وتاريخ بغداد: 5/14).

الأمين[45] والمأمون[46] بالمسجد ليسمعا منه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع سائر من يحضر من المسلمين، كما أن أبا يوسف[47] تلميذ أبي حنيفة يكتب كتابه المشهور بـالخراج إلى الرشيد يبين فيه نظم إدارة الدولة...«.

»... وقد ظهرت في هذه المرحلة المذاهب الفقهية المختلفة والتي ما تزال سائدة في العـالم الإسلامي حتى اليوم، ونعني ا مذهب أبي حنيفة[48] ومالك والشافعي[49] وابن حنبل[50] مـن أهل السنة ومذاهب الزيدية والإمامية من الشيعة...«.

»وتمتاز هذه المرحلة بامتزاج العرب الفاتحين بأهل البلاد الأصليين مـن الفـرس والـروم وغيرهم، ونشأ جيل جديد يجمع بين الثقافة العربية والثقافات المختلفة، وترجمت العلوم والفلسفة

(45) الأمين: الخليفة، أبو عبد الله محمد بن الرشيد هارون، بن المهدي محمد بن المنصور الهـاشمي العباسـي البغدادي. عقد له أبوه بالخلافة بعده، وكان مليحا بديع الحسن أبيض وسيما طويلا، وعاش الأمين سبعا وعشرين سنة، وقُتل سنة 198هـ، وخلافته دون الخمس سنين. (تنظر ترجمتـه في: تـاريخ بغـداد: 336/3، والكامل لابن الأثير: 221/6، والعبر: 325/1، وتاريخ بغداد ص: 297).

(46) المأمون (198-218هـ): ولد عبد الله أبو العباس المأمون بن هارون الرشيد سنة 170هـ، ولاه أبوه ولاية العهد بعد أخيه الأمين. (تنظر ترجمته في: الكامل لابـن الأثـير الجـزري: 163/5-228، والبداية والنهاية لابن الأثير: 236/10-244).

(47) القاضـي أبو يوسف الإمام ا تهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بـن حبيب بن حبيـش... مولـده 113هـ، له عـدة مؤلفـات. (تنظر ترجمته في: الفهرسـت لابـن النديم، ص: 203، والاستيعـاب ص: 584، وطبقـات الشيرازي ص: 134، وتـاريخ بغـداد: 242/14، وسير أعلام النبلاء: 535/18.

(48) أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أحد أئمة الإسلام وفقهائه، إمام المذهب الحنفـي، تـوفي سـنة 150هـ. (تنظر ترجمته في شذرات الذهب: 227/1).

(49) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. اتفق مولده بغزة، ومات أبوه إدريس شابا، فنشأ محمد يتيما في حجـر أمـه. وصـنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعا الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة. توفي سنة 204هـ. (تنظر ترجمته في طبقات الفقهاء للشـيرازي ص: 48-50، وترتيـب المدارك: 382/2، والأنساب: 251/7-254، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 361/1، وسير أعلام النبلاء: 5/10).

(50) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي، الإمام الشـهير، صاحب المسند. مات ببغداد يوم الجمعة سنة 284هـ. (تنظر ترجمتـه في: تـاريخ بغـداد: 412/4، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 431/2، و ذيب التهذيب لابن حجر: 72/1، وطبقـات الحنابلـة: 1/ 4، وطبقات الشيرازي ص: 9).

اليونانية إلى اللغة العربية فضلا عما نقل للعربية أيضا من تراث فارس والروم، وكان مما نقل إلى العربية منطق أرسطو وفلسفته، وبلا شك فإن الفقهاء شأنهم شأن باقي العلماء قد قرأوا ذلك واستفادوا منه وتأثروا به في كيفية استنباطهم عن طريق القياس وغيره...« [51].

»... وهناك مرحلة عصر المذاهب الفقهية أو عصر التدوين أو عصر الازدهار الفقهي، وتبتدئ هذه المرحلة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وتنتهي في منتصف القرن الرابع الهجري. بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ازدهرت هذه المرحلة بالفقه والفقهاء وحرية الرأي المطلق فيما عدا الأمور السياسية، وكثر الجدل والنقاش العلمي، وكثرت الوقائع، وتأثرت العقود بنفقات الأمم المختلفة وتدوين العلوم وانتشار الترجمة من اللغات الأخرى...«[52].

وقد تميز الفقه في هذا الدور إلى جانب الميزة الواقعية بالميزة الافتراضية، حيث كثر استعمال الرأي في أمور لم تحدث بعد.

والخلاصة أن هذا الدور كان دور اجتهاد، وعصر كثرة المجتهدين الذين تولوا مهام الاستنباط والاستجابة لكل ما استجد من أحداث بإيجاد حلول لها في ضوء شريعة الوحي، فمنهم من كان يجتهد لنفسه ولم يكن له أتباع ينشرون مذهبه، ومنهم من تيسر له ذلك فثبتت آراء الإمام المجتهد وانتشرت بين الناس وأصبحت مذهبا متبعا في حياتهم[53].

وأهل الاجتهاد يقتصرون على المذاهب الأربعة للأسباب الآتية:

1)سرعة الاستجابة للمذاهب الفقهية مع سرعة الانتشار منحاها صفتي البقاء والراعية إلى يومنا هذا. في حين أن المذاهب الفقهية المندثرة كمذهب الأوزاعي[54] وأبي سفيان[55]، وداود

(51) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي للدكتور أبو المعاطي ص: 169.
(52) ضحى الإسلام لأحمد أمين: 2/162-171 بتصرف.
(53) الفقه الإسلامي ومدى استجابته، مرجع سابق، ص: 85.
(54) عبد الرحمن الأوزاعي بن عمرو، أبو عمرو، إمام أهل الشام في وقته، نزيل بيروت، روى عن عطاء وابن سيرين ومكحول، وخلق الله سنه سنة 88هـ. مات سنة 157هـ. (تنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي: 1/178، وتهذيب التهذيب لابن حجر: 6/238، والعبر للذهبي: 1/221).
(55) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، روى عن أبيه وزيادة بن علاقة وغيرهما. قال شعبة وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الدين. ولد سنة 97هـ، ومات بالبصرة سنة 161هـ. (تنظر ترجمته في تاريخ بغداد: 9/151، وتذكر الحفاظ: 1/203، وتهذيب التهذيب: 4/111، وحلية الأولياء: 6/356).

الظاهري[56]، وابن جرير الطبري[57]، سرعان ما اندثرت مع مرور الزمان[58]، كمذهب الليث[59] بن سعد، وسفيان[60] الثوري، وابن[61] أبي ليلى، وشريك[62] بن عبد الله النخعي وغيرهم. واستطاعت أن تحافظ لنفسها بصفة الاستمرار ولتجنب أسباب الاندثار منذ ظهورها إلى الآن، إلا أنها لم تستطع أن تكتسح العالم الإسلامي بالقدر الذي اكتسحته المذاهب الفقهية الأربعة.

»إن الفقه الإسلامي بحق هو أعظم فقه قانوني عرف إلى اليوم في تاريخ الشرائع، وقد نشأت فيه مذاهب فقهية كثيرة، اقتصرت على أشهرها كما أشرت إلى ذلك سابقا، لكن هذه الثروة الفقهية الكبرى ما لبثت أن استهلت بحادث كان عظيم الخطورة رفع لواؤه في القرن الرابع

(56) داود بن علي بن خلف الأصبهاني: تنسب إليه طائفة الظاهرية، وهو أول من استعمل قول الظاهر، وأخذه بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس. له تصانيف كثيرة. توفي سنة 270هـ. (تنظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص: 319).

(57) هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر المحدث الفقيه الأصولي المؤرخ المجتهد، صاحب التصانيف، له جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وغيره من المصنفات. كان شافعي المذهب، ثم اجتهد. ولد سنة 224هـ، وتوفي سنة 310هـ. (تنظر ترجمته في طبقات الشافعية: 120/3، وتاريخ بغداد: 162/2، والعبر للذهبي: 146/2، وشذرات الذهب: 260/2، وطبقات الشيرازي ص: 76، ولسان الميزان: 100/5).

(58) الفقه الإسلامي ومدى انسجامه، مرجع سابق، ص: 85.

(59) الليث بن عبد الرحمن الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الْفَهمي، مولى خالد بن ثابت بن طاعن. (تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد: 517/7، والفهرست: 199/1، وتاريخ بغداد: 3/13، وتذكرة الحفاظ: 224/1، وميزان الاعتدال للذهبي: 423/3).

(60) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، روى عن أبيه وزيادة بن علاقة وغيرهم. قال شعبة وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الدين. ولد سنة 97هـ، ومات بالبصرة سنة 161هـ. (تنظر ترجمته في تاريخ بغداد: 151/9، وتذكرة الحفاظ: 203/1، وتهذيب التهذيب: 111/4، وحلية الأولياء: 358/6).

(61) ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، العلامة الإمام مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري. ولد سنة نيف وسبعين. وكان نظيرا للإمام أبي حنيفة في الفقه. مات ابن أبي ليلى سنة 148هـ. (تنظر ترجمته في طبقات ابن سعد: 358/6، والفهرست لابن النديم ص: 202، وميزان الاعتدال: 613/3-616، والوافي بالوفيات: 221/3).

(62) شريك النخعي بن عبد الله بن أبي شريك العاصمي النخعي أبو عبد الله الكوفي. أحد الأعلام، روى عن زياد بن علاقة وبيان بن بشير وحسين بن أبي ثابت وغيرهم. ولد سنة 95هـ، ومات سنة 177هـ. (تنظر ترجمته في تاريخ بغداد: 279/9، وتذكرة الحفاظ: 232/1، وشذرات الذهب: 287/1، والعبر: 270/1).

الهجري من منتصفه إلى أواخر القرن الثالث عشر تقريبا، وهو الوهن والضعف...«[63]،.

3- ظهور الضعف في الدولة العباسية

»... ككل شيء في الوجود ما أن يبلغ تمامه حتى يبدأ في الانحدار، والدولة الإسلامية التي بدت في المرحلة السابقة موحدة قوية مترامية الأطراف، انتماؤها واحد، ووجهتها واحدة، اعتراها الضعف والتمزق.

فالأمويون كانت لهم دولتهم بالأندلس، ويسمى عبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين لما أحس بضعف الدولة العباسية، وقامت الدولة الفاطمية بشمال إفريقية، واتخذت المهدية عاصـمة لهـا بالغرب من مدينة تونس، وقامت الدولة الأخشيدية بمصر، ووجدت بالمشرق السامانية وعاصمتها بخارى فيما وراء النهر، بل وجدت ببغداد نفسها دولة بني بويه، ثم دولـة السـلاجقة، وكـان لكلتيهما السلطان، وكانت كل دولة تتنازع السلطان فيما بينها، ويكيد بعضها لبعض، ثم تعاقبت دول أخرى، ثم بلغ الضعف بالعالم الإسلامي مداه حتى جاء هولاكـو[64] حفيـد جنكيزخـان واستولى على بغداد، وقتل المعتصم[65] بالله آخر خلفاء بني العباس عام 656هـ...«[66].

وفيه ضعف سلطان المسلمين، واضمحلت شوكتهم، وانقسمت دولتهم، وضعفت قوتهم، وانتشرت فيهم النكبات جراء تفرقهم واختلاف كلمتهم، ولقد نتج عن هذا الانحلال السياسـي انحلال في كل مرافق الحياة، حيث جمد الفقه، وفقد الفقهاء روح الاستدلال العلمي ومقوماتـه، فركنوا إلى تقليد السلف في اجتهاداتهم اعتمادا على ثرواتهم الفقهية الشاسعة، وانحصر نشاطهم في تعليل أحكام الأئمة وترجيح بعضها على بعضها الآخر، مما زكى عملية تجميد الفقـه وتكـريس ظاهرة التقليد.

(63) الفقه الإسلامي ومدى استجابته، مرجع سابق، ص: 87.

(64) هولاكو بن تولي بن جنكيزخان: أحد قادة الروم الطاغية، صار بجيش يقدر بمائة ألف وافتـتح حصـن الألموت، وأباد الاسماعيلية، وبعث جيشا عليهم. فأخذوا مدائن الروم، وذل لهم صاحبها، وقتل خلق كثير، ظهر هذا الطاغية في عهد المستعصم بالله. (تنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 180/23).

(65) المعتصم بالله آخر خلفاء بني العباس، وقد أوشك الفرس على إشعال فتيل الحرب بعد وفـاة المـأمون، وتولى المعتصم بالله لابنه تعضيدا للعباس بن المأمون، لأن أم المأمون فارسية، لكن المعتصم بعدما تمكن من الخلافة، عمل جاهدا على إبعاد الفرس والاستعانة بالأتراك، لأن أمـه تركيـة. تـولى الخلافـة 218-227هـ. (تنظر ترجمته في الكامل لابن الأثير: 266/5).

(66) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للدهلوي، ص: 87-95.

وأترك ا ال للإمام الدهلوي (ت. 1176هـ) يحدثنا عما حدث بعد المائة الرابعة: »ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يمينا وشمالا، وحدثت فيهم أمور منها: الجدل والخلاف في الفقه (...) ومنها أ م اطمأنوا بالتقليد، ودب التقليد في صدورهم دبيب النمل وهم لا يشعرون، وكان سبب ذلك تزاحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم، فإ م لما وقعت فيهم المزاحمة في الفتوى، كان كل من أفتى بشيء نوقض في فتواه ورد عليه«(67).

ويمكن إجمال ملامح الحركة الفقهية في هذه المرحلة فيما يلي:

»1)تغلبت العناية بالمناقشات اللفظية، وتتبع كلمات المؤلفين في المصنفات والشروح والحواشي والتقارير على الروح العلمية والموضوعية التي من شأ ا أن تخدم الفكرة، بقطع النظر عما يتصل ا من لفظ وعبارات.

2-تغلبت روح التقديس للآراء والأفهام التي دو ا السابقون، والسمو ا عن مستوى النقد، وعدم الاكتراث بما يظهر من آراء جديدة، ولو كان لها من السداد والقوة ما لها.

3-تغلبت نزعة الاشتغال بالفروض والاحتمالات العقلية التي لا تقع، وما يتصل ا من أحكام، فتراهم يقولون: لو طلقها نصف تطليقة! وتراهم يقولون: لو تزوج جنية! فالحل في النسب والميراث كذا...!... الخ.

4-تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التي يتخلص ا من الحكم الشرعي، ولقد تناولت هذه الحيل كثيرا من أبواب الفقه، ولم تقف عند الحد الذي ورد عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه، بل افترضوا حيلا يسقطون ا الواجبات، ويفسدون ا الالتزامات، فنجد حيلا لإسقاط الزكاة، وحيلا لإسقاط الحدود... وهكذا، مما لا يتفق ومقاصد الشرع.

5-تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد، حتى وصل الأمر بين أتباع الأئمة إلى المناقشة في صحة الاقتداء بالمخالف في المذهب، وأخذت هذه المسألة في كل مذهب مجالا واسعا في البحث والتفريع، حتى وصل الأمر عند بعض الحنفية إلى البحث في حكم التزوج من الشافعية!..«(68).

»... وصارت المذاهب أديانا يتقاتل أهلها، ويضلل بعضهم بعضا، وهي لا تخرج عن أ ـا

(67) المرجع نفسه، ص: 95.
(68) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي لأبي المعاطي، ص: 171.

آراء وأفهام حذر أئمتها الأولون من تقليدها والعمل ا دون الاطمئنان إليهـا بمعرفـة الحجـة والبرهـان، وكان الأئمة أنفسهم يعترفون بجواز الخطإ عليهم، وبجواز أن تكون هنـاك سـنة لم يطلعوا عليها، حتى أثر عن غير واحد منهم قوله: إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقـولي عرض الحائط(69)...

6- انقطعت الصلة بين علماء الأمصار، وهي الظاهرة التي كانت سائدة في المرحلة السابقة، فصار علماء كل بلد لا يسمعون عن البلد الإسلامي الآخر ولا يحتكـون ـم، ولا يناقشـون أفكارهم، بل شاع بين علماء المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي كالأزهر تحريم تقليـد غـير المذاهب الأربعة، فحجروا واسعا، ومنعوا رحمة خص الله ا هذه الأمة. وشاع فيما شـاع بـين العلماء أن من قلد إماما من الأئمة الأربعة فليس له أن يحيد عنه، بل يجب عليه أن يلتزمه بـدون حجة ولا بحث ولا دليل. وشاع بين العلماء أيضا في هذه المرحلة تحريم الاشتغال بالعلوم العقليـة والرياضية ومحاربة المشتغلين ا(70)...الخ».

وهكذا نلاحظ أهم العوامل التي أثرت بشكل كبير في الفقه الإسلامي، وكانـت مرحلـة الحفظ واستنباط القواعد أهم شغل هؤلاء الفقهاء، حيث سعـوا إلى استنباط القواعـد الفقهيـة والأصوليـة من القـرآن والسنـة، غير آ ين بما آلت إليـه الأمور السياسيـة، فكان الحفـظ واستنباط القواعـد شغلهـم الوحيـد الذي اشتغلوا به، ولولا وضـعهم القواعـد الفقهيـة والأصولية لتعذر على المشتغلين بالنصـوص الشرعيـة أن يدخلوا أغوار النصـوص، ولتعـذر عليهـم أن يستنبطـوا الأحكام الفقهيـة.

فكانت هذه المرحلة مرحلة حاسمة، لأن غرس بذور القواعد وتطبيقها واسـتنباطها علـى النصوص يعسر على جل المهتمين بالفقه إلا الفقهاء والعلماء الذين تمرسوا على ذلك، وتضلعوا في القواعد الفقهية الأصولية، ووجدوا ضالتهم في ذلك.

ولسنا بصدد الحديث عن ذلك بقدر ما يهمنا أن نتساءل: ما هي مرحلة التقعيد الفقهـي؟ وما هو الدور الكبير الذي قام به الفقهاء في إثراء القواعد الفقهية؟

سؤالان سيجيب عنهما الفرع اللاحق.

---

(69) المرجع نفسه، ص: 171.
(70) المرجع نفسه، ص: 172.

الفرع الثالث: مرحلة التقعيد الفقهي

عرف الفقه الإسلامي بوادر التقعيد الفقهي بعد مرحلة التدوين والجمع، حيث أسهم الفقهاء في تقعيد الفقه، وغرسوا روح الاستدلال العلمي ومقوماته، فركنوا إلى اجتهاداتهم اعتمادا على ثرواتهم الفقهية الشاسعة، وانحصر نشاطهم في تعليل أحكام الأئمة، وترجيح بعضها على بعضها الآخر، وتناولوا المسائل الفقهية بالتحليل والتفريع حسب مناهج منطقية وأساليب رياضية تقدم على الافتراضات النظرية والأحكام القياسية.

»وما أن حل القرن الخامس حتى استفحل النزاع بين المذاهب الدينية حتى السنية منها، وقويت شوكة الشافعية الذين شنوا حربا على كل المذاهب الأخرى، وتقربوا إلى الخليفة لإزاحة المذاهب الأخرى« (71).

يقول أبو المعاطي في هذا الصدد: »كان من الطبيعي أن تؤدي المرحلة السابقة التي سادت العالم الإسلامي أن يطمع فيه أعداؤه من كل جانب، وأن يحتلوا أرضه، وأن تسود الفوضى التشريعية حياته الداخلية، بعدما تعددت المذاهب الفقهية، وتعصب أصحاب المذاهب لها، وبالتالي تعدد القضاة، فكان منهم الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، وكل قاض يحكم بحسب أحكام مذهبه، وبحسب الرأي الذي يختاره من أقوال هذا المذهب«(72).

وكانت دعاوى اتهام المسلمين الذين جاؤوا بعد القرن الرابع الهجري بالجمود الفكري والعجز عن حل مشكلات الناس المتجددة، والوقوع في شباك التقليد بهذا الإطلاق العام تهمة قاسية، وادعاء باطلا لا يستطيع الصمود أمام البحث العلمي، لأن الفرار من الاجتهاد في هذه المرحلة لا شأن له؛ فقد برز من فقهاء تلك الحقبة من كان يرجح بين الاجتهادات المختلفة، أو يدعي لنفسه القدرة على استنباط الأحكام والتعامل معها مباشرة دون وساطة أمام المذهب.

ففي القرن الخامس الهجري وجد أبو عمر بن عبد البر(73) فقيه المالكية في عصره، وهو

---

(71) التفريع لابن الجلاب، تحقيق الدكتور الدهماني: 93/1.

(72) المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، للدكتور أبو المعاطي، ص: 172.

(73) الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. مولده سنة 368هـ. وكان موفقا في التأليف معان عليه، ونفع الله بتواليفه. مات أبو عمرو سنة 463هـ. (تنظر ترجمته في جمهرة أنساب العرب ص: 302، وجذوة المقتبس ص: 367، والصلة: 677/2، ووفيات الأعيان: 66/7، وتذكرة الحفاظ: 1128/3، والبداية والنهاية: 104/12).

الذي يعلن عن جواز اقتناء الكلاب للمنافع كلها، دون الاقتصار على الصيد والزرع والماشية، وذلك بتوسعه في شرح حديث ابن عمر[74] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: »من اقتنى كلبا إلا كلبا صائدا، أو كلب ماشية، نقص من عمله كل يوم قيراطان[75]«[76].

قال ابن عبد البر: »... وفي هذا الحديث من الفقه إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكراهية اتخاذها لغير ذلك«[77].

»وفي معنى هذا الحديث تدخل عندي إباحة اقتناء الكلاب للمنافع كلها ودفع المضار إذا احتاج الإنسان إلى ذلك، وقد أجاز مالك وغيره اقتناء الكلاب للزرع والصيد والماشية، ولم يجز ابن عمر اقتناءها للزرع، وإنما كره من ذلك اقتناءها من غير منفعة وحاجة أكيدة.

وإنما اتخاذها للمنافع، فما أظن شيئا من ذلك مكروها، لأن الناس يستعملون اتخاذها للمنافع ودفع المضرة قرنا بعد قرن في كل عصر وبادية فيما بلغنا، والله أعلم...«[78].

---

(74) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه، أحد الأعلام في العلم والعمل، شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان، وممن كان يصلح للخلافة، فعين لذلك يوم الحكمين. توفي سنة 74هـ. (تنظر ترجمته في أسد الغابة: 340/3، والإصابة: 338/1، وتاريخ بغداد: 171/1، وشذرات الذهب: 81/1، والعبر للذهبي: 83/1، وطبقات الشيرازي ص: 49).

(75) القيراط: معيار في الوزن وفي القياس، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وهو اليوم في الوزن: أربع قمحات، وفي وزن الذهب خاصة: ثلاث قمحات، وفي القياس جزء من أربعة وعشرين، وهو من الفدان يساوي خمسة وسبعين ومائة متر. (المعجم الوسيط: 727/2).

(76) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية...« الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الذبائح والصيد، باب: من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية، رقم الحديث 5060، عن عبد الله بن عمر. كما أخرجه في كتاب المزارعة، باب: اقتناء الكلب للحرث، رقم الحديث 2155، عن سفيان بن أبي زهير. وانظر الأحاديث الأخرى في البخاري تحت رقم 2155 و3078. ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان فسخه، رقم الحديث 2951، عن عبد الله بن عمر وسفيان بن أبي زهير. والترمذي في سننه: 79/4: كتاب الأحكام والفوائد، باب: ما جاء في من أمسك كلبا ما ينقص من أجره، رقم الحديث 1407، من طريق ابن عمر. والنسائي في سننه في كتاب الصيد والذبائح، باب: الرخصة في إمساك الكلب للصيد عن عبد الله بن عمر تحت رقمي 4211 و4213. وابن ماجه في سننه في كتاب الصيد، باب النهي عن اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية، رقم الحديث 3197، عن أبي هريرة. وأحمد في مسنده في مسند الأنصار، رقم الحديث 20906، مسند عبد الله بن عمر. ومالك في كتاب الجامع، باب: ما جاء في أمر الكلاب، رقم الحديث 1529، عن سفيان بن أبي زهير.

(77) الموطأ: 969/2، كتاب الاستذكار، باب: ما جاء في أمر الكلاب.

(78) التمهيد لابن عبد البر: 218/14-220.

كما وجد في هذا القرن فقيه الشافعية أبو الحسن[79] الماوردي، فطلب منه إبداء رأيه حول لقب ملك الملك، فأفتى بالمنع وعدم الجواز، مخالفا بذلك بعض فقهاء عصره.. وقد حدث ذلك في سنة 429هـ في شهر رمضان حين أمر الخليفة القائم بأمر الله أن يزاد في ألقاب جلال الدولة ابن بويه شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، وخطب له بذلك.

»فأفتى بعض الفقهاء بالمنع، وأنه لا يقال ملك الملوك إلا لله، وتبعهم القواد، ورموا الخطباء بأخذ الأجر، وكتب إلى الفقهاء في ذلك. فكتب الصيرفي[80] الحنفي أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية. وكتب القاضي أبو الطيب[81] الطبري بأن إطلاق ملك الملوك جائز، ومعناه ملك ملوك الأرض، قال: وإذا جاز أن يقال: ملك الملوك. ووافقه التميمي من الحنابلة«[82].

»... وأفتى الماوردي بالمنع، وشدد في ذلك. وكان الماوردي من خواص الدولة، فلما أفتى بالمنع انقطع عنه، فطلبه جلال الدولة، فمضى إليه على وجل شديد، فلما دخل قال له: إنما أتحقق أنك لو حابيت أحدا لحابيتني لما بيني وبينك، وما حملك إلا الدين. فزاد بذلك محلك عندي...

وفي القرن السادس نجد حجة الإسلام أبا حامد الغزالي[83] فقيه الشافعية يرجح غير مذهبه في كثير من المسائل كما في مسألة المياه، حيث قال: »وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك –رضي الله عنه- في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغيير، إذ الحاجة ماسة إليه، ومثار الوسواس اشتراط القلتين، ولأجله شق على الناس ذلك. وهو لعمري سبب المشقة، ويعرفه من

---

(79) أبو الحسن الماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، له كتاب الحاوي في فقه الشافعية. مات سنة 450هـ. (تنظر ترجمته في طبقات الشافعية: 267/5-285).

(80) الصيرفي الحنفي: هو محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي، الإمام الأصولي، كان يقال إنه أعلم خلق الله بالأصول بعد الشافعي، تفقه على ابن شريح. من تصانيفه: شرح الرسالة، وغيره. توفي سنة 330هـ. (تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 449/5، وشذرات الذهب: 325/2، وطبقات الشيرازي ص: 91، والعبر للذهبي: 221/2).

(81) أبو الطيب الطبري الإمام العلامة، شيخ الإسلام، القاضي أبو الطيب، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي، فقيه بغداد. ولد سنة 348هـ. له عدة مؤلفات، منها: شرح مختصر المزني، وصنف في الخلاف وغير ذلك. مات سنة 450هـ. (تنظر ترجمته في تاريخ بغداد: 358/9، وطبقات الشيرازي ص: 127، والأنساب: 207/8، والمنتظر: 198/8، واللباب: 274/2).

(82) الفقه الإسلامي ومدى استجابته، ص: 150.

(83) الغزالي الإمام محمد بن محمد الطوسي حجة الإسلام زين الدين أبو حامد، المشهور بالإمام الغزالي، من أكابر علماء الشافعية ومجتهديهم، ألف في فنون شتى. من أشهر مؤلفاته إحياء علوم الدين. توفي سنة 505هـ. (تنظر ترجمته في طبقات الشافعية: 110/2-113).

يجربه ويتأمله، ومما لاشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة: مكة والمدينة، إذ لا تكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة(84)... الخ.

وعند الحنابلة نجد أن الوفاء علي بن عقيل، قال: يخرج من رواية إيجاب الزكـاة في حلـي الكراء والمواشط أن تجب في العقار المعد للكراء وكل سلعة تؤجر وتعد للإجارة.

قال: وإنما خرجت ذلك عن الحلي لأنه قد ثبت من أصلنا أن الحلي لا تجب فيه الزكاة، فإذا أعد لكراء وجبت، فإذا ثبت أن الإعداد للكراء ينشئ إيجاب زكاة في شيء لا تجب فيه الزكـاة كان في جميع العروض التي لا تجب فيها الزكاة، فينشئ إيجاب الزكاة يوضحه أن الذهب والفضة عينان تجب الزكاة بجنسهما وعينهما، ثم إن الصياغة والإعداد للناس والزينة والانتفاع غلبت على إسقاط الزكاة في عينه، ثم جاء الإعداد للكراء فغلبت على الاستعمال وإنشاء إيجاب الزكاة، فصار أقوى مما قوي على إسقاط الزكاة، فأولى أن يوجب الزكاة في العقار والأواني والحيوان الـتي لا زكاة في جنسها أن ينشئ فيها الإعداد للكراء زكاة(85).

وعند المالكية نجد أبا الوليد محمد بن رشد يسأل عمن صلى من المرابطين ملثمـا. فكـان جوابه أن أجاز تلثيم المرابطين، بل استحبه لهم لأنه زيهم، به عرفوا، وهم حماة الدين، ولا حـرج على من صلى منهم ملثما، بخلاف غيره الذين رأوا أن التلثم مكروه، فالأولى تركه...«(86).

كما سئل عن أي العملين أفضل لأهل الأندلس في هذا الزمان؟ هـل الحـج أو الجهـاد؟ فأجاب: فرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة، والاسـتطاعة هـي القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال، وذلك معدوم في هذا الزمان، وإذا سقط فرض الحج لهذه العلة، صار نفلا مكروها لتقحم الغرر فيه، فبان بما ذكرناه أن الجهاد الذي لا تحصـى فضائله في القرآن، والسنن المتواترة والآثار أفضل منه(87).

(84) إحياء العلوم: 154/1.
(85) بدائع الفوائد لابن القيم: 143/3.
(86) المعيار المعرب للونشريسي: 28/11.
(87) فتاوى الونشريسي: 121/2.

ونجد أيضا القاضي أبا بكر ابن العربي[88] المالكي يؤيد مذهب أبي حنيفة في إيجاب الزكاة في كل ما أخرجت الأرض حتى الخضروات. قال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾[89]: »قال أبو حنيفة: تجب في كل ما تنبت به الأرض من المأكولات من القوت والفاكهة والخضر، وبه قال عبد الملك بن الماجشـون[90] في أصول الثمار دون البقول...

وأما أبو حنيفة فجعل الآية مرآته، فأبصر الحق وقال: إن الله أوجب الزكاة في المأكول توتا كان أو غيره...«[91].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في عموم قوله صلى الله عليه وسلم: »فيمـا سـقت الأ ار والغيم العشور«[92]، ثم قال القاضي أبو بكر بن العربي: »وقد أشرنا إلى مسـالك النظـر فيها. وقد آن تحديد النظر فيها كما يلزم كل مجتهد...«.

»وفي القرن السابع يمر الباحث على سلطان العلماء وإمام الشافعية عز الدين بن عبد السلام وهو يضع لسلطان مصر منهج جمع الأموال والعدة لإيقاف زحف التتار على مصر بعـد واقعـة بغداد، وحاصلها أن التتار لما داهمت البلاد، وجبن أهل مصـر عنـهم، وضـاقت بالسـلطان وعساكـره الأرض، استشاره الشيخ عز الدين فقال: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصـر.

---

(88) ابن العربي العلامة الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي، ولد سنة 468هـ، ورحل إلى المشرق. صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والآداب. مات سنة 543هـ. (تنظر ترجمتـه في البداية والنهاية لابن كثير: 228/12، وبغية الملتمس للضبي ص: 85، وتذكرة الحفاظ: 1294/4، والديباج المذهب لابن فرحون ص: 28، وشذرات الذهب: 141/4، والصلة: 590/2).

(89) سورة الأنعام: 141

(90)أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون القرشي الفقيه، البحر الذي لا تدركه الـدلاء، مفـتي المدينة، من بيت علم ا وحديث، تفقه بأبيه ومالك وغيرهما، وبه تفقه أئمة كابن حبيب وسحنون وابن المعذل. توفي سنة 212هـ. (تنظر شجرة النور ص: 56 رقم الترجمة 11).

(91) أحكام القرآن لابن العربي: 758/2.

(92) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب العشر فيما سقي من ماء السماء وبالماء الجاري، رقم الحـديث 1388، من حديث عبد الله بن عمر. ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ما فيه العشر أو نصف العشـر. والترمذي في كتاب الزكاة عن رسول الله، باب: ما جاء في الصدقة فيما يسقى بالأ ار وغيرهـا، رقـم الحديث 578 و579، عن أبي هريرة. وابن ماجه في كتاب الزكاة: حديث رقم 1806، والنسائي في كتاب الزكاة، باب: ما يوجب العشر وما يوجب نصف العشر، بلفظ: »فيما سقت السـماء والأ ـار والعيون أو كان بعلا العشر«، رقم الحديث 2442. وأبو داود في كتاب الزكاة: رقم الحديث: 1361.

فقال السلطان له: إن المال في خزائني قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار. فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي، وضربته سكة ونقدا، وفرقته في الجيش، ولم يقم بكتائبهم، في ذلك الوقت اطلب الفرض. وأما قبل ذلك فلا...

فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ، وامتثلوا أمره، فانتصروا...

ومثله في المذهب نبغ الإمام محيي الدين النووي، وتجري عادة كبراء الناس على كتابة الصداق على ثوب من حرير محض، فيسأل عن حكم الشرع في ذلك: هل الإباحة أو التحريم؟

فكان جوابه المنع مطلقا، حيث قال: لا يجوز أن يكتبوا الصداق على ثوب من حرير محض، لأنه لا يجوز للرجال استعمال الحرير في لبس ولا في غيره، وإنما يجوز للنساء لبسه، وهذا استعمال من الرجال، فهو حرام، فلا يغتر بكثرة من يفعله في العادة، ولا بكثرة من يراه، ولا ينكره، فإن هذا كباقي المحرمات الواقعة في العامة، والله أعلم...«[93].

من خلال ما سبق، نلاحظ أن الفقهاء خرجوا من قوقعتهم فأصدروا فتاوى مختلفة، غرضهم في ذلك تقعيد الفقه الإسلامي، وتصدروا لكثير من الأجوبة والمخالفات التي لا تمت إلى الفقه بصلة، فا مكوا في تقعيد الفقه، ووضعوا ضوابط مختلفة، حيث قاسوا الشبيه بالشبيه، واستنبطوا أحكاما مختلفة من الكتاب والسنة، وقعدوا بذلك الفقه الإسلامي، ومنعوا كل من سولت له نفسه أن يصدر أية فتوى لم ترتكز على الكتاب والسنة، وما يهمنا أن نتساءل إلى أي حد أسهم الفقهاء في التفريع الفقهي؟

سؤال سيجيب عنه الفرع الموالي.

الفرع الرابع: التفريع الفقهي

»...الشريعة الإسلامية شريعة عامة أنزلها الله سبحانه وتعالى لهداية الناس كافة، منذ أن نزلت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي لا تقبل التغيير والتبديل، لأ ا من عند الله، وما كان من عند الله فهو يتصف بالكمال، ومحاولة تغيير أي شيء مما يتصف بالكمال تعني بداهة إلحاق النقص به بقدر ما يناله من التغيير أو التبديل، إ ا خالدة لأن فيها من الحيوية والنشاط

(93) الفقه الإسلامي ومدى استجابته، مرجع سابق، ص: 185.

والتفاعل الداخلي ما يجعلها تستوعب القضايا والنوازل التي تتجدد بتجدد الأزمان كلها.

فالأحكام الشرعية الواردة في هذه ا الات منها ما هو أحكـام قطعيـة لا مجـال فيهـا للاجتهاد، ولا تقبل التغيير والتبديل لأن لها طبيعة مستقرة، وركائز ثابتة، وحقائق خالدة لا تتأثر بتأثر الأحوال والظروف وتغير الزمان والمكان، ومنها ما هو أحكام غير قطعية فيها مجال للاجتهاد والرأي، ويمكن أن ينالها التبديل والتغيير، فما لا يمكن تبديله إن كان متعلقا بالأمور الاعتقادية أو الأمور الأخلاقية يطلق عليه في الاصطلاح اسم الشريعة فقط، وإن كان متعلقـا بالعبـادات أو المعاملات بمختلف فروعها، فهو في إطلاق اسم الشريعة أو الفقه عليه سواء، وما يمكن أن ينالـه التغيير بسبب تغيير الظروف والأزمان والأماكن فيطلق عليه اسم الفقه فقط، وإن أطلق عليه اسم الشريعة فيأتي الإطلاق على سبيل الإيجاز لا على سبيل الحقيقة...«[94].

»...فالأحكام الشرعية الاعتقادية غير خاضعة لسنة التغيير لطبيعة هذه الأحكـام، فإنـه سبحانه تعالى –مثلا- هو الواحد الخالق الرزاق المتصف بصفات الكمال، وهذه الحقائق أزليـة خالدة لا يمكن تصور خلاف أي شيء منها، أو تغيير حقيقة من حقائقها، إذ ما بعـد الحـق إلا الضلال. وكذلك أحكام العبادات كوجوب الصلاة والزكاة والحج، وما لهذه الواجبـات مـن أركان وكيفية تبقى ثابتة غير خاضعة لسنة التطور، وهكذا الأمر في بقية الأحكام الشرعية الثابت قطعيتها بالنص أو الإجماع القاطع، فإ ا تبقى مستقرة لا تجوز مخالفتها ولا يحل تبديل أي شـيء منها، مثل أنصبة الوارثين من تركة الميت، وحرمة القتل والزنا والسرقة والغش في المعاملات، لأن مصالح الناس وحاجا م لا تدعو إلى تغيير أي جزء من هذه ا الات.

أما الأحكام الفقهية المتعلقة بجزئيات أمور المعاملات الخالية عن النصوص المقيدة وما يتعلق بالأمور الخاصة بتنظيم العلاقات المعاشية بين الأفراد بعضهم مع بعض، وبينهم وبين حكومـا م، وما يتعلق بتحديد أسس تعامل ا تمعات الإسلامية بعضها مع بعض، وبغيرها من ا تمعات التي لم يرد بشأ ا من الشرع توجيه معين محدد، فإ ا هي الأحكام الفقهية الخاضعة لسنة التطور وتبدل أحكامها بتبدل الظروف والأحكام والأماكن وفق ما تقتضيه مصالح العباد في إطـار القواعـد الشرعية الأصولية العامة...«[95].

(94) كتاب مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته لنظام الدين عبد الحميد، ص: 21.
(95) الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته لنظام الدين عبد الحميد، ص: 22.

»...ومن يدقق النظر في الخلافات الواقعة بين الفقهاء في المذاهب المختلفة، وكذلك الواقعة بين الفقهاء المنتمين إلى المذهب الواحد المختلفة أعصارهم، يجد أن الشيء الكثير منها يرجـع إلى اختلاف الأماكن والظروف والأزمنة لا إلى الحجة والبرهان، أي إن الفقهاء كانوا يرون أن العمل في زمن ما أو مكان ما برأي فقهي معين لاعتبارات خاصة بذلك الزمان أو المكان، فإذا ما تغيرت الظروف والأزمان وتبدلت الأحوال، واقتضى الأمر الانصراف من ذلك الحكم إلى حكم آخـر، كيف الفقهاء الذين واكبوا تلك الظروف والأحوال الرأي الفقهي في الموضوع نفسه على نحو ما تقتضيه تلك الظروف والأحوال، وقرروا تغيير الحكم المفتى به، والرأي الذي تم تقريره في السابق، وهذا ما يدل دلالة واضحة على حيوية الفقه الإسلامي ومرونته وتجاوبه مع الأحداث والظروف، واستعداده للسير مع مقتضيات الوقت، مادام ذلك التجاوب وهذا السير لا يخرقان قاعدة شرعية ولا أصلا من أصولها وما رسمه الله لنا من منهاج...«[96].

من خلال ما سبق، نرى أن الفقهاء بذلوا مجهودات مختلفة في التفريع الفقهي، غير أن هذه المهمة لا يقوم ا إلا فقيه ذو نظر سليم وفكر ثاقب، يتقن الغوص في بحر الشريعة، فيستنبط منها أحكاما مختلفة، ومن مسائل معرفية تؤهله لذلك، لأن التفريع الفقهي يحتاج إلى من بلـغ درجـة الترجيح والاختيار خارج مشهور المذهب، كما يشترط فيه أن تكون له يد طولى في نشر المذهب المالكي وتنميته وإثرائه بضبط أحكامه، وتفريع فروعه، وتقعيد قواعده، وقليل هم الذين بلغوا هذه الدرجة.

فإلى أي حد أسهم الفقهاء في إثراء القواعد الفقهية في تطبيق النصوص الشرعية؟ ثم ما هي ميزات مرحلة التطبيق الفقهي؟

الفرع الخامس: مرحلة التطبيق الفقهي

»...فالقصد من التطبيق هنا هو خضوع الوقائع التي لم يرد بشأ ا نص لأحكام فقهية تبعا لاختلاف الزمان والمكان. وبعبارة أخرى هو قبول تلك الوقائع تغيير ما كان لهـا مـن حكـم بأحكام أخرى مباينة لأحكامها السابقة، نظرا لاختلاف الظروف والأحوال، كأن يكون أمر من

(96) الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته لنظام الدين عبد الحميد، ص: 23.

الأمور محظورا في وقت، ومباحا في وقت آخر[97]...

وللتطبيق دواع أهمها العرف، وتغيير الزمان والمكان، والمصلحة، وقد عد بعض الباحثين الإجماع والقياس من ضمن الدواعي، ولكنني لا أخال أن هذين المصدرين لهما مكان في هذا المجال، لأن الإجماع ينعقد للوصول إلى حكم مسألة من المسائل لا لتبديل حكمها، وإذا تم الإجماع لتبديل حكم مبني على مصلحة بحكم آخر لتغير وجه المصلحة، فإن الداعي عندئذ يكون العرف أو المصلحة لا الإجماع، كما أن القياس لا يمكن أن يكون وسيلة من وسائل التطبيق، وداعيا من دواعيه، لأن القياس لا يغير حكما بحكم، وإنما يثبت المقيس نفس الحكم السابق للمقيس عليه...«[98].

لذا فأهم دواعي التطبيق الفقهي ما يلي:

»**أ-دواعي العرف**: العرف له اعتبار في الشريعة الإسلامية، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة وجد التعامل جاريا لدى أهلها في بعض القضايا وفق العرف السائد، فأقر قسما منه، وألغى بعضه، وأجرى التعديلات على بعضه الآخر. وقد اعتبره جمهور الفقهاء مسلكا يهتدى به إلى معرفة أحكام شيء غير قليل من المسائل عند توفر شروطه، وبين غير واحد منهم أن حكم المسألة الواحدة يختلف من بلد إلى بلد على أساسه، وأن الأحكام المبنية على هذا الأساس تغير وتتبدل بأحكام أخرى باختلاف الظروف والأزمان.

ومن أمثلة تغير الأحكام بتغير العرف نذكر:

1-فقهاء الحنفية المتأخرون أمضوا البيع بالوفاء، وهو إعادة المبيع إلى البائع عند إعادة المشترى بدل البيع، على أساس الشرط الحاصل بينهما بهذا الخصوص، مع أن المقرر هو عدم جواز الشرط في البيع لا يؤول إلى الخلاف والمنازعة. وإن أوائلهم كانوا يرون فساده. ولكن لما انتشر وتعارف عليه الناس وقبله المتأخرون، لأن انتشاره يوقع التنازع الذي كان علة الفساد...«[99].

»...**2**-ويرى الإمام مالك أن المرأة الكريمة غير مكلفة شرعا بإرضاع ولدها إن كان الولد يقبل ثدي غيرها، إذ على الزوج أن يستأجر من تقوم بواجب الإرضاع من المرضعات،

(97) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته، ص: 24.
(98) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته، ص: 29.
(99) المرجع نفسه، ص: 30.

بعكس المرأة التي ليس لها هذه المنزلة لجريان العرف والعادة على عدم قيام الشريفات الناشئات في بيوت تسودها النعمة والثراء بإرضاع أولادهن(100).

ورأى الإمام مالك أن هذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾(101)، لأن قول الباري ليس نصا قاطعا يوجب على الزوج الإرضاع، لأنه لو أراد سبحانه وتعالى الإلزام لقال –مثلا-: وعلى الوالدات إرضاع أولادهن، وإنما هو تقرير للواقع العرفي الغالب آنذاك، وكان بجانب هذا العرف عرف أهل السعة والثراء في عدم قيام نسائهم بالإرضاع(102).

كما ذكر ابن القيم أن المالكية قالوا إذا كان الشيء عيبا في العادة، رد به المبيع، فإذا تغيرت العادة بحيث لم يعد عيبا، لم يرد به المبيع، وقالوا: إذا تغيرت الأحكام المترتبة على العوائد، وهذا مجمع عليه بين العلماء لا خلاف فيه(103).

وقد عقب ابن القيم على هذه الأقوال بقوله: وهذا محض الفقه، ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم، وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل...(104).

كما أن للإمام الشافعي رحمه الله –كما هو معلوم- مذهبين في شيء غير قليل من المسائل، أحدهما قديم، والآخر جديد. وهذا منه مبني في الحقيقة على تعدد الأعراف، وتغير الزمان والمكان، فمذهبه الجديد يعود للفترة التي عاشها في مصر بعد أن ترك بغداد وأعراف أهلها، وهذا السبب أيضا في الغالب عندما نرى أنه ينسب للإمام أحمد قولان أو ثلاثة أقوال في المسألة الواحدة كل منها يخالف الآخر...«(105).

ب- دواعي تغير الزمان: إن تغير الزمان يستدعي إحداث حكم فقهي اجتهادي آخر مخالف للحكم السابق دون أن يكون للعرف دخل في هذا التغيير، والمقصود بتغير الزمان تغير

(100) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته، ص: 31.
(101) سورة البقرة، الآية: 233.
(102) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره لنظام الدين عبد الحميد، ص: 31.
(103) المرجع نفسه، ص: 33.
(104) أعلام الموقعين لرب العالمين، لابن القيم: 3/98-100 بتصرف.
(105) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره، ص: 33.

أحوال الناس وأخلاقهم وتصرفا م، وما يحلمون في نفوسهم من تقوى الله ومخافته، وقد تتـداخل هنا داعية العرف تداخلا تحتاج معه معرفة الداعي الحقيقي لتغير الحكم إلى شيء من إمعان النظر، والدقة في الملاحظة، إذ قد تكون المسألة من المسائل التي فيها حكم مستقر في مدينة أو قطـر في زمن معين، ولكن بمرور الزمن يتغير عرف الناس في تلك المدينة أو ذلك القطر، فيستدعي الأمـر لنفس المسألة حكما آخر على أساس العرف المستجد المستقر مكان العـرف السـابق، دون أن يكون لسلوك الناس وأخلاقهم وتدينهم أي دخل لهذا التبديل، وقد يكون السبب هـو تبـديل سلوك الناس ومشاعرهم وضعف الإحساس الديني في قلو م دون أن يكون للعرف أي دخل فيه.

فملاحظة الأمثلة في الفقرة السابقة وما ندرجه من الأمثلة ضمن هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها تجلي الفرق بين الموضوعين:

1- قرر الفقهاء الأقدمون للحنفية أن منافع المغصوب غير مضمونة، وإنما المضـمون هـو المغصوب نفسه، لأن المنافع أعراض تتجدد آنًا بعد آن، فلا تقوم. وبدل الضمان أعيـان، وهـو يقتضي المماثلة، ولا مماثلة بين الأعيان والأعراض، أما تقومها في الإجازات فهو سـبب إنزالهـا بالعقد م لة الأعيان المتقدمة. ولكن المتأخرين من فقهائهم قرروا لزوم ضمان منافع المغصوب من مال الوقف واليتيم والصغير والمعتوه وا نون، لأ م وجدوا تغير الناس وقبول سلوكهم، وضعف الوازع الديني في نفوسهم، ورأوا أن بعض هؤلاء يطمعون في مثل هذه الأموال، ويمـدون يـد الغصب إليها، لذلك قرروا الحكم عليهم بالضمان[106].

2- كان للوصي سابقا المتاجرة بأموال اليتيم، ومحاولة استثمارها، والمضاربة ـا، ولكـن الفقهاء المتأخرين لما رأوا فشو الخيانة وسوء التصرف من الأوصياء قرروا عدم جواز المضاربة ذه الأموال، وإذا ضاربوا ا ضمنوا ما لحقها من الخسارة[107].

3- الأصل في الحاجيات عدم تسعيرها، إذ ورد أنه عرض على الرسول صـلى الله عليـه

(106) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته، ص: 34.

(107) المرجع نفسه، ص: 35.

وسلم التسعير عند غلاء الأسعار، فقال: »إن الله هو القابض الباسط الرزاق«[108]، وذلـك لأن الغلاء لم ينجم عن تلاعب التجار بالأسعار، وإنما تم لأسباب اقتصادية متحكمة خارجـة عـن إراد م، لذلك فإن الإمام مالكا قرر في زمانه جواز التسعير عندما رأى طرو الغلاء بسبب التجار، و ذا قال قسم من الشافعية.

ويمكننا أن نقول إنه في وقتنا الحاضر الذي استولى فيه الجشع على أهل السوق استيلاء تاما بات التسعير واجبا لا مجرد كونه مباحا...[109].

ج- دواعي المصلحة: المصلحة مصدر واسع من مصادر الفقه الإسلامي، فهي داعية أيضا لتبديل حكم بحكم وتطويره بما يوافق الظرف الداعي إلى التبديل والتطوير، ومن يتفحص الأحكام الفقهية التي كان الاجتهاد سبيلها يجد الشيء الكثير من هذا القبيل، ويرى أن الفقهاء في مختلـف الأزمان قرروا في بعض المسائل غير ما قرره من سبقهم من أحكام سيرا مـع دوافـع المصـلحة المستجدة، وهناك بعض الأمثلة حول هذا الموضوع.

1- في اعتبار الطلاق الثلاث ثلاثا في عهد عمر رضي الله عنه، يقول ابن القـيم: فهـذه المسألة مما تغيرت الفتوى ا بحسب الأزمنة، كما عرفت لما رأته الصحابة من المصلحة، لأ م رأوا مفسدة تتابع الناس في إيقاع الثلاث لا تندفع إلا بإمضائها عليهم، فرأوا مصلحة الإمضاء أقـوى من مفسدة الوقوع.

2- اتفق الفقهاء سابقا على عدم انعقاد الإمامة إلا لمن له رتبه الاجتهاد[110].

كما قرروا لزوم توفر هذا الشرط فيمن يتولى أمر القضاء. ولكن بعد مضي فترة من الزمن، تبينت صعوبة وجود الحائز على هذا الشرط، لذلك قرر الفقهاء الاكتفاء بالأمثل، وجواز توليـة هذين الواجبين الأصلح لاقتضاء المصلحة، إذ لا يمكن خلو البلاد من الإمام، كما لا يمكن خلوها

(108) المرجع نفسه، ص: 37. وهذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البيوع، رقم الحـديث: 1235، وابن ماجه في كتاب التجارات، رقم الحديث: 2191، وكتاب أحمـد في مسـنده، رقـم الحـديث: 12131، وأبو داود في كتاب البيوع، رقم الحديث 2934، والدارمي في كتاب البيوع، رقم الحديث 2433.

(109) مفهوم الفقه الإسلامي وتطوره وأصالته، ص: 38.

(110) المرجع نفسه، ص: 39.

من القضاء.

3-الزوجة المطلقة ثلاثا لا ترث زوجها إن مات الزوج خلال عد ا، غير أن الفقهاء قرروا توريثها إن وقع الطلاق في مرض الموت، وسموا هذا الطلاق بطلاق الفار معاملة للزوج بنقـيض مقصوده على أساس المصلحة...»[111].

يتضح مما سبق أن الفقهاء بذلوا مجهودات مختلفة باستعمالهم جل الوسائل المتاحة لهم قصـد تفعيل الفقه وتطبيقه في شتى نواحي ا تمع دون أن يبقى حبرا على ورق، فأسهموا في تطبيق الفقه وتفعيله حسب ما يطرأ في ا تمع من أحداث مختلفة، ملتصقين بالنصوص الشرعية الأصلية، غـير آ ين بانتقادات الجامدين وآراء ظواهر النصوص الشرعية، مستعملين في ذلك العرف والمصـلحة وغيرهما، ووسعوا بذلك دائرة تطبيق الفقه الإسلامي في هذه المرحلة، وأصبح بـذلك في جـل مراحله يمتاز بتطبيق سليم. وفي تصوري، إن التقسيم السابق يختلف تماما عن الذين كتبوا في تاريخ الفقه الإسلامي، وهو تصور ينسجم مع مراحل الفقه في اعتقادي، كما أنه تصور ينفرد به هـذا البحث.

ولعل الحديث يجرنا أن نتساءل: ما هي مميزات الفقه من القرن الثالث إلى القرن السـابع؟ وإلى أي حد عرف الفقه تغيرات جذرية سواء في الشكل أو في المضمون؟

سؤالان سيجيب عنهما المبحث اللاحق.

المبحث الثاني

مميزات الفقه من القرن الثالث إلى القرن السابع

تمهيد

للحديث عن مميزات الفقه في هذه القرون، لابد أن نرجع قليلا إلى الوراء لنربط الماضـي بالحاضر، ذلك أن الفقه كان منذ ولادته جنينا إلى أن كمل خلقه، فصار وليـدا إلى أن سـعى

(111) المرجع نفسه، ص: 40.

واكتمل قويا، وذلك من أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته، »...ثم صار الفقه بعد ذلك شابا قويا كاملا سويا، وذلك بعد الوفاة النبوية مدة قرنين إلى آخر القرن الثاني، حيث كملت في الزمن النبوي كثير من فروعه، ولم يبق إلا التفريع والاستنباط بالاجتهاد المطلق، ثم المقيد قبل شيوع التقليد في العلماء.

وفي هذا العصر امتد الإسلام وكثرت الفتوح واتسعت المملكة الإسلامية من الهند إلى الأندلس، واختلطت بأمم كثيرة دخلت فيه أفواجا كفارس والروم، ودخلت الحضارة والرفه الفارسي والرومي للعرب، فكثرت النوازل، وظهر الفقهاء المفتون والقضاة العادلون، فصار للفقه مكان واعتبار، إذ فتحت الأقطار، ومصرت الأمصار، واتسعت بالإسلام الديار، فكان عصر التمدن العربي والتقدم الإسلامي، فـ لت النوازل، وظهرت جزئيات النصوص التي كانت بين العموم والخصوص، فاجتهد الفقهاء، واستنبطوا الآراء، وأسسوا المبادئ، وقعدوا وأطلقوا...«[112].

»...وكان أمر الخلفاء شورى بينهم كما أمر الله في القرآن، وكان نظامهم دستوريا، ودستورهم الأساس هو الفقه، كان الفقه من أرسى سنتهم، وروح حيا م، وبه تدبير ملكهم، وبصيانة الحقوق والوقوف عند حد الشريعة كانت حركة الإسلام سريعة، وكان لـ م المشارق والمغارب، فكان للفقه زمن الخلافة أعظم مكانة مما هو عليه الحقوق عند الأمم المتمدنة الآن.

كان الفقهاء أصحاب الشورى، وبيدهم التدبير وزمام كل أمر، ولا يصدر أمر قليل أو جليل إلا وفق الشريعة وعلى مقتضى الحق الذي لا مرية فيه، ولأنه منتهى ما يتصدر من السيطرة والرقابة على متابعة الخلفاء لنصوص الشريعة، وإشارة الفقهاء وتحري اتباع الحق الواضح والحجة البيضاء. ولم يثبت في تاريخ عربي ولا أجنبي انتقاد منتقد لهم بظلم أو سوء تصرف، بل اعترف الكل بأن عدلهم وحسن سلوكهم وصراحة طريقتهم هي التي أقادت لهم نواصي الأمم حتى ثلت عروش ملوكها، وخربت دور دولها لتبنى ا عظمة الإسلام المتعشقين لعدله، ونزاهة حكامه وخلفائه وعفتهم، ورفقهم وتمشيهم خلف أوامر شرعهم فلا يعدو ا. وكانت نصوص الشريعة غضة طرية لم يدخلها كثرة التأويلات وتدخلات الفهوم المتكلفة...«[113].

(112) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحجوي: 278/2.
(113) الفكر السامي: 285/2.

فما مميزات الفقه في القرون الثلاثة الأولى؟

الفرع الأول: مميزات الفقه في القرون الثلاثة الأولى

إن الحديث عن الفقه وما يميزه في القرون الثلاثة الأولى يستدعي أن نلقي ولو نظرة سريعة قبل هذا القرن لنرى أن الفقه الذي نراه الآن لم ينشأ كذلك من أول مرة، وإنما نشأ تدريجيا عبر مراحل وأطوار متعددة شأنه في ذلك شأن كل كائن حي، حيث يبدأ صغيرا، ثم ينمو تدريجيا إلى أن يصل إلى منتهى الكمال، »...إذ من المعلوم أن الفقه في أول نشأته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان مقصورا على أصلّيه الأساسين: كتاب الله وسنة رسوله، وهذان الأصلان أكملهما الله بما أنزله في كتابه من شرائع وأحكام تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيانها بأقواله وأفعاله وسيرته، فما أن توفاه الله تعالى واختاره لجواره حتى كان قد أرسى قواعد هذا الدين وأصوله، مصداقا للآية الكريمة التي نزلت في حجة الوداع: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[114].

»فكانت أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاياه وفتاواه الأساس الذي بني عليه الفقه، والطريق الذي مهد لما جاء بعده من فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم النهج القويم الذي صاروا عليه في إتمام بناء صرح هذا الفقه، إلى أن وصل ما وصل إليه من نضج وكمال على أيدي الأئمة المجتهدين، ثم على يد أتباعهم بما فرعوا من قواعد وأحكام شملت كل جوانب حياة الإنسان حيا وميتا، حتى تركوا لنا هذه الثروة الفقهية الضخمة التي لا يعرف لها نظير عند أهل الملل والأديان الأخرى...«[115].

»وكان بدء هذا التوسع في عصر الخلفاء وعصر الصحابة عموما، حيث عرضت لهم قضايا جديدة نتيجة للفتوحات التي تمت في عهدهم، فدخلت أمم مختلفة في دين الله، فكان بمقتضى هذا أن تولى أمر الفتوى جند الرحمن وعسكر القرآن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستنبطوا جملة من الأحكام، واجتهدوا فوفقوا غاية التوفيق في اجتهاداتهم بما اتسموا به من لين القلب، وحمية العلم، مع قلة التكلف، وحسن البيان، وصدق الإيمان، والنصح في الدين قربة

(114) سورة المائدة، الآية: 3.

(115) عبد الرحمن بن القاسم وأثره في الفقه المالكي، رسالة جامعية من إعداد: محمد علي ابن الصديق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، تحت إشراف: الدكتور فاروق حمادة: 11/1.

وزلفى لله تعالى.

وكانوا في فتاويهم على درجات ومراتب، فهم بين مكثر ومقل ومتوسط يفتون في ضوء ما عرفوه من مقاصد ونصوص القرآن والسنة. ثم انتقل أمر الدين وما جد فيه واستلزم الفتـوى إلى التابعين من بعدهم الذين شاركوا الأصحاب في خير القرون، فاجتهدوا ديهم، وصـاروا علـى جهم ومنوالهم، فنقلوا عنهم مبادئ الدين وأصوله، و لوا من علمهم ما ورثوه مـن مشـكاة النبوة، فتخرجوا م أئمة وأساتذة معلمين.

ثم انتقل علم هؤلاء التابعين الذين أخذوا عنهم إلى من يلو م من أتباعهم، ثم الذين أخذوا عن هؤلاء الأتباع طبقة بعد طبقة، وهلم جرا...«[116].

من خلال ما سبق يتضح أن الفقه في القرون السابقة التي لا يمكن الفصـل بينـها نظـرا للتداخل الفقهي بينها، تتميز بما يلي كما ذكر ابن فرحون:

أولا: ب ول نوازل لم تـ ل في العهد النبوي، فأظهروا أحكامها بالاستنباط، وذلـك تـابع لاتساع دائرة الإسلام ودخول كثير من الأمم فيه، وابتداء عصر التمدن العربي، فكان الفقه تابعا لذلك، فابتدأ التوسع في التفريع والاستنباط.

ثانيا: فروعهم التي فرعوها كانت أقل من فروع من بعدهم لزيادة توسـع دائـرة الأمـة بعدهم، وأكثر مما هي عليه في عصرهم، ولكو م لا يفترضون نوازل لم تحدث بعد، فيجتهدون في استنباط أحكامها، وإنما استنبطوا حكم ما يـ ل من النوازل بالفعل، كما كان ذلـك في عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يرون أن افتراض الصور واستنباط أحكامها من التحمل في الدين وضياع الوقت النفيس.

ثالثا: إن السياسة كانت تابعة للفقه، ولم يكن الفقه تابعا للسياسة كما وقـع في الأزمـان المتأخرة، لأن الأمة كانت شورية دستورية، فمهما نزلت نازلة فزعوا إلى الشورى، فلم تصـدر الفتوى والحكم إلا عن تبصر وحكمة، ولذلك قلما يبقى الخلاف. بخلاف الزمن النبوي الـذي كان الخلاف فيه معدوما، أو بخلاف عصر من بعدهم الذي كثر فيه الخلاف لانعدام الشورى.

رابعا: كان الفقه زمن الخلفاء هو دستور الأمة، وللأمة السيطرة الكاملة على مراقبة أتباعه وتنفيذ نصوصه، فكان للفقه والفقهاء من السيطرة ما ليس للحقوقيين الآن عند الأمم الراقية.

(116) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي، مرجع سابق: 12/1.

خامسا: وقوع الإجماع واتفاق الآراء في عصرهم غالبا(117)...

غير أن الفقه عرف تعثرات وتقلبات أسهمت إلى حد كبير فيما عرفه الفقه فيما بعد، غير أنه لم يسرع إليه الهرم، ولا وصل إلى طور الانحلال، بل حفظ قوته الأصلية زمن قرنين بسبب ما ظهر فيه من الحفاظ والمجتهدين الكبار، والتآليف العظام.

»... وفي هذا العصر اختلط المجتهدون بغيرهم، فكان يوجد أهل الاجتهاد المطلق، ولكن غلب التقليد على العلماء ورضوا به خطة لهم، وما يزال في هذا العصر يزيد التقليد فلم يسلم منه إلا فقه أبي حنيفة، وأما فقه مالك والشافعي وابن حنبل وأضرابهم ممن كانت مذاهبهم متداولة إذ لم تسلم من ذاك، بل انساق الناس إلى اتخاذ أصول تلك المذاهب دوائر حصرت كل طائفة نفسها بداخلها لا تعدوها، وأصبحت أقوال هؤلاء الأئمة بمنزلة نصوص الكتاب والسنة لا يعدونها، وبذلك نشأت فجوة بين الأمة وبين نصوص الشريعة ضخمت شيئا فشيئا إلى أن تنوسيت السنة.

ووقع البعد عن الكتاب بازدياد تأخر اللغة، وأصبحت الشريعة هي نصوص الفقهاء وأقوالهم لا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسل إليهم، وصار الذي له القوة على فهم كلام الإمام والتفريع عليه مجتهدا مقيدا أو مجتهد المذهب، وتنوسي الاجتهاد المطلق، حتى قال الثوري رحمه الله في شرح المذهب بانقطاعه من رأس المائة الرابعة، فلم يمكن وجوده. وهو كلام غير مسلم، وحتى عياض في "المدارك" قال: »إن لفظ الإمام يتنزل عند مقلده بمنزلة ألفاظ الشارع«(118).

وهذا التقليد بعدما كان قليلا في المائة الثالثة، صار غالبا في الرابعة، بل أصبح جل علمائها مقلدين متعصبين، مع أن الكل يعلم أن لكل إمام هفوة(119).

يتضح مما سبق أن الفقه في القرون الثلاثة الأولى مازال متسما بقوته محتفظا بمكانته بالرغم من المستجدات التي عرفها المجتمع الإسلامي، وبذلك ظهر أن الفقه لم يعرف تغيرا كبيرا في القرون الثلاثة الأولى، لأن جميع الأحكام الفقهية مستمدة من أصلها الكتاب والسنة، مما يدفعنا إلى أن نتساءل إلى أي حد عرف الفقه في القرن الرابع تغيرات جذرية؟ وما هي مميزات الفقه في هذا القرن؟

---

(117) الفكر السامي: 320/2، بتصرف.

(118) نفسه: 7/3، بتصرف.

(119) نفسه: 8/3، بتصرف.

سؤالان يتحفنا بجوا ما الفرع اللاحق.

الفرع الثاني: مميزات الفقه في القرن الرابع

»اعلم أنه في زمن الدولة العباسية اخترع الفضل[120] بن يحيى البرمكي أوراق الكاغـد أو الكاغيط، وكان استعماله في الرسائل الرسمية أيام الخليفة المأمون العباسـي، وفي أيامـه كتبـت الكتب، وكان من أعظم التسهيلات لنشر العلم وتدوينه، وكذلك كانت المائة الثالثة زمن ظهور الدواوين الكبار في الإسلام ذات المائة مجلد، بل المئات في مختلف العلوم تاريخا وحـديثا وفقهـا وغيرها، وما كانوا قبل ذلك قادرين على شيء من ذلك لقلة المداد، فاختراع الكاغد أعان علـى ضخامة الفقه وعظمة تأليفه والتوسع في أصوله وفروعه وخلافياته...«[121].

»...وفي أوائل العصر العباسي بدأت حركة التدوين والتأليف في مختلف العلوم الإنسانية، وتصدر رجال لحمل الحديث وتدوينه، كما تصدر آخرون لتدوين المسائل الفقهية، وكان الـ اع قد اشتد بين أهل الرأي والحديث، فانحاز لكل جانب فريق مخصوص، واختص كل إمام بتلاميـذ يتلقون عنه المسائل الفقهية وينهجون منهجه في الأصول والأدلة التي بنى عليها اجتهاده، فكان من نتيجة ذلك أن بدأت مذاهب هؤلاء يتميز بعضها عن بعض، وتأخذ في الذيوع والانتشـار عـن طريق التلاميذ والأتباع، ومن هنا يتبين أن الفقه مر بأشواط متعددة تقلب في أطـوار ومراحـل مختلفة حاول الدارسون والباحثون في تاريخ التشريع الإسلامي أن يحددوها بدقة، لكنهم اختلفوا في المقاييس والمعايير التي يجب أن تعتمد في كل مرحلة...«[122].

وكان تاريخ الفقه في العصور المتقدمة عرف تأخرا نسبيا، حتى إذا جاء القرن الرابع تحـول الفقه تحولا جديدا، وأكبر مظاهر هذا التحول سد باب الاجتهاد، فقد وصل الفقه إلى ذروة مجده في القرون السابقة، فلما جاء هذا القرن أقفل العلماء باب الاجتهاد، وكان ذلك طبيعيـا لحالـة العصر. ولقد أسهب أحمد أمين القول في ذلك؛ نقلا عن سعيد[123] بن الحداد الفقيه القيرواني، إذ

---

(120) الفضل بن يحيى: ولي إمرة خراسان، وعمل بالوزارة، وكان أخا للرشيد من الرضاعة. مات كهلا سنة 92هـ. وكان الفضل غارقا في اللذات المردية، حتى تعطلت الأمور. (انظر ترجمته في: الكامـل لابـن الأثير: 210/6، والعبر: 309/1، وشذرات الذهب: 330/1).

(121) الفكر السامي: 16/3-17، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1995.

(122) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي، مرجع سابق: 12/1.

(123) سعيد بن محمد بن الحداد: كان من العلماء المشهورين في مجال المناظرات التي وقعت بين الشيعة وأهل

يقول: إن الذي أدخل كثيرا من الناس في التقليد، نقص العقول ودناءة الهمم، وكانت وفاته سنة 330هـ«[124]. ومن نتائج ذلك:

أولا: اقتصارهم على النقل مما تقدم، وانصرافهم لشرح كتب المتقدمين وتفهمها، ثم اختصارها.

ثانيا: جمع الفروع الكثيرة في اللفظ القليل، مما جنى على الفقه وسائر العلوم.

ثالثا: اقتصارهم على التحشية والقشور.

رابعا: كثرة الفروض في المسائل[125].

غير أن **الحجوي** قال: »إذا أمعنت النظر في القرن الرابع سترى أن الفقه مدة قرنين: الثالث والرابع في طور الشيخوخة، ولاسيما في القرن الرابع الهجري، وذلك لأمور:

أولها: شيوع التقليد بين العلماء حتى اضمحل الاجتهاد المطلق من الأمة شيئا فشيئا آخِر القرن الثالث، ولم يبق في جل الرابع مجتهد مطلق.

الثاني: ظهور فساد الأخلاق«[126].

»**الثالث**: إنه في القرن الرابع بدأت فكرة الاختصار والإكثار من جمع الفروع بدون أدلة وشرح تلك المختصرات، فبعدما كانوا في القرن الثالث مصنفين مبتكرين كأسد[127] بن الفرات، وسحنون وابنه والبويطي ومحمد[128] بن الحسن، وأمثالهم. وصار الحال في القرن الرابع إلى الشرح

السنة في بداية العبيدية. توفي سنة 330هـ. (انظر ترجمته في معالم الإيمان: 2/295-315).

(124) ظهر الإسلام لأحمد أمين: 2/53-54

(125) انظر الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي: 4/189، نقل هذا الكلام أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام: 2/52.

(126) نفسه: 3/176 بتصرف.

(127) أبو عبد الله أسد بن الفرات، أصله من نيسابور، ولد سنة 145هـ، قدم به أبوه تونس مع محمد بن الأشعث الفقيه الحافظ الراوي الثقة الأمين، تفقه بأبي الحسن بن زياد، رحل إلى المشرق وسمع من مالك موطأه وغيره.. تولى قضاء القيروان سنة 204هـ. مات سنة 213هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور ص: 62 رقم الترجمة 37، وطبقات الفقهاء ص: 160، ورياض النفوس: 1/254).

(128) محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، كان فقيها عالما، كتب عن مالك حديثه، وله رواية للموطإ مشهورة باسمه، لازم أبا حنيفة ثم أبا يوسف بعده، وهو رواية أبي حنيفة وأبي يوسف القاسم بمذهبهما. توفي 189هـ. (انظر ترجمته في الانتقاء لابن عبد البر ص: 174-175).

ثم الاختصار والجمع...»[129].

»...وكان الفقه قد طوى مرحلة من أعظم مراحله في التاريخ هي التي يسميها المؤرخون له مرحلة النضج والكمال، ودخل في دور جديد هو دور التقليد والتقوقع في دائرة مذاهب الأئمة المتهدين الذين كتب لفقههم البقاء، وسبب ذلك راجع إلى ضعف الخلفاء العباسيين، وانقسام الأمة الإسلامية إلى أمارات ودويلات، وهذا الوضع السياسي وإن حافظ على استمرار الحركة العلمية والثقافية بدافع التنافس إلا أنه حال دون استمرار الاجتهاد في الفقه على المستوى الذي كان عليه أيام قوة الخلافة وتماسك الدولة...«[130].

»...فلم يعد يوجد في الفقهاء من يصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق المستقل، وإنما صار الاجتهاد محددا ومقيدا بأصل واحد من الأئمة السابقين، أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، ومعنى ذلك أن الفقه كان يستمد قوته من قوة الخلافة ووحدتها، فبقدر ما كانت قوية متمكنة مستوعبة للناس، كان الفقه أيضا مستوعبا لقضايا الحياة، مواكبا لكل التغيرات والتطورات.

يضاف إلى ذلك ما كان للفقهاء من تمكين، وما تلا ذلك من الأثرة التي قوت نفوسهم وجعلتهم يلتمسون الأحكام والفتوى من منابعها الأولى، ولا يعني ذلك أن الحركة الفقهية جمدت في القرن الرابع، بل إنها نشطت كغيرها من الحركات الفكرية والعلمية، بدليل ما نجده من كثرة المصنفات الفقهية في هذه الفترة. إلا أن معظمها إما اختصار لكُتب أو شرح لمختصرات[131]، وأحيانا نجد من يختصر المختصر أو يشرح الشرح...

ومع كثرة الكتب والمصنفات فإن أصحابها لم يخرجوا عن دائرة التقليد، وكان أحسنهم حظا من يجتهد في حدود أصول مذهبه الفقهي، بل إن كثيرا ممن كان يتعاطى الفقه والفتوى كانوا يتصدرون للاجتهاد والإفتاء، سواء منهم من كان أهلا لذلك أو لم يكن له أهلا، حتى إن المسألة الواحدة كانت تصدر فيها أقوال وفتاوى متعددة ومتعارضة، وهذا هو الذي جعل بعض

---

(129) الفكر السامي: 3/181-182، بتصرف، الطبعة الأولى، 1995م.

(130) قواعد الفقه المالكي من خلال كتاب الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، إعداد: محمد الروكي، إشراف: فاروق حمادة، ص: 18.

(131) المرجع السابق، ص: 18.

أهل العلم يوقف باب الاجتهاد في أواخر القرن الرابع، ويلزم الفقهاء بأقوال الأئمة الأربعة الذين اتفقت الأمة على قبول مذاهبهم...«(132).

قال ابن خلدون مشيرا إلى ذلك: »ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعـة، ودرس المقلدون لمن سواهم، وسد الناس باب الاجتهاد وطرقه لما كثر تشعب الإصلاحات في العلوم، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولما خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرحوا بالعجز والإعواز، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلـدين، وحظروا أن يتناول تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلا نقل مذاهبهم، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية، لا محصول اليوم للفقه غير هذا«(133).

»...وفي دائرة هؤلاء الفقهاء المقلدين نبغت مجموعة في الفترة التي نتحدث عنـها، كـان يمكنهم أن يندرجوا في سلك الأئمة ا تهدين كسابقيهم لولا أن حال بينهم وبين ذلك ما كـان مفروضا عليهم من التقليد والمذهبية من قبل الدولة التي أغلقت باب الاجتهاد؛ خوفا من أن يدخله كل من دب وهب، ومن قبل العامة الذين أصبحوا يقدسون المذاهب السالفة، ولا يبغـون ـا بديلا. وهكذا فقد جاءت جهود هؤلاء الفقهاء مركزة على مذاهب أئمتها مهتمة بالبحث عـن علل ما استنبطه هؤلاء الأئمة من أحكام، والعمل على الترجيح بين مختلـف أقـوالهم وأقـوال تلامذ م، والعناية بمصنفا م شرحا وتحشية واختصارًا، فكان ذلك سببا في ازدهار علم أصـول الفقه الذي كان ذلك سببا في خدمة التراث الفقهي بصفة عامة، ووضع قواعد الإفتـاء وأسسـه لاستيعاب القضايا والنوازل التي لم تكن في عهد الأئمة السابقين...«(134).

وانطلاقا مما سبق يتضح أن مميزات الفقه في القرن الرابع تتمثل فيما يلي:

أولا: اقتصار العلماء على النقل ممن تقدم، وانصرافهم لشرح كتب المتقدمين وفهمهـا، ثم اختصارها.

ثانيا: جمع الفروع في اللفظ القليل، مما جنى على الفقه وسائر العلوم.

ثالثا: اقتصارهم على التحشية والقشور.

رابعا: كثرة الافتراضات في المسائل، وكانت هذه الحالة نتيجة طبيعية للتـاريخ السياسـي

(132) قواعد الفقه المالكي من خلال كتاب الإشراف للقاضي عبد الوهاب، مرجع سابق، ص: 18.
(133) المقدمة لابن خلدون، ص: 355.
(134) قواعد الفقه المالكي من خلال كتاب الإشراف للقاضي عبد الوهاب، مرجع سابق، ص: 18.

والاجتماعي، فالخلفاء كانوا تحت سيطرة الأتراك حينا، وتحت سيطرة الديلم من بني بويه حينـا آخر، وكان اللغويون أيضا يفرضون الفروض الكثيرة للتعليم فيقولون: كيف تشتق من كذا على وزن كذا؟ فقلدهم الفقهاء في ذلك لفراغ ذهنهم من المسائل الكلية[135].

تلك نبذة عن الفقه وما آل إليه في القرن الهجري الرابـع ، حيـث دب في جسـمه داء المختصرات التي ظهرت في هذا القرن، إلا أ ا لم تبلغ ذرو ا إلا في القرون الموالية لذلك، نظـرا للتقلبات السياسية التي عرفها القرن الرابع والتي لها أثر مباشر على الفقه. ورغم ذلك فقد احتفظ الفقه بمكانته متحديا جميع الصعاب.

وإذا كان هذا حال القرن الرابع، فما هو حال الفقه في القرن الخامس؟ ثم إلى أي حد صمد الفقه في وجه التيارات المختلفة التي تنخر جسمه؟

سؤالان سيجيب عنهما الفرع اللاحق.

الفرع الثالث: مميزات الفقه في القرن الخامس

»يعتبر القرن الهجري الخامس من بين القرون التي تميز ا الفقه بالشيخوخة والهرم، وكان هذا الطور ممتدا من أول القرن الخامس إلى وقتنا هذا الذي هو القرن الرابـع عشـر (والكـلام للمؤلف)، وذلك أنه وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة، وتم نضجه فزاد بعد حـتى احترق وذهبت عينه، ولم يبق إلا مرقُه، فصار الضعف والهرم ملازمين له في القرن الخامس ومـا بعده، وأخذ العد التنازلي إلى أن صار الآن أثرا بعد عين، وذلك لأسباب منها:

قصور الهمم عن الاجتهاد إلى الاقتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية والاختيار منها، ثم واقتصروا على النقل عمن تقدم فقط، وانصرفت همتهم لشرح كتـب المتقـدمين وتفهمهـا ثم اختصارها. وفكرة الاختصار تم التباري فيه مع جمع الفروع الكثيرة في اللفظ القليل، هو الـذي أوجب الهرم، وأفسد الفقه بل العلوم كلها كما يأتي إيضاحه، إذ صاروا قراء كتـب لا محصـلي علوم، ثم في الأخير قصروا عن الشرح، واقتصروا على التحشية والقشور، ومن اشتغل بالحواشي ما حوى شيئا«[136].

وإذا كان هذا حال الفقه في معظم البلدان الإسلامية، فإن ذلك يختلف كثيرا عما آلت إليه

(135) ظهر الإسلام لأحمد أمين، طبعة دار صادر الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: 2/53-54.
(136) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي: 4/189.

أوضاع الفقه في القطر الأندلسي، حيث عرف ازدهارا كبيرا في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وكان أزهى القرون العلمية بالأندلس هو القرن الرابع والخامس الهجريين اللذين مـن الله سبحانه خلالها على البلاد بكبار أئمة الإسلام في العقيدة القرآنية والحديثية وفي التفسير والفقـه والقراءات القرآنية وغيرها، كالإمام ابن عبد البر النمري، والإمام القحطاني والإمام الـداني(137)، والإمام الباجي(138)، وابن حزم(139)، والشاطبي(140)، وغيرهم...«(141).

»...وإذا عرجنا على المغرب نجد دور الفقهاء في سياسة المـرابطين في القـرن الخـامس الهجري، وخاصة في عهد علي(142) بن يوسف (500-537هـ)، فنجد أمثلة عديدة لتـدخل الفقهاء في السياسة ومشاركتهم في اتخاذ قرارات هامة عن طريق الفتوى، ومـن بـين الفقهـاء المشهورين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين: أبو الوليد ابن رشد (ت. 520هـ) الذي أسهم وأثر في سياسة الدولة في أكثر من جانب(143)، فقد استفتاه علي بن يوسف في مسألة النصـارى

(137) أبو عمرو الداني الحافظ الإمام شيخ الإسلام عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمـر الأمـوي مولاهم، القرطبي المقرئ، صاحب التصانيف، ولد سنة 371هـ، وله مائة وعشرون تصنيفا. مات سـنة 444هـ. (انظر ترجمته في: جذوة المقتبس للحميدي ص: 286، والديباج المذهب ص: 188، والصلة لابن بشكوال: 405/2، وطبقات القراء لابن الجزري: 503/1، وسير أعلام النبلاء: 77/18).

(138) الباجي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي، برع في الحـديث والفقه والأصول، ألف كتبا كثيرة في علوم مختلفة. توفي سنة 474هـ. (انظر ترجمته في شذرات الذهب: 344/3، ونفح الطيب للمقري: 274/2).

(139) ابن حزم: علي بن أحمد، كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام مـن الكتـاب والسنة. توفي سنة 450هـ. (انظر ترجمته في المقتبس ص: 308، وبغية الملتمس ص: 415).

(140) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقهـا وأصولا وتفسيرا وحديثا وغيرها، مع التحري والتحقيق. له استنباطات جليلة ودقائق منيفة. وله تـآليف نفيسة، منها الموافقات في أصول الفقهاء. توفي سنة 790هـ. (ترجمته في نيل الابتهاج بتطريز الـديباج ص: 46-49).

(141) أبو بكر الطرطوشي وأثره العلمي والإصلاحي، ص: 38.

(142) السلطان صاحب المغرب أمير المسلمين أبو الحسن علي بن صاحب المغرب يوسف بن تاشفين ملـك المرابطين. تولى بعد أبيه عام 500هـ. وكان شجاعا مجاهدا عادلا، مات عام 537هـ. (انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 49/5، والإحاطة في أخبار غرناطة: 58/4، ونفح الطيب: 377/4، والكامل لابـن الأثير: 417/10).

(143) المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين والموحدين، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كليـة الآداب، الرباط، إعداد مبارك رضوان، إشراف الدكتور: محمد زنيبر ص: 78.

المعادين الذين كانوا يشكلون عنصر تهديد على استقرار المجتمع بالأندلس خاصة في بعض المدن، مما دفع السلطان إلى استشارة الفقيه المذكور، فأفتاه بتغريبهم، ونقلوا إلى بعض الجهات بالمغرب...»[144].

«...وأخطر من هذا ما تذكره المصادر من كون ابن رشد نصح الأمير المرابطي بعزل أخيه أبي الطاهر تميم وتقديم غيره، وهذه مسألة تدل على نفوذ ابن رشد في سياسة الدولة. ومما يظهر هذا النفوذ أيضا استشارته حول مسألة تسوير مراكش، وذلك سنة 519هـ، أي بعد استفحال خطر المصامدة على الدولة، وتهديدهم للعاصمة المرابطية، فأفتاه بجواز ذلك.

وكان ذلك لا يثني عزمهم عن حركة التأليف في عهد المرابطين، وإن كان قد ضعف الاتجاه الفرعي وردود الفعل من بعض الفقهاء أنفسهم، لأن الأولوية التي كان يتمتع بها بعض الفقهاء في الميدان السياسي يوازيها اتجاه مذهبي يتمثل من الناحية المذهبية في اقتصارهم على دراسة الفروع، أي إنهم عندما تعوزهم أحكام النوازل أو قضايا معينة، لا يرجعون إلى أصول الشرع الإسلامي التي هي القرآن والسنة والإجماع، بل يكتفون بالعودة إلى مؤلفات جمعت أو وضعت من قبل بعض فقهاء المذهب، وهي كتب مقبولة وشائعة في أوساطهم. ورغم أن الكتب تحمل أسماء مختلفة، فإنها تتشابه من حيث المضمون والمنهج، وكذا الذهنية الكامنة وراء تدوينها...»[145].

«...لكن التأليف في الفقه المالكي لم يتوقف بتكريس الجهود على المدونة، بل جاءت جماعة أخرى من الفقهاء خلال العهود التالية، فألفوا عددا آخر من الكتب تحمل أسماء مختلفة، كالواضحة لابن حبيب (ت.238هـ)، والتهذيب للبراذعي، ومختصر ابن أبي زيد القيرواني. وأغلب هذه الكتب ليس سوى اختصار أو تصنيف جديد لمحتويات المدونة[146]، وسيأتي الحديث عن هذه المختصرات.

وكان الفقهاء الذين برزوا في الفروع في عهد المرابطين ثلةً قليلة، نذكر منهم: أبا الأصبغ[147] عيسى بن سهل[148] (ت. 486هـ)، ومحمد بن فتوح بن علي بن وليد

(144) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص: 98، بتصرف.

(145) المذهب المالكي بالمغرب في عهد المرابطين والموحدين، ص: 81.

(146) المرجع نفسه، ص: 83.

(147) القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي القرطبي الإمام الفقيه الموثق النوازلي الحافظ المشاور، ولد سنة 413هـ، تفقه بأبي عبد الله بن عتاب، ولازمه وأخذ عن ابن القطان. وأجازه ابن عبد البر. كان

الأنصاري[149] (ت.480هـ)، ويوسف بن عيسى الملجوم، ومحمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز الثعلبي ابن حمديس[150] (ت.508هـ)، وأبا الوليد ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت.520هـ)...«[151].

تلك وضعية الفقه في القرن الخامس الهجري، حيث عرف تحولات عديدة، شملت نواحي مختلفة، أهمها المجال التأليفي، حيث ظهرت مؤلفات كبيرة ومختصرات مختلفة، مما يدل على أن التأليف الفقهي لم يتوقف، إلا أنه أخذ توجها جديدا، ويتعلق الأمر بظهور المختصرات.

فما هي مميزات الفقه في القرن السادس؟ وإلى أي حد أثر ظهور المختصرات في الفقه؟ سؤالان سيجيب عنهما الفرع اللاحق.

الفرع الرابع: مميزات الفقه في القرن السادس

يعتبر الفقه في القرن السادس الهجري مادة اشتغل الفقهاء بها، وأحدثوا فيها تفريعات وترجيحات وغير ذلك. فإذا كان فقهاء القرن الهجري السادس من هذا الطور قد امتازوا بحسن الترجيح والتعليل والمناقشة فأدى ذلك إلى إغناء الفقه المالكي بمصنفات طويلة تشمل آراء مالك وآراء تلاميذه المتضاربة، وتخريجات الأئمة من بعدهم، ثم ترجيحات الفقهاء وحججهم؛ فإن الفقهاء في القرن الهجري السابق –كما سيأتي- »...قد سلكوا المسلك الثاني، ووجدوا هذه المصنفات صعبة المنال والاستيعاب، فأخذوا يؤلفون كتبا مختصرة، فألفوا الأقوال غير المرجحة، وجمعوا كثيرا من الفروع في قليل من الألفاظ، قاصدين بذلك تحقيق غرضين:

الأول: تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ.

ثانيا: جمع ما هو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع المسائل[152]، ولقد عرف الناس طريقة الاختصار ابتداء من أواخر القرن الرابع الهجري، غير أنهم سلكوا به مسلكا

يحفظ المدونة والمستخرجة. ألف كتاب الإعلام بنوازل الأحكام، عول عليه شيوخ الفتيا والحكام، وله فهرست. توفي سنة 486هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور ص: 122).

(148) تاريخ قضاة الأندلس، ص: 96-97.

(149) فهرس ابن عطية، ص: 85.

(150) الغنية، ص: 46-47.

(151) الديباج لابن فرحون ص: 278.

(152) الفكر السامي: 457/4.

محمودا هو إلى وصف التهذيب أقرب منه إلى وصف الاختصار، مثل مختصر المدونة لابن أبي زيد.

إلا أنه ظهرت في المذهب المالكي الرغبة الملحة في الاختصار منذ أن ألف الإمام الغزالي الشافعي (ت. 505هـ) كتابه الوجيز في فقه الشافعية، حيث دعا في خطبة كتابه إلى اختصار الفقه اختصارا جيدا يؤخذ فيه بالقول الراجح، غير مشير إلى الأقوال الأخرى إلا بطريقة الإشارة أو بطريقة الرمز، وأعجب الناس بطريقة الغزالي هذه، خاصة وأنها تتجاوب مع متطلع الحاجات العامة إلى معرفة الأحكام الفقهية مع ما يتميز به كتابه الوجيز من إبداع في التحرير، وإتقان في الضبط، ودقة في الاختصار...«[153].

»...وكان ممن تأثر بمنهج الغزالي الإمام أبو عبد الله محمد بن نجم بن شاس (ت. 610هـ) في كتابه الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، حتى قيل عنه: كتاب جليل فصيح العبارة، صنفه على ترتيب وجيز الغزالي، وقد سلك طريقته، فيدخل أقوال الشافعية في المذهب المالكي[154].

ثم جاء بعده الإمام ابن الحاجب[155] (ت. 646هـ) فألف المختصرات في الأصول والنحو والبلاغة، فكتب أيضا في الفقه مختصرا جمع فيه شتى الفروع من شتى أمهات الكتب المالكية، في كلام موجز. قال ابن خلدون: »وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفقين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان، ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب، وتعديد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب«[156].

»...فاستحسن الناس مختصره الفقهي، فأقبلوا عليه شرقا وغربا، حفظا وشرحا، حتى ظهر

---

(153) خصائص فقه الإمام القرافي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط، إعداد: الدهم مليكة، إشراف الدكتور محمد بن البشير، ص: 22.

(154) الفكر السامي: 458/4، بتصرف.

(155) ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر بن بكر المعروف بابن الحاجب، كان ركنا من أركان الدين في العلم والعمل، بارعا في العلوم الأصولية وتحقيق العربية. توفي 646هـ. سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث من الباب الأول وفي الباب الثاني من هذا البحث. (انظر ترجمته في الديباج: 86/2، والفكر السامي: 231/2). سيأتي الحديث عنه وعن مختصره في الباب الثالث.

(156) المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي: 1059/3.

مختصر خليل[157] بالمغرب المقتصر على ما به الفتوى، فترك الناس المختصر الفقهي لابن الحاجب لذكره الخلاف.

والحقيقة أن عواقب ظاهرة الاختصار هذه لم تظهر في هذا العصر، بل ظهرت بشكل أفسد الفقه فيما بعد هذا القرن، أي ابتداء من القرن الثامن، إذ عكف فقهاء القرون الأخيرة على شرح المفردات والعبارات المغلقة، مما أدى إلى فقد ملكة الابتكار، ليس في الفقه وحده، بل في العلوم كلها.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذا الاتجاه الذي سنه الإمام الغزالي وتبعه ابن شاس، ثم ابن الحاجب، لم يكن مقبولا عند بعض فقهاء المالكية بالمغرب خلال القرن السادس الهجري عند بداية ظهور هذا الاتجاه، من أبرزهم القاضي أبو بكر بن العربي (ت. 543هـ) الذي انتقد طريقة الاختصار، واعتبرها سببا في نضوب ماء العلم في الإسلام، ونقصان ملكة أهلها...«[158].

والإمام ابن رشد الحفيد (ت. 595هـ) الذي ألف كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد حيث جمع فيه الأقوال والمذاهب بأسلوب مبسط يسير...«[159]، يقول الحجوي في هذا الصدد: »وفي منتصف القرن السادس حاول الموحدون بالمغرب إلزام العلماء بالاجتهاد وترك التقليد، فحرقوا كتب الفروع كلها، كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وتهذيب البراذعي، وواضحة ابن حبيب، وغيرها. وأمروا بجمع الأحاديث من الموطإ وكتب الصحاح، وكان غرضهم الحقيقي من وراء ذلك حسبما يراه بعض علماء المغرب، هو القضاء على المذهب المالكي، وإبداله بالمذهب الظاهري...«[160].

»...إلا أنه ما أن جاءت الدولة المرينية حتى نقضت ذلك كله وجددت كل الفروع، ولما فشت الفروع وتكاثرت وتوسعت، عجز الناس عن استيعابها، ولجأوا إلى تلخيصها واختصارها،

(157) خليل بن إسحاق الجندي، كان رحمه الله صدرا في علماء القاهرة، مجمعا على فضله وديانته، أستاذا متمتعا من أهل التحقيق، ثاقب الذهن، أصيل البحث، مشاركا في فنون العربية. له مؤلفات مفيدة في الفقه المالكي. توفي 749هـ. (انظر ترجمته في نيل الابتهاج ص: 114، والديباج: 357/1).

(158) الاستقصا للناصري: 67/8.

(159) المحاضرات المغربيات، لمحمد بن عاشور، طبعة تونس، ص: 83.

(160) الفكر السامي: 196/3، بتصرف.

ومن ذلك ظهر نوع آخر من المؤلفات الفقهية من المختصرات...«[161].

وهكذا تتضح آثار المختصرات الفقهية في القرن السادس الهجري ، حيث اهتم ا بعـض الفقهاء، وانتقدها بعضهم الآخر، ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾[162]، فطغت على الساحة هذه الظاهرة التي كانت سببا مباشرا في تقليد التأليف الفقهي، حيث شغل الناس بكتـب المختصرات شرحا ومتنا وتحشية وتعليقا، مما عطل العقول في ا ال التأليفي، وبذلك يتضـح أن القرن السادس الهجري عرف فيه الفقه تعثرا واضحا.

إلا أنه لم يتوقف عن الحركة، فقد ظهرت مؤلفات كثيرة لا يسمح ا ال بذكرها. فما هي مميزات الفقه في القرن السابع؟

سؤال سيجيب عنه الفرع الموالي.

الفرع الخامس: مميزاته في القرن السابع

وإذا عدنا إلى القرن السابع الهجري ، وهو القرن الذي عاش فيه ابن شاس وابن الحاجب، »...وجدنا فقيها مصريا برزت في مؤلفاته نزعة الاجتهاد والاستدلال، وهو إمامنا القـرافي[163] (ت.684هـ) رحمه الله، الذي ألف كتابه الذخيرة في مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنـس، قصد به الجمع بين حسن الترتيب والتهذيب للفروع الفقهية واستيعاب الأقوال المالكية في المسألة، وإحياء جانب الاستدلال والبحث النظري...[164].

وبذلك يعد القرافي موسوعة كبرى للفقه الإسلامي عامة والفقه المالكي خاصة، كما يعـد من أمهات الفقه المقارن، حيث جمع فيه مؤلفه بين أمهات الكتب المالكية، ونبه فيه أيضا على آراء الأئمة الثلاثة...[165].

(161) التفريع: 1/110-111.

(162) سورة البقرة، الآية: 148.

(163) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، عرف بالقرافي، سبط العارف بالله ابن أبي جمرة الفقيه الإمـام العمدة الفهامة، كان يتوقد ذكاء مع الحفظ والإتقان والعبارة الرائقة، كان يملي في وقت واحد من سـبعة أنفس بإنشائه بأمور مختلفة، وهذا غاية ما يكون من البراعة يكاد أن لا يقبله العقل. توفي سنة 684هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور، ص: 189).

(164) الذخيرة للقرافي: 1/34.

(165) نفسه: 1/34.

كما ألف كتابا آخر اشتهر باسم الفروق، حيث كان قد أودع قواعد فقهية في الذخيرة، فأراد أن يجمعها في كتاب مستقل، وضم إليها نظيرا ا، كما ضمنها مجموعة من المسائل الفقهية تدخل تحت القاعدة«[166].

»ويتميز القرن السابع بظهور مؤلفات فقهية تمتاز بالتلخيص والتحرير، والتهذيب لمسائل الأحكام الموضوعة على الأسلوب الذي ذكرناه في القرن الخامس، وكان لمنهج الاختصار المحكم الذي ظهر به الإمام الغزالي في المذهب الشافعي بكتاب "الوجيز" تأثير قوي في دفع العمل الفقهي على ذلك المنهج كما صرح بذلك ابن شاس في خطبة كتابه الجواهر الثمينة، وهو الذي سار على خطته ابن الحاجب والقرافي ومن بعدهم...«[167].

»لذا ورث علماء هذا الدور مادة علمية نقحت فيها الروايات والأقوال، ونسقت في مؤلفات جامعة تنسيقا علميا منطقيا مهذبا، سواء منها تلك التي تجمع الأصول وتفرع عليها، أو تلك التي تعتمد التفريع والتشهير فقط، إذ كان من أهم ما قام به علماء الفترة السابقة هو النظر في التراث العلمي الموروث من الفترة قبلها، بالترجيح والتشهير، وضم ذلك في مؤلفات جامعة موسوعية مع التنظيم والترتيب، وأخرى مختصرة اختصارا موسوعيا، تبتعد عن الإطناب وتتسم بالوضوح والشمول، لعل آخرها عقد الجواهر الثمينة الذي يرى مؤلفه أنه اختصار حذا فيه منهج الغزالي في وجيزه، وإن كانت المقارنة توضح فروقا جذرية في المادة العلمية.

ولعل من أوضح هذه الفروق أن الوجيز مع تركيزه في ذكر آراء الشافعية تركيزا موجزا غاية الإيجاز، شارك بين الشافعية والمذاهب الأخرى، كما أشار إليه الإمام الغزالي في مقدمته. في حين »يركز ابن شاس على اختلاف أصحاب مالك ولا يخرج عن نطاق المذهب إلا نادرا«[168].

»اتسم هذا المنهج في الاختصار بالتنقيح والتنظيم والتهذيب، مع وضوح التعبير وضوحا لا يحتاج في فهمه إلى زيادة شرح أو إيضاح، فلم يسمع عن شرح لكتاب الجواهر...«[169].

ومع مرور الأعوام تطور هذا المنهج الاختصاري وتحول تدريجيا إلى اختصار يضم مادة

(166) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 20.
(167) الذخيرة: 36/1، بتصرف.
(168) الجواهر الثمينة لابن شاس: 37/1.
(169) نفسه: 38/1.

علمية واسعة في تعبيرات وكلمات موجزة، ويعتبر القرن السابع مرحلة مميزة من حيث المختصرات، حيث عرف علماء المالكية المنهج الاختصاري الذي اتبعوه في مختصراتهم في هذا الدور بأنه: »رد الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير«[170]. وبلفظ آخر أكثر دقة اختصر الكلام: إذا أتي بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير إخلال بالمعنى.

قال الحطاب: وقيل: إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى، ولم يذكر صاحب الشامل وغيره هذا الثاني، وذكرهما جميعا المحاملي، وقال صاحب "الحاوي": قال الخليل: هو ما دل قليله على كثيره، يسمى اختصارا لاجتماعه ودقته، كما سميت المختصرة مختصرة لاجتماع السيور، وخصر الإنسان لاجتماعه ودقته، انتهى بلفظه«[171].

وهو منهج اتبعه علماء المالكية حتى أصبح الكتاب يضم مادة علمية واسعة في كلمات وتعبيرات موجزة جدا تصل إلى مستوى الإلغاز، مما يحتاج إلى شرح وحاشية، في حين يعتبر كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب إيجازًا لمادة علمية واسعة لا تقل عن المادة المستوعبة في كتاب عقد الجواهر الثمينة لابن شاس، خاصة إذا سلمنا بما يراه بعضهم من أن جامع الأمهات لابن الحجاب اختصار لكتاب عقد الجواهر، وهو أمر لا يعترف به ابن الحاجب...

وإذا ما تجاوزنا القرن السابع بقليل، فقد بلغ الاختصار أوجه وخاصة بظهور مختصر خليل الذي اختصر فيه كتاب ابن الحاجب، وتوالت على مختصر خليل الشروح والحواشي، بل والمختصرات، حتى أضحت مؤلفات الفقه النظري لا تكاد تتجاوز هذه الدائرة، مما حدا ببعض العلماء المؤرخين للفقه الإسلامي إلى اعتبار هذا المنهج من أسباب هرم الفقه المالكي[172] بصفة خاصة، والفقه بصفة عامة...«.

ولا أريد أن أتحدث عما وصلت إليه المختصرات فيما بعد، لأن ذلك موضوع آخر يحتاج إلى بحث مستقل، بقدر ما أريد التركيز على أهم قضايا الفقه في القرن السابع الهجري، وفي رأينا إن أهم السمات الأساسة في الفقه بصفة عامة هي ظهور المختصرات باعتبارها ظاهرة أقحمت في جل العلوم الإنسانية، وبلغت ذروتها في الفقه وغيره، وفي تصوري إن المختصرات في القرن السابع

(170) مواهب الجليل للحطاب: 24/1، الخرشي على مختصر خليل: 34/1.
(171) مواهب الجليل للحطاب: 24/1.
(172) مقدمة محقق عقد الجواهر لابن شاس: 37/1-38.

الهجري بلغت درجة قصوى في الاختصار، مما شكل أثرا كبيرا على الفقه، وهو مـا سـيتناوله البحث في الباب الثالث في أثر المختصرات في الفقه المالكي. ولعل الحديث يجرنا أن نتساءل: مـا هي الحركة الفقهية للمذاهب الفقهية؟ وما هي مكونات هذه المذاهب؟

سؤالان سيجيب عنهما المبحث اللاحق.

المبحث الثالث
الحركة الفقهية للمذاهب

عرف الفقه الإسلامي حركة شاملة انطلقت أساسا في الدور الأول، حيث يوحي الله شرائعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبلّغ ما أنزل الله ويبينه للناس، وفي الدورين الثاني والثالث، حيث يبين الصحابة والتابعون طرق الاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله والرأي الصحيح.

»...وفي الدور الرابع حيث يقوم كبار الأئمة ونوابغ الفقهاء فيجنون تلك الثمرة ويدونون أحكام الشريعة مفصلة. وفي الدور الخامس حيث كان الترتيب والتهذيب والاختيار والترجيح... وأعظم مميزات ذا الدور تكمن في روح التقليد المحض من نفوس العلماء، فلم ير منهم من سمت نفسه إلى رتبة الاجتهاد إلا القليل منهم[173]، وذلك يرجع إلى الحال التي كانت عليها مصر قبل سقوط مملكتها، وانتقال الخلافة عنها، فنجد أسماء العز بن عبد السلام، وابن الحاجب، وابن دقيق العيد[174]، وابن الرفعة[175]، وابن تيمية[176]، والسبكي[177]، وابنه[178]، وابن

(173) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 266.

(174) ابن دقيق العيد: الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي، صاحب التصانيف الكثيرة. ولد سنة 625هـ، وتوفي سنة 702هـ. (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي: 1481/4، وحسن المحاضرة للسيوطي: 317/1، والديباج المذهب ص: 324، والوافي بالوفيات للصفدي: 193/4).

(175) هو أبو يحيى نجم الدين بن الرفعة، كان إماما في الفقه والخلاف والأصول، تفقه منه جماعة منهم السبكي والذهبي، توفي 735هـ. (انظر طبقات الفقهاء للشيرازي: 273/1).

(176) ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين بن عبد الحميد ابن الإمام المجتهد، شيخ الإسلام. ولد 661هـ. له مؤلفات كثيرة. مات سنة 728هـ. (انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير: 163/14، والبدر الطالع للشوكاني: 63/1، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 1496/4، والدرر الكامنة لابن حجر: 154/1).

(177) السبكي الإمام الفقيه الحافظ المفسر الأصولي النحوي اللغوي الأديب المجتهد، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف. وصنف أكثر من مائة وخمسين مصنفا. توفي بمصر سنة 756هـ. (انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير: 252/14، وبغية الوعاة للسيوطي: 176/2،

القيم، والبلقيني[179]، والأسنوي[180]، والكمال ابن الهمام، وجلال الدين المحلي[181]، وجلال الدين السيوطي[182]، وهم من نوابغ المذاهب الأربعة.

ثم ترجع إلى ما بعد ذلك فلا نسمع باسم عالم كبير أو فقيه عظيم أو مؤلف مجيد، بل نجد قوما غلبت عليهم القناعة في الفقه، فقلما نجد من يشتغل بغير مذهبه، وإذا اشتغل بمذهبه اقتصر على تلك الكتب التي اشتد ا الاختصار حتى كأ ا ما ألفت لتفهم، كأن السقوط السياسي سقط بالعلم ولاسيما الديني منه إلى هوية بعيدة الغاية...«[183].

ويعتبر القرن الرابع الهجري منعرجا حاسما في تاريخ التشريع الإسلامي، حيث أغلق فيه باب الاجتهاد، وتوقف الابتكار، وأصبح الفقيه لا يستطيع إصدار حكمه الخاص إلا في المسائل الفرعية، ولكن في نطاق المذهب وعلى أساس أصوله العامة. بينما كان قبل ذلك أمر تدبير القرآن والسنة والاجتهاد في المسائل الدينية مشاعا بين العلماء، كل يجتهد رأيه، ويستنبط حكمه،

والدرر الكامنة لابن حجر: 134/3، وطبقات الشافعية: 141/6).

(178) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين، من كبار فقهاء الشافعية في القرن الثامن الهجري، ظهر نبوغه مبكرا، أمعن في طلب الحديث، وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام. له المؤلفات الجليلة المفيدة، مثل جمع الجوامع، وطبقات الشافعية الكبرى، وغيرهما. توفي سنة 771هـ. (انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: 39/3).

(179) البلقيني: هو جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، برع في الفقه والأصول والعربية والتفسير وعلوم البلاغة. توفي 824هـ. (انظر ترجمته في شذرات الذهب: 166/7).

(180) الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الأسنوي الشافعي. كان بحرا في الفروع والأصول. له عدة مؤلفات في تخريج الفروع على الأصول. توفي سنة 772هـ. (انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 462/2).

(181) جلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. اشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما وأصولا ونحوا ومنطقا وغيرها. له عدة مؤلفات. توفي سنة 864هـ. (انظر ترجمته في شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 303/7).

(182) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضري الأسيوطي الإمام الحافظ المؤرخ الأديب، ألف المؤلفات الحافلة الكثيرة النافعة الجامعة تعد بخمسمائة مؤلف، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ورجاله وغريبا واستنباط الأحكام منه. كانت وفاته سنة 911هـ. (انظر ترجمته في كتابه حسن المحاضرة).

(183) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 267.

ويسلك منهجا يختلف عن منهج غيره، ولسان حاله يقول قول[184] أبي حنيفة رضي الله عنه: »لي أن أجتهد كما اجتهدوا«.

»...فلم تكن هناك مذاهب محددة المعالم ولا أقوال ملزمة الاتباع، فلما قعدت الهمم، وران الضعف على العقول، أحجم علماء الدين عن الاجتهاد والمبادرة خشية أن يوجد من يستغل دعوى الاجتهاد لبث البدع وإفساد الشريعة، فالتزموا آراء الأئمة السابقين، ولم يستجيزوا لأنفسهم مخالفة ما أفتى به أئمتهم، ورأوا أن ما حصل من تفريع وتوسع في المذاهب المستقرة فيه غنى وكفاية، فأفتوا بإغلاق باب الاجتهاد كما يؤكده أبو الحسن الكرخي (ت. 340هـ) رئيس الحنفية في عصره[185].

ويضيف ابن خلدون في هذا الصدد: »...وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء كلّ من اختص به من المقلدين، وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلا نقل مذاهبهم، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقه غير هذا، ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود، ومنكروه على عقبه مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة«[186].

فكان لهذه الظاهرة الخطيرة في الفكر الديني ما لاحظه الإمام النووي[187]: »إن المجتهد المطلق لم يوجد منذ القرن الرابع الهجري، وكان الفقهاء مجتهدين اجتهادا مقيدا، أي إن لهم ملكة يستنبطون بها المسائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولكنهم مقيدون بقواعد مذهب إمامهم، واستمر هذا إلى القرن الخامس (...) ثم ضعف الاجتهاد بعض الشيء، وأصبح المجتهدون مجتهدي فتوى، أي إنه إذا عرض عليهم أمر كان فيه قولان أو أكثر، رجحوا أحد الأقوال حسب حججه، كابن الحاجب. وهذه الطبقة انتهت أواسط القرن السابع لم يبق بعدها إلا المقلدون

(184) المرجع نفسه، ص: 236، بتصرف.

(185) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 237، بتصرف.

(186) مقدمة ابن خلدون، ص: 355.

(187) النووي الإمام الفقيه الحافظ الأوحد القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين بن أبي زكرياء يحيى بن شرف بن ميري. صنف عدة تصانيف، وكان إماما بارعا حافظا متقنا. مات سنة 676هـ. (انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير: 2783، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 1470/4، وطبقات الشافعية للسبكي: 395/8، والعبر: 312/5.

تقليدا محضا»[188].

لم يكن إذن في الإمكان ظهور مذاهب جديدة بعد منتصف القرن الرابع الهجري، فأخذت المذاهب الموجودة آنذاك طريقها، وأغلبها لم يعمر كثيرا بعد وفاة أصحا ا، وانقرضت بـانقراض أتباعها القلائل، ومنها من كتب لها البقاء إلى يوم الناس هذا، وهي مـذاهب السـنة الأربعـة، ومذاهب الشيعة، وغير ذلك. كل هذه الأشياء أسهمت في الحركة الفقهية منذ القرن الثالـث إلى ما بعده إسهاما فعالا أثرى الفقه الإسلامي بصفة خاصة.

ولعل الحديث يجرنا إلى أن نتساءل: إلى أي حد أسهمت هذه الحركة في إثراء الفقه بصفة عامة في أوساط المذاهب الفقهية المعروفة؟ وما هي هذه المذاهب؟

سؤالان سيجيب عنهما المطالب اللاحقة.

الفرع الأول: حركة الفقه الحنفي

لقد عرف الفقه الحنفي منذ بدايته نشاطا مكثـفا تمثل في ذيوع كثير من آرائـه الفقهيـة »...وتدوينها، وكان السبب في ذلك يرجع إلى مؤسسه الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمـان بـن ثابت بن زوطي (80-150هـ)، وكان رحمه الله خزازا بالكوفة يبيع ثياب الخز، وكان معروفا بصدق المعاملة والنفرة من المماكسة، وكان حسن الوجه، حسن ا لس، حسن المواساة لإخوانه، وكان ربعة من الرجال، أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة. قال جعفر بن ربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول منه صمتا. فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا وجهرة في الكلام، وكان إماما في القياس.

وقال عبد الله بن المبارك[189] (ت. 181هـ): قلت لسفيان الثوري (ت. 161هـ): يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة. ما سمعته يغتاب عدوا له قط. فقال: هو أعقل مـن أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

اتصل به كثير من الطلبة وأخذوا عنه، وعاونوه في وضع المسائل وفي الجواب عنها، وكانت

(188) ظهر الإسلام لأحمد أمين: 212/2.

(189) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام، وروى عن حميد الطويل وحسن المعلم وغيرهما. مات 181هـ. (انظـر ترجمتـه في تـاريخ بغـداد: 152/10، والرسالة المستطرفة ص: 37، وشذرات الذهب: 295/1، واللباب: 334/1).

طريقته في الاستنباط ما قاله عن نفسه: إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم(190) والشعبي(191)، والحسن(192)، وابن سيرين(193)، وسعيد(194) بن المسيب (وعدد رجالا قد اجتهدوا)، فلي أن أجتهد كما اجتهدوا...«(195).

وكان الفضل كل الفضل يرجع إلى تلامذة أبي حنيفة الذين أسهموا إسهامات فعالة في تدوين الفقه الحنفي أكثر من غيره، إذ كانت لهم اليد الطولى في تفريع الفروع وإعداد الجواب

(190) أبو عمران إبراهيم النخعي فقيه العراق في عصره، من ذوي الإخلاص والورع، وكان صيرفيا في الحديث، وكان يتوقى الشهرة، ولا يتكلم في العلم إلا أن يسأله. توفي 95هـ. (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي: 63/1، واللباب: 304/3).

(191) الشعبي عامر بن شراحيل، أبو عمرو الكوفي، ولد لست سنين مضت من خلافة عمر على المشهور وإدراك خمسمائة من الصحابة. مات سنة 103هـ. (انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 229/12، وتذكرة الحفاظ: 79/1، وحلية الأولياء: 310/4، وطبقات القراء لابن الجزري: 350/1، والعبر: 127/1).

(192) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري، يقال مولى زيد بن ثابت، ويقال مولى جميل بن قصبة. كان عالما ثقة عابدا من كبار التابعين. مات سنة 110هـ. (انظر ترجمته في العبر: 136/1، وشذرات الذهب: 136/1، والميزان: 483/1، والتذكرة: 70/1).

(193) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر البصري إمام وقته. روى عن أنس وزيد بن ثابت وأبي هريرة وعائشة، وعنه الشعبي وقتادة والأوزاعي، وخلق. كان ثقة فقيها، ورعا، مات سنة 110هـ. (انظر ترجمته في الخلاصة ص: 280، وتقريب التهذيب: 169/2، والعبر: 135/1).

(194) سعيد بن المسيب: هو شيخ الإسلام وفقيه المدينة، المخزومي، أبو محمد. ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر، وسمع منه شيئا، وسمع من عثمان وزيد وعائشة وسعد وأبي هريرة وخلق. كان واسع العلم، فقيه النفس، متين الديانة. توفي سنة 94هـ، وقيل غير ذلك. (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: 54/1، والعبر: 110/1).

(195) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 169-170.

عنها. فأشهرهم: أبو يوسف(196)، وزفر(197)، ومحمد(198) بن الحسن بن فرقد الشيباني، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وغيرهم.

هؤلاء الأربعة هم الذين انتشر م مذهب العراقيين، وتلقاه الناس عنهم، وكان لأبي يوسف ومحمد خاصة عند بني العباس ما يجعل لأقوالهم مزية وتقدما على قول غيرهم من أهل الحـديث، وهم الذين لهم الفضل الأكبر في وضع مسائل الفقه والإجابة عنها، ولم تكـن نسـبتهم إلى أبي حنيفة نسبة المقلد إلى المقلد، بل نسبة المتعلم إلى المعلم، مع استقلالهم بما به يفتون، فلم يكونـوا يفتون بما أفتى به أستاذهم، بل يخالفون إذا ظهر لهم ما يوجب الخلاف، ولذلك نجد كتب الحنفية تورد أقوال هؤلاء الأربعة بأدلتها، وربما يكون في المسألة الواحدة أربعة أقوال؛ لأبي حنيفة قـول، ولأبي يوسف قول، ولمحمد قول، ولزفر قول حسبما يظهر لهم من الآثار أو المعاني.

وقد حاول بعض الحنفية أن يجعل أقوالهم المختلفة أقوالا للإمام رجع عنها، ولكن هذه غفلة شديدة عن تاريخ هؤلاء الأئمة، بل عما ذكر في كتبهم. فإن أبا يوسف(199) يحكـي في كتابـه الخراج رأي أبي حنيفة، ثم يذكر رأيه مصرحا بأنه يخالفه ويبين سبب الخلاف، وكذلك يفعل في كتاب خلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، فإنه أحيانا يقول برأي ابن أبي ليلى بعد ذكـر الـرأيين. ومحمد رحمه الله يحكي في كتابه أقوال الإمام وأقوال أبي يوسف وأقواله، مصرحا بالخلاف علـى أنه لو كان كما قالوا لم يكن ما رجع عنه من الآراء مذهبا له. ومن الثابت أن أبا يوسف ومحمدا رجعا عن آراء كثيرة رآها الإمام لما اطلعا على ما عند أهل الحجاز من الحديث. فالمحقق تاريخيا أن

(196) العلامة فقيه العراق أبو علي الأنصاري مولاهم، الكوفي اللؤلؤي صاحب أبي حنيفـة. نـزل بغـداد وصنف وتصدر للفقه. أخذ عنه محمد بن سجاع الثلجي، وشعيب بن أيوب الصريفني، وغيرهما. وكـان أحد الأذكياء البارعين في الرأي. ولي القضاء بعد حفص بن غياث، ثم عزل نفسه. مات سنة 204هـ. (انظر ترجمته في أخبار القضاة: 188/3، والفهرست لابن النديم ص: 228، وتاريخ بغـداد: 314/7، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص: 115، وشذرات الذهب: 12/2).

(197) زفر بن الهذيل بن قيس صاحب أبي حنيفة، ولي قضاء البصرة. توفي سنة 158هـ. (انظر ترجمته في طبقات ابن سعد: 387/6، والعبر للذهبي: 229/1).

(198) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، من قرية دمشق. صحب أبا حنيفة، وعنه أخذ الفقه، ثم عـن أبي يوسف. روى عن مالك ومسعر والنووي، وعنه أبو عبيد ويحيى بن معين. توفي سنة 189هـ. (انظـر ترجمته في طبقات الشيرازي ص: 114، والعبر: 302/1، وشذرات الذهب: 321/1).

(199) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 173.

أئمة الحنفية الذين ذكرناهم بعد أبي حنيفة -رحمهم الله- ليسوا مقلدين له، لأن التقليد لم يكن نشأ في المسلمين في ذلك التاريخ، بل كان المفتون مستقلين في الفتوى بناء على ما يظهر لهم من الأدلة، سواء عليهم أخالفوا معلميهم أم وافقوهم. ولم تكن نسبة أبي يوسف ومحمد إلى أبي حنيفة إلا نسبة الشافعي إلى مالك...«[200].

وأشهر أتباع الإمام أبي حنيفة من القرن الثالث وما يليه:

»1)الإمام جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري (229-321هـ): من أعلام الفقهاء المعروفين بالتدوين، له كتاب السنن المأثورة، وشرح معاني الآثار والمختصر ومشكل الآثار.

2)أبو الحسن[201] عبيد الله بن الحسن الكرخي (260-340هـ): رئيس الحنفية بالعراق، صنف "المختصر" وشرح الجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن الشيباني.

3)أبو بكر أحمد بن علي الرازي[202] الجصاص (ت. 370هـ): تلميذ الكرخي وآخرون، شرح مختصر الكرخي ومختصر الطحاوي والجامع لمحمد بن الحسن، وله كتاب في أصول الفقه وكتاب أدب القضاة.

4)أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي المشهور بإمام الهدى (ت. 373هـ): صنف النوازل والعيون والفتاوى وخزانة الفقه وشرح الجامع الصغير[203].

5)أبو عبد الله يوسف بن محمد الجرجاني (ت. 398هـ): تلميذ الكرخي، ألف خزانة الأكمل، وشرح الجامع الكبير، وشرح مختصر الكرخي.

6)أبو الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي (ت. 427هـ): وهو صاحب الكتاب في الفروع، والتجريد في الخلاف بين الإمامين أبي حنيفة والشافعي.

(200) نفسه، ص: 172.

(201) أبو الحسن الكرخي الشيخ الإمام الزاهد مفتي العراق، شيخ الحنفية، أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال البغدادي الكرخي الفقيه، أول من ألف في القواعد الفقهية. توفي سنة 340هـ. (انظر ترجمته في الفهرسة ص: 293، وتاريخ بغداد: 353/10، وطبقات الشيرازي ص: 142، والأنساب: 386/5).

(202) أبو بكر الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير، سكن بغداد، وعنه أخذ فقهاؤها، وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. له من المصنفات أحكام القرآن، وشرح مختصر شيخه أبي الحسن الكرخي وشرح مختصر الطحاوي وغيرها. توفي 370هـ. (انظر ترجمته في طبقات الحنفية: 84/1).

(203) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر، ص: 268.

7)أبو زيد عبد الله بن عمر الدبوسي السمرقندي (ت. 430هـ): وهو أول من وضع علم الخلاف، له تصنيف "الأسرار" في الفروع، وكتاب تقويم الأدلة في أصول الفقه...«[204].

وغيرهم من الفقهاء الحنفية الذين حملوا مشعل الفقه الحنفي منذ تأسيس هذا المذهب إلى يومنا هذا، حيث عرف تغيرات جذرية مست التأصيل والتفريع، ويعتبر المذهب الحنفي أكثر المذاهب تأصيلا وتفريعا بفضل تلامذة الإمام الذين يرجع لهم الفضل في ذلك، كما يرجع لهم الفضل أيضا في انتشار المذهب في خراسان وسجستان وما وراء النهر وفي أهل الري وأهل جرجان وبلاد الهند. كما ظهر بمصر وبلاد المغرب إلا أنه انقرض منها قبل انتهاء القرن الرابع الهجري. غير أن المذهب الحنفي مازال نفوذه قويا في أنحاء العالم الإسلامي.

ننتقل الآن إلى التساؤل عن الحركة الفقهية في المذهب الشافعي؟ وما هو المذهب الشافعي؟ سؤالان سيجيب عنهما الفرع اللاحق.

الفرع الثاني: حركة الفقه الشافعي

»أسهم الإمام الشافعي رحمه الله في حركة الفقه الشافعي إسهاما فعالا، حيث اختلط الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، واطلع على كتب فقهاء العراق، وأضاف ذلك إلى ما عنده من طريقة أهل الحديث، وكانت له مناظرات مع محمد بن الحسن رفعت إلى الرشيد فسر منها، وكُتب الشافعي مملوءة بهذه المناظرات.

عاد الشافعي من العراق إلى الحجاز واستمر بمكة يستفيد ويفيد مدة من الزمن، وكانت مكة موفدا لعلماء من سائر الأقاليم، وكان الشافعي يختلط بهم ويناظرهم ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، إلى أن عن له أن يقدم العراق قدمته الثانية سنة 195هـ، بعد أن مات الرشيد وولي عبد الله الأمين، فسار إليها. وفي هذه القدمة انضم إليه جماعة من علماء العراق، وصاروا يأخذون عنه، وهناك أملى عليهم كتبه التي كتبها في مذهبه العراقي أو القديم، وكان نزوله في هذه القدمة على محمد بن أبي حسان الزيادي، ومقامه هناك سنتان، وكان محمد بن الحسن قد توفي، وأكبر العراقيين من أصحاب أبي حنيفة إذ ذاك الحسن بن زياد اللؤلؤي، ولم يكن الشافعي يعنى بمناظراته كما كان مع محمد بن الحسن، ثم عاد إلى الحجاز وقد انتشر ذكره ببغداد، وانتحل طريقته كثير من علمائها.

(204) نفسه، ص: 268.

وفي سنة 197هـ قدم إلى العراق قدمته الثالثة، فأقام هناك أشهرا، ومن العراق سافر إلى مصر فنزل بالفسطاط ضيفا كريما على عبد الله بن عبد الحكم(205)، وكانت طريقة مالك(206) منتشرة بين المصريين ينتحلها أكثر علماء مصر، وكان الباقي من أصحاب مالك الذين سمعوا كلامه ورووا

عنه عبد الله بن عبد الحكم(207) وأشهب(208) في مصر ظهرت مواهب الشافعي ومقدرته الكلامية، فأملى على تلاميذه المصريين كتبه الجديدة، وذلك مذهبه المصري أو الجديد، ولم يزل ا حتى توفي سنة 204هـ. وقد أجلّه المصريون حيا وميتا، وصار يعد مصريا بعد أن كان حجازيا والشافعي هو الذي نشر مذهبه بنفسه بما قام به من الرحلات، وهو الذي كتب كتبه بنفسه وأملاها على تلاميذه، ولم يعرف هذا لغيره من كبار الأئمة.

وأساس مذهب الشافعي مدون في رسالته الأصولية، فهو يحتج بظواهر القرآن حتى يقوم دليل على أن المراد ا غير ظاهرها، وبعد ذلك السنة، وقد دافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد مادام راويه ثقة ضابطا ومادام الحديث متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يشترط غير ذلك من عمل يؤيد الحديث كما اشترط مالك، ولا شهرة كما اشترط أهل العراق. وقد نال بذلك الدفاع حظا كبيرا عند أهل الحديث حتى كان أهل بغداد يطلقون عليه ناصر السنة، وهو ينظر إلى السنة الصحيحة نظره إلى القرآن يرى كلا منهما واجب الاتباع، ثم يعمل بالإجماع،

---

(205) عبد الله بن عبد الحكم بن أعيث بن الليث، يكنى أبا محمد، سمع مالكا والليث، وكان رجلا صالحا ثقة متحققا بمذهب مالك فقيها صدوقا، أفضت إليه الرئاسة بمصر بعد أشهب، وكان صديق الشافعي من تأليفه المختصر الكبير والأوسط والصغير، وكانت وفاته سنة 214هـ. (انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 363/3-364، والانتقاء لابن عبد البر ص: 520، ووفيات الأعيان: 34/3، وسير أعلام النبلاء: 220/10، والعبر للذهبي: 366/1).

(206) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 185.

(207) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 185.

(208) أشهب: أبو عمر بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري المصري، الشيخ الفقيه الثبت العالم الجامع مع الورع والصدق، انتهت إليه رئاسة مصر بعد موت ابن القاسم، وعدد كتاب سماعه عشرون. توفي بمصر سنة 204هـ بعد موت الشافعي بثمانية عشر يوما. (انظر ترجمته في شجرة النور الزكية ص: 59).

ومعناه عنده عدم العلم بالخلاف، لأن العلم بالإجماع في نظره غير ممكن...»[209].

إلى جانب ما ذكر فقد أسهم تلامذة الإمام الشافعي ومنهم المصريون والعراقيون على حد سواء في إثراء الفقه الشافعي، وكان ذلك سببا فعالا في ذيوع الفقه الشافعي وحركـة فعالـة في انتشار المذهب الشافعي. وعلى سبيل المثال أسوق بعض تلامذة الإمام الشافعي الذين قاموا بدور كبير في حركة الفقه الشافعي، فمنهم:

«1)أبو ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي البغدادي (ت. 240هـ): تعلـم علـى المذهب القديم، ويعد من أهل الرأي.

2)أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي (ت. 245هـ).

3)الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البغدادي (ت.260هـ): أثبـت رواة المـذهب القديم.

4)يوسف بن يحيى البويطي المصري: تفقه بالشافعي وحدث عنه كما حدث عن ابن وهب، ومن مآثره "المختصر" من كلام الشافعي. توفي سنة 231هـ مسجونا ببغداد في زمن القول بخلق القرآن.

5)أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري (175-264هـ): الذي قال فيه الشافعي: «المزني ناصر مذهبي»، وهو الذي ألف الكتب التي عليها مدار المذهب، وأخذ عنه كثيرون مـن علماء العراق والشام وخراسان[210].

6)الربيع بن عبد الجبار المرادي (174-270هـ): له رواية الشافعي، ثقة، ثبت، كمـا اشتهر من أتباعـه بعد القـرن الرابـع الهجـري ثلة من الفقهاء حملوا مشعل المذهب، وأصلوا قواعده تأصيلا كليا.

7)أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبراني العراقي، اشتهر بابن القاضي (ت. 325هـ)، أخذ الفقه عن ابن سريج، وعنه أخذ الفقه أهل خراسان، وله تصانيف مشهورة، منها التلخـيص في الفروع الذي يعد من الكتب الأساسة في المذهب، و"المفتاح" و"أدب القاضي".

(209) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 186.

(210) مقدمة محقق التفريع: 1/79.

8)أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي[211] (ت. 340هـ): انتهت إليه الرياسة بالعراق بعد ابن شريح، صنف كتبا كثيرة منها شرح المزني[212]، من فقهاء الشافعية الذين أسهموا بشكل واضح في إثراء الفقه الشافعي بعد الإمام الشافعي رحمه الله.

في كل القرى والحواضر والمدن الكبرى كانت الشام ومصر من أكبر حصون الشافعية، وأما بلاد المشرق، فإن نصرة الأمير محمود بن سبكتكين[213] ونظام[214] الملك للمذهب الشافعي فكانت من أهم أسباب انتشاره فيما وراء النهر وكرمان وهراة وسجستان ونيسابور وغيرها، كما حل المذهب الشافعي محل المذهب المالكي في مكة والمدينة...»[215].

تلك نبذة مختصرة عن المذهب الشافعي الذي عرف تقلبات مهمة انطلقت أساسا إلى الحركة العلمية التي قام ا الإمام الشافعي في الأقطار التي قام ا، ويعتبر المذهب الشافعي من أهم المذاهب الفقهية التي أثرت الفقه الإسلامي بمؤلفاته وآرائه القيمة. وإذا كان هذا حال المذهب الشافعي، فإلى أي حد أسهم المذهب الحنبلي في الحركة الفقهية الإسلامية؟ وما هي التطورات التي عرفها الفقه الحنبلي؟ وأخيرا ما هو الدور الفعال الذي قام به تلامذة الإمام أحمد بن حنبل في إثراء مذهبه؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع اللاحق.

الفرع الثالث: حركة الفقه الحنبلي

---

(211) أبو إسحاق المروزي الإمام الكبير، شيخ الشافعية، وفقيه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أبي العباس بن سريج وأكبر تلامذته. اشتغل ببغداد دهرا، وصنف التصانيف، ودرج به أئمة. صنف تصانيف كثيرة. توفي سنة 134هـ. (انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 11/1، ووفيات الأعيان: 266/1- ، والعبر: 252/2، وشذرات الذهب: 355/2-356).

(212) مقدمة محقق التفريع لابن الجلاب: 80/1.

(213) الملك سبكتكين: كانت دولته نحوا من عشرين سنة، وكان فيه عدل وشجاعة ونبل، مات سنة 387هـ. (انظر ترجمته في المنتظم: 67/7، والكامل لابن الأثير: 479/8، ووفيات الأعيان: 175/5).

(214) نظام الملك الوزير الكبير نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، مولده سنة 408هـ، وقتل صائما في رمضان سنة 488هـ. (انظر ترجمته في الأنساب: 37/6، ووفيات الأعيان: 128/2، والبداية والنهاية: 140/12، وطبقات السبكي: 309/4، وتاريخ ابن خلدون: 11/5).

(215) مقدمة محقق التفريع: 81/1.

يعتبر الإمام أحمد[216] بن حنبل (164-241هـ) بن هلال الشيباني المروزي أحد الفقهاء الكبار الذين أسسوا مذهبا فقهيا نافس فيه كل المذاهب الفقهية، وكان الإمام أحمد إمام أهل الحديث في عصره. قال الشافعي: خرجت من بغداد فما خلفت ا رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل.

»...تفقه أحمد بالشافعي حين قدم بغداد، وهو أكبر تلاميذه البغداديين، ثم اجتهد لنفسه، وهو من ا تهدين من أهل الحديث الذين يعملون بخبر الواحد من غير شرط متى صح سنده كطريقة الشافعي، ويقدم أقوال الصحابة على القياس، وعداد أحمد في رجال الحديث أثبت منه في عداد الفقهاء[217]. مصنف المسند يحتوي على نيف وأربعين ألف حديث رواه عنه ابنه عبد الله[218]، وله في الأصول كتاب طاعة الرسول وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب العلل.

ومن أشهر من روى عنه مذهبه أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ المعروف بالأثرم، صنف كتاب السنن في الفقه على مذهب أحمد، وله شواهد من الحديث...[219] وغيره من فقهاء الحنابلة الذين استطاعوا أن يرسوا قواعد المذهب الحنبلي فيما بعد. كل ذلك كان سببا في بداية حركة فقهية حنبلية أسهمت إلى حد ما في إثراء الخزانة الحنبلية فيما بعد بفضل مجهودات متواصلة لتلامذة أحمد بن حنبل ومن صار على در م لإثراء المذهب بين المذاهب الفقهية الأخرى....

يبقى أن أشير إلى أن أهم آرائه أنه يعمل بخبر الواحد من غير شرط إذا صح سنده، ويقدم أقوال الصحابة على القياس الذي لا يلتجئ إليه إلا عند الضرورة القصوى، وقد أنكر عليه كثيرون ذلك، ومنهم القاضي عياض رحمه الله الذي قال: »قال أحمد: الخبر الضعيف عندي خير

---

(216) أحمد بن حنبل: هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، إمام المذهب الحنبلي ومؤسسه. توفي الإمام أحمد سنة 241هـ، وله من المؤلفات كثير، منها المسند. (انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 177/11، وطبقات ابن سعد: 354/7، وطبقات الحنابلة: 4/1، وطبقات الشافعية: 27/2، وتاريخ بغداد: 412/4).

(217) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 190.

(218) عبد الله بن أحمد بن حنبل بن هلال، الإمام الحافظ، الناقد، محدث بغداد أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة 213هـ. روى عن أبيه شيئا كثيرا من جملته المسند. مات سنة 294هـ. (انظر ترجمته في تاريخ بغداد: 375/9، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص: 169، وطبقات الحنابلة: 180/1، والمنتظم: 39/6).

(219) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 191.

من القياس، وبديهة العقل تنكر هذا، فلا خير في بناء على غير أساس«(220).

ومن أكبر تلامذته الذين خدموا المذهب الحنبلي وصنفوا فيه وقعدوا قواعده وأصوله تأصيلا علميا، هم:

1)الإمام أبو بكر أحمد بن محمد(221) بن هانئ المعروف بالأثرم، صنف كتاب السنن في الفقه على مذهب أحمد.

2)أحمد بن محمد بن الحجاج(222) المروزي، صنف كتاب السنن بشواهد الحديث.

3)إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المعروف بـابن راهويـه(223) المـروزي (ت. 238هـ)، صنف كتاب السنن في الفقه.

4-أبو القاسم الخرقي(224) (ت. 334هـ): صاحب المختصر في الفقه.

5)عبد العزيز بن جعفر (ت. 363هـ): صاحب كتاب المقنع(225).

وغيرهم من فقهاء الحنابلة الذين حملوا راية المذهب بعد هؤلاء رغم قلتهم كما يشـير إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته قائلا: »فأما ابن حنبل فقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهـم

(220) ترتيب المدارك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي: 92/1.

(221) الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم الطائي، أحد الأعلام ومصنف السنن، وتلميذ الإمام أحمد. ولد في دولة الرشيد. قال الذهبي: لم أظفر بوفاة الأثرم. ومات بمدينة إسكاف في حدود 260هـ. (انظر ترجمته في طبقات الحنابلة: 66/1، و ذيب التهذيب: 8/1، وتذكرة الحفاظ للذهبي: 570/2، والعبر: 22/2، سير أعلام النبلاء: 623/12).

(222) مقدمة كتاب التفريع لابن الجلاب: 82/1.

(223) ابن راهويه إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي أبو يعقـوب المـروزي نزيـل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين. (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي: 433/2، و ـذيب التهذيب: 216/1، وسير أعلام النبلاء: 358/11، وحلية الأولياء للأصـبهاني: 234/9، ووفيـات الأعيان: 64/1).

(224) الخرقي أبو القاسم عمر بن الحسين البغدادي الحنبلي، صاحب المختصر المشهور في مذهب أحمد بـن حنبل، أحد الفقهاء الحنابلة الذين ألفوا في المذهب الحنبلي (ت.334هـ). (انظر ترجمته في سير أعـلام النبلاء: 363/15).

(225) مقدمة محقق التفريع: 82/1.

أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث«[226].

»...وقد انقسم العلماء حول ابن حنبل إلى فريقين، فجمهورهم وفي مقدمتهم ابن جرير الطبري، وابن قتيبة[227]، والمقدسي[228] يرون أنه من المحدثين فقط، ولا يعتبرونه من رجال الفقه. ويرى آخرون أنه صاحب مذهب في الفقه، يمتاز عن غيره من فقهاء المذاهب الأخرى بأنه يعتمد في الغالب على الحديث، بحيث إذا وجد حديثا صحيحا عمل به، ولم يلتفت إلى غيره من قياس أو استحسان، بل إنه يقدم الحديث المرسل والضعيف على القياس، كما أنه يعتمد على فتاوي الصحابة ويقدمها أيضا على القياس، وإذا وجد في مسألة ما قولين للصحابة اختار أقربهما إلى الكتاب والسنة.

كما أنه كان يكره أن يفتي في مسألة لا يجد فيها أثرا في المصادر النقلية من قرآن أو سنة أو أقوال الصحابة أو التابعين، وهذا يعني أنه لم يكن يلجأ إلى القياس إلا عند الضرورة القصوى.

ولم يخلف الإمام أحمد كتبا في الفقه، وإنما ترك مجموعة من الفتاوي تتعلق بمسائل من الفقه سئل عنها، وعلى العكس من ذلك فقد خلف مسنده في الحديث الذي جمع فيه نحو أربعين ألف حديث مرتبة على حسب الرواة الذين رووها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغ عدد الصحابة الذين أسندت إليهم هذه المجموعة الضخمة من الحديث نحو سبعمائة صحابي...«[229].

وعلى أي، كيفما كانت الأسباب والمسببات، فإن الإمام أحمد يظل في صدارة الفقهاء الذين أثروا الحركة الفقهية الإسلامية بآرائه الفقهية، إضافة إلى دوره الكبير في جمع الأحاديث

(226) مقدمة ابن خلدون، ص: 355.

(227) ابن قتيبة الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، محدث فلسطين، سمع هشام بن عمار وابن رمح وغيرهما. مات سنة 316هـ. (انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي: 763/2، والعبر للذهبي: 147/2، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: 323، والعبر للذهبي: 135/2).

(228) الإمام المحدث العابد الثقة أبو محمد عبد الله بن محمد بن سلم ابن حبيب الفريابي الأصل المقدسي، حدث عنه أبو حاتم بن حبان ووثقه. مات نيف عشرة وثلاثمائة. (انظر ترجمته في أعلام النبلاء: 306/14، والأنساب: 426، واللباب: 246/3).

(229) محاضرات في المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور محمد ابن معجوز، ص: 117.

والآثار النبوية وأقوال الصحابة والاعتماد عليها في فتاواه.

الباب الثاني
الاختصار والمختصرات في الفقه الإسلامي والفقه المالكي

توطئة

للحديث عن الاختصار والمختصرات لابد أن نلقي نظرة عن هذه الظاهرة في المذاهب الفقهية، والتي توغلت في أحشاء بطون أمهات الكتب الفقهية بصفة عامة؛ حيث عرفتها جل المذاهب الفقهية بدون استثناء فأحدثت ما أحدثت في تقليص دور المؤلفين والباحثين في إبراز مؤهلا م العلمية في ميدان التأليف، فضلا عن أن جل العلوم الإنسانية عرفت هذه الظاهرة مثل علوم الحديث والقرآن والأصول وغيرها من العلوم التي تسربت هذه الظاهرة إلى أغوارها، وهو ما يهدي إليه هذا الفصل، بحيث سنجد معظم العلوم الإنسانية إن لم نقل كلها عرفت هذه الظاهرة، غير أ ا لم تعرف نشاطا ولا إقبالا إلا في عهود متأخرة لأسباب لعل البحث سيذكر معظمها.

كما أن البحث اختار من بعض العلوم نماذج من هذه المختصرات لتبيا ا عن كل فن ومدى تأثيرها في هذا الفن أو ذاك، كما هدف البحث من وراء ذلك إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على الفقه فحسب، بل شملت كل العلوم وهي ظاهرة لم ترصدها الجوانب التاريخية للعلوم، غير أ ا لصيقة بالفقه وربما لما أحدثت في ذلك من إثر بالغ عند المتأخرين الذين سعوا إلى الاهتمام ا وتقنينها وشرحها والتعليق عليها.

ولسنا بصدد الحديث عن ذلك بقدر ما يهمنا أن نتساءل عما هو الاختصار؟ وما الفرق

بين الإيجاز والاختصار والتهذيب؟ وما هو أثر هذه الظاهرة في العلوم الإنسانية بصفة عامة والفقه بصفة خاصة؟

للإجابة عن ذلك، سأتناول في هذا الفصل تعريف الاختصار في المبحث الأول، وسيتخلل ذلك فروع في ظاهرة المختصرات في أهم العلوم، ولقد رأى فضيلة الدكتور المشرف على هـذا البحث حذف هذا الفصل، غير أنني رأيت أن أعطي نظرة وجيزة عن هذه العلوم التي لها علاقـة بالفقه، لكيلا يعتقد أن هذه الظاهرة تقتصر على الفقه، في حين أنها اجتاحـت جـل العلـوم الإنسانية، وهذا في اعتقادي يزيد البحث نظرة شمولية في الموضـوع، شـريطة أن لا أحاسـب بخروجي عنه.

فما هو الاختصار إذًا؟ ومتى ظهر في العلوم، وما هو أثره في بعض العلوم الإنسانية؟ أسـئلة ستجيب عنها المباحث الآتية.

المبحث الأول
تعريف الاختصار

تمهيد

عرفت ظاهرة المختصرات اختلافا كبيرا بين الفقهاء والعلماء واللغويين في تحديد معنى هذه الكلمة في مدلولها اللغوي والشرعي، فهناك من يرى أ ا ضم الشيء إلى بعض قصـد حكايتـه بألفاظ قليلة، وهناك من يرى العكس. سأورد بعضا منها في المبحث الموالي.

وإذا كان هذا هو شأن تعريفها فإن تاريخ ظهور هذه الظاهرة لا يقل شأنا عن اختلاف في ذلك؛ حيث ذهب جل المؤرخين إلى أن هذه الظاهرة برزت في القرن الثالث الهجـري، ويـرى بعضهم الآخر أن بوادرها ظهرت في القرن الثاني وعرفت نشاطا كبيرا في القرون الموالية، وخاصة في القرن السادس ووصلت القمة في القرن السابع؛ حيث تربعت على عرش الفقه وأخذت نمطـا آخر في الشكل والمضمون؛ حيث يصعب على القارئ العادي أن يعرف شيئا في الكتب المختصرة في ذلك الوقت لكو ا مليئة بالألغاز والتعقيدات اللفظية واللغوية، فيستحيل أن يفهم مضمو ا ما لم يتزود بثروة فقهية تفك ألغاز ذلك المختصر، مما جعل جل ذوي البضاعات القليلة من أمثالنـا يتزود ويستعين بالشروحات والتحشية وغيرها عله يجد منها ضالته. ولا أريد استصدار حكم على هذه الظاهرة بقدر ما أريد أن أترك للبحث مجالا لتسليط الضوء على ذلك.

الاختصار لغة

يقول ابن منظور في لسان العرب: »اختصار الكلام في لسان العرب: إيجازه، وهو أن ندع الفضول ونستوجز الذي تأتى على المعنى؛ يعني إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة«[230].

وقال النووي في ذيب الأسماء واللغات: »الاختصار: معناه: ضم بعض الشيء إلى بعـض بقصد الإيجاز، والغرض منه إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، قال النووي: اختلفـت عبـارات

(230) لسان العرب لابن منظور، مادة: خصر.

الفقهاء في معنى المختصر فقال الاسفراييني: حقيقة الاختصار ضم بعض الشيء إلى بعض، ومعناه عند الفقهاء رد الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير، وقيل: هو إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى«[231].

وقال في محيط المحيط: »الاختصار مصدر اختصر، وعند بعض أهل العربية مرادف للإيجاز، وقيل: هو أخص منه، لأنه خاص بحذف الجمل بخلاف الإيجاز والاختصار عرفا: تقليل المباني مع إبقاء المعاني أو هو حذف عرض الكلام وهو أجل مقصود العرب ومبنى أكثر كلامهم عليه[232].

ولهذا يقول حاجي خليفة: »قال بعضهم: الاختصار: إذا جمع ثلاثة أشياء: أحدها: الاستقصاء في الصفة، والثاني: الاهتمام في المعنى، والثالث: الإيجاز كان إفادة ذلك أبلغ«[233].

ويقول صاحب دليل السالك: »المختصرات جمع مختصر، وهو تقليل الألفاظ مع كثرة المعنى، فهو اسم المفعول من اختصر الكلام إذا أتى بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير إخلال بالمعنى[234]. ومثل الاختصار الإيجاز وضد الإطناب والإسهاب[235].

وقال الحطاب رحمه الله: »هو ما دل قليله على كثيره«[236].

وقال الدسوقي: قوله: »والاختصار... الخ، وعلى هذا فالمختصر ما قل لفظه وكثر معناه ويقابله المطول وهو ما كثر لفظه ومعناه، وعلى هذا فما كثر لفظه وقل معناه أو قل لفظه ومعناه واسطة بين المختصر والمطول. والحق أنه لا واسطة بينهما، وأن المختصر ما قل لفظه كثر معناه أم لا وأن المطول ما كثر لفظه كثر معناه أو قل فقول الشارح الاختصار: تقليل اللفظ مع كثرة المعنى هذا أحد قولين، والآخر أنه تقليل اللفظ مطلقا أي سواء كثر المعنى أم لا«[237].

وكل هذه التعريفات تفيد أن الاختصار هو الإيجاز دون الإسهاب والإطناب وهو ما أفسد

(231) تهذيب الأسماء واللغات: 3/90-91.
(232) محيط المحيط، مادة: فصل، ص: 235.
(233) كشف الظنون لحاجي خليفة: 2/1625.
(234) دليل السالك، ص: 86.
(235) كشف الظنون: 2/1625.
(236) مواهب الجليل: 1/24.
(237) حاشية الدسوقي: 1/18-19.

الفقه إلى درجة كبيرة[238].

أما **التلخيص**، فيقال : لخص الشيء أخذ خلاصته ولخص القول قربه واختصره ولخص الشيء بينه وشرحه. ويقال: لخص لي خبرك: بينه شيئا بعد شيء فهو ملخص[239].

أما **التهذيب**، فيقال: هذب النخلة شدد للمبالغة وهذب الكلام لخص مما يشينه عند البلغاء ويقال: هذب الكتاب، لخصه وحذف ما فيه من إضافات مقحمة أو غير لازمة وهذب الصبي رباه تربية صالحة خالية من الشوائب، فهذب الشيء: صار مهذبا[240].

من خلال ما سبق يتضح أن جل هذه التعاريف تدور في فلك واحد، ذلك أن الاختصار يعتبر إيجازا لكلام طويل يستوجزه المؤلف في أسطر بتعبير أدق بليغ دون الإخلال أو الإطناب أو الحشو، فكل كلام خرج عن هذه الدائرة فإنه يرد إلى الكثرة دون استيفاء المعنى. ومهما يكن من أمر فإن تعريف الاختصار تبقى من الأمور التي تعرف اختلافا في تحديد تعريف مدقق.

فإلى أي حد عرفت العلوم ظاهرة الاختصار؟ يجيب عن هذا السؤال المبحث اللاحق.

(238) مختصر ابن عبيد الطليطلي في الفقه، بحث لنيل الإجازة، ص: 8، كلية اللغة، مراكش.

(239) معجم المحيط: 820/2.

(240) المرجع نفسه: 979/2.

المبحث الثاني
تاريخ ظهور المختصرات في بعض العلوم النقلية

كان منهج الاختصار كما هو معلوم في تقاليد التأليف والتدريس عند علماء العصر الوسيط بيداغوجيا بالدرجة الأولى، وكان يسعى إلى تسهيل مؤلف ما على الراغبين في مطالعته أو حفظه، باللجوء إلى تكديس مضامين كثيرة في ألفاظ قليلة.

»...وأما في حالة الكتاب الذي لا يسير في هذا الاتجاه وهو الشفا للقاضي عياض؛ حيث تشير كل الدلائل أن الهدف من اختصاره غير ذلك، فالقاضي عياض كان يريد تجريد الكتاب مما ليس علما، فهل يقصد حذف تلك الأحاديث التي اتهم الغزالي بوضعها علما أنه كان يتهم بالحديث على خلاف فقهاء أمثال أصبغ الذي كان يكره الأثر، أم كان يهدف إلى حذف تلك الفصول والفقرات المتعلقة بجوانب التصوف وعلم الباطن الذي أشاد به مؤلف "الإحياء"، أم غير هذا وذلك، كان يقصد تجريد الكتاب(241) من الصفحات التي تندد بالفقهاء الذين يعتبر القاضي عياض واحدا منهم...«(242).

»وكانت الفترة التي تلت سقوط الدولة العباسية قد اهتم الفقهاء بتصنيف المختصرات الفقهية فيها حتى صارت كالأحاجي والألغاز، فعكف بعض الفقهاء على شرح هذه المختصرات، ثم شرح الشرح فانتشرت في هذه الفترة المتون التي تحتاج إلى شرح، ثم إن هذه الشروح احتاجت أيضا إلى مزيد شرح فوضعت لها الحواشي، وظهر في هذا العصر أيضا كتب تجمع الفتاوي وبيان سند أحكامها وتبويبها كالفتاوي الهندية والخيرية والمهدية، وفتاوي ابن تيمية المعروفة بالفتاوي الكبرى، وإن كان الشيخ ابن تيمية تميز بالاستقلال بالرأي، فقد كان من الأئمة الذين ينادون بالاجتهاد على الرغم من أنه حنبلي المذهب.

(241) المذهب المالكي بالمغرب، ص: 104، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، إعداد: مبارك رضوان، تحت إشراف الدكتور محمد زنيبر.
(242) الشفا للقاضي عياض: 281/2.

والحق إن الفقه الإسلامي أصابه الجمود في هذه الفترة على الرغم من الثروة الفقهية الهائلة التي قدمها للعالم والتي لا يدانيها أي تشريع آخر على وجه الأرض، وسبب جمود الفقه الإسلامي هو الضعف الذي بدأ يدب في الدولة الإسلامية بعد سـقوط الدولـة العباسـية، ثم إن الـدول الإسلامية الأخرى القوية التي ظهرت بعد ذلك مثل الدولة العثمانية جاءت بعد أن شاع قفل باب الاجتهاد بين المسلمين واقتصر تدريس الفقه على التقليد بالمذاهب السابقة وتقليدها تجمدت عنده الثروة الهائلة في مكا ا ولم تتطور مع الزمن مادام الحال قد وصل بالمتأخرين من الفقهاء إلى تصور رفع القدرة على الاجتهاد، فزعموا أنه ليس(243) من حق المتأخرين من الفقهـاء أن يبحثـوا أو يرجعوا فيما بحثه المتقدمون ورجحوه من آراء، بل إن الجمود وصل درجة أن زعموا أن من ترك مذهبا إلى مذهب آخر يعزر، وكأن المذهب الفقهي أصبح دينا جديدا«(244).

»وفي هذا الوقت بدأ العمل بتلك المختصرات العميقة، وسرى هـذا الـداء الوبيـل داء الاختصار إلى العلوم الإنسانية عامة، فقلل فائد ا فكان بعض العلماء يشددون النكير على ذلـك ويصدون الطلبة عن قراءة الكتب التي نحا ا أصحا ا هذا المنحى(245).

وقد أثيرت في هذه الفترة أفكار تتمثل ذا المعنى آثارها غير واحد من الأعلام الذين ي لون المغرب، أو من المغاربة أنفسهم فكان الأيلي ينتقد لكثرة التأليف وبيان المدارس ويشرح تلميـذه المقري ذلك ويقول: سمعت الشيخ الأيلي يقول: »إنما العلم كثرة التواليف وإنما أذهبه بيان المدارس وكان ينطلق من المؤلفين والباحثين«(246).

وهكذا نلاحظ أن أبا عنان قد شعر بضعف التدريس في المدارس المغربية في هـذه النقطـة وأخذ في محاولة تلافي هذا النقص الذي انتقده أيضا أبو العباس القباب؛ حيث اعتـرف بتقـدم المغاربة في الحفظ وتفوق التونسيين والمشارقة عليهم في ملكة التحصيل. وها أنت ترى أن هـذه المشاكل التعليمية انتبه المفكرون من المغاربة إلى خطرها فثارت المناقشة حول استعمال المختصرات

---

(243) الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، ص: 232.

(244) مجلة دعوة الحق، العدد: 10، السنة الثانية، 1402هـ.

(245) الملك المصلح لسيدي محمد بن عبد الله، للدكتور الحسن العبادي، ص: 47، دبلوم الدراسات العليا، دار الحديث الحسنية.

(246) المرجع نفسه، ص: 47.

فأقبل عدد من العلماء على دراستها وتلقوها بكل تجلة.

بينما يعارض المفكرون بشدة استعمال هذه الكتب لمفعولها الأساس في ضعف ملكة التعليم، ومن هؤلاء زياد بن علي الأيلي والمقري وابن خلدون، والفقيه القباب المذكور الذي كان يقول إن ابن بشير وابن شاس وابن الحاجب أفسدوا الفقه، ولما حج اجتمع بابن عرفة في تونس فأطلعه ابن عرفة على مختصره الفقهي، وقد شرع في تأليفه فقال له القباب: ما صنعت شيئا، فقال: ولم؟ فقال: إنه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاج إليه المنتهي، فتغير وجه ابن عرفة حينئذ. قالوا: هذا هو السبب الحامل له على بسط العبارة في أواخر مختصره ومثل الفقيه القباب في ذلك اليزنسني الفقيه الكبير فإنه كان صاحب ابن شاس واستشاره هذا في وضع مختصره...«(247).

وإذا كان هذا حال الفقه فإن جل العلوم الإنسانية لم تسلم من هذه الظاهرة؛ بحيث تسربت إلى أحشاء جل العلوم وأخذت تطفو فوق سطوحها وتمخر عبا ا فكانت بذلك أن أعطت وجها جديدا عن العلوم؛ حيث استطاعت أن تتحرك عجلة التأليف بصورة غير مألوفة فكان من الطبيعي أن تحدث ضجة كبرى في صفوف المهتمين والمثقفين الذين يرون أ ا جنت كثيرا على التأليف، في حين يرى بعض الفقهاء أ ا وإن كانت كذلك فلا يمكن اعتبار جل عملها فاسدا.

فالظاهرة تختلف حسب المؤلف والمختصر؛ فإذا كان المختصر في مستوى التحكم في المادة التي اختصرها من الكتاب، فالمختصر بدوره يجلب أنظار الناس بحيث يجدون فيه راحتهم ومتعتهم في المادة المختصرة، أما إذا وقع العكس بحيث لم يكن المختصر في مستوى الاختصار وما قدمه من الأعمال المختصرة ازداد فيه التعقيد والغموض والألغاز فإن عمله غير مجد في هذا ا ال بل يزيد الطين بلة وهو لب الجدل الحالي في المختصرات، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: »ومن مظاهر الحركة الفقهية في هذا العصر –يعني العصر الثالث وما يليه- شيوع ظاهرة المختصرات التي لم تقتصر على الفقه وحده، بل شملت علوم الآلة والمنطق وسائر العلوم...«(248).

ولهذا كثر الاهتمام من طرف الباحثين المتأخرين في الفقه الإسلامي بظاهرة المختصرات الفقهية التي بدأت تلوح في الأفق منذ القرن الثالث الهجري، ثم أخذت تزداد شيئا فشيئا إلى أن

(247) الملك المصلح لسيدي محمد بن عبد الله، للدكتور الحسن العبادي، ص: 47.
(248) مقدمة ابن خلدون: 1242/3.

بلغ الاختصار أشده في القرن الثامن.

أما فيما يرجع إلى تاريخ ظهور المختصرات في المذهب المالكي فإ ا بدأت تبرز إلى الوجود أوائل القرن الثالث الهجري، وازدادت اتساعا في القرن الرابع، ثم تضخم حجمها بشكل لفـت انتباه الناس في القرن السابع[249]، وأول من اشتغل بفكرة الاختصار أبو محمد عبد الله بن عبـد الحكم المصري[250] الذي اختصر كتاب أشهب[251] في مختصره الكبير، وفيه ثماني عشـر ألـف مسألة، فمن هذا التاريخ بدأت ظاهرة الاختصار تلوح في الأفق، وظهر الملل والكلل في القـرائح بسبب كثرة الفقه التقديري[252].

إلا أن الاختصار في هذه المرحلة له طابع خاص، يختلف شكلا ومضمونا عمـا آل إليـه الوضع في العصور المتأخرة، ثم أخذ الاهتمام ذه الظاهرة يتطور مع مرور الزمن نتيجة تقـاعس الهمم عن تحصيل المبسوطات والتعامل مع المطولات[253]؛ ذلك أن كبار ا تهدين في الدور الرابع من تاريخ التشريع الإسلامي دونوا أحكام الشريعة مفصلة وفي الدور الخامس أخذ الفقه صـبغة الترتيب والتهذيب والترجيح، فانصرف الاجتهاد بعد ذلك من تلمس العلل والمصادر الشرعية في فقه الأحكام إلى الحفظ، والاكتفاء بما في الكتب المذهبية دون مناقشة، حتى أصبح الفقيه يـدرس كتاب فقيه معين من رجال مذهبه.

فلا يدرس القرآن والسنة وأصول الشرع ومقاصده، واقتصر علـى النقـل عمـن تقـدم

(249) مباحث في المذهب المالكي بالمغرب للدكتور عمر الجيدي، ص: 87.

(250) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، الفقيه المالكي المصري، ولد سنة 155هـ ـ، سمع من مالك والقعنبي وغيرهما. من تآليفه المختصر الكبير والصغير والأوسط. توفي 214هـ ـ. (انظـر ترجمته في ترتيب المدارك: 363/3، والديباج: 163/2، وشجرة النور: 59/1).

(251) هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري المصري، ولد سنة 140هـ، روى عن مالك وسفيان بن عيينة وغيرهما، وعنه الإمام سحنون والحارث بن مسكين وغيرهما. من مؤلفاته: المدونة، والاختلاف في القسامة. توفي 204هـ. (اترجمته في ترتيب المـدارك: 262/3، و ـذيب الكمـال: 292/3، والديباج: 307/1).

(252) الفكر السامي: 113/3.

(253) مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص: 87.

فانصرفت همم الفقهاء إلى شرح كتب المتقدمين ثم اختصارها[254]، علما أن المؤلفات التي ألفت في عهد مبكر، خاصة في القرن الثالث والرابع الهجريين كانت كبيرة الحجم، سهلة العبارة، واضحة الأفكار مثل المدونة، والموازية لابن المواز، والواضحة لابن حبيب، والمبسوطة للقاضي إسماعيل، والنوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني وغيرها من المؤلفات التي اعتبرت من أمهات الفقه المالكي.

ولما عسر على المتأخرين حفظ هذه المطولات الفقهية لبرودة وقعت في الهمم، قام أهل القرن الرابع الهجري باختصار هذه الكتب المطولة، فجاء عبد الله بن عبد الحكم وفضل بن سلمة الجهني الأندلسي، الذي اختصر المدونة والواضحة والموازية وغيرها، ثم محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي صاحب المختصر المشهور للمدونة الكبرى، واختصرها أيضا ابن أبي زمنين والبراذعي في كتابه المشهور بالتهذيب، وبالكتاب وبالمدونة، اختصر فيه مختصر ابن أبي زيد القيرواني. ثم جاء أبو عمرو عثمان بن الحاجب في أواسط القرن السابع واختصر تهذيب البراذعي في كتابه المعروف بالمختصر الفقهي أو جامع الأمهات. وبعده الشيخ خليل فيما بعد، وهناك بلغ الاختصار غايته، لأن مختصر خليل أصبح يعرف بمختصر مختصر المختصر، بتكرار الإضافة ثلاث مرات وإن أخل بالفصاحة كما قال الحجوي[255].

ويستخلص مما سبق أن ظاهرة الاختصار تعود لأسباب عدة:

منها ما يتعلق بالمطولات الفقهية التي كانت في الدراسة والفتوى، فتتطلب قراءتها زمنا طويلا، لذلك لجأ هؤلاء العلماء إلى اختصارها وتقليل ألفاظها تيسيرا للحفظ، وكذا جمع ما هو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع[256].

ومنها ما يعود إلى الأوضاع السياسية؛ حيث إن الدولة العباسية التي كانت تشجع العلماء وتقربهم لها، انقسمت إلى دويلات صغيرة، ووقع هذا الانحلال لم يعد هناك تشجيع ولا تقريب، فكانت النتيجة فتور الهمم والوقوف عند ما ورثوه عن أسلافهم، يضاف إلى ذلك وجود بعض

(254) المدخل الفقهي العام: 177/1، والمدخل في التعريف بالفقه، ص: 140.
(255) الفكر السامي: 457/4، مباحث في الفقه المالكي، ص: 88.
(256) مباحث في الفقه المالكي، ص: 88.

من لم يتأهل للاجتهاد يدعيه ويفتي الناس برأيه فعمدوا إلى سد الطريق أمامهم فنادوا بقفل بـاب الاجتهاد وقد جر هذا العمل على الفقه ويلات وويلات، فبسببه وقف الفقه عن التقدم(257).

وهكذا وصل الفقه الإسلامي مع ‍ اية القرن السابع الهجري إلى حالة ركود وانحطاط مثير، وإن كان برز بعض فحول الفقهاء الأصوليين؛ ففي هذه المرحلة غلب على الفقهاء التقليد المطلق لمذاهب الأئمة الأربعة بعدما كان علماء المرحلة الأولى يجتهدون في علـل الأحكـام واسـتنباط القواعد والترجيح بين آراء الأئمة، وهذا التقليد أضر بالفقه ضررا بالغا؛ فقد أضاع جهد رجالـه الذين وقفوا حيا ‍ م على تفهم أقوال أئمتهم(258) الذين نحا أغلبهم منحى الاختصار وجمع الفروع الكثيرة في عبارات تشبه الألغاز.

إذا كان هذا حال الفقه فإن أوضاع العلوم الأخرى، ومن بينها علم الحـديث لا تختلـف كثيرا عما سبق، فما هي إذن بعض المختصرات في علوم الحديث؟ وما هو موقف علماء الحديث من اختصار الحديث؟ وأخيرا ما هو أثر هذا الاختصار على علوم الحديث؟

تلك أسئلة سيجيب عنها المبحث الموالي.

المبحث الثالث
المختصرات في علوم الحديث

تعتبر علوم الحديث من أهم العلوم الإسلامية التي اهتم ‍ ا العلماء والمحدثون وغيرهما؛ بحيث من لم يعرف ذلك لا يمكن له أن يخوض في علم الحديث، لأ ‍ ا الوسائل التي يسـتعملها المحـدث قصد الوصول إلى مبتغاها وعلى سبيل المثال معرفة تاريخ الرجال والكنى والألقاب، ثم ‍ »أخـذ رواة الحديث يهتمون بالجمع والتأليف في أول القرن الثالث، ولم يزل التأليف في الحديث متواليـا إلى أن ظهر الإمام البخاري، وبرع في علم الحديث وحصل له فيه الم ‍ لة العليا فـأراد أن يخـرج

(257) المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، ص: 136-137.
(258) نفسه، ص: 141.

الصحيح ويجعله في كتاب على حدة فألف كتابه المشهور بصحيح البخاري، وأورد فيه ما تبين له صحته. واقتفى أثره في ذلك مسلم بن الحجاج وكان من الآخذين عنه والمستفيدين منه، فـألف كتابه المشهور بصحيح مسلم فلقب هذان الكتابان بالصحيحين، وكانت كتب الحديث قبل هذا؛ بحيث لا تبين للناظر فيها درجة الحديث من الصحة إلا بعد البحث عن أحوال رواته وغير ذلـك مما هو معروف عند أهل الحديث[259].

وتوالت المؤلفات بعد ذلك بغزارة إلى أن عرف هذا العلم بدوره مختصرات، أهمها:

1-مختصر ابن عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن عبيد الله، الكلابي، مولاهم أبو محمـد قرطبي، يعرف بابن أبي أخي ربيع الصباغ: هو الحافظ الثقة العلامة أبو محمد عبد الله بن محمد بن حنين.. سمع ابن وضاح وكان بصيرا بالرجال والعلل. "اختصر" مسند بقي بن مخلـد وتفسـيره. مات في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة (ت.318هـ)[260].

2-مختصر ابن السن: الحافظ الإمام الثقة أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينوري[261] مولى جعفر بن أبي طالب، صاحب "عمل اليوم والليلـة"، وراوي سـنن النسائي. كان دينا صدوقا. اختصر السنن وسماه "ا تبى". مات سنة أربع وستين وثلاثمائـة عـن بضع وثمانين سنة (ت.364هـ) [262].

3-مختصر الحافظ أبو ذر الهروي: .. وله اختصار البخاري مشهور سمـاه التصـحيح في اختصار الصحيح، قاله في المدارك. توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة (ت.433هـ) [263].

4-مختصر الاستذكار في علماء الأمصار مما رسمه الإمام مالك في الموطإ من الرأي والآثار، ليوسف بن عمر بن عبد البر (ت.463هـ). واختصر ابن عبد البر أيضا في كتاب الكـافي في الفقه. واختصره هو أيضا في كتاب التقصي في الحديث النبوي. وشرح كتاب التمهيد أبو عبد الله الأنصاري في القرن الخامس الهجري بعنوان التقريب لكتاب التمهيد مكتبـة القـرويين بفـاس

(259) كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، مقدمة المصحح للأستاذ الدكتور معظم حسين.
(260) ترتيب المدارك: 5/211-212.
(261) تذكرة الحفاظ للذهبي: 3/939.
(262) نفسه: 2/940.
(263)طبقات المالكية ص: 255، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.

519هـ، واختصره محمد بن أحمد بن فرح القرطبي المتوفى 671هـ/1272م[264].

5-مختصر الموطإ، لمحمد بن تومرت المتوفى سنة 824هـ--، حذف فيه أسانيد الموطـإ. طبع في الجزائر سنة 1907[265].

6-مختصر عمر بن أحمد بن عمار بن موسى الأنصاري طرياني أبو علي الزبار، تلا على أبي عمرو عياش بن الصقيل وابن برال. راوي الحديث عن أبيه عبد الله بن حسن بن مجـبر، وابـن خلفون. واختصر صحيح مسلم اختصارا حسنا، وأضاف إليه زيادات البخـاري في صـحيحه، وكان اختصاره إياه بإشارة شيخه ابن محمد بن حوط وإمداده إياه فيه بفضل معرفته فجاء مـن أنبل المختصرات وأنفسها. توفي أبو علي هذا سنة سبع وثلاثين وستمائة (ت.637هـ) [266].

7-حاشية مختصر البخاري، لأبي جمرة. مطبوع، توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية تحـت رقم 374[267].

8-اختصار أحاديث الأحكام لمحمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي. خطـه مغـربي م 19.5×14ق 55 س 19 رقمه 2366[268].

»...كما يجب التنبيه إلى أن مقدمة ابن الصلاح كانت منارة للمختصرين في جل علـوم الحديث، فقد اهتم علماء الحديث باختصارها وشرحها ووضع نكت عليها، لذا نجد كـلا مـن الزين العراقي والبدر الزركشي والحافظ ابن حجر عملوا عليها نكتا، فنكـت العراقـي تسـمى بالتقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، ونكت ابن حجر تسـمى بالإفصـاح بتكميل النكت على ابن الصلاح، واختصره جماعة منهم قاضي القضاة بالديار المصرية بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي المتوفى سنة 733هـ، وسمـاه بالمنهل الروي في الحديث النبوي[269]، إلى غير ذلك من الاختصارات في هذا الصـدد، ولعـل

(264) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: 276/3.

(265) نفسه: 279/3.

(266) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، القسم الثاني، ص: 440-441.

(267) حاشية ابن أبي جمرة، رقمه بالخزانة الحسنية: 374.

(268) فهرس المخطوطات الوطنية، تونس: 74/3.

(269) كتاب معرفة علوم الحديث: مقدمة المصحح، طبعة دار الكتب العلمية.

الحديث يجرنا إلى أن نعطي نبذة قصيرة عن اختصار الحديث وموقف الفقهاء من ذلك، كما نعلم أن العلماء انشغلوا قديما وحديثا بموضوع اختصار الحديث، فهناك من منع اختصارها، وهناك من أجاز ذلك. ولعل ا ال لا يتسع لسرد ما كتب في الموضوع وسأختصر ذلك اختصـارا شـديدا مبينا موقف الفقهاء، من ذلك:

إن اختصار الحديث أو الاقتصار على بعض منه أو حذف بعض من الأساليب التي مارسها العلماء المهتمون بعلوم الحديث، واختصار الحديث إما أن يكون عند الرواية للحـديث، بحيـث يعمد المصنف إلى حديث فيجزئه على مباحث مختلفة من صنفه، وقد أشار إلى هذا الشيخ محـي الدين عبد الحميد؛ حيث يرى أن الاختصار في علوم الحديث موضوعات (الموضوع الأول عـن الرواية، والموضوع الثاني في الكتب المصنفة، بأن يعمد المؤلف إلى تقطيع الحديث ويضع كل قطعة منه في الباب الذي يستشهد ا على مسائل[270]. إذاً فالمراد بتقطيع الحديث الاقتصار على بعضه أو حذف بعض منه أو اختصاره والحديث ببعضه فقط.

موقف العلماء من اختصار الحديث

لقد ذكر هذه المسألة غير واحد من أهل العلم الذين صنفوا في اصطلاح المحـدثين وبينـوا حكم اختصار الحديث وتقطيعه وروايته على النقصان وهذا ما سأذكره هنا بإذن الله مستعرضـا أقوال العلماء في المسألـة، وقد اختلفـوا فيها وتضاربت أقوالهم وآراؤهم على أقوال هي[271]:

1- المنع مطلقا

ذهبت طائفة من العلماء إلى أن اختصار الحديث وتقطيعه لا يجوز مطلقا وهذا بناء علـى قولهم بالمنع من الرواية بالمعنى، لأن اختصار الحديث في نظرهم وحذف بعض أطرافه يـؤدي إلى إبطال معنى الحديث وإحالته وفي هذا الحكم يقول الخطيب البغدادي رحمه الله: »وقد قال كـثير ممن منع نقل الحديث بالمعنى. على أن رواية الحديث على النقصان والحذف لبعض منه غير جـائز لأ ا تقطيع الخبر وتغييره فيؤدي ذلك إلى إبطال معناه وإحالته، وكان بعضهم لا يجيز أن يحـذف

(270) ألفية السيوطي، شرح وتحقيق محيي الدين عبد الحميد، ص: 224.

(271) مجلة دار الحديث الحسنية، العدد: 12، 1415هـ/1995م، ص: 261.

منه حرف واحد»[272].

وقد أشار الإمام السخاوي –رحمه الله- في هذا المعنى إذ يقول: »(...) لأن رواية الحديث على النقصان والحذف لبعض منه يقطع الخبر ويغيره عن وجهه، وربما حصل الخلل والمختصر لا يشعر»[273].

وقد ساق الخطيب -رحمه الله- قولا عن بعض الأئمة الذين يرون أو يذهبون هذا المذهب؛ أي منع التقطيع والاختصار فروى بسنده عن عبد الملك بن عمير قال: »والله إني لأحدث بالحديث فما أدع منه حرفا[274]، وهذا يدل على تحفظ عبد الملك بن عمير من اختصار الحديث. وروى أيضا بسنده عن الخليل بن أحمد قال: لا يحل اختصار الحديث، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: »رحم الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها»[275]، فمتى اختصر لم يفهم المبلغ معنى الحديث»[276].

ومختصر القول أن هذا الرأي القائل بالمنع من تقطيع الحديث أو اختصاره يتحرى الدقة في نقل الحديث، وإنهم يرون أن الواجب هو تأدية الحديث على الوجه الذي سمعه به دون تدخل في ألفاظ متنه بالنقص أو الزيادة أو التقطيع أو الاختصار.

2- الجواز مطلقا

لقد أيد كثير من العلماء هذا المذهب ورأوا أن الأحاديث الطويلة جدا تدعو الضرورة إلى اختصارها وتقطيعها، ولقد أشار إلى هذا المعنى الخطيب البغدادي -رحمه الله- إذ يقول: »وكثير من الناس يجوز ذلك؛ أي التقطيع للراوي على كل حال، ولم يفصلوا»[277].

(272) الكفاية للخطيب، ص: 224.

(273) المصدر نفسه: 221/2. فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي لشمس الدين السخاوي: 221/2، تحقيق: محمد عثمان، الطبعة السلفية، المدينة المنورة.

(274) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، طبعة دار الكتاب العربي، ص: 224.

(275) الحديث أخرجه أبو داود: 3660، والترمذي: 2556-2657-2658، وابن ماجه: 242، وابن حبان: 72 زوائد ابن حبان.

(276) الكفاية، ص: 225.

(277) المصدر نفسه، ص: 224.

وأكد ذلك ابن الصلاح -رحمه الله- في مقدمته إذ يقول: »ومنهم من جوز ذلك وأطلق ولم يفصل«[278]. وقد قيد هذا الإطلاق المذكور بعض العلماء وعلى رأسهم الترميسي إذ يقول: »وقيل: يجوز مطلقا، لكن إذا لم يكن المحذوف متعلقا بالمأتي به تعلقا يخل حذفه بالمعنى كالاستثناء والغاية والشرط فقد حكي الاتفاق على المنع حينئذ«[279].

وقد ذكر الإمام السيوطي -رحمه الله- أن اختصار الحديث في كتب الأطراف جائز ولو لم يكمل المعنى، لأن هذه الكتب تعنى بذكر أطراف الحديث ليسهل على القارئ معرفة مظانها الأصلية، ويقول في هذا الصدد: »يجوز في كتابة الأطراف الاكتفاء ببعض الحديث مطلقا...

3- الجواز بشروط مقيدة

المذهب الثالث يرى ضرورة رواية الحديث كاملة إذا لم يروها غيره، يقول العراقي في هذا الصدد: »والثالث -أي المذهب الثالث- إنه إذا لم يكن رواه على التمام مرة أخرى هو وغيره لم يجز، وإن رواه على التمام مرة أخرى هو أو غيره جاز«[280]. وقد أشار الطيبي إلى المنع مطلقا في هذا الصدد إذ يقول: »(...) ومنهم من منعه -أي اختصار الحديث- مع تجويز الرواية بالمعنى إذا لم يكن قد رواه هو أو غيره على التمام«[281].

ولا أريد أن أسهب القول في ذلك بقدر ما أريد الإشارة فقط إلى أن اختصار الحديث عرف جدلا كثيرا عند الفقهاء المحدثين، وقد أسهب القول في اختصار الحديث وتقطيعه الأستاذ عبد الله جدات في مجلة دار الحديث الحسنية[282].

ومختصر القول في المسألة ما ذكره البغدادي -رحمه الله- في كتابه الكفاية، وعليه فلا يجوز الاختصار في حديث يتضمن حكما متعلقا بغيره، وأمرا يلزم في حكم الدين لا يتبين المقصد منه

(278) مقدمة ابن الصلاح، ومعها: التقييد والإيضاح للعراقي، طبعة دار الحديث للطباعة والنشر، ص: 190.

(279) منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر للسيوطي لمحمد محفوظ، ص: 161، الطبعة الثالثة.

(280) منهج ذوي النظر، ص: 162.

(281) الخلاصة في أصول الحديث للحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: صبحي السامرائي، ص: 119.

(282) مجلة دار الحديث الحسنية، العدد: 12، ص: 249.

إلا باستماع الخبر على تمامه وكماله... لأنه يدخله فساد وإحالة لمعناه، وسد لطريق العلم بالمراد منه، فلا فرق في تحريم ذلك عليه، بين أن يكون قد رواه غيره مبينا، أو هو مرة قبلها، أو لم يكن ذلك، لأنه قد يسمعه ثانيا منه، إذا رواه ناقصا غير الذي سمعه تماما فلا يجوز رواية ما حل هـذا المحل من الأخبار، إلا على التمام والاستقصاء، اللهم إلا أن يروي الخبر بتمامه غيره، ويغلب على ظن رواية على النقصان إن من رواه له قد سمعه من الغير تماما وأنه يحفظه بعينه، ويتذكر بروايته له بعض باقي الخبر، فيجوز له ذلك فإن شاركه في إسماع غيره لم يجز[283].

ويقول النووي في هذا الصدد: »فأما اختصار الحديث والاقتصار على بعضه؛ ففيه مذاهب كثيرة والصحيح جوازه إذا كان غير مرتبط بالباقي؛ بحيث لا تختلف الدلالة بفصله، كالحـديثين المستقلين، ومنعه إن لم يكن كذلك«[284].

وإذا كان هذا حال علوم الحديث فإن علوم القرآن لا تختلف كثيرا عما سبق؛ بحيث اهـتم الفقهاء ا وألفوا كتبا كثيرة، غير أن مختصرات في هذا العلم قليلة، وهـذا مـا يـدفعنا إلى أن نتساءل: ما هي المختصرات في علوم القرآن؟ ثم إلى أي حد عرف هذا العلم هذه الظاهرة؟ وأخيرا ما هو أثر هذه المختصرات في علوم القرآن؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

(283) الكفاية للخطيب البغدادي، ص: 226.

(284) ما تمس إليه حاجة القارئ للإمام النووي، ص: 101، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

المبحث الرابع
المختصرات في علوم القرآن

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكان القوم الذين نزل عليهم القرآن عربـا خلصـا يفهمونه بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلو على سائر الكلام بألفاظـه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلا عن معانيه، ولذا فقد كان القوم يتفاوتون في فهمه وإن كان كل منهم يدرك ما يوقفه على إعجازه فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معانيه.

وهكذا أقبل الصحابة -رضي الله عنهم- على القرآن يتلونه حق تلاوته ويدرسـونه حـق الدراسة، ثم يعملون به حتى صاروا -خير أمة أخرجت للناس- بعد أن كانوا قبل نزولـه في أدنى درجات الجاهلية فأعزهم الله بالقرآن[285]...

واتسعت مع الفتوحات الإسلامية رقعةُ مدارس التفسير وشـارك الصـحابة -رضـي الله عنهم- في فتح إفريقية[286].

كما قام التابعون بهذه المهمة؛ فقد دخل القيروان عدد من التابعين بقصد تعلـيم أهلـها، وكان لبعضهم صلة خاصة بالقرآن الكريم حفظا وقراءة وتفسيرا ودراسة[287]. ويبدو أن أثر هذه الحركة القرآنية كان كبيرا في رسم الاتجاه العلمي للأفارقة، فكان أغلب اتجاههم اتجاها فقهيا، بل ويظهر ما هو أشد من ذلك حين نعلم قلة وندرة المصحف في تلك الفترة[288].

ويظهر الاتجاه الفقهي في اختيارات القراءات؛ فحين كان المذهب الحنفي هـو الشـائع في القيروان إلى أوائل القرن الثالث، كانت القراءة الشائعة هي قراءة حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع

(285) التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سـلمان، ص: 7.

(286) التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سـلمان، ص: 8، طبعة السعودية، طبع على نفقة خادم الحرمين.

(287) نفسه، ص: 9.

(288) نفسه، ص: 10.

إلا خواص[289]، وهي القراءة المشهورة بالكوفة. وعندما ساد المـذهب المـالكي في القـيروان انتشرت قراءة نافع التي قال عنها الإمام مالك قراءة أهل المدينة سنة، قيل له قراءة نافع؟ قـال: نعم[290].

ويزداد التعصب لقراءة نافع بازدياد التعصب لمذهب مالك؛ فالإمام سحنون الذي حمل لواء المذهب المالكي بإفريقية وابنه محمد يحسن قراءة نافع ويلزم المؤدب أن يعلمها للأطفـال. وكـان المذهـب المالكي حصنا منيعا وقى أهل إفريقية شر الضلالات، وعز أكسبهم قومية نافحـوا دو ا وقاوموا الدخلاء من ذوي السلطان، وسدا عظيما عن تيارات الفرق الضالة...

ويبدو لي أن اتجاه العلماء اتجاها فقهيا كان على حساب العلوم الأخرى، وإذا كان الأمـر كذلك فلا عجب أن تقل المؤلفات في العلوم القرآنية[291]، وخاصة مؤلفات مختصـرة في علـوم القرآن بالرغم من أن الاهتمام بالقرآن والقراءات متزايد منذ نزوله، إلا أن البحث والتـأليف في مجموعة من المواضيع المتعلقة باكتشاف أغوار القرآن غائبة إلى حد ما ولم يواكب ذلك ما حدث في الحديث والفقه اللذين ظهرت فيهما مؤلفات كبيرة حتى اية القرن الثالث ودخـول القـرن الرابع؛ حيث بدأت تظهر المؤلفات المستقلة في الدراسات الوفية العربية العامة والدراسات الصوفية الخاصة بأصوات القرآن الكريم...

وقد ذكر ابن النديم في مؤلفه المشهور "الفهرست"، قائمة أسماء المؤلفين الـذين ألفـوا في القراءات منذ البداية إلى عصره، وهو القرن الرابع الهجري[292].

وإذا كان الأمر كذلك في قلة ونذور المؤلفات القرآنية فإن المختصرات في علوم القرآن أقل ظهورا عن ذكره. رغم ذلك حاولنا استقراء بعض المختصرات التي توصل إليهـا البحـث وإن كانت قليلة فهي ترينا أن هذا الميدان أيضا لم ينج بدوره من هذه الظاهرة، لذا فأهم مختصـرات علوم القرآن، ما يأتي:

(289) تاريخ العلماء والرواة للعلم الأندلسي: 112/2.

(290) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 331/2-332.

(291) التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري للدكتور فهد بن عبد الرحمن، ص: 13.

(292) الدرس الصوتي في كتب القراءات: النشر في القراءات العشر لابن الجزري نموذجا، بحث لنيل دبلـوم المدرسة العليا للأساتذة، الرباط، إعداد: الأستاذ إد بو حماد إبراهيم، ص: 17.

1-مختصر أبي طاهر محمد بن أحمد... له كتاب في الفقه، أجاب فيه عن مسائل المختصر المزني على قول مالك واختصر تفسير الجياني.. ولد سنة 279هـ وتوفي سنة 367هـ[293]...

2-مختصر محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الزعيني، من أهل إشبيلية، يكنى أبا عبد الله. رحل إلى المشرق سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. وسمع من أبي ذر الهروي صحيح البخاري وأجاز له، وسمع من أبي العباس بن نفيس بمصر، من أبي القاسم الكحال، و أبي الحسن الفطري وغيرهم... ولأبي عبد هذا كتاب الكافي بين القراءات من تأليفه، وكتاب التذكرة، واختصار كتاب الحجة لأبي علي العشوي وغير ذلك. وكان من جملة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته. توفي يوم الجمعة عند صلاة العصر، ليوم الرابع من شوال من سنة ست وأربعين وأربعمائة (ت.446هـ) [294]...

3-مختصر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن سكن، من أهل مربيط، عمل ببلنسية، رحل إلى المشرق وأخذ القراءات عن أبي الفضل جعفر بن أبي البركات الإسكنداراني بكتاب التقرير لأبي الفخام وسمع أبا القاسم بن الوجيه وأبا محمد عبد العزيز بن سحنون الغماري وغيرهما. ونزل الفيوم من صعيد مصر، وقرأ هناك واختصر كتاب التسيير لأبي عمرو المقرئ وسماه بالتذكير... وتوفي في نحو الأربعين وستمائة (ت.640هـ) [295].

4-مختصر أحمد بن محمد القيسي من أهل قرطبة، يعرف بابن أبي حجة، يكنى أبا جعفر... وله تأليف منها: منهاج العباد وكتاب تفهيم القلوب وآيات علام الغيوم... ومختصر التبصرة لمكي في القراءات... توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة (ت.643هـ)[296].

5-مختصر أبو محمد مكي بن أبي طالب، واختصار الحجة للفارسي واختصار أحكام

(293) شجرة النور لابن مخلوف، ص: 91.

(294) الصلة: 809/3.

(295) التكملة لكتابي الصلة: 161/1.

(296) كتاب التكملة: 162/1.

القرآن[297] لمكي بن أبي طالب[298] (355هـ-437هـ)، يقع في أربعة أجزاء... إلا أنهم لم يذكروا الأصل الذي اختصره مكي، والمشهور عند المالكية خاصة هو أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت.282هـ)[299].

6-مختصر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي أبو بكر: من الأئمة في اللغة العربية، ألف في النحو كتابا سماه "الواضحة"، واختصر كتاب "العين" اختصارا حسنا، وجمع فيه الأبنية[300].

تلك نبذة عن المختصرات في علم القرآن وقد أحدثت هذه المختصرات أثرا كبيرا في مسار التوجهات التأليفية في علم القرآن رغم قلتها، كما أن البحث لم ينصرف إلى استقصاء كل ما ألف في مختصرات القرآن بقدر ما يهدف إلى إبراز هذه الظاهرة التي تعرفها أيضا علوم القرآن.

وهناك علم آخر يعرف هذه المختصرات، إنه علم الأصول. فما هي مختصراته؟ وإلى أي حد أسهمت هذه المؤلفات في إثراء مكتبة الأصول؟ وما هي أثر هذه المختصرات في علم الأصول؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

(297) المدارك: 13/8.

(298) مكي بن أبي طالب: العلامة المقرئ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي، القيرواني، ثم القرطبي، صاحب التصانيف. ولد بالقيروان سنة 355هـ، توفي سنة 437هـ. (انظر ترجمته في جذوة المقتبس ص: 655، رقم ترجمته: 1367، وترتيب المدارك: 737/4، وبغية الملتمس ص: 469، ووفيات الأعيان: 274/5).

(299) التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص: 20.

(300) جذوة المقتبس: 85/1.

المبحث الخامس
المختصرات في علم الأصول

يعتبر علم أصول الفقه من أهم العلوم الشرعية التي لا غنى عنها للمجتهد والفقيه وحتى عموم المثقفين، ويعتبر الإمام الشافعي -رحمه الله- أول من وضع نواة علم الأصول بواسطة رسالته التي تعتبر النواة لهذا العلم، ومن ثم اهتم علماء الأصول بدراسة مدققة لاستخراج القواعد الأصولية منها ووضع أسس علمية متينة انطلاقا من هذا الكتاب، فأخذ العلماء يهذبون ما يحتاج للتهذيب، وينقحون ويوضحون كل ما هو في حاجة لذلك، ويشيدون بناء صرح هذا العلم العظيم، ولشرف هذا العلم وعلو منزلته التفت في خدمته كل عقول المسلمين الذين لهم اهتمام بميدان التشريع، مع اختلاف مذاهبهم العقدية والفقهية، ومازال الأمر يسري ذلك المسرى إلى يومنا هذا.

ويعتبر القاضي أبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار المعتزلي هما اللذان جمعا شتات علم أصول الفقه، وفكا رموزه، ومهدا سبله وشرحا غوامضه، ثم جاء الناس من بعدهما فتبعوهما(301)، وساروا على منهجهما. وأسس أبو زيد الدبوسي علم الجدل وضمنه كتابه "تقويم الأدلة" وزاد بعض الأصوليين مسائل سبقوا إليها غيرهم؛ فقد زاد "التاج السبكي" قسما ثامنا على الأقسام السبعة التي قسمت لها أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وهو قسم ما دار من أفعاله عليه الصلاة والسلام بين أن يكون شرعيا وبين أن يكون جبليا(302).

وزاد أبو إسحاق الشاطبي على الأحكام الخمسة مرتبة العفو، وقال إن العفو ليس واحدا من تلك الأقسام الخمسة المعروفة(303). وقد اتبع في ذلك -على ما يظهر- الإمام داود بن علي الظاهري؛ حيث صرح بنفس هذا الذي قاله الشاطبي على ما هو منقول عنه، وعالج ابن حزم

(301) كتاب منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، للأستاذ ميلود السريري، ص: 36.
(302) الابتهاج: 266/2.
(303) الموافقات: 107/1.

التناقض في النصوص بأسلوب لم يسبق إليه[304].

وبدأ ابن فورك مصطلح المفهوم المخالف لمصطلح دليل الخطـاب[305]. وفسـر الآمـدي السبب بالباعث[306]، وهو تفسير انفرد به[307]. وفسر الإمام الرازي المطلق[308] بأنه اللفظ الدال على الحقيقة من حيث إ ا هي من غير أن تكون فيها دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة سلبا كان ذلك القيد أو إيجابا... [309]. وهكذا عمل العلماء في بناء هذا العلم بالبحـث والزيـادات المختلفة، ويسهل معرفة ما زيد في كل مسألة، إذ يعتمد المصنفون الأصوليون إبراز ذلك عند كل مسألة وما فيها من بحث[310].

وأمام هذه النهضة العلمية الأصولية جعلت المهتمين بذلك البحث على طرائق مختلفة تسهل للباحث استعمال وسائل أصولية لاستنباط الأحكام الشرعية في النصـوص القرآنيـة والحديثيـة فعكف العلماء على اعتماد إحدى الطرائق المعروفة عند الأصوليين، وهناك طريقتـان: طريقـة المتكلمين أو الشافعية، وطريقة الحنفية. وتقوم طريقة المتكلمين على أساس تحقيق القواعد بما يوافق البراهين العقلية والنقلية، وعدم النظر في الفروع المذهبية، بينما تقوم طريقة الحنفية علـى أسـاس تحقيق القواعد وفقا لما نقل عن الأئمة من فروع المسائل واعتبار الفروع هي الأساس الذي يعتمد عليه في كتابيه "التنقيح" وشرحه "التوضيح في حل غوامض التنقيح"، وابن السبكي في كتابه "جمع الجوامع" على الجمع بين الطريقتين، عن طريق العناية بالقواعد وإقامة البرهان عليها وربط ذلـك بالفروع الفقهية... [311].

ولقد أفرزت الطريقتان مجموعة من المؤلفات العلمية الأصولية كانت منار اختصار كـبير

(304) الإحكام في أصول الأحكام: 161/2-163.
(305) المنخول من تعليقات الأصول للغزالي، ص: 208-209، تعليق محمد حسن هيتو.
(306) الإحكام في أصول الأحكام، للإمام سيف الدين الآمدي: 182/1،
(307) حاشية البناني: 95/1.
(308) الابتهاج: 91/2.
(309) المحصول للإمام الرازي: 355/1.
(310) منهج الأصوليين في بحث الدلالة اللفظية الوضعية، للأستاذ ميلود السريري، ص: 38.
(311) مجلة دار الحديث الحسنية، العدد: 12، ص: 448، سنة 1414هـ/1995م.

لدى المؤلفين. وأهم هذه المختصرات التي ظهرت على سبيل الاختصار ما يأتي:

1-مختصر التقريب، لأبي بكر الباقلاني، توفي سنة 403هـ[(312)].

2-اختصار عيون الأدلة، الجزء الأخير للمؤلف القاضي عبد الوهاب أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي، توفي 422هـ لم يذكر فيه اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ 612هـ. نوع الخط مغربي، عدد الأوراق 126، عدد الأسطر 18. رقمه في الفتح 8270، رقم الحاسوب 2618. مصدرة المغرب فاس خزانة القرويين 291/8[(313)].

3-مختصر أبو سعيد عمران بن عبد ربه المعافري... اختصر كتاب الدلائل الكبير للأصيلي، وتوفي بقرطبة سنة إحدى وعشين وأربعمائة (ت.421هـ)[(314)].

4-مختصر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، الشهير بالحفيد... واختصر المستصفى في الأصول، توفي سنة 595هـ[(315)].

5-مختصر علي بن عبد الرحمن أبو الحسن المعروف بابن أبي جقوت بين الجيم والقاف. قاضي الجماعة بمراكش وداره تلمسان، روى عن أبي علي، وابن أبي سعيد وأبي عبد الله الخولاني، وله مختصر في أصول الفقه. سماه بالمقتضب الأشفى من أصول المستصفى، توفي سنة 577هـ[(316)].

6-مختصر فواعد الأصول ومعاقد الفصول، مختصر تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل لصفي الدين عبد المومن بن كمال الدين عبد الحق البغدادي الحنبلي، تصحيح ومراجعة أحمد محمد شاكر[(317)].

7-مختصر روض الناظر للموقف لسليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي[(318)].

---

(312) المدارك: 70/7.

(313) فهرس لكتب الفقه الحنفي والمالكي، ص: 441.

(314) المدارك: 295/7، الصلة: 654/2.

(315) تاريخ التشريع للخضري، ص: 259.

(316) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لابن الأبار، ص: 295.

(317) خزانة المملكة العربية السعودية، الدار البيضاء، رقم 22736.

(318) خزانة المملكة العربية السعودية، الدار البيضاء، رقم 9610، طبعة مؤسسة النور للطباعة

8- **شرح المختصر** في **أصول الفقه**، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي(319).

9- **سرد مختصر المنار** في **أصول الفقه** لطه أحمد بن محمد بن قاسم الكوراني، تحقيق وتعليق شعبان محمد إسماعيل(320).

10- **مختصر علم أصول الفقه الإسلامي** لمحمد حمادة(321).

11- **شرح مختصر الروضة**، تأليف نجم الدين لأبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعد الطوفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي(322).

وهكذا يتجلى لنا عدد كبير من مختصرات مؤلفات علم الأصول الذي عرف هذا العلم بدوره مختصرات ليست بالقليلة مما يدل على أن هذه الظاهرة توغلت في الأصول على غرار بقية العلوم وإن كان توغلها متأخرا، إلا أنه أحدث أثرا كبيرا في توجهات المؤلفات الأصولية؛ حيث عرفت بعض المؤلفات ذات القيمة العلمية مختصرات متعددة.

إذا علمنا هذا، فماذا عن مختصرات المذاهب الفقهية؟ وما هو موقف الفقهاء منها؟ وما هي دواعي هذه الظاهرة؟

تلك أسئلة سنتناولها في الباب الثاني.

(319) نفسه، رقم 11551، طبعة دار الفكر.
(320) نفسه رقم 89448، طبعة دار السلام.
(321) نفسه رقم 178665.
(322) نفسه رقم 63620، طبعة مؤسسة الرسالة.

الباب الثاني
المختصرات في الفقه الإسلامي بصفة عامة
والفقه المالكي بصفة خاصة

توطئة

مما لا شك فيه أن المختصرات بصفة عامة عرفت تطورا كبيرا منذ القرن الثالث إلى القـرن السابع الهجري، حيث ظلت الشروح والحواشي هي السمات الغالبة على أهم مؤلفات الفقـه في هذا الدور، خاصة وأ م أغرقوا في الاختصار، حيث صار لفظ المتن مغلقا لا يفهم إلا بواسـطة الشروح والحواشي، ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار.

وسأعالج الكلام عن هذا الباب في نطاق ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المختصرات في الفقه الإسلامي بصفة وفي الفقه المالكي بصفة خاصة.

الفصل الثاني: موقف الفقهاء من المختصرات.

الفصل الثالث: دواعي المختصرات في الفقه المالكي.

وتتضمن هذه الفصول عدة مباحث، وفي ضمنها فروع.

الفصل الأول
المختصرات في الفقه الإسلامي بصفة عامة

تمهيد

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. وكان السلف[323] يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم، ولابد من وقوعه ضرورة لأن الأدلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها، وخصوصا الأحكام الشرعية خلاف بينهم معروف وأيضا، فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في أكثر أحكامها فتحتاج إلى الترجيح وهو مختلف بالأدلة من غير النصوص مختلف فيها، فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما ومن هذه كلها مثارات للخلاف ضرورية الوقوع.

ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم، ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا ولا كان الذين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن، العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالته بما تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممن سمعه منه من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء؛ أي الذين يقرأون الكتاب لأن العرب كانوا أميين، فاختص منهم من كان قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ.

وبقي الأمر كذلك صدر الملة، ثم عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط، وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء

(323) مقدمة ابن خلدون، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي: 1045/3.

والعلماء ومن القراء، وانقسم الفقه بينهم إلى طريقتين[324]:

طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق. وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز. وكان الحديث قليلا[325] في أهل العراق لما قدمنا، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، فلذلك قيل لهم أهل الرأي، ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه الإمام أبو حنيفة وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع، وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص، لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها.

وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما، فكانت هذه المذاهب الثلاثة في مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة، وشذ أهل البيت من شيعة ابتدعوه وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة بعض الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج، ولم يحفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح، فلا يعرف شيء من مذاهبهم ولا نروى كتبهم، ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم، وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتآليف وآراء له في الفقه غريبة.

ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمته وإنكار الجمهور على منتحليه، ولم يبق إلا في الكتب المجلدة، وربما يعكف كثير من البطالين[326] ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم، فلا يحلو بطائل، ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه، وربما عد بهذه النحلة في أهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين.

وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل

(324) مقدمة ابن خلدون: 1046/3.

(325) نفسه: 1046/3.

(326) نفسه: 1047/3.

الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم، وخالف إمامهم داود وتعرض لكثير من أئمة المسلمين، فنقم الناس عليه ذلك وأوسعوا مذهبه استهجانا وإنكارا(327)، وتلقوا كتبه بالإغفال والترك حتى إنها ليحظر بيعها بالأسواق، وربما تمزق في بعض الأحيان، ولم يبق إلا مذاهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز، فأما أهل العراق فإمامهم الذي استقر عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت؛ فمقامه في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهل جلدته، وخصوصا مالكا والشافعي(328).

وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى، واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره، وهو عمل أهل المدينة لأنه رأى أنهم فيما يتفقون عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم، وهكذا إلى الجيل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الآخذين ذلك عنه، وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية، وظن كثير أن ذلك من مسائل الإجماع، فأنكره لأن دليل الإجماع لا يختص أهل المدينة من سواهم، بل هو شامل للأمة.

واعلم أن الإجماع إنما هو الاتفاق على الأمر الديني عن اجتهاد، ومالك رحمه الله لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى وإنما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل إلى أن ينتهي إلى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدائهم تعين ذلك.

نعم المسألة ذكرت في باب الإجماع لأنه أليق الأبواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الإجماع، إلا أن اتفاق أهل الإجماع عن نظر واجتهاد في الأدلة، واتفاق هؤلاء في فعل أو ترك مستندين إلى المشاهدة من قبلهم، ولو ذكرت المسألة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره أو مع الأدلة المختلف فيها مثل شرع من قبلنا ومذهب الصحابي والاستصحاب لكان أليق بها، والله الموفق للصواب(329).

---

(327) مقدمة ابن خلدون: 1047/3.

(328) نفسه: 3048/3.

(329) مقدمة ابن خلدون: 1049/3.

ثم كان من بعد مالك بن أنس محمد بن إدريس المطلبي الشافعي رضي الله عنه، رحـل إلى العراق بعد مالك ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة، وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق، واختص بمذهبه، وخالف مالكا -رحمه الله- في كثير من مذاهبه.

وجاء من بعدهما أحمد بن حنبل وكان من علية المحدثين، وقرأ أصحابه على أصـحاب أبي حنيفة[330] مع وفور بضاعتهم من الحديث، فاختصوا بمذهب آخر وفق التقليد في الأمصار عنـد هؤلاء الأربعة، ودرس المقلدون لمن سواهم، وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثـرت شـعب الاصطلاحات في العلوم. ولّما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولّما خشي من إسناد ذلـك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرحوا بالعجز والإعواز، وردوا الناس إلى تقليد[331] هؤلاء كل ومن اختص به من المقلدين، وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سـندها بالرقابة، لا محصول اليوم للفقه غير هذا، ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجـور تقليد.

وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة؛ فأما ابن حنبل فمقلده قليل وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظا للسـنة وروايـة الحـديث ومـيلا بالاستنباط إليه مع القياس ما أمكن، وكان لهم ببغداد صولة وكثرة حتى كانوا يتواقعـون مـع الشيعة في نواحيها، وعظمت الفتنة ببغداد من أجل ذلك، ثم انقطع ذلك عنه استيلاء التتر عليها، ولم يراجع وصارت كثر ا بالشام[332].

وأما أبو حنيفة فمقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين، وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان مذهبه اختص بالعراق ودار السلام، وكان تلاميذه صحابة الخلفاء من بني العبـاس فكثرت تآليفهم ومناظرا م مع الشافعية، وحسنت مباحثهم في الخلافيات، وجاءوا منـها بعلـم

(330) نفسه: 1050/3.
(331) نفسه: 1050/3.
(332) نفسه: 1051/3.

مستظرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس، وبالمغرب منها شيء قليل نقله إليه القاضي ابـن العربي وأبو الوليد(333) الباجي في رحلتهما(334).

وأما الإمام الشافعي -رضي الله عنه- فمقلدوه بمصر وأكثر ممن سواها، وقد كان انتشـر مذهبه بالعراق(335) وخراسان وما وراء النهر، وقاسموا الحنفية في الفتوى والتـدريس في جميـع الأمصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم، وشحنت كتب الخلافيات بـأنواع اسـتدلالا م، ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره، وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة منهم وكان من تلاميذه ا البويطي والمزني وغيرهم، وكان ـ ا من المالكية جماعة ابن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهـم، ثم الحـارث بـن مسكين وبنوه، ثم القاضي أبو إسحاق بن شعبان(336) وأصحابه.

ثم انقرض فقه أهل السنة والجماعة من مصر بظهور دولة الرافضة، وتداولها فقه أهل البيت، وكاد من سواهم يتلاشون ويذهبون، وارتحل إليها القاضي عبد الوهاب من بغداد آخـر المائـة الرابعة على ما علم من الحاجة(337) والتقلب في المعاش، فتأذن خلفاء العبيديين بإكرامه وإظهـار فضله نعيا على بني العباس في اطراح مثل هذا الإمام والاعتباط به، فنفق سوق المالكية بمصر قليلا إلى أن انقرضت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب، فذهب منـها فقه أهل البيت وعاد فقه الجماعة إلى ظهوره بينهم، وتوفر من ذلك فقه الشافعي وأصحابه مـن

(333) أبو الوليد الباجي: الإمام العلامة ذو الفنون، القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن يعـرب بن وارث التجيبي، الأندلسي القرطبي، الباجي صاحب التصانيف. ولد أبو الوليد في سـنة 403هـ ـ، ومات سنة 474هـ. (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 535/18، ووفيـات الأعيـان: 408/2، وتذكرة الحفاظ: 1178/3، وبغية الملتمس ص: 302-303، ومعجم الأدباء: 246/11).

(334) مقدمة ابن خلدون: 1052/3.

(335) نفسه: 1051/3-1052.

(336) أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري، المعروف بابن القرطبي، الفقيه الحافظ النظار المتفنن، إليه انتهت رياسة المالكية بمصر. له مؤلفات كثيرة، منها كتاب المختصر ما ليس في المختصر وغيره. تـوفي سنة 355هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور: 80/1).

(337) مقدمة ابن خلدون: 1053/3.

أهل العراق فعاد إلى أحسن ما كان، ونفق سوقه وجلب كتاب الرافعي منها إلى الشام ومصر، واشتهر فيهم محيي الدين النووي من العلية الأولى في ظل الدولة الأيوبية بالشام وعز الدين(338) بن عبد السلام، ثم تقي الدين(339) السبكي من بعدهما إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني(340)، فهو أكبر الشافعية بمصر بل أكبر العلماء من أهل العصر.

وأما مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، كما أن رحلتهم غالبا كانت إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل الأندلس والمغرب وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته...(341).

إلى أن قال ابن خلدون رحمه الله: »وبث مذهب مالك بالأندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته كتابا ورحل من إفريقية أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا، ثم انتقل إلى مذهب مالك وكتب عن ابن القاسم في سائر أبواب الفقه فجاء إلى القيروان

(338) هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد. ولد سنة 577هـ في دمشق. له عدة مؤلفات أهمها: التفسير الكبير، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، وغيرهما. توفي سنة 660هـ. (انظر ترجمته في فوات الوفيات: 2/350-352، وشذرات الذهب: 5/301، وكتاب الوفيات لابن قنفذ ص: 327-328).

(339) هو أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد، قاض، محدث، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. ولد سنة 628هـ في ينبع ساحل البحر الأحمر وأبواه متجهان لأداء فريضة الحج، اتصل بالعز بن عبد السلام فأخذ عنه الأصول والفقه الشافعي، ثم رحل إلى دمشق. له مجموعة من الكتب، منها الإلماع في حديث الأحكام، والاقتراح في معرفة الاصطلاح، وغيرهما. توفي سنة 702هـ. (انظر ترجمته في شذرات الذهب: 6/5، والوفيات لابن قنفذ ص: 328).

(340) سراج الدين البلقيني أبو حفص عمر بن رسلان الشافعي، له شرح البخاري والترمذي، توفي سنة 805هـ. (انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ص: 543، وشذرات الذهب: 7/51، والضوء اللامع للسخاوي: 6/58).

(341) مقدمة ابن خلدون: 3/1055.

بكتابه المسمى الأسدية...«[342].

تلك نبذة عن حركة الفقه الإسلامي بصفة عامة، ولعل الحديث يجرنا إلى أن نتساءل: مـا هو تأثير ظاهرة المختصرات في المذاهب الفقهية؟ ثم إلى أي حد برزت هذه الظـاهرة باعتبارهـا حركة خرقت جميع المذاهب الفقهية بدون استثناء؟

تلك أسئلة سيجيب عنها المبحث اللاحق.

(342) مقدمة ابن خلدون: 1056/3.

المبحث الأول
ظاهرة المختصرات في المذاهب الفقهية

تمهيد

إن الحديث عن ظاهرة المختصرات في الفقه الإسلامي بصفة عامة، تستلزم إعطاء نبذة موجزة عن الفقه الإسلامي؛ ذلك أن المبادرة والتجديد واستقلال الرأي وقصورها أمر ضروري لدراسة كتب المذهب وفهمها واستيعا ا ثم تلخيصها أو تنظيمها حتى يسهل حفظها... لعل إسكان الفقهاء إلى التقليد والخلود للأرض ونبذ الاجتهاد المطلق وطرحه بالمرة باعتبار أن المذاهب الفقهية استوعبت الفقه ومسائله التي وقعت والتي لم تقع بعد أمر طبيعي.

ذلك أن واقع المذاهب الفقهية قد اكتملت أسسها ونضجت خلال هذه الفترة (يعني من القرن الثالث وما يليه)؛ حيث عرفت أصول الاستنباط المعتمدة فيها والقواعد والضوابط التي تراعى فيها، وأصبح للمذهب مدلوله الاصطلاحي الذي ينصرف إليه اليوم. وقبل هذه الفترة؛ أي قبل القرن الرابع الهجري لم تكن هناك مذاهب فقهية بالمعنى الكامل للكلمة، وإنما كان هناك أئمة مجتهدون استوعبوا فقه المدارس الفقهية التي ينتمون إليها مثل الإمام مالك آل إليه فقه مدرسة المدينة وتلاميذ فقهاء يرون فقه إمامهم، لكنهم يجتهدون وفق أصول الإمام، وقد يخالفونه في كثير من المسائل الفقهية ويضيفون إليها مسائل أخرى لم تقع في زمانه أو لم يؤثر عنه قول فيها.

واستمر الحال على هذا إلى أن حل منتصف القرن الرابع الهجري؛ حيث تبلور الفقه المذهبي ووجد له أنصار ودعاة وأتباع، ورأى العلماء أن المصلحة تقتضي الاقتصار على هذا النوع من الفقه ودعوا بالمقابل إلى إغلاق باب الاجتهاد المطلق بعد أن ظهر في من يتجرأ على الفتوى وهو ليس أهلا لها، وغلب على حسب الدين هوى النفوس، وكثرت الفتن والأهواء، فكانت كل هذه

الأسباب وأسباب أخرى ذريعة سد باب الاجتهاد في نظرهم(343).

وقد تعرض الدكتور يوسف موسى في كتابه المدخل لدراسة الفقه الإسلامي إلى بعض الأسباب نحصرها فيما يأتي:

1-تقطع أوصال الدولة وتمزقها إلى دويلات مستقلة: الأمويون بالأندلس، والفاطميون بشمال إفريقية، وبنو بويه بالعراق، ثم خلفهم عليها السلاجقة.

2-استنامة واستكانة رجال الفقه في هذا الدور إلى المذاهب الأربعة بعد أن دونت وأصبح لها أتباع أقوياء، ثم قصر جهودهم على تأييدها والدعوة لها، لأن الأمة تلقتها بالقبول فكانوا بهذا العمل أن ذابت شخصياتهم المستقلة في شخصيات من يتبعونها من الأئمة فصاروا بذلك مقلدين لا أئمة متبوعين.

3-اعتقادهم باستحالة ظهور رجال في ذلك العصر يجارون الأئمة في علمهم واجتهادهم.

4-لم يكن هناك قانون أو تشريع ينظم أمر الفتوى ويقصرها على من هم أهل لها حتى كان يصدر في المسألة الواحدة أقوال وفتاوى متعددة متعارضة. فقد كانت هناك حركة فقهية خلال هذه الفترة في بعض أطراف الدولة الإسلامية مثل مصر والشام والأندلس والمغرب، وكان أن ظهر بهذه البلاد فقهاء أفذاذ يعترف لهم بجليل قدرهم وعلو كعبهم في الفقه، بل طبعوا الفقه في هذه الفترة بألوانهم. إلا أن واحدا منهم لم يصل درجة الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب المتبعة(344).

وخلاصة القول إن هذه الفترة من تاريخ الفقه الإسلامي، وهي فترة التقليد وسد باب الاجتهاد استمرت إلى سقوط الخلافة العباسية (656هـ) وهي فترة انتكاسة سياسية انعكست سلبا على الفقه وأفقدته حيويته واستغلاله، وحجرت عليه اجتهاده وفتحت المجال أمام الفقه المذهبي الذي ازدهر بالمقابل، لإقبال الناس(345) عليه واقتصار الفقهاء على دراسته وحصر

(343) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي لمحمد علي بن الصديق، دكتوراه الدولة: 33/1.

(344) المدخل لدراسة الفقه الإسلامي ليوسف موسى، ص: 62.

(345) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي لمحمد علي بن الصديق: 34/1-35.

جهودهم في البحث عن علل ما استنبطه الأئمة ا تهدون من أحكام أو ترجيح بين أقوال الأئمة واختلافا م وهذا يعني ازدهار ما يسمى بالخلاف العالي. إلا أن سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية والقضاء على الدولة العباسية ائيا وقتل آخر خلفائها على يد التتار تفتت جسم الأمة الإسلامية ووقع تجزيئها إلى دويلات ضعيفة، مما انعكس سلبا على مجرى الفقه الإسلامي والنشاط العلمي والأدبي بصفة عامة، وضعفت همم العلماء وهمدت فيهم جذوة التجديد والابتكار، وحلت محلها الرغبة في الاختصار، وتمكنت منهم روح التقليد فاستكانوا له وهموا بالاجتهاد، فعكفوا على أصول المذاهب المعتمدة يدرسو ا ويختصرو ا بغية نصرة المذهب من جهة، وتقريبه للناس وتذليل عقابه وتسهيله على طلبة العلم من جهة ثانية.

وقد تأتي هذه المختصرات لوجازة ألفاظها وشمولها لعدة معان مخلة بالفهم والإدراك يصعب فهمها وفك رموزها فتحتاج إلى شروح، وقد تعقبها حواش وتعليقات، وكل هذا يجعل الطالب يفني عمره في قراء ا واستيعا ا وفك رموزها. وبعد أن ينتهي من الوقوف عليها والاطلاع على مضامينها يكون[346] قد تقدمت به السنون وأضاع فيها زهرة شبابه فيستثقل البحث والتأليف ويرضى من هذا كله أن يكون فقيها بين الناس، عارفا بمسائل المذهب من غير دليل، وهذا هو العقم بعينه وتعطيل للقوى الفكرية والاجتهادية للفقيه والعالم، وفي أحسن الأحوال يقوم بدوره باختصار كتاب أو شرحه أو التحشية عليه وهذا وإن كانت له بعض الإيجابيات من حيث الفقه المذهبي إلا أن سلبياته تطغى على إيجابياته، وعلى رأس هذه السلبيات الانصراف كليا عن أدلة الفقه ومرجع نصوص الكتاب والسنة، والاكتفاء بأقوال الفقهاء وتطبيق قواعد الأصول عليها وكأ ا وحي يوحى وتجاهل ما قد يعارضها من كتاب وسنة.

ثم من الملاحظ أن الاجتهاد من خلال المراحل التاريخية للفقه الإسلامي كان مطلقا قبل منتصف القرن الرابع، ثم صار مقيدا بعد القرن الرابع إلى حدود القرن العاشر، ثم نزل م لة عن ذلك فتحول من اجتهاد مقيد داخل المذهب إلى اجتهاد المفتي الذي ينظر في أقوال المذهب التي

(346) نفسه: 35/1.

تختص المسألة ويختار بينها[347].

وقد تحدث الذهبي في معرض حديثه عن الصحابة مرورا بالتابعين والفقهاء واصفا مرحلة التقليد عن هذه النقطة فقال: »من بعد هذا النمط تناقض الاجتهاد ووضعت المختصرات وأخلد الفقهاءُ إلى التقليد، من غير نظر في الأعلم بل بحسب الإتقان والتشهي والتعظيم والعادة والبلد...«[348]. وكان هذا حال جل المذاهب الفقهية المعروفة؛ حيث ظهرت مؤلفات كثيرة أثرت جل المذاهب الفقهية وخاصة منذ القرن الرابع الهجري وما يليه.

وتتصف هذه المؤلفات بضخامة مواضعها ومادتها حيث تشمل أحيانا أصول المذهب وفروعه بأسلوب أنيق دون غموض ولا أي شيء من هذا القبيل، غير أن سرعة التفقه لدى المتأخرين واحتياجهم لحكم مسألة ما دون الإطالة أو دون البحث عن وصول المسألة ومستندها جعلتهم يلتجئون إلى اختصار هذه المؤلفات ففتح الباب على مصرعيه للاختصار، لذلك أتى الاختصار متنوعا؛ فهناك كتب مختصرة لها الطليعة والسبق في الاقتناء والاعتناء كمختصر ابن الحاجب ومختصر ابن أبي زيد القيرواني وتهذيب المدونة للبراذعي وخاتمة المختصرين مختصر خليل، هذا بالنسبة للمذهب المالكي.

أما إذا عرجنا إلى المذهب الحنفي فنجد مجموعة من المختصرات لها الأولوية والسبق في المذهب، وعلى رأس هذه المختصرات مختصر القدوري كما سيأتي الحديث عنه في حينه. كما نجد في المذهب الشافعي مختصر المازني وغيره من المختصرات التي لقيت عناية فائقة لا على حساب المذهب الشافعي بل على حساب المذاهب الأخرى. والشيء نفسه نجده في المختصرات الحنبلية؛ فقد اهتم فقهاء الحنابلة بالمختصرات وإن كانت لم تصل بالحجم الذي وصلت إليه في المذاهب الأخرى. كما أن المذاهب الأخرى، وخاصة البائدة منها لها بدورها مختصراتها وإن كانت قليلة بالمقارنة مع المذاهب الأربعة المذكورة.

---

(347) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي لمحمد علي بن الصديق: 36/1، الفكر السامي: 214/3 و251، جمع الجوامع ص: 144.

(348) سير أعلام النبلاء للذهبي: 91/8.

ولسنا بصدد الحديث عن ذلك بقدر ما يهمنا أن نعرف أن هذه الظاهرة لم تقتصر على المذهب المالكي، بل شملت جل المذاهب الفقهية وجل العلوم الإنسانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك. فما هي إذن أهم المختصرات التي عرفها المذهب الحنفي؟ وإلى أي حد أسهمت هذه المختصرات في إثراء الخزانة الحنفية؟ وما هو الأثر الذي أحدثته هذه المختصرات في المذهب الحنفي؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الأول: المختصرات في المذهب الحنفي

يعتبر المذهب الحنفي من أهم المذاهب الفقهية الذي أسسه أبو حنيفة بن ثابت بن زوطي (80-150هـ) المولود بالكوفة. تلقى الفقه عن حماد بن أبي سليمان وعطاء[349] بن أبي رباح ونافع مولى ابن عمر. وتتمثل أهم آرائه في طريقته للاستنباط؛ حيث يقول عن نفسه: »إني أخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه، أخذت بسنة رسول الله، والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحاب من شئت وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، والشعبي[350] والحسن وابن سيرين وسعيد[351] بن المسيب وآخرون...[352].

ويعتبر المذهب الحنفي أكبر المذاهب الفقهية تأصيلا وقواعد وتأليفا، ولا أريد استعراض وجرد كل ما ألف واختصر في المذهب، لكني أذكر فقط بعض المختصرات التي عرفها المذهب

(349) فهرس المخطوطات المصورة: 159/1.

(350) الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمذاني ثم الشعبي، مولده في إمرة عمر بن الخطاب، حدث عن سعد بن وقاص وسعيد بن زيد وغيرهما. توفي سنة 104هـ. (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: 318/4، وطبقات ابن سعد: 246/6، وتاريخ بغداد: 227/12).

(351) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أبو محمد المدني، سيد التابعين. قال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. وقال يحيى بن سعيد: كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته. مات سنة 94هـ. (انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ: 54/1، وشذرات الذهب: 102/1، وطبقات الشيرازي ص: 51، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: 25).

(352) ظهر الإسلام لأحمد أمين: 54/2-55، بتصرف.

على غرار بقية المذاهب التي عرفت هذه الظاهرة ليتأكد أ ا نفذت إلى أوصال جل المذاهب. لذا فأهم المختصرات في المذهب الحنفي هي على الشكل الآتي:

1-مختصر لأبي الحسن الكرخي[353]، رئيس الحنفية بالعراق، توفي سنة 340هـ، صنف المختصر وشرح الجامع الصغير[354].

2-مختصر القدوري، ويسمى أبا الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القدوري. ولد سنة 362هـ/972، وتوفي 428هـ/1037. ألف المختصر المذكور وشرح مختصر الكرخي[355] وقد شرحه مجموعة وهم:

1-جواهر زاده محمد بن الحسين أبي بكر البخاري، المتوفى سنة 483هـ، له شرح مشكلات القدوري[356].

2-شرح مختصر القدوري لأبي نصر محمد بن الأقطع البغدادي، المتوفى سنة 474هـ[357].

3-ركن الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد الكرماني، توفي 543هـ، له إيضاح مختصر القدوري[358].

4-مختار بن محمود الزاهدي، له شرح على مختصر القدوري، خطه مشرقي م: 28×20 ق 241 س رقمه 1888[359].

(353) أبو الحسن عبيد الله بن الحسن بن دلال بن دلهم الكرخي، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وتفقه على يده من أعلام الفقه والأصول في المذهب الحنفي. أول من ألف في القواعد الفقهية الكتاب المشهور "أصول الكرخي" (مطبوع). توفي سنة 340هـ. (انظر ترجمته في فهرست ابن النديم ص: 307، والفكر السامي ص: 121).

(354) فهرس المخطوطات المصورة: 159/1.

(355) نفسه: 160/1.

(356) فهرس المخطوطات، جامعة الملك عبد العزيز، ص: 176.

(357) تاريخ التراث العربي: 109/3.

(358) نفسه: 110/3.

(359) فهرس المخطوطات، دار الكتب الوطنية، تونس: 168/2.

5-شرح مختصر القدوري لأحمد بن علي بن فضل الله (ت.882هـ، خطه مشـرقي م: 17×5. 11 ق 62 س 13 رقمه 1952[360].

3-تعليق على مختصر المنار للعلامة أبي قطلوبنا على مختصر المنار لمحمد بير الثـاني، خطـه مغربي م 18×13. ق 2000 رقمه 1947[361].

4-اختصار مشكل الآثار للطحاوي واختصار المبسوطة للقاضي أبي الوليد القرطبي، وقـد اختصره مجموعة، منهم ابن رشد المذكور والعبيد بن محمـد بـن عبـد العزيـز السـمرقندي (ت.70هـ)[362].

5-مختصر الإمام الطحاوي عني بتحقيق أصوله والتعليق عليه أبو الوفاء الأفغاني حيدر آباد الدكن، لجنة إحياء المعارف[363].

6-شروح كتاب المختصر في الفقه الإسلامي شرح لأبي بكر أحمد بن علـي الجصـاص الرازي (ت. 370هـ/981م) [364].

7-المعتصر من المختصر

كتاب مختصر مشكل الآثار، أشار إليه بروكلمان في الملحق[365].

من مشكل الآثار الذي ألفه القاضي أبو المحسن يوسف بن موسى الحنفـي مـن مختصـر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي عاملهما الله بلطفه الجلي والخفي. والباجي الذي اختصر كتاب مشكل الآثار للطحاوي وهو كتاب مشهور مستغن بشهرته، وعد رتبه عن بيان حاله[366]؛ يقول القاضي أبو المحاسن الحنفي يوسف بن موسى في مقدمة هذا الكتاب: »وقصدت جمـع فوائـده

(360) نفسه: 191/2.
(361) نفسه: 190/2.
(362) ابن القاسم وأثره في المذهب المالكي: 170/1.
(363) المكتبة السعودية، الدار البيضاء، رقم 9056، لجنة إحياء المعارف، إعداد مصطفى الألباني الحلبي.
(364) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: 89/3.
(365) تاريخ الأدب العربي: 744/1.
(366) المختصر من المختصر: 2/1، رقم بالخزانة الحسنية 169.

والتقاط فرائده من مختصر، وبقيت مترددا في جمعه بين الإقدام والإحجام لصعوبة مدركه على مثله لقلة بطاعته وكثرة مخالطته إلى أن ظفرت بمختصر الإمام الفقيه الحافظ ابن الوليد الباجي اختصر كتاب مشكل الآثار اختصارا بديعا ضم كل نوع فيه إلى نوعه، وألحق كل مشكل منه بشكله ورتبه ترتيبا حسنا حذف أسانيدها وطريقها واختصر كثيرا من ألفاظه من غير أن يخل بشيء من معانيه وفقهه يسهل على الطالب تحفظه ويتيسر عليه فهمه وتفحصه، فشكرت الله على ذلك وتحققت أن الله تعالى من عليه[367].

من خلال ما سبق، يتضح أن المختصرات في المذهب الحنفي قليلة لكون البحث لم يدخل إلى أغوار الكتب الفقهية الحنفية لأن الهدف من وراء ذلك هو إبراز هذه الظاهرة التي ظلت تمخر بطون أمهات الحنفية، بل استوعبت أقلام الفحول والمؤلفين وغيرهما فكانت بذلك ظاهرة لا تقتصر على مذهب دون الآخر، بل وجدت من يهتم ا فكان المذهب الحنفي يشبه إلى حد كبير في اهتمام فقهائه بمختصر القدوري فقهاء المالكية في اهتمامهم بمختصر خليل؛ حيث عرف مختصر القدوري مختصرات وتعليقات وشروحات كلها أسهمت إلى حد كبير في إثراء الخزانة الحنفية، مما جعله يتبوأ مكانة عالية بين المذاهب الفقهية سواء في الاستنباط أو في التفريع أو في التأصيل، وهو الدور الكبير الذي قام به تلامذة الإمام أبي حنيفة رحمه الله؛ حيث أسهموا إلى حد كبير في إرساء القواعد الفقهية الحنفية وهو ما تشهد به كتبهم الفقهية بل جل المذاهب إن لم أقل كلها أخذت أصحا ا من ينابيعهم سواء في التفريع أو في الفقه التقديري المشهور عند الحنفية.

وعلى أي فإن المختصرات الفقهية عرفت طريقها إلى المذهب الحنفي منذ عهد مبكر، شأنه في ذلك شأن جل المذاهب الفقهية المشهورة على الساحة الإسلامية. كما هو الشأن بالنسبة لمختصرات الفقه الشافعي التي سيتحدث عنها الفرع اللاحق.

(367) المختصر من المختصر: 2/1، رقم بالخزانة الحسنية 169: 3/1.

الفرع الثاني: المختصرات في المذهب الشافعي

يعتبر المذهب الشافعي من أهم المذاهب الفقهية التي عرفت على الساحة الفقهية بفضل إمامها الكبير الإمام الشافعي -رحمه الله- الذي رحل إلى المدينة للسماع من الإمام مالك رضي الله عنه، كما سمع عن محدث مكة سفيان بن عيينة، وقد اتهم الإمام الشافعي بالتشيع في عهد هارون الرشيد، وألقي عليه القبض وحمل إلى بغداد. ولما أفرج عنه تمكن من الاختلاط بكبار الأحناف والاطلاع على كتبهم واستقى منها.

أما أهم آرائه فهي مدونة في رسالته الأصولية التي تعتبر أساس أول مدرسة فقهية تقوم على أصول وطرق متميزة[368]، وفي هذا الصدد يقول الفخر الرازي فيما نقله عنه الدكتور علي حسن عبد القادر: »كان الناس قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعرضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب وأدلة الشرع«[369].

وقد ألف الشافعي بنفسه كتب مذهبه وهي رسالة في أدلة الأحكام، وكتاب الأم الذي يذكر فيه المسألة ودليلها، وكثيرا ما يذكر وجهة نظر مخالفيه ويقيم عليها الحجة[370].

من خلال ما سبق يتضح أن الإمام الشافعي هو الذي وضع أسس مذهبه، كما ألف مؤلفات قيمة رسمت الطريق أمام التلاميذ والراغبين في المذهب الشافعي، وهو ما دفع تلاميذه في إعادة بناء هيكل المذهب بتصنيف مؤلفات تحمل آراء المذهب بتصورات جديدة تحمل في طيتها أسس المذهب وقواعده وهو ما يتجلى في المختصرات الآتية:

1-المختصر للبويطي، ألف البويطي هذا المختصر على نسق كتاب المبسوط للشافعي وقد وصفه العبادي، وهو أحد الشافعية، بأنه كتاب عظيم القيمة[371]

2-مختصر المزني، يعد هذا الكتاب في رأي النووي "التهذيب" أحد الكتب الخمسة الأصلية

(368) مقدمة محقق التفريع لابن الجلاب: 1/78-79.
(369) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر، ص: 268.
(370) مقدمة محقق التفريع: 1/79.
(371) تاريخ التراث العربي: 2/176، قسم الفقه (فقه الشافعية)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

للمذهب الشافعي، وتوجد منه صيغتان إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة. وشروح هذا المختصر هي:

-كتاب الظاهر في غريب ألفاظ الشافعي الموجودة في مختصر المزني يرويه عن الشافعي لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري (ت.370هـ/980م) (372).

-شرح الظاهر بن عبد الله بن ظاهر الطبري (ت.450هـ).

-شرح لمحمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان الكناني الحاوي، وهو شرح لمؤلف مجهول(373).

3-شرح مختصر المزني(374) في الفروع لأبي نصر أحمد بن علي بن طاهر الجويني الشافعي، توفي سنة 340هـ(375).

4-أبو علي الحسين بن شعيب السنجي (ت.403هـ)، عالم خراسان، أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان (شرح المختصر)(376).

5-مجموع ثلاث رسائل: الأولى مختصر في بيان الإيمان والإسلام والسنة على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وعليها شرح وجيز لأحد أفاضل العلماء ويليه تعليقات مهمة، والثانية للأحاديث القدسية، والثالثة في أصول الدين لجامعها أبي سعيد الخادمي(377).

مما سبق يتضح أن هذه الظاهرة عرفها المذهب الشافعي في عهد متأخر؛ بحيث لم تظهر إلا بعد وفاة الإمام الشافعي رحمه الله، وهو ما يتجلى بالفعل عند تلامذته الذين حاولوا تقريب وجهة نظر إمامهم وتلخيص أفكاره في مؤلفات مختصرة تتضمن برنامج أفكار المذهب وتجنب الغوص في

(372) تاريخ التراث العربي: 178/2.

(373) نفسه: 180/2.

(374) المزني: هو إسماعيل بن عمرو بن إسحاق، الإمام الجليل، أبو إبراهيم المزني، ترجم له السبكي بقوله: ناصر المذهب الشافعي. صنف كتبا كثيرا. توفي سنة 264هـ. (انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى: 93/2).

(375) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: 455/2.

(376) مقدمة محقق التفريع: 80/1.

(377) المكتبة السعودية رقم 127590، طبعة مصطفى الألباني الحلبي.

أعماق آراء أقوال الفقهاء وا تهدين واختلافا م حول المسائل الفقهية المعقدة فجاءت تـآليفهم مختصرة مهذبة ومنقحة نالت إقبال المتأخرين، ولعل الإقبال على مختصر المازني خير دليل على مـا أقول؛ فقد تعرض للشروحات والتهذيبات والتعليقات شأنه شأن مختصر القدوري بالنسبة للحنفية وخليل بالنسبة للمالكية.

وفي ضوء ذلك نجد الفقهاء اهتموا بظاهرة المختصرات اهتماما كبيرا وهو ما أثر على الفقه سلبا؛ تعد الاتجاه إلى الاختصار والتعليق والحواشي وغيرها من المسائل التي تعرضت للنقد اللاذع من قبل الفقهاء أنفسهم.

ولسنا بصدد الحديث عن ذلك بقدر ما يهمنا أن نشير إلى أن المذهب الشافعي شـأنه في ظاهرة المختصرات شأن المذاهب المذكورة؛ فقد عرفتها كتب كثيرة من المذهب الشافعي، إلا أ ا ليست بالحجم الذي ظهرت ا في المذهبين المالكي والحنفي مما جعل هذا المذهب أقـل عرضـة وأحصن حصينا من سابقيها، ولذا اكتفينا بسرد بعض المختصرات الشافعية، لأن البحث لم يتجه أساسا إلى سرد كل المختصرات الشافعية بقدر ما يهدف إلى إبراز ظهور هـذه المختصـرات في المذهب الشافعي على غرار المذاهب الأخرى التي عرفت هذه الظاهرة وهو ما وقف عليه البحث.

وأعتقد أن المختصرات في المذهب الشافعي قامت بدور كبير في إثراء المذهب الشـافعي في الإفتاء والقضاء وفي التقعيد والتأصيل، مما جعل المذهب الشافعي يجعل مكانتـه بـين المـذاهب الأربعة؛ حيث احتل مكانة مرموقة على الساحة الإسلامية. وقد انتشر في عدد كبير في الأقطـار الإسلامية واتخذ مذهبا رسميا لكثير من الدول الإسلامية بغض النظر عن الجوانب السـلبية الـتي رافقت هذا المذهب. إلا أنه مع ذلك يبقى مذهبا راقيا ذا توجه سليم لم تنل منه المختصـرات ولا التعليقات ولا الشروحات؛ بل حافظ على أصوله وأسسه.

وإذا كان هذا هو حال المذهب الشافعي فما هو حال المذهب الحنبلي؟ وإلى أي حد أسهم هذا المذهب في إثراء الخزانة الإسلامية بمؤلفاته القيمة؟ وما هي ظاهرة المختصـرات في المـذهب الحنبلي؟ وكيف أثرت هذه الظاهرة على هذا المذهب؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع اللاحق.

الفرع الثالث: المختصرات في المذهب الحنبلي

يعتبر المذهب الحنبلي أهم المذاهب الفقهية التي حظيت باهتمام كبير لدى الفقهاء والعلماء وغيرهما، وقد أسسه الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني (164هـ-264هـ)؛ حيث تفقه بالشافعي وسمع كبار المحدثين من طبقة سفيان بن عيينة، واجتهد لنفسه وروى عنه البخاري ومسلم، وقد وقف وقفته المشهورة في محنة القول بخلق القرآن وسجن نحو عامين، فلما تولى المتوكل أطلق سراحه وأكرمه وبوأه مركزا كبيرا.

ومن أهم آرائه أنه يعمل بخبر الواحد من غير شرط، إذا صح سنده، ويقدم أقوال الصحابة على القياس الذي لا يلتجئ إليه إلا عند الضرورة القصوى، وقد أخذه الكثيرون عن ذلك[378]؛ يقول القاضي عياض في هذا الصدد: »وقال أحمد: الخبر الضعيف عندي خير من القياس، قال عياض: »وبديهة العقل تنكر هذا فلا خير في بناء على غير أساس«[379].

وقد عد الإمام أحمد رجل حديث أكثر منه فقيها، صنف مسنده المشهور الذي رواه عنه ابنه عبد الله، كما صنف في الأصول وكتاب طاعة الرسول وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب العلل«[380].كما اهتم تلامذته من بعده بالمذهب وصنفوا كثيرا من المصنفات أسهمت إلى حد كبير في إثراء المذهب، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر مختصر الخرقي في الفقه سيأتي الحديث عنه، كما عرف المذهب انتشارا غير قليل، وإن كان ابن خلدون يرى عكس هذا؛ إذ يقول: »فأما أحمد بن حنبل فقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضا ببعض[381] إلى جانب هذا فقد عرف المذهب مختصرات ليست بالقليلة، إلا أنها لم تصل الحجم الكبير الذي عرفته المذاهب الأخرى، غير أنه لم يختلف كثيرا عن هذه الظاهرة التي ظهرت في المذهب الحنبلي في عهد متأخر، كما أن بعض مختصرات الحنابلة عرفت إقبالا كبيرا شأنها في ذلك شأن المذاهب الفقهية الأخرى؛ حيث عرف مختصر الخرقي الحنبلي مختصرات عدة؛ حيث

(378) مقدمة محقق كتاب التفريع: 1/81-82.
(379) ترتيب المدارك: 1/92.
(380) مقدمة محقق التفريع: 1/82.
(381) مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي وافي: 3/1051.

عكف عليه فقهاء الحنابلة بالشرح والتهذيب والتعليق والاختصار، كما عكفـوا أيضـا علـى مختصرات أخرى فأحدث ذلك في المذهب توجها علميا أسهم في حركة المذهب فظهر عدد كبير من المختصرات نالت إعجاب المهتمين، في حين ظهرت طائفة أخـرى تسـتهجن المختصـرات وتصفها بالنعوتات وتحمل أصحا ا المسؤولية، فيما وصل إليه الفقه بسبب ذلك.

ولا أريد أن أورد صراعات وآراء الفقهاء في المسألة لأن البحث يدور فقط حول إبراز رأي كل فريق وإبراز تصور علمي موضوعي حول المختصرات، وأشير هنا إلى أن المذهب الحنبلي وإن كان متأخرا في التأليف فقد عرف بدوره مؤلفات مهمة سعت في معظمها إلى توجه الإمام أحمد بن حنبل، كما أ ا عرفت مختصرات تقل أهمية عما ظهر في المذاهب الأخرى، فكونـت بـذلك ثروة فقهية أغنت المذهب الحنبلي، بالرغم أن البحث لم يعمق في جذور الحنابلة، لأن الهدف من وراء ذلك هو أن نعرف أن المختصرات عرفها أيضا المذهب الحنبلي، لذلك فأهم المختصرات التي وقف عليها البحث في المذهب الحنبلي هي كما يأتي:

1-مختصر الخرقي: وهو لأبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقـي. درس على عبد الله وصالح ولدي أحمد بن حنبل وغيرهما. ومن تلاميذه أبو عبد الله بن بطة. رحـل إلى دمشق بعد أن ضاقت الحياة بالحنابلة في بغداد لأ م فقدوا بعض الصحابة[382]. وتوفي بدمشـق سنة 334-945هـ. وشرح هذا المختصر:

أ-أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء.

ب-المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة (ت.620هـ).

جـ-الواضح لأبي طالب عبد الرحمن بـن عمـر بـن أبي القاسـم البصـري المتـوفى 684هـ[383].

2-معارضته للمختصر في الفقه لغلام الخلال، وهو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد البغوي غلام الخلال. كان تلميذا لأبي بكر الخلال. ولد سنة 285هـ/895م. كان ذا معرفـة

(382) تاريخ التراث العربي: 214/3.

(383) نفسه: 213/3، قسم الفقه (فقه الحنابلة).

كبيرة بالفقه والتفسير والحديث. ألف عددا من الكتب الشاملة، توفي سـنة 363هـ ـ/974م ببغداد. آثاره مع معارضته للمختصر في الفقه لأبي القاسم الخرقي[384]شرح مختصر الخرقـي[385] للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي (ت.458هـ) دراسة وتحقيق[386] من كتاب النكاح إلى ناية كتاب الأضاحي، دكتوراه الدولة، ومقنع ابن قدامة الموفق المقدسي.

3-مختصر المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، لشرف الدين أبي النحاس موسـى بـن أحمد الحجار بن منصور بن يونس المدني[387].

4-عقد الفرائد مختصر نظم ابن عبد القوى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، اختصره وزاد عليه عبد العزيز بن أحمد بن ناصر بن معمر.. [388]

5-مختصر الفتاوي المصرية، لابن تيمية تأليف بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، أشرف على تصحيحه عبد ا يد سليم[389].

6-مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، قدم له وضبط تتمته وعلق عليه وخرج أحاديثه علي حسن علي بن عبد الحميد«[390].

تلك أهم المختصرات التي تروج في المذهب الحنبلي والتي لها أثر فعال في حركـة الفقـه الحنبلي؛ حيث أسهمت في تأصيل قواعد المذهب الحنبلي، كما عملت في تقوية أواصر المـذهب بالمذاهب الأخرى؛ حيث تم إعادة هيكلة الفقه الحنبلي بواسطة هذه المختصرات؛ حيث اهتم بـه الفقهاء بالشرح والتهذيب، تضاف إلى تلك التي أسسها الإمام الكبير، وهكذا نجد المذهب الحنبلي

(384) مختصر الخرقي أبو القاسم عمر بن الحسن، مختصر الخرقي من مسائل الإمام المبجل أحمد بن محمد بـن حنبل، تأليف أبي القاسم عمر بن الحسن الخرقي، تحقيق زهير الشاويش. (التعريف بمختصر الخرقي، بقلـم محمد بن نافع، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت).

(385) نفسه: 214/3.

(386) دليل رسائل جامعة أم القرى، ص: 40، رقم: 171.

(387) المكتبة الإسلامية، خزانة السعودية رقم 8994، طبعة المطبعة السلفية.

(388) المرجع نفسه رقم 9045، طبعة المطبعة السلفية.

(389) المرجع نفسه رقم 113520، طبعة دار الكتب العلمية.

(390) المرجع نفسه رقم 79847، طبعة عمان، الدار البيضاء.

يعرف حركة متنوعة احتل ا المذهب مكانة متميزة بين المذاهب الأخـرى، فصـمد في وجـه التيارات المختلفة وذلك بفضل حيوية تلامذة الإمام الذين سعوا بكل الوسائل في تفعيل المـذهب وتقريب وجهة نظره واختصار ما يمكن أن يختصر ليسهل على القارئ والناظر وغيرهما.

الفرع الرابع: تأثير هذه المختصرات على المذاهب الفقهية

ولما كانت السليقة العربية ضعيفة تحول الكلام إلى ما يشبه الألغاز، فكأن المؤلف لم يكتب ليفهم، بل ليجمع وليعطيك صورة من هذا الاختصار، أنقل لك فصلا من ثلاثة كتب في موضوع واحد، وهذه الكتب الثلاثة من أشهر ما يتداول طلاب الفقه في المذاهب الثلاثة المعروفة، وهـذا الموضوع هو المياه التي يجوز التطهير ا والتي لا يجوز قال خليل في مختصره: »باب يرفع الحـدث وحكم الخبث بالمطلق، وهو ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد، وإن جمع من نـدى أو ذاب بعـد جموده، أو كان سؤر يمة أو حائض أو جنب، أو فضلة طهار ما أو كثيرا خالـط بـنجس لم يغيره، أو شك في مغيره، هل يضر أو تغير بمجاوره وإن بدهن لاصق أو برائحة قطـران وعـاء مسافر، أو بمتولد منه أو بقراره كملح، أو بمطروح ولو قصدا من تراب أو ملح. والأرجح السلب بالملح. وفي الاتفاق على السلب به وإن صنع تردد لا بمتغير لونا أو طعما أو ريحا بما يفارقه غالبـا من طاهر أو نجس كدهن خالط أو بخار مصطكى، وحكمه كمتغيره، ويضر بين تغير بحبل سانية، كغدير بروث ماشية أو بئر بورق شجر أو تبن. والأظهر في بئر البادية ما الجـواز، وفي جعـل المخالط الموافق كالمخالف نظر، وفي التطهير بما جعل في الفم قولان، وكره ماء مستعمل في حدث وفي غيره تردد ويسير، كآنية وضوء وغسل بنجس لم يغير، أو ولغ فيه كلب، وراكد يغتسل فيه، وسؤر شارب خمر وما أدخل يده فيه، وما لا يتوقى نجسا من ماء، لا إن عسر الاحتراز منـه أو كان طعاما كمشمش، وإن ريئت على فيه وقت استعماله عمل عليها، وإذا مات بري ذو نفـس سائلة براكد، ولم يتغير ندب نزح بقدرها، لا إن وقع ميتا، وإن زال تغير النجس لا بكثرة مطلق فاستحسن الطهورية وعدمها أرجح، وقبل خبر الواحد إن بين وجهها أو اتفقا مذهبا، وإلا فقال: يستحسن تركه وورود الماء على النجاسة كعكسه«[391].

(391) مختصر خليل، ص: 9-10.

وقال زكريا الأنصاري في منهجه: »إنما يطهر من مائع ماء مطلق، وهو ما يسمى ماء بـلا قيد؛ فمتغير بمخالط طاهر مستغنى عنه تغييرا يمنع الاسم مطهر لا تراب وملح ماء وإن طرحا فيه، وكره شديد حر وبرد ومتشمس بشروطه، والمستعمل في فرض غير مطهر إن قل ولا تنجس قلتا ماء، وهما خمسمائة رطل بغدادي تقريبا بملاقاة نجس، فإن غيره فنجس، فإن زال تغييره بنفسه أو بماء طهر ودو ما ينجس كرطب غيره بملاقاته لا بملاقاة ميتة لا يسيل دمها ولم تطرح ونجـس لا يدركه طرف ونحو ذلك فإن بلغهما بماء ولا تغير فطهور والتغيير المؤثر تغيير طعم أو لون أو ريح ولو اشتبه طاهر أو طهور بغيره اجتهد أن يقيا، واستعمل ما ظنه طاهرا أو طهورا لا ماء وبول بل يتيم بعد تلف ولا ماء وماء ورد، بل يتوضأ بكل مرة، وإذا ظن طهارة أحدهما سن إراقة الآخـر فإن تركه وتغير ظنه لم يعمل بالثاني بل يتيمم ولا يعيد ولو أخبره بتنجسه عدل رواية مبينا للسبب أو فقيه موفق اعتمده«[392].

وقال النسفي في كـ ه:»يتوضأ بماء السماء والعين والبحر وإن غير طاهر أحد أوصـافه أو انتن بالمكث لا بماء تغير بكثرة الأوراق أو بالطبخ أو اعتصر من شجر او تمر أو غلب عليه غـيره أجزاه وبماء دائم فيه نجس، إن لم يكن عشرا في عشر فهو كالجاري وهو ما يذهب بتننه فيتوضـأ منه أن يرى أثره... وطعم أو لون لو رجع وموت ما لا دم له فيه كـالبق والـذباب والزنبـور والعقرب والسمك والضفدع والسرطان لا بنجسه، والماء المستعمل لقربة أو رفع حدث إذا استقر في مكانه ظاهر لا مطهر.

وتـ ح البئر بوقوع نجس لا ببعرتي إبل وغنم وخرء حمام وعصفور. وبول ما يؤكل نجس لا ما لم يكن حدثا ولا يشرب أصلا وعشرون دلوا وسطا بموت نحو فأرة وأربعون بنحـو حمامـة وكله بنحو شاة وانتفاخ حيوان أو تفسخه ومائتان لو لم يكن نزحها أو نجسها منذ ثلاث فـأرة منتفخة جهل وقت وقوعها، وإلا منذ يوم وليلة والعرق كالسؤر وسور الآدمي والفرس وما يؤكل لحمه طاهر والكلب والخـ ير وسباع البهائم نجس والهرة والدجاجة المخلاة وسباع الطير وسواكن البيوت مكروه والحمار والبغل مشكوك يتوضأ به ويتيمم إن فقد ماء. وأياً قدم صح بخلاف نبيذ

(392) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 271.

التمر«[393].

هذه الكتب الثلاثة هي التي ترشح طالب العلم، لأن يكون عالما في أحد المذاهب الثلاثة المنتشرة في العصور السابقة، فأنت تراها من جهة التعبير لا تكاد تفهم وحدها، لذلك احتاجت إلى الشرح واحتاج الشرح إلى حاشية، ولا يخطر في بالك أن هذا الموضوع يقرأ في أقل من أسبوعين معظمها ينقضي في تفهم ما يريد المؤلف، ثم تراها بعد ذلك خلوا من الاستدلال، وبذلك لا يكون هناك فرق بين من لم يتعلم ومن تعلم.

إلا أن هذا عنده من المسائل ما ليس عند ذاك، أما كيف أخذ أمامه الحكم من أدلته فلا، مع أي الفقه لا يتم إلا بهذا، وبالضرورة لا نجد فيها أثرا لخلاف سائر الأمة، وهذا يغلق باب حسن الفهم على طالب العلم. ذلك جعل المتفقهين بيننا نازلي الدرجات وهم إلى العامة أقرب، وربما امتاز بعض كتب الحنفية المتداولة بتناوله شيئا من هذا كما نرى في كتاب البداية وشرحه الهداية، أما الشافعية والمالكية، فلا[394].

وأعتقد أن الاختصار في هذه الكتب المذكورة لا يختلف كثيرا، وفي تصوري إن مختصر خليل أكثر تركيزا وأكثر عمقا في مدلولات الألفاظ، والله أعلم.

(393) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: 69/1.
(394) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 271.

المبحث الثاني
المختصرات في الفقه المالكي بصفة خاصة

تمهيد

تعتبر ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي ظاهرة لا تعدو أن تكون عامة في جـل العلـوم النقلية كما مر بنا في الفصول السابقة، لذلك فهذه الظاهرة في الفقه المالكي لا تختلف كثيرا عما رأينا في المذاهب الفقهية السابقة؛ فالفقه المالكي لم يسلم كغيره من هذه الظاهرة؛ حيث عرفـت هذه الظاهرة نشاطا واسعا وكبيرا لدى معظم مؤلفات المالكية في زمن بعيد حيث عرف المذهب هذه الظاهرة منذ القرن الثاني على اختلاف في تاريخها.

وكيفما كان الحال فإن الفقه المالكي تأثر كثيرا بهذه الظاهرة، ولا أريد أن أتحدث في هذه العجالة عما أحدثته هذه الظاهرة، ولا أريد كذلك أن أجعلها في قفص الاتهام منذ البداية، ولعل من العدل أن نترك البحث يتحدث عنها إيجابا كان أو سلبا ونترك المحاكمة للبحث الذي عليه أن يعلل ظواهر الإيجابية والسلبية لهذه الظاهرة في الفقه المالكي، خصوصا وأن موضـوع البحـث ينصب أساسا على هذه الظاهرة، ولعل الحديث يجرنا إلى نتساءل متى عرف المذهب المالكي هذه الظاهرة وهو ما تناوله الفصل الأول من هذا الباب.

وقبل ذلك أود أن أشير إلى أن الحديث عن المختصرات ينصب أساسا على نوعين: فمنها:

1-اختصار خاص لكتاب معين مثل المدونة التي رواها سحنون عن ابن القاسم واختصرها كثير من العلماء مثل ابن أبي زيد القيرواني وابن الجلاب وغيرهما.

2-ومنها اختصار عام، لا يقتصر على كتاب معين وإنما هو تأليف جامع لكل أبواب الفقه اختصرت فيه أهم أقوال كبار الفقهاء، مثل كتاب التفريع لابن الجلاب، والرسالة لابن أبي زيد، ومختصر خليل، ومختصر ابن الحاجب وغيرها كثير. وقد بدأت ظاهرة الاختصار منذ أواخر القرن

الثاني في مؤلفات فقهية مثل مختصرات عبد الله بن عبد الحكم: المختصر الكبير والمختصر الصغير والمختصر الأوسط، ثم تطورت حركة[395] الاختصار عبر العصور واقتصر الفقهاء عليها محجمين عن الإنشاء والتأليف متفننين في الاختزال والتلخيص لكتب السلف[396].

وإذا كان هذا حال الاختصار فإن الحديث عن تاريخ ظهور المختصرات في الفقه المالكي يستلزم أساسا أن نقف قليلا عند تاريخ هذه الظاهرة؛ حيث نجد عددا كثيرا من المؤرخين لم يتفقوا على تاريخ دخول هذه الظاهرة إلى الفقه المالكي، وقد ذكر الحجوي –رحمه الله- أن ظهور هذه الظاهرة في الفقه المالكي في القرن الثالث بظهور مختصرات[397]. في حين يرى الدكتور الدهماني أنه: »نشأت ظاهرة الاختصار منذ أواخر القرن الثاني مثل مختصرات عبد الله بن عبد الحكم: المختصر الكبير والمختصر الأوسط والمختصر الصغير«[398].

ولا أريد أن أخوض في تاريخ ظهور المختصرات بقدر ما أريد أن أرجع إلى الوراء شيئا قليلا؛ ذلك أنه منذ القرن الرابع الهجري أجمع الفقهاء من أهل السنة على إغلاق باب الاجتهاد والاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة، ثم تقهقرت على إثر ذلك. ونتجت عنه المدنية العربية وأصابها الجمود في جميع نواحيها فاستتبع ذلك فشو التقليد وتوقف الاجتهاد في الفقه، واكتفى الفقهاء باختصار الكتب المؤلفة فيه ثم بشروحها، وكان هذا التقهقر نتيجة عوامل متعددة أبرزها تقطيع أوصال الدولة الإسلامية؛ حيث صارت دولا عديدة، فضعف أمر الدولة التي كانت تعز الفقه والفقهاء وتدفعهم إلى البحث والاجتهاد[399].

ومنذ ذلك الوقت بدأت المختصرات الفقهية في المذهب المالكي تظهر للوجود أوائل القرن الثالث، وازداد انتشارها في القرن الرابع ثم تضخم حجمها بشكل لفت انتباه الناس في القرن

(395) مقدمة محقق التفريع: 111/1.
(396) المصدر نفسه: 112/1.
(397) الفكر السامي للحجوي: 113/3.
(398) مقدمة محقق التفريع: 111/1.
(399) التشريع الإسلامي أصوله ومقاصده للدكتور الجيدي، ص: 25.

السابع، ولعل أول من تصدر لاختصار المؤلفات الفقهية هو الفقيه أبو عبد الله بن عبـد الحكـم المصري (ت. 214هـ) الذي اختصر كتب أشهب[400].

ومن هذا التاريخ بدأت فكرة المختصرات تلوح في الأفق وإن كان الاختصار[401] في هذه المرحلة له طابع خاص يختلف شكلا ومضمونا عما آل إليه الوضع في العصور المتأخرة. علـى أن الاهتمام بهذه الظاهرة ما لبث أن تطور مع مرور الزمان نتيجة تقـاعس الهمـم عـن تحصـيل المبسوطات والتعامل مع المطولات من جهة، وقصور الفقهاء عن الابتكار والإبداع من جهة ثانية، حتى إذا أزفت مرحلة إغلاق باب الاجتهاد ازدادت سوءا؛ بحيث ركن الناس إلى الخمول الفكري واقتصروا على ما وجدوه مدونا لدى الأقدمين مكتفين به.

ولا ريب أن هذه الظاهرة جنت كثيرا على الفقه من حيث نموه وازدهاره حتى إن كثيرا من الباحثين عن هذه الظاهرة جعلها سببا في تقهقره وضعفه وانحلاله؛ ذلك أن المنهج الذي سار عليه المختصرون يقوم على أساس فهم مختلف للتراث الفقهي لم يستوعبوا مضامينه ومحتواه على الوجه الذي كان عليهم أن يفهموه ويتمثلوه، فجاء كلامهم ضربا من الألغاز يستعصي فهمها حتى على الفقيه المتمرس؛ إذ هو يستعين بالشروح والأصول القديمة عله يظفر بما يريد.

فما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة في الفقه المالكي؟ هذا السؤال يجيب عنه الفرع الموالي.

الفرع الأول: أسباب ودواعي المختصرات في الفقه المالكي

إن دواعي ظهور المختصرات في الفقه المالكي أملتها ظروف كثيرة سيحاول هذا المبحث أن يذكر بعضا منها؛ ذلك أن »السبب يرجع في ظهور هذه المختصرات وركوب الناس هذا المهيـع إلى أن المتأخرين صعب عليهم استيعاب المؤلفات المطولة وشق علـيهم حفظهـا واستقصـاؤها فاستعاضوا عنها كتبا مختصرة تيسيرا على المبتدئين وتسهيلا للحفظ على المتعلمين..«[402].

(400) ترتيب المدارك: 3/364-365.
(401) مباحث في الفقه المالكي، ص: 87.
(402) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 132.

ولا يخفى أن المؤلفات التي صنفت في عهد مبكر كانت كبيرة الحجم، وسهلة العبارة واضحة الأفكار مثل المدونة لسحنون (ت.240هـ/854م)، والموازية لمحمد بن المواز[403] (269هـ/882م)، والواضحة لعبد الملك بن حبيب[404] (ت.238هـ/854م)، والمبسوطة للقاضي إسماعيل (ت.282هـ/895م)، والحاوي لأبي الفرج[405] الليثي (ت.331هـ/942م)، والنوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (ت.386هـ/996م) وغيرها من المصنفات التي كانت تشكل أمهات الفقه المالكي. ولما ضعفت الهمم وفترت العزائم قام أهل المائة الرابعة باختصار هذه المؤلفات.

ويقال[406] إن أول من اختصر بعض هذه المطولات الفقهية فضل بن سلمة الجهني الأندلسي (ت.319هـ/931م) اختصر المدونة والواضحة والموازية وغيرها، وتبعه محمد بن عبد الله بن عيشون[407] الطليطلي (ت.341هـ/952م) صاحب المختصر المشهور اختصر المدونة، ثم جاء بعدهما محمد بن عبد الملك الخولاني البلنسي (ت.364هـ/974م) فاختصرها كما

(403) هو الإمام العلامة فقيه الديار المصرية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الاسكندراني المالكي، ابن المواز صاحب التصانيف، أخذ المذهب عن عبد الله بن عبد الحكم وعبد الملك بن الماجشون وأصبغ بن الفرج، وغيرهم. انتهت إليه رئاسة المذهب، وله مصنف حافل في الفقه سيأتي الحديث عنه. توفي سنة 281هـ. وقد اشتغل أحد الأساتذة الباحثين بكلية الشريعة وهو الأستاذ الحسن مكراز لجمع الموازية في الكتب الفقهية لنيل دكتوراه الدولة تحت إشراف الدكتور الحسن العبادي. (انظر ترجمته في الوافي بالوفيات: 335/1، والديباج المذهب: 166/2، وشذرات الذهب: 177/2، وسير أعلام النبلاء: 6/13).

(404) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، أصله من طليطلة، من مؤلفاته الواضحة. توفي سنة 238هـ. (انظر ترجمته في الديباج ص: 154).

(405) هو أبو الفرج عمرو بن عمرو بن محمد الليثي البغدادي، نشأ ببغداد، وأصله من البصرة، فقيه مالكي تفقه بإسماعيل القاضي. من تآليفه: الحاوي في الفقه، واللمع في أصول الفقه. توفي سنة 330هـ، وقيل: 331هـ. (انظر ترجمته في الفهرست ص: 253، والديباج لابن فرحون ص: 215).

(406) مباحث في الفقه المالكي بالمغرب للدكتور عمر الجيدي، ص: 92.

(407) محمد بن عبد الله بن عيشون، طليطلي، أبو عبد الله، سمع بطليطلة من وسيم بن سعدون ووهب بن عيسى وغيرهما. وله مختصر مشهور، وألف مسند حديث مالك. توفي سنة 341هـ. (انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 174/6).

اختصرها من بعده أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين[408] (ت.399هـ/996م)، وكذا ابـن أبي زيد القيرواني (ت.386هـ/996م)، وأبو القاسم اللبيـدي[409] (ت.440هـ ـ/1048م)، والبراذعي صاحب التهذيب الذي اختصر به مختصر ابن أبي زمنين المذكور سابقا.

ثم جاء بعد هؤلاء رجل المختصرات أبو عمر عثمان بن الحاجب (ت.646هـ/1248م) فاختصر تهذيب البراذعي وهو الذي سيختصره خليل بن إسحاق (ت.776هـ/1374م) فيما بعد. وسيبلغ الاختصار إذ ذاك أشده. وغير هؤلاء كثير ممن تصدروا لاختصار المؤلفات الطويلـة وقصدهم بهذه المختصرات كما قيل تحقيق هدفين:

أ-تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ.

ب-جمع ما هو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع للمسائل، وهـذا قصـد حسن لولا أنهم غالوا فيه حتى جاوزوا الحد المعقول بجمعهم أكثر عدد من المعاني في أقل عدد من الألفاظ، مما أضر بالفقه ضررا بالغا كان من أثره[410] أن الناظر في هذه المختصرات لا يسـتطيع إدراك سر ما قصده المختصر ونتج عن ذلك تضارب في الرأي واختلاف في وجهات نظر الفقهاء كل بحسب ما تيسر له من فهم مراد المختصر مما أثار الجدل بينهم وأوقعهم في اضطراب شـديد فحدثت نتيجة ذلك هفوات وأخطاء بسبب طبيعة هذه المختصرات؛ إذ أصبحت عبارة عن ألغاز يحتاج إلى من يفكك عبارتها ويحلل ألفاظها[411].

(408) الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي، شيخ قرطبة، له عدة مؤلفات واختصارات. ولد سنة 324هـ، وتوفي سنة 399هـ. قال الذهبي: وزمنين بفتح الميم ثم كسر النون (سير أعلام النبلاء: 189/17). (انظر ترجمته في: جذوة المقتـبس ص: 56، وترتيـب المدارك: 672/4، وبغية الملتمس ص: 87، وتذكرة الحفاظ: 1029/3، والعبر: 71/3، وسير أعـلام النبلاء: 188/17.

(409) اللبيدي: مفتي المغرب أبو القاسم بن محمد الحضرمي المالكي اللبيدي، ولبيد من قرى إفريقيـة، لـه كتاب كبير في المذهب في بضعة عشر مجلد أو كتاب في بسط مسائل المدونة. (سـير أعـلام النـبلاء: 623/17). توفي سنة 440هـ). انظر ترجمته في: ترتيب المـدارك: 707/4، واللبـاب: 128/3، والديباج: 484/1، وهدية العارفين: 516/1، وشجرة النور: 109/1، وأعلام النبلاء: 623/17).

(410) مباحث في الفقه المالكي ص: 88.

(411) مباحث في الفقه المالكي، ص: 89.

إلا أن الصيحات التي أطلقها هؤلاء الفقهاء الذين سبقت الإشارة إليهم لم تجد آذانا صاغية، واستمر الناس على ذلك النهج يتنافسون في اقتناء المختصرات والجري وراءها يعملـون بمـا ورد فيها، ويدرسو ا للطلاب ويفتون منها للناس ويحكمون بمقتضى مـا ورد فيهـا بينـهم حـتى ليروى[412] أن هذه التقييدات والمختصرات كان يبذل في سبيل الحصول عليها أضعاف ما كـان يبذل في سبيل اقتناء الأمهات[413]، بل إن بعضهم لم يجد حرجا في الإعلان بأن الصواب هـو في الاختصار.

وعلى الرغم من أن الاختصار في المذهب المالكي بدأ مبكرا -كما سـبق القـول- إلا أن كتب المختصرات في العصر المريني تكاثرت بشكل لفت نظر النقاد، حتى إن بعضهم اعتبر ذلـك من عيوب هذه الدولة، كما أولع به طلبتها من المختصرات الفقهية[414].

وفي عهد الدولة العلوية حاول السلطان محمد بن عبد الله أن يرد الناس إلى كتب المتقدمين ويصرفهم عن الاشتغال بالكتب المختصرة[415] التي اشتدت عناية الناس ا من دارسين وطـلاب طوال العصر المريني وما تلاه إلى عصره، وأصدر في الموضوع رسالة يحذر فيها من الاعتمـاد في الفتوى على كتب المتأخرين المختصرة، ويحض الناس على أخذ الفقه والأحكـام مـن كتـب المتقدمين، وينفر من دراسة الكتب الغامضة التي تحتاج إلى كثير من الجهد وبذل الكثير من العناء دون أن يحصل منها القارئ على طائل[416].

»(...) ويقول من أرخ له إنه أصدر منشورا جاء فيه: إن أول ما ينبغي التوجه إليه والعناية به القرآن الكريم ثم السنة النبوية، ونبذ شروح مختصر خليل المتأخرة والاكتفـاء بشـرح ـرام والخرشي. وما فعله بالفقه فعله بغيره من الفنون؛ بحيث حدد المناهج والمؤلفات الـتي ينبغـي أن تدرس في كل فن تلافيا للغموض وتضارب الآراء وحسما للخلافات التي تحدث عـادة في مثـل

(412) نفسه، ص: 91.

(413) جذوة الاقتباس: 151/1.

(414) نفسه: 151/1.

(415) مباحث في الفقه المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 92.

(416) نفسه، ص: 92.

هذه الأمور، كما منع القضاة والمفتين من الحكم والإفتاء بشروح مختصر خليل المتأخرة والاكتفاء بالشروح القديمة ،وقد تصدى هو نفسه لتأليف كتاب فقهي مبسط متحديا فقهاء عصره ومحفزا لهم على انتهاج هذا النهج.

ويقول الناصري: »إنه كان ينهى عن ذلك غاية ولا يترك من يقرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وأمثالها، ويبالغ في التشيع على من اشتغل بشيء من ذلك حتى على كتاب الرسالة والتهذيب وأمثالهما حتى وضع في ذلك كتابا مبسوطا«[(417)].

وكان يقول: »من أراد أن يقرأ الفقه فعليه بكتاب المدونة والبيان والتحصيل ومقدمات ابن رشد والجواهر لابن شاس والنوادر والزيادات والرسالة لابن أبي زيد القيرواني وغيرها من كتب الأقدمين. ومن أراد تدريس مختصر خليل فإنما يدرس شرح بهرام الكبير والمواق والحطاب والأجهوري والخرشي الكبير لا غير، فهذه الشروح بها يدرس خليل مختصرا عليها وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس به، ومن ترك الشراح المذكورين واشتغل بالزرقاني وأمثاله من شراح خليل يكون كمن يتبع السراب«[(418)].

»(...) وهكذا يكون هذا السلطان قد جدد الفكرة القديمة التي بدأها ابن العربي ومن سار على رأيه، لكن لما قضى الأمر إلى نجله السلطان سليمان صار يحض الناس على التمسك بالمختصر ويبذل على حفظه وتعاطيه الأموال الطائلة[(419)]، فكان عمله هذا فتحا لباب الاختصار من جديد والتشبث بالحواشي؛ إذ ألزم الناس بالعودة إلى مختصر خليل بعدما سبق لوالده أن حذر الناس من العكوف عليه وعلى شروحه المتأخرة انتهى«[(420)]...

إضافة إلى ما سبق يرى الأستاذ المنوني -رحمه الله- أن أسباب ظهور المختصرات في المغرب تأثر بالطابع المشرقي؛ يقول في هذا الصدد: »وكان من أسباب ظهور هذه المختصرات الفقهية

(417) الاستقصا للناصري: 67/8.
(418) النبوغ المغربي لعبد الله كنون: 277/1.
(419) الاستقصا للناصري: 67/8.
(420) مباحث في الفقه المالكي، ص: 93.

تأثر المغاربة في هذا العصر بالطابع المشرقي بعد ظهور المؤلفات المختصرة التي بدأت تـرد مـن المشرق كمختصر ابن الحاجب (ت.646هـ) الفقهي والأصلي«[421].

وكان من أسباب ظهور المختصرات الفقهية أيضا أن المتأخرين صعب علـيهم اسـتيعاب المؤلفات المطولة وشق عليهم حفظها واستقصاؤها، لذلك توجهـت عنايتـهم إلى المختصـرات الفقهية فاعتمدوها في التدريس لتسهيل الحفظ على المتعلمين المبتدئين، لكن عددا من العلمـاء لم يستحسنوا هذا المنهج، في مقدمتهم القباب الذي انتقد أصحاب المختصرات الفقهية.

وكان يقول: »شأني ألا أعتمد على هذه التعقيدات المتأخرة البتة، تارة للجهـل بمؤلفيهـا وتارة لتأخر زمان أهلها جدا، أو للأمرين معا فلذلك لا أعرف كثيرا منها ولا أقتنيه وإنما المعتمد عندي كتب الأقدمين«[422].

إن نقد القباب المختصرات الفقهية كان وليد تأكده من كون الاختصار أسـاء إلى الفقـه الإسلامي وأسهم في تقهقره وضعفه وتحويله إلى رموز وألغاز يصعب فكها حتى على أصـحاب هذه المختصرات أنفسهم، كما وقع لابن عرفة عندما استعصى عليه فهم بعض التعريفـات الـتي وضعها[423] وكما وقع لابن الحاجب؛ إذ يحكى أنه لما كان مشتغلا بوضع كتابه، كـان يجمـع الأمهات، ثم بجميع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز ثم يضمنه كتابه حتى أ ـاه، ثم يأتي بعد ذلك إلى بعض التعابير التي وضعها فيحتاج في فهمها إلى فكر وتأمل[424].

إن وعي القباب بالآثار السلبية للاختصار، هو الذي جعله يرفض المختصـرات الفقهيـة الصعبة الفهم، ويدعو إلى ضرورة التزام الوضوح والبيان والسهولة في التآليف الفقهيـة وجعلـها مبسوطة المعاني واضحة الأدلة ليتم الانتفاع ا تدريسا وإفتاء وقضاء[425]. وإذا كان هذا سـببا

(421) ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين للأستاذ المنوني، ص: 199.

(422) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: 142/11، مباحـث في المذهب المالكي بالمغرب ص: 90.

(423) مباحث المذهب المالكي بالمغرب، ص: 89.

(424) نفسه، ص: 89.

(425) القباب وجهوده في الفقه المالكي، دبلوم الدراسات العليا، إعداد: أحمد المراري، إشـراف الـدكتور محمد الروكي، دار الحديث الحسنية، ص: 128.

يعزى إلى سلبيات المختصرات، فما هي الأسباب الأخرى التي أدت إلى هذه المختصرات؟

الفرع الثاني: صعوبة فهم المؤلفات القديمة لدى المتأخرين

إن من يتأمل مؤلفات المتقدمين في أصناف العلوم والصنائع منذ دونت العلوم وانقضى عصر الأمية يراها كبقية المستحدثات في هذا الوجود تنتقل من طور إلى طور. ومعلوم أن العلوم إنما توضع أولا قواعدها البسيطة ثم تتكامل على التدريج شيئا فشيئا بقدر الاحتياج إليها، والعلوم والكتب المؤلفة فيها تابعان لأطوار الدول من قوة وضعف وعمران وضده وبداوة وحضارة لعلم يتلون بلون الدولة.

وإذا نظرنا إلى أحوال الدولة الإسلامية في أول أمرها تجد قوة وحضارة دولة الرشيد وبنيه وبني بنيه. فلذلك كانت العلوم الموجودة لذلك العصر آخذة مأخذها في الانتشار والتفرع والتكامل، والمؤلفات آخذة كمالها في البسط والإتقان والتفريع ومتانة الأسلوب.

غير أن الكتب العلمية إنما يقصد منها إفهام الغير من المتعلمين وغالبهم ممن ليست لهم مكانة في العلم والاقتدار على استخراج الغوامض والمكنونات، فالواجب أن تكون عبارات الكتب العلمية مبسوطة كل البسط، واضحة غاية الوضوح حتى يمكن للناس تناول معلوما ا إلى ما تجب مراعاته من اختيار المفردات السهلة المتداولة في الاستعمال واختيار التراكيب غير المعقدة وتقريب الأشياء بالأمثلة الحية، وهذه كتب الأقدمين كلها على هذا المنوال في سائر أنواع العلوم(426) إلى أن بزغ القرن الرابع وما يليه من القرون، ومن ثم تجد الفرق ظاهرا والبون بينا في البسط والإشباع.

نعم، هناك طريقة الأقدمين من موجبات التطويل وهي نقلهم جميع مسائل العلوم كيفما كانت بالسند إلى المنقول عنه وهي طريقة لا تحمد في كل عصر وإن كانت حسنة في إسناد العلم إلى قائليه والعلم أمانة كما يقولون. غير أنه استغنى عن تلك الطريقة في العلوم التي تقررت ولم يبق مجال للشك فيها ولاسيما الحديث لإجماع الأمة الإسلامية على تلقي أمهاته بالقبول الذي لا يطرقه شك في نسبة تلك الأمهات إلى أصحا ا الثقات واستقرار رأيهم على ذلك فلم يبق لهم إلا

(426) منتخبات التواريخ بدمشق لمحمد الديب آل تقي الدين: 15/1.

خدمة تلك الأمهات بالحفظ والفهم والعمل، وقد قلت إن العلم يتلون بتلون الأجيال والعصور، وقد أخذت المؤلفات العلمية بعد المائة الخامسة شكلا غير الشكل الذي كان لها، ولم تزل تنتقل من شكل لآخر إلى يومنا هذا.

والمؤلفون منهم من يستقل بالتأليف فيه بما يراه الأصلح والأنسب لأهل عصره في العلم الذي اختص بالتأليف فيه حتى يكون له مجال في إبداء أفكاره الخاصة في ذلك العلم، ومنهم من يعقد به الجمود أو قصر الباع عن هذه الدرجة، أو يرى أن كتب الأقدمين كافية في تحصيل الغرض من ذلك العلم ولكن فيها ما لا يناسب ذوق أهل عصره فيعمد إلى تجريد ذلك الكتاب مما لا يوافق حتى تمكن الاستفادة منه ويقرب تناوله وينقل من الإهمال إلى الاستعمال.

وقد تفنن الناس في هذه الطريقة وتغالوا فيها، وهي طريقة لا تحمد من جميع الجهات ولا تذم كذلك. ورأينا في هذه المسألة أنه ينظر أولا إلى أهمية الكتاب في ذات العالم المؤلف فيه وموافقته بصورة عمومية وملاءمته لجميع الأذواق، وثانيا إلى رغبة مؤلفه ومبلغه من ذلك العلم وإصابة آرائه وأفكاره وكونها من حيث تؤخذ منها نتائج وتنشأ عنها استنباطات ترقي ذلك العلم(427).

وهكذا كانت مؤلفات القدامى -رحمهم الله- على هذا المنوال، وكانت قمة شامخة في العطاء فشكلت بذلك عجزا واقعيا على المتأخرين الذين وجدوا أنفسهم أمام صعوبات فهم هذا البحر الذي لا ساحل له من الأفكار والمعاني والبلاغة فأخذوا يطلقون عنان أنفسهم في إعادة النظر في قراءة هذه الكتب، واعتقدوا أن الكتاب لا يمكن الانتفاع منه لحالته التي هو عليها فيختصر بإزالة ما كان مانعا من الاستفادة ويحذف ما استغنى عنه ولم يعد لذكره فائدة، وحذف المكرر وباختصار العبارات الطويلة التي يمكن استيفاء مؤداها في عبارة أقصر وبسط ما يحتاج إلى البسط وتوضيح ما يحتاج إلى الإيضاح وشرح أفكار المؤلف الأول وآرائه وإقرار الصواب منها وانتقاد ما هو قابل للانتقاد مع المحافظة على نسبة كل فكر لصاحبه(428).

(427) منتخبات التواريخ بدمشق لمحمد الديب آل تقي الدين: 16/1.
(428) منتخبات التواريخ بدمشق: 17/1.

وهذه هي الطرق النبيلة التي حبذها العلماء في الاختصار، غير أن المتأخرين الذين هربوا من قراءة الكتب القديمة، أعيتهم قراءة تلك الكتب، فلجأوا إلى إعادة النظر في مركبا ـا فوقعـوا في أخطاء كثيرة خرجوا عن جادة الاختصار فأضحوا في بحر الرموز والألغاز وغير ذاـك. ولعـل البحث سيكشف عيوب ذلك والأسباب التي أدت إلى إعادة النظر من جديـد عـبر المـدونات الفقهية التي تجمع أقوال الإمام، وبرز عدد قليل من المدونات الفقهية التي دون فيها أصحا ا أقوال الإمام مالك -رضي الله عنه- وآراءه وسماعات أصحابه عنه، مضافا إليها بعض اجتهادات هؤلاء الأصحاب وتعقيبا م وآرائهم.

وهذه المدونات التي صار يطلق عليها فيما بعد اصطلاح الأمهات هي المدونـة والموازيـة والعتبية والواضحة، لأ ا ركن المذهب وأسسه التي تنبني عليه.

وقد لفتت عناية الباحثين والفقهاء واستحوذت على جهودهم حينا من الدهر، فباشـروها بالشرح والتوجيه والاختصار والمدراسة، فبرز الفقه المالكي في شكل الموسوعات والدواوين الـتي امتلأت الساحة العلمية ا وذلك مثل التهذيب للبراذعي والنوادر لابن أبي زيد والتبصرة للخمـي والتمهيد والاستذكار لابن عبد البر والجامع لابن يونس، وغيرها.

وفي فترة ازدهار الفقه المالكي هذه برزت محاولات كان يقصد منها إيجاد وسائل ملائمـة تقريبية للفئات الدارسة له والمهتمة بقضاياه وتيسير فهمه للقارئ عن طريق ضبط مسائله وتحريرها واختصارها. وفي هذا السياق جاء كتاب النوادر والزيادات الذي توخى مؤلفـه ابـن أبي زيـد استيعاب فروع فقه مالك وضمها في مصنف واحد، وقد نجح إلى حد كبير في مهمـة الجمـع والاستيعاب، لكنه أخفق في تبسيط المسائل وتحريرها لتكون في متناول الدارسين والمهـتمين، لأن الكتاب جاء مطولا في عدة أسفار وفي مادة فقهية لا تنتهي (وهذا ما يفسر التجاء ابن أبي زيد إلى وضع اختصار آخر عن المدونة وكذلك كتابه "الرسالة" باعتباره كتابا مدرسا في الفقه المالكي.

ثم تلت ابن أبي زيد مقاربات لها نفس المنطلقات والأهداف إلى أن جاء أبو عبـد الله بـن شاس فاختمرت في ذهنه فكرة وضع آلات لتقريب مسائل المذهب وتحريرها فاهتدى إلى وضـع مختصره الذي سماه "الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة" لما رآه في زمنه من عزوف الناس عـن

المطولات وزهدهم عن الاستفادة منها والإقبال على غيرها، قال في مقدمة كتابه الجواهر:

»هذا كتاب بعثني إلى جمعه في مذهب عالم المدينة إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس، ما رأيت عليه كثيرا من المنتسبين إليه في زماننا من ترك الاشتغال به والإقبال على غيره، حتى لقد صار ذلك دأب كثير ممن يرى نفسه أو يرى من المتميزين وجل من جاء بعد من حذاق المتفقهين، ولم أسمع من أحد منهم ولا بلغني عنه أنه كره منه سوى تكريره وعدم ترتيبه حتى اعتقد بعضهم أنه لا يمكن ترتيبه، بل يشق ويتعذر، ولا تنحصر مسائله تحت ضوابط، بل تتنافى وتتبتر فصرفهم عن عدم اعتناء أئمة المذهب بترتيبه عن استفادة ما اشتمل عليه من تحقيق المعاني النفسية الدقيقة واستنباط الأحكام الجارية على سنن السلف الصالح بأحسن طريقة؛ يقول ابن الحاجب: »(...) وقد استخرت الله تعالى وشرعت في نظم المذهب بأسلوب يوافق مقاصدهم ورغبا م ويخالف ظنو م فيه ومعتقدا م فحذفت التكرار (...) وحللت النظام الذي كرهوه ثم ضمنته على ما جنحوا إليه وألفوه«(429).

وقد كانت تجربة ابن شاس تجربة رائدة حقا؛ إذ لم يسبقه إليها أحد فيما نعلم داخل المذهب المالكي، ومما يعضد هذا انه لما أراد وضع هذا المختصر أجال فكره في التجارب والمحاولات التي سبقته فما وقع نظره إلا على وجيز الغزالي وهو من الشافعية، فأعجب به وبطريقته وجمال نظمه وأحكام مسائله، فنسج هذا الكتاب على منواله، وعن هذا تحدث فقال: »... ولما كان وجيز الغزالي من آخر ما حرر مما حرره غيره من متقدمي الأئمة ومتأخريهم فكان غاية منتهى التحرير، لخصت المذهب في هذا ا موع على القرب من محاذاته فنظمت فيه فرائد درر أحكامه(430).

وإذا كان هذا حال المؤلفات القديمة وما آلت إليه من عناية المتأخرين ا من أجل اختصار التطويل في هذه المؤلفات، وعانوا كثيرا في هذا الاختصار، فما هي الصعوبات التي وجدها هؤلاء في فهم هذه المؤلفات؟ إلى أي حد أسهمت هذه المؤلفات في إثراء الفقه المالكي؟ وهل التطويل

(429) عقد الجواهر الثمينة لابن شاس: 1/ 4.
(430) عقد الجواهر الثمينة لابن شاس: 1/ 4.

سبب من أسباب الجنوح لدى المتأخرين عن هذه المؤلفات؟ أم إن هناك أسبابا أخرى؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الثالث: التطويل في المؤلفات القديمة

تعتبر المؤلفات القديمة أهم منبع علمي ينهل منها القارئ والباحث والعالم والفقيه وغيرهم ممن يبحثون في إرواء عطشهم، غير أن هذه المؤلفات القديمة يجد فيها المتأخرون صعوبة في استيعاب محتوياتها، نظرا لما تضمنته من تطويل وكثرة الآراء المختلفة؛ بحيث نجد مسألة ما تعج بأقوال فطاحل الفقهاء مما يشكل عقدة لدى المتأخرين في فهم واستيعاب ذلك استيعابا كليا مما حذا بهم –يعني المتأخرين- إلى الاختصار، يقول الدكتور عمر الجيدي –رحمه الله- في هذا الصدد: »إن المتأخرين صعب عليهم استيعاب المؤلفات المطولة وشق عليهم حفظها واستقصاؤها، فاستعاضوا عنها كتبا مختصرة تيسيرا على المبتدئين وتسهيلا للحفظ على المتعلمين، ولا يخفى أن هذه المؤلفات التي صنفت في عهد مبكر كانت كثيرة الحجم، سهلة العبارة، واضحة الأفكار«(431).

ويقول الدهماني في مقدمة التفريع: »لما أطلق الفقهاء العنان لمخيلاتهم، وانسابت أقلامهم أنتجوا مؤلفات ضخمة وأمهات مطولة وفروعا متناثرة حتى بات الدارس أو الباحث ليعجز عن استيعابها أو حتى مطالعتها وأصبح من العسير الوقوف على مسألة محددة وسط ذلك الضخم من التآليف، فعند ذلك راودت فكرة التلخيص والاختصار بعض العلماء قصد التسيير والتحقيق وتحصيل المنفعة، وذلك بالتجريد من الاستطرادات وإعادة التبويب والترتيب المنطقي والتنسيق الفني، والإخراج في حلة جذابة تستهوي القراء وتأخذ بأيديهم بكل رفق ويسر«(432).

إذا كان هذا سببا مباشرا في ظهور المختصرات فإن أسبابا أخرى لا تقل أهمية كانت وراء ذلك ومن بينها ما عرفه المذهب المالكي من عدم ترتيب وتبويب وتنظيم معظم مؤلفاته وهو ما غدا عند المتأخرين هاجسا مخيفا؛ حيث أصبح ذلك شغلهم الشاغل وقد دفع ذلك غير واحد من

(431) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص: 132.

(432) مقدمة محقق التفريع: 1/111-112.

فقهاء المذهب إلى هيكلة المذهب وتنظيمه وترتيبه بواسطة مؤلفات ظهرت فيما بعد، وقد لاحظ الجلال بن شاس العزوف عن دراسة المذهب المالكي والإقبال على غيره، لما في مصنفاته من تكرار وسوء تنظيم وترتيب، وتباين المسائل وعدم حصرها تحت ضوابط، مما أدى إلى مشـقة الفهـم وعسر التناول بعد الاستفادة، فنهزه ذلك إلى تأليف "الجواهر" ليقرب به مسائل الفقـه المـالكي وييسرها، وهي التي لم تعب في جوهرها ولم يكره حذاق المتفقهين منـها الأجانـب العـرض والتنظيم«[433].

و ذا يقدم ابن شاس إلى ما في الثروة الفقهية المأثورة عن الإمام مالـك والأعـلام مـن أصحابه من معاني نفيسة دقيقة وأحكام جارية على منهج السلف الصالح وحكم للتشريع ومراعاة للمصالح الإسلامية[434]، كما يشير إلى ما تقتضيه هذه الثروة الزاخرة من جهد حـتى لا تبقـى مهجورة ويرحم رواد الفقه منها.

وكان ابن شاس باذل هذا الجهد العلمي وهو الذي درس هذا المذهب وتفقـه في فروعـه وأصوله واستوعب قواعده وأدرك أسرار كثير من أحكامه وأسباب الكثير من الخلاف الذي أثرى به علماء المالكية مذهبهم[435]. قال ابن شاس: »قد استخرت الله تعـالى، وشـرعت في نظـم المذهب بأسلوب يوافق قصدهم ورغبا م، ويخالف ظنو م فيه ومعتقدا م، فحذفت التكرار الذي عيبوا أئمة المذهب إذ لم يحذفوه، وحللت النظام الذي كرهوه، ثم نظمته عنـدما جنحـوا إليـه وألفوه«[436].

وهكذا يصرح بقصده من هذا التأليف إلى تغيير نظرة من أساء الظـن بالفقـه المـالكي، واستعادة الثقة والاعتبار اللذين يستحقهما هذا الفقه، وهو بذلك يسير في منهج المناصرة المشروعة لمذهبه ويخفف من صعوبة معاناة المؤلفات القديمة في المذهب المالكي بقوله: »لم يترك أئمة المذهب سلوك هذا الطريق لا لاستهجانه لديهم، ولا لتعذره عليهم، بل لأ م قصدوا بتصانيفهم محـاذاة

(433) مقدمة المحققين أبو الأجفان ومنصور، ص: 28.
(434) نفسه، ص: 28.
(435) نفسه: 28/1.
(436) مقدمة المحققين أبو الأجفان ومنصور: 29/1.

سؤالات المدونة؛ إذ كانت ما بين شرح وتلخيص ونكث وشبه ذلك، على الكتـاب المـذكور، وهو كما قد علم سؤالات لم يعتن موردها بترتيبها«[437].

ولاحظ ابن شاس أن بعض المتأخرين منهم تنكب عن طريقهم وقصد الترتيب فأبدع وأتى ما لم يسبق إليه[438].

ولاحظ أيضا أن الكتاب الذي امتاز بحسن الضبط والتنظيم وبلغ في التحرير غاية المنتـهى، على مستوى مختلف المذاهب هو كتاب الوجيز للإمام أبي حامد الغزالي الشافعي المتـوفى سـنة 505هـ. وإعجاب ابن شاس بهذا الكتاب الشافعي حذا به إلى اقتفاء أثره واتباع منهجه، وقـد قال[439]: »لخصت المذهب في هذا المجموع على القرب من محاذاته، فنظمت فيـه فرائـد درر أحكامه المكونة، وأظهرت جواهر معانيه النفيسة المصونة، وشرحت بالفحص والتأمـل خفايـا حكمه الدفينة«[440].

وهكذا يتضح أن من أسباب الاختصار في المذهب المالكي التطويل في المؤلفات القديمـة، وعدم تنظيمها وترتيبها وتكرار أقوالها، كلها عوامل أثرت سلبا على الفقه المالكي مما اسـتدعى لدى المتأخرين إعادة النظر في تأليف مؤلفات تحمل مواصفات تساير العصر الذي يعيشونه مـع حفظ ثوابت المذهب وخصوصيته مما حذا بالفقهاء المتأخرين إلى تأليف مؤلفات على غرار مختصر ابن شاس الذي يعتبر أهم مؤلف في الفقه المالكي؛ اختصر المذهب بأسلوب نقي وجـذاب دون إطناب ولا تعقيد فخرج كتابه كالبرنامج للفقه المالكي، وإن برز عليه تأثره بكتاب الغزالي، إلا أن ذلك لم يغير قيمة الكتاب ومحتوياته في شيء، وقد مدحه غير واحد من الفقهاء، بل كاد الإجماع يقع على أن مختصر ابن شاس يعتبر من أهم ما ألف في المختصرات المالكية وإن كان لم يسلـم من بعـض انتقادات الفقهـاء وعلى رأسهم الإمام الشاطبي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

فما هي مراحل التأليف في المختصرات؟ وما هي أنواع المختصرات؟ إلى أي حـد أسـهم

---

(437) مقدمة الجواهر: أ ب.

(438) مقدمة المحققين: 29/1.

(439) نفسه: 30/1.

(440) الجواهر: 2 أ، مقدمة المحققين: 30/1.

التصنيف في المختصرات في إثراء الفقه المالكي؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الرابع: حركة التأليف في المختصرات

تعتبر حركة التأليف في المختصرات الفقهية حركة متأخرة أفرز ا ظهور مؤلفات جنـدت نفسها للتعامل معها بتعامل يختلف حسب اختلاف المؤلف في الطريقة التي يريد أن يسـلكها في الاختصار، وتختلف اختلافا بينا حسب ما فهمه المختصر من الكتاب الذي يريد أن يختصره إمـا بإعادة تنظيمه أو ترتيبه أو باختصار أقواله وضده المكرر، وإما باختصاره إذا كان مطولا، وإمـا غير ذلك من أهداف المختصرات في التأليف. ولعل ابن خلدون -رحمه الله- أسهب القـول في ذلك[441]، كما رصد أصناف المختصرات أيضا حاجي خليفة، إذ يقول في الباب الثالـث مـن المؤلفين والمؤلفات: وفيه ترشيحات:

الترشيح الأول أقسام التدوين وأصناف المدونات، واعلم أن كتب العلوم كثيرة لاخـتلاف أغراض المصنفين في الوضع والتأليف ولكن تنحصر من جهة المعنى إلى قسمين:

الأول: إما اخبار مرسلة وهي كتب التواريخ، وإما أوصاف وأمثال ونحوها قيد النظم وهي دواوين الشعر.

الثاني: قواعد علوم وهي تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف:

الأول: مختصرات تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع ا المنتهي للاستحضار وربما أفـادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة.

الثاني: مبسوطات تقابل المختصر، وهذه ينتفع ا للمطالعة.

والثالث: متوسطات، وهذه نفعها عام، ثم إن التأليف على أقسام لا يؤلف عالم عاقـل إلا فيها، وهو إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه أو شيء طويل فيختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق فيجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه. وينبغـي لكـل

---

(441) مقدمة ابن خلدون: 3/1235-1242، تحقيق: عبد الواحد وافي.

مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلا أو جمعه[442] إن كان مفرقا أو شرحه إن كان غامضا. أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل«[443].

يقول حاجي خليفة: »والمختصرات تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء بسرعة هجومهم على المعاني من العبارة الدقيقة[444] وهي على نوعين: فمنها اختصار خاص لكتاب معين مثل المدونة التي رواها سحنون عن ابن القاسم واختصرها كثير من العلماء[445]، وسوف نتناول النقطة في حينها ومنها اختصار عام لا يقتصر على كتاب معين وإنما هو تأليف جامع لكل أبواب الفقه اختصرت فيه أهم أقوال كبار الفقهاء مثل كتاب التفريع لابن الجلاب والرسالة لابن أبي زيد ومختصر خليل ومختصر ابن الحاجب وغيرها، وقد نشأت ظاهرة الاختصار منذ أوائل القرن الثاني مثل مختصر عبد الله بن عبد الحكم المختصر الكبير والمختصر الأوسط والمختصر الصغير، ثم تطورت حركة[446] الاختصار عبر العصور.

واقتصر الفقهاء عليها محجمين عن الإنشاء والتأليف متفننين في الاختزال والتلخيص لكتب السلف، وأصبحت المختصرات من الإيجاز بحيث لا يتيسر فهمها إلا بالشروح والحواشي التي كان يكتبها المؤلف نفسه أحيانا أو يتولى ذلك غيره من الفقهاء ابتغاء حل غموضها وتفسير النص الأصلي فتولد عن ذلك نوع آخر من التأليف وهو الشروح والحواشي فتلتقي حول موضوع واحد كوكبة من العلماء والفقهاء: المؤلف والمختصر والشارح والمحشي.

وهكذا بات الفقه في العصور المتأخرة يتخبط في حركة عقيمة بين المد والجزر والانبساط والانكماش، بينما بقيت مسائله وقواعده جامدة يتناوله فقيه بالضغط على عباراتها اختصارا

(442) كشف الظنون لحاجي خليفة: 35/1.

(443) مقدمة ابن خلدون: 1235/3-1242.

(444) كشف الظنون: 35/1.

(445) التفريع لابن الجلاب: 111/1.

(446) مقدمة محقق التفريع: 112/1.

ويتلقاها آخر بالتحليل شرحا وتكرارا«[447].

وقد أنكر كثير من العلماء ظاهرة الاختصار مثل ابن خلدون الذي يقول: »ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون ا ويدونون ا برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشر القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم وربما عمدوا إلى الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك[448]في العربية، والخونجي[449] في المنطق وأمثالهم،وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل[450].

ويصف الشيخ محمد المنوني -رحمه الله- أصحاب المختصرات فيقول: »اقتصروا على ما قل لفظه ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح، بل هو حل مقفل وفهم أمر مجمل ومطالعة تقيدات زعموا أ ا تستنهض النفوس فبينما نحن نستنكر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ أتيحت لنا تقييدات الجهلة«[451].

وخلاصة القول فإن علم الفروع والمختصرات الفقهية قد نشأ في البداية لغاية نبيلة ومصلحة

(447) مقدمة محقق التفريع: 112/1.

(448) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله، جمال الدين، أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان سنة 600هـ، وانتقل إلى دمشق فتعلم ا وتصدر لتعليم العربية في حلب، مات بدمشق واشتهر بالألفية التي نظمها.

(449) هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله فضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق، الشافعي المذهب، فارسي الأصل. ولد سنة 590هـ، وانتقل إلى مصر وتولى قضاءها. وطلب وحصل وبالغ في علوم الأوائل حتى تفرد برئاسة ذلك في زمانه، وأفتى وناظر. له كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في الحكمة، والموجز في المنطق، وغيرهما. مات في شهر رمضان سنة 646هـ. (انظر ترجمته في شذرات الذهب: 236/5، وفيات ابن قنفذ ص: 320).

(450) مقدمة ابن خلدون: 1242/3.

(451) ورقات عن الحضارة المغربية للمنوني، ص: 216.

مؤكدة، هي استنباط قواعد فرعية وأحكام لقضايا جزئية من جهة، وجمعها في مؤلفات خفيفة بأسلوب مبسط، وعبارة ميسرة من جهة أخرى، إلا أن المغالاة في كلتا الحالتين قد أدت إلى الانحراف والفساد الذي سبقت الإشارة إليه[452]

كما لا يفوتني أن أشير إلى أن الفقهاء المالكية أسهموا بموسوعات فقهية أغنت الفقه المالكي كما يشير إلى ذلك الدكتور عمر الجيدي -رحمه الله- إذ يقول: »في مكان آخر كنت حدثت القارئ عن المصنفات الأمهات في المذهب المالكي وأبرزت قيمتها وأهميتها في الدراسات الفقهية المالكية، كما أبرزت اهتمام وعناية الدارسين ا قديما وحديثا، وتجلت لنا مظاهر تلك العناية في أكثر من جانب في الشرح في الاختصار في التهذيب، إضافة إلى الجانب الأساس وهو المدارسة؛ إذ كانت تشكل المائدة الأساسة التي قام عليها المذهب. ولن أعيد هنا الحديث عنها، كما لن أتحدث في هذا العنوان عن كل المصنفات التي أشارت إليها المراجع ووصفتها بالضخامة والبسط لكثر ا أولا ولأ ا لم تصلنا ثانيا، أو ما يزال البحث يسعى جاهدا للعثور عليها، وإنما سأكتفي باستعراض ما تبقى من هذه الموسوعات مخطوطا في بعض المكتبات المغربية، منه ما هو تام ومنه ما هو مبتور، ولكن يستفاد منه، على أي حال، في دراسة هذا المذهب.

وهدفنا من إدراج هذا العنوان إفادة القارئ بما هو موجود وإبراز الجهد الذي بذله المغاربة في ميدان التأليف الموسوعي الذي قل نظيره في بعض المذاهب الأخرى وإقامة الدليل على أن الفكر المغربي كان يتحرك بخطى ثابتة نحو نشر هذا المذهب والتمكين له ونصرته بمختلف الوسائل واستمراره، والمحافظة عليه فبقدر ما ينشط اتباع أي مذهب يحافظ عل توسعه وذيوعه[453].

وقد ذكر الدكتور المذكور -رحمه الله- مجموعة من الكتب التي عدها موسوعة فقهية أوصلها إلى اثنين وعشرين كتابا لا مجال لذكر ذلك كله هنا..

(452) مقدمة محقق التفريع: 113/1.

(453) مجلة الإحياء، عدد 4، ص: 99، مقال نشره الدكتور عمر الجيدي بعنوان: "الموسوعة الفقهية في المذهب المالكي".

بقي أن أشير إلى أن منهج التأليف في الاختصار وغيره ومظاهره بين المدرسة المالكية العراقية وغيرها من المدارس المالكية الأخرى في أمرين: الأول: منهج التأليف والثاني: نوع المؤلف...

الأول: منهج التأليف

فإنه وإن اتحدت فيه المادة وهي فقه الإمام مالك المدون في الموطإ والمروي عن أصحابه كما سلف، إلا أن طريقة عرض هذه المادة تختلف بين المدارس المالكية وقد نقل المقري -رحمـه الله- بيانا للمنهجين العراقي والقروي في تناول مسائل المدونة؛ قال: »وقد كان للقدامى –رضـي الله عنهم- في تدريس المدونة اصطلاحان؛ اصطلاح عراقي واصطلاح قروي، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كأساس وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس، ولم يعرجوا على الكتاب بمعنى "المدونة" بتصحيح الروايات ومناقشة الألفاظ، ودأ م القصد إلى إفـراد المسـائل وتحرير الدلائل على اسم الجدليين وأهل النظر من الأصوليين. وأما الاصطلاح القـروي، فهـو البحث عن ألفاظ الكتاب وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات، والتنبيه على ما في الكتاب من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الآثار وترتيب أساليب الأخبار، وضبط الحروف على حسب ما وقع في السماع وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها« (454).

الثاني: نوع المؤلفات

إن اهتمام المذهب بالتواليف الفقهية التي تثير الخلاف، ويؤدي هـذا الخـلاف إلى طـرق جوانب ليست هي مقصودة لذا ا وإنما لأ ا تؤدي في النهاية إلى اختيـار الحكـم الفقهـي أو ترجيحه؛ حيث ألفوا في الفقه وألفوا في أصوله وألفوا في الخلاف وألفوا في نصرة المذهب والـرد على مخالفيه وألفوا في مناقب إمام المذهب ومناقب أهل المدينة. وكثرت هذه المؤلفات وتتابعت في طبقا م.

وإذا قطعنا النظر عن التآليف في الفقه فلا تكاد تخلو قائمة مؤلفات أي من مؤلفيهم عـن كتاب في أحد هذه الموضوعات المذكورة، وقد يؤلف الواحد منهم في أكثر من موضوع منها. أما

(454) مجلة الأحمدية، العدد: 2، ص: 139.

الفقه فلا أريد أن أقف عند مؤلفا م فيه كثيرا، لأنه الأصل[455]، ولأن المدارس الفقهية المالكيـة أسهمت بشكل أو بآخر في هذا الجانب.

وأعتقد أن التأليف في المختصرات لم يخرج عن هذا الخط،بل تابع جمع المؤلفات المالكيـة بأسلو ا ومضامينها، فلا نجد مختصرا حاد عن الطريق الذي رسمه الفقهاء القدامى، لذلك فالتأليف في المختصرات يعتبر امتدادا للفقه المالكي بطريقة مختصرة مبسطة تقرب أصول الفقـه وقواعـده بطريقة أكثر تناولا. وهذا ما تبين لي من خلال هذا البحث.

وإذا كان هذا حال التأليف في المختصرات فإن الحديث يجرنا إلى أن نتسـاءل: مـا هـي أهداف المختصرات؟ ثم إلى أي حد التزمت هذه المختصرات الأهداف التي رسمتها لنفسها؟ ومـا هو أثر ذلك على الفقه المالكي؟

(455) العدد نفسه، ص: 139.

المبحث الثالث
أهداف المختصرات

تمهيد

بدأت فكرة الاختصار تظهر إلى الوجود أوائل القرن الثالث الهجري حينما اختصر عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت.214هـ/829م) كتب أشهب (ت.204هـ/819م) في المختصر الكبير[456]. وازداد انتشارها في القرن الرابع الهجري، ثم تضخم حجمها بشكل لفت انتباه الناس في القرن السابع الهجري وإن كان الاختصار في مرحلته الأولى له طابع خاص، يختلف شكلا ومضمونا عما آل إليه الوضع في العصور المتأخرة«[457].

ويرجع بروز هذه الظاهرة إلى أسباب:

أ-ضيق المجال أمام فقهاء عصر الانحطاط بإغلاق باب الاجتهاد، فلم يبق لهؤلاء عند التأليف سوى تكرار ما قاله الأولون في شروح أو نظام أو مختصرات.

ب-تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ؛ فنظرا إلى اعتماد التعليم على الحفظ، وبالمقابل كانت المؤلفات المبكرة في المذهب ضخمة مطولة، صعب عليهم حفظها واستيعابها فلجأوا إلى اختصارها تسهيلا للحفظ.

ج-جمع ما هو متفرق بين كتب المذهب من الفروع في كتاب واحد ليكون أجمع للمسائل«.

وقصدهم في ذاته من الاختصار حسن، إلا أنهم بالغوا فيه مع مرور الزمن، حتى أصبحت المختصرات عبارة عن ألغاز، ولذلك لم يحل الاختصار المشكل، بل زاده تعقيدا وتسبب في

(456) الفكر السامي: 113/3.
(457) المجلة الفقهية المعاصرة، عدد: 41، ص: 52.

حدوث مشاكل جديدة، أهمها[458]:

»أ-إلحاق خلل بالمعاني اللغوية والاصطلاحية.

ب-ارتكاب أخطاء فقهية.

ج-تحول العبارات الفقهية إلى ألغاز ومقفلات«.

إلا أن كل هذا لم ينتج عن المختصرات الأولى، التي اختصر فيها تلاميذ الأئمة كلمهم بحذف ما لا تكثر الحاجة إليه من المسائل وترتيب ما أملاه الأئمة غير مرتب، وإنما حدث بعد ذلك فيما بعد، عندما حدثت المغالاة في عملية الاختصار، وقد أسهب الحجوي القول تحت عنوان: غوائل الاختصار وتاريخ ابتدائه[459]...

وإن الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك سر ما قصده المختصِر، ونتج عن ذلك تضارب في الرأي واختلاف في وجهات نظر الفقهاء كل بحسب ما تيسر له من فهم مراد المختصر مما أثار الجدل بينهم وأوقعهم في اضطراب شديد فحدثت نتيجة ذلك هفوات وأخطاء بسبب طبيعة هذه المختصرات، إذ أصبحت عبارة عن ألغاز تحتاج إلى من يفكك عبار ا ويحلل ألفاظها فظهرت الشروح والحواشي وضاع بذلك القصد الذي لأجله حدث الاختصار[460].

وخلاصة القول: إن أهداف المختصرات تتنوع إلى ما يأتي:

1-جمع الأسفار في سفر واحد[461].

2-تقريب المسافة.

3-تحقيق المراد.

4-تكثير العلم.

5-تقليل الزمن.

---

(458) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي للجيدي، ص: 133.

(459) الفكر السامي: 457/4.

(460) الحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله، رسالة دبلوم الدراسات العليا من إعداد أحمد العمراني، بإشراف محمد الحبيب التجكاني، دار الحديث الحسنية، ص: 145-152.

(461) الفكر السامي: 457/4-458، بتصرف.

كل هذه المسائل المذكورة لم تحظ بعناية كبيرة من قبل الباحثين والمهتمين، مما جعل المـادة العلمية تعرف نزرا كثيرا سيما هذه الفروع التي سيتم الحديث عنها وقد يجد الباحث صـعوبات شتى في جمع ما قيل عنها، ولم يتحدث بإسهاب في مثل هذه المواضع إلا القليل، بل جل من تناول هذه الأفكار تناولوها على شكل نقط لا يتوسعون في شرحها، لذلك يعاني الباحـث في جمـع شتات هذه الفروع لقلة المادة ولعدم التوسع في مضامينها، مما خلق في هذا البحث عدم تـوازن مطالبه، وقد بذلت مجهودات كثيرة لغياب شروحات واضحة لهذه النقط، لذلك فلا عجـب أن يكون الفرع يتكون من ورقات فقط، لأن المادة العلمية لا توجد بشكل يسمح بالتوسع في كـل فرع فكلها رؤوس الأفكار لم تحظ بعناية فائقة لدى الفقهاء والباحثين للتوسع والدراسـة، وقـد أخذت هذه البادرة وجعلته مطالبا على أمل أن يتوسع البحث مستقبلا علـى هـذه الأصـول الأساسية للمختصرات وأهدافها الرئيسة.

وقد أسهمت هذه المختصرات في حشر معان كثيرة في كلام قليل؟ وهو ما سيتناوله الفرع الموالي.

تلك أسئلة سيتناولها الفرع الموالي.

الفرع الأول: حشر معان كثيرة في كلام قليل

إن حشر معان كثيرة عن كلام قليل يسبب وقوع أغلاط فيما أملاه أصحاب المختصـرات وصرنا من جمع القلة إلى الكثرة، مثال ذلك أن المدونة مثلا فيها نحو ثلاثة أسفار ضخام، وهـي مفهومة بنفسها لا تحتاج لشرح في غالب مواضعها، لكن خليلا لا يمكننا أن نفهمه ونثق بما فهمنا إلا بستة أسفار للخرشي وثمانية للزرقاني وثمانية للرهوني، والجميع اثنان وعشرون سفرا مع طول الزمن المتضاعف في الدروس والمطالعة في تفهم العبارات المغلقـة فلـم يحتمـل المقصـود مـن المختصرات.. مما أدى إلى نتائج وخيمة تتمثل فيما يأتي:

1-التطويل: فأصبح علم الفقه يستغرق عمر الطالب.

2-وقد ختم المختصر بعض أشياخنا تدريسا نحو أربعين سنة.

3-تضخيم الفقه بكثرة الاختصار وكثرة المسائل النادرة[462].

وكان الهدف الرئيس الذي كان يسعى إليه المختصرون، التعبير بمعان كثيرة في كلام قليل لا تلخيص التعبير، تجنبا للملل والتطويل. ويهدف المختصرون إلى الإيجاز لا على حسب طلاقة التعبير ووضوح المعاني وسهولة الفهم، ولم يكن فيه شيء من الضغط على الألفاظ وحشوها بما لا تطيق من المعاني... »مما حصل في القرن السادس وما يليه؛ حيث أصبحت المختصرات صعبة المراس مستعصية الفهم تحتاج إلى شروح مطولة وحواشي مبينة...«[463].

ولا يظن أن الاختصار كما يؤخذ من مفهومه اللغوي لا يكون إلا بتبديل العبارة الطويلة بعبارة موجزة فإن هذا ربما كانت مضرته أكثر من نفعه كما وقع لكبير من المختصرين بل لكثير من المؤلفين المستقلين أ م يبالغون في تقليل الألفاظ وحشر المعاني الكثيرة فيها حتى تضيق عن تأديتها ويجيء التكلف والغموض والإغلاق وتقوم الإشكالات والاحتمالات في فهم المقصود حتى يضيع برمته، وإنما المختصر الحاذق يعطي كل مقام ما يناسبه؛ فالعبارات الطويلة الدالة على معنى بسيط يمكن أن تؤدى بأقل من ذلك، يختار له من التراكيب على قدر معناه من غير إخلال، ورب مقام يحتاج إلى بسط العبارة فيبسطها وله زاد على الأصل وحسبه أن يتبع سبيل البلاغة بتعريفها المقرر في علم البيان.

فأما الاختصار بحذف المكرر وما لا فائدة فيه وما لا يوافق أذواق أهل عصرنا وما استغنى عنه كالأسانيد مثلا فهذا مما يستحسن ولا يستهجن، وأما ما خرج عما ذكرناه سواء كان من المختصرات أو من المؤلفات المستقلة، فما هو إلا نسخ للتأليف وتسويد للقراطيس والحامل عليه في الغالب حب الظهور والشهرة، وهو من أكبر الآفات التي أصيب ا العلم العربي في العصور المتأخرة[464].

(462) الفكر السامي: 457/4-458، بتصرف.
(463) مقدمة محقق التفريع: 111/1.
(464) منتخبات تاريخ دمشق لمحمد أديب تقي الدين: 17/1.

وإذا حصل العكس مما ذكرناه آنفا من إحداث أساليب مختلفة وعبارات جزلة وجمل سامقة تصطف فيها الألفاظ وتزدحم فيها المعاني ازدحاما يبتعد فيه الشرط عن المشروط والصلة عن الموصول، والجملة عن الخبر وغير ذلك من التعابير التي تلاحظ في هذه المختصرات، كما أن منهم من يؤلف كتبا في الفقه، إما لاختصار الكتب المطولة، أو لنظم بعض الأحكام الفقهية أو لمحاولة تبسيط ما يعسر فهمه منها، يقول الحجوي في هذا الصدد: »ويرجع سبب الاختصار إلى مقصدين اثنين معا، وهما:

-تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ كما سيأتي.

-وجمع ما هو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع للمسائل(465).

لكن المفسرين أساءوا من حيث لا يدرون، لأن هذا القصد في حد ذاته حسن، لكنهم غالوا في ذلك حتى فاتوا المقصود وأصبح فهم هذه المختصرات يتطلب وقتا طويلا لفك رموزها وألغازها فأصبحت الجملة الواحدة منها تحتمل احتمالات كثيرة مما نتج عنه تضارب في الرأي واختلاف في وجهات النظر.

وكل هذا أضر بالفقه ضررا بالغا كما قال الدكتور عمر الجيدي رحمه الله: »وكان من أثر الاختصار أن الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك سر ما قصده المختصر مما أوقع الفقهاء في اضطراب شديد فحدثت نتيجة لذلك هفوات وأخطاء بسبب طبيعة هذه المختصرات، إذ أصبحت عبارة عن ألغاز ورموز فجاء عصر الشروح والحواشي وضاع بذلك القصد الذي لأجله حدث الاختصار وأدى الحال ببعض المختصرين من فرط تعمقهم في الاختصار أن بعضهم لم يعد يفهم ما سطره في مختصره كما وقع لابن الحاجب؛ إذ يحكى أنه لَما كان مشتملا بوضع كتابه كان يجمع الأمهات ثم يجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز، ثم يضمنه كتابه حتى أ اه، ثم يأتي بعد ذلك إلى بعض التعابير التي وضعها فيحتاج في فهمها إلى فكر وتأمل«(466)، إلى

(465) الفكر السامي للحجوي: 458/4.

(466) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 133، نقلا عن جذوة الاقتباس: 297/1.

غير ذلك من المسائل والأهداف التي سطرها المختصرون.

الفرع الثاني: تقليل ألفاظ المختصرات

مما لاشك فيه، أن عمل المختصرين كان يختصر أساسا إلى تقليل ألفاظ المختصرات، لأنه مقصد حسن؛ إذ لولا حصول المبالغة في الاختصار لكان الحد الذي أضر بالفقه»[467]. فقد انصب عمل الفقهاء في حل ألفاظ المختصرات والخلاف في تأويلها فوضعت لبيانها الشروح، ثم تعقبوها بالحواشي مما أضاع الوقت وبدد الجهود. ومما تحسن الإشارة إليه في هذا الصدد اعتراض بعض العلماء –وإن كانوا قلة- على ظاهرة الإغراق في اختصار الفقه، ولكن صوت اعتراضهم كان خافتا لم يسمع في ضجيج الأصوات التي تشيد بالمختصرات، ومنهم الشيخ أحمد بن قاسم الشهير بالقباب، لما حج مر في طريقه بتونس واجتمع بابن عرفة فأوقفه ابن عرفة[468] على ما كتب من مختصره الفقهي«[469].

ولقد كان من منهاج الإمام الشاطبي في دراسته ألا يأخذ الفقه إلا من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر في هذه الكتب المتأخرة؛ يقول: »وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التآليف المتأخرة فليس ذلك من بعض رأي، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين وأعني بالمتأخرين مثل ابن بشير وابن شاس وابن الحاجب ومن بعدهم، ولأن بعض من لقيته من العلماء بالفقه أوصاني بالتحاشي على كتب المتأخرين وأتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة، والعبارة الخشنة التي أشار إليها كان ينقلها عن صاحبه أبي العباس القباب، كما تمت الإشارة إلى ذلك[470].

(467) الفكر السامي: 458/4.

(468) الإمام الحجة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغي نسبا، التونسي بلدا، تبحر في العلوم وفاق في الأصولين والكلام، وتقدم في الفقه والنحو والتفسير. تولى إمامة الجامع الأعظم. مولده سنة 717هـ، وله مصنفات أرفعها "المختصر الكبير في فروع المذهب". توفي سنة 803هـ. (انظر ترجمته في: غاية النهاية: 243/2، ونيل الابتهاج ص: 274، ووفيات ابن قنفذ ص: 379-380).

(469) نيل الابتهاج للتنبكتي، ص: 102، واختلاف الفقهاء ص: 95، والفكر السامي: 461/4، بتصرف.

(470) الاختلاف الفقهي مصطلحاته وأسبابه ص: 96، رسالة دبلوم الدراسات العليا، دار الحديث الحسنية،

ويعرف علماء المالكية المنهج الاختصاري الذي اتبعوه في مختصراتهم في هذا الدور بأنه رد الكثير إلى القليل وفي القليل معنى الكثير[471] وبلفظ آخر أكثر دقة اختصر الكلام؛ إذ أتى بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير إخلال بالمعنى«[472]. وهو منهج اتبعه علماء المالكية في مختصراتهم في هذا الدور، إلا أن بعضهم بالغ في الاختصار حتى أصبح الكتاب يضم مادة علمية واسعة في كلمات وتعبيرات موجزة جدا تصل أحيانا إلى مستوى الألغاز مما يحتاج إلى شرح وحاشية؛ فكتاب جامع الأمهات لابن الحاجب إيجاز لمادة علمية واسعة لا تقل عن المادة المستوعبة بما يراه بعضهم من أن جامع الأمهات لابن الحاجب اختصار لكتاب عقد الجواهر وهو أمر لا يعترف به ابن الحاجب.

ولهذا عرفت المختصرات الفقهية المالكية تحولا كبيرا في جل مضامينها، ويأتي هذا التحول في ظل تقريب القصوى، وذلك باختصار الكتاب الفقهي ولو بألفاظ قليلة وتسرب هذا المنهج إلى الفقه المالكي منذ القرن الرابع الهجري وما يليه.

غير أن الفقهاء لم يتناولوا بالتفصيل عددا كثيرا من النقط الغامضة في شرحها وتفصيلها، ويأتي في مقدمة هذه النقطة تقليل الألفاظ في المختصرات؛ فهي نقطة جزئية تحتاج إلى شرح هذه النقطة في كتب الفقه التي لم تعر أي اهتمام للجزئيات التي رسمها المختصرون. ولذا فمن الصعب جدا أن تجد ما لا فائدة فيه من كلام المؤلف مع تعبير المختصِر بألفاظ قليلة جدا؟

وكيفما كانت الأسباب والمسببات فإن تقليل الألفاظ في المختصرات هو الهدف الأساس. غير أن لذلك عواقب وخيمة تتمثل في كيفية التعامل مع الكتب المختصرة. وإذا كان المؤلف من حذاق العلم فإنه يستطيع أن يختصر الكتاب بألفاظ قليلة دون الإخلال والإطناب والحشو مما يعطي لعمله رونقا وافيا لا لدى المتخصصين.

ولهذا فإن تقليله ألفاظ المختصرات تعرف نجاحا دائما، لأنه لابد لمن أراد ان يقوم بذلك أن

إعداد: عبد العزيز بنصالح، تحت إشراف الدكتور عمر الجيدي.

(471) مواهب الجليل: 24/1.

(472) الخرشي على مختصر خليل: 34/1.

يكون أهلا لها، وإن كان حال هذا فإن الأمر لا يختلف كثيرا عن جزئيات أخرى يتمثل في جمـع ما هو متفرق. ويجدر بنا أن نتساءل: إلى أي حد أسهم المختصرون في جمع ما هـو متفـرق في المختصرات؟ وما هو أثر ذلك في المختصرات؟

تلك أسئلة يتناولها الفرع اللاحق.

الفرع الثالث: جمع ما هو متفرق

إن من يتأمل مؤلفات المتقدمين في أصناف العلوم والصنائع منذ دونت العلـوم، وانقضـى عصر الأمية، يراها كبقية المستحدثات في هذا الوجود تنتقل من طور إلى طور. ومعلوم أن العلوم إنما توضع أولا قواعدها البسيطة، ثم تتكامل على التدريج شيئا فشيئا بقدر الاحتياج إليها والعلوم والكتب المؤلفة فيها تابعان لأطوار الدول من قوة وضعف وعمران وضده وبداوة وحضارة لعلم يتلون بلون الدولة.

وإذا نظرنا إلى أحوال الدول الإسلامية في أول أمرها، نجد قوة وحضارة دولة الرشيد وبنيه وبني بنيه فلذلك كانت العلوم الموجودة لذلك العصر آخذة مآخـذها في الانتشـار والتفـرع والتكامل، والمؤلفات آخذة كمالها في البسط والإتقان والتفريع ومتانة الأسلوب. وغير خاف أن الكتب العلمية إنما يقصد منها إفهام الغير من المتعلمين وغالبهم ممن ليس لهم مكانة في العلـم ولا اقتدار على استخراج الغوامض والمكنونات؛ فالواجب أن تكون عبارات الكتب العلمية مبسوطة كل البسط، واضحة غاية الوضوح حتى يمكن للناس تناول معلوما ا إلى ما تجب مراعاتـه مـن اختيار التراكيب السهلة المتداولة في الاستعمال واختيار التراكيب غير المعقدة وتقريـب الأشـياء بالأمثلة الحسية...

نعم، هناك طريقة الأقدمين في التطويل وهي نقلهم لجميع مسائل العلوم كيفمـا كانـت بالسند إلى المنقول عنه وهي طريقة لا تحمد في كل عصر وإن كانت حسنة في إسناد العلـم إلى قائله والعلم أمانة كما يقولون، غير أنه استغنى عن تلك الطريقة في العلوم التي تقررت ولم يبـق مجال للشك فيها ولاسيما الحديث لإجماع الأمة الإسلامية على تلقي أمهاته بـالقبول الـذي لا

يطرقه شك في نسبة تلك الأمهات بالحفظ والتفهم والعمل[473].

وقد قلنا إن العلم يتلون بتلون الأجيال والعصور، وقد أخذت المؤلفات العلمية بعد المائة الخامسة شكلا غير الشكل الذي كان لها ولم تزل تنقل من شكل لآخر إلى يومنا هذا، منهم من ينقل بما يراه الأصلح والأنسب لأهل عصره في العلم بالذي اختص بالتأليف فيه حتى يكون له مجال في إبداء أفكاره الخاصة في ذلك العلم. ومنهم من يقعد به الجمود أو قصر الباع عن هذه الدرجة، أو يرى أن كتب الأقدمين كافية في تحصيل الغرض من ذلك العلم، ولكن فيها ما لا يناسب ذوق أهل عصره فتعمد إلى تجريد ذلك الكتاب مما لا يوافق حتى تمكن الاستفادة منه ويقرب تناوله، وينقل من الإهمال إلى الاستعمال.

وقد تفنن الناس في هذه الطريقة وتناولوا فيها وهي طريقة لا تحمد من جميع الجهات ولا تذم كذلك، ورأينا في هذه المسألة أنه ينظر أولا إلى أهمية الكتاب في ذات العلم المؤلف فيه وموافقته بصورة عمومية وملاءمته لجميع الأذواق، وثانيا إلى رتبة مؤلفه ومبلغه من ذلك العلم وإصابة آرائه وأفكاره وكو ا بحيث تؤخذ منها نتائج وتنشأ عنها استنباطات ترقى في ذلك العلم[474]، وثالثا كون الكتاب لا يمكن الانتفاع منه بحالته التي هو عليها فيختصر بإزالة ما كان مانعا من الاستفادة، ويحذف ما استغنى عنه ولم يعد لذكره فائدة، ويحذف وبسط ما يحتاج إلى البسط وتوضيح ما يحتاج إلى الإيضاح وشرح أفكار المؤلفات الأولى وآرائها وإقرار الصواب منها، وانتقاد ما هو قابل للانتقاد مع المحافظة على نسبة كل فكر لصاحبه.

ولا يظن أن الاختصار كما يؤخذ من مفهومه اللغوي لا يكون إلا بتبديل العبارة الطويلة بعبارات موجزة، فإن هذا ربما كانت مضرته أكثر من نفعه كما وقع لكثير من المختصرين بل كثير من المؤلفين المستقلين يبالغون في تقليل الألفاظ وحشر المعاني الكثيرة فيها حتى تضيق عن تأديتها ويجيء التكلف والغموض والإغلاق، وتقوم الإشكالات والاحتمالات في فهم المقصود حتى يضيع برمته، وإنما المختصر الحاذق يعطي كل مقام ما يناسبه بالعبارات الطويلة الدالة على

(473) منتخبات التواريخ لدمشق، ص: 16.
(474) نفسه، ص: 16.

معنى بسيط يمكن أن يؤدى بأقل من ذلك يختار له من التراكيب على قدر معناه من غير إخـلال ورب مقام يحتاج إلى بسط العبارة فيبسطها، ولو زاد على الأصل وحسبه أن يتبع سبيل البلاغة في علم البيان.

فأما الاختصار بحذف المكرر وما لا فائدة فيه وما لا يوافق أذواق أهل عصرنا وما اسـتغنى عنه بالأسانيد مثلا فهذا مما يستحسن ولا يستهجن، وأما ما خرج عما ذكرناه سواء كـان مـن المختصرات أو من المؤلفات المستقلة، فما هو إلا نسخ التأليف وتسويد القراطيس والحامل عليه في الغالب حب الظهور والشهرة وهو من أكبر الآفات التي أصيب ا العالـم العـربي في العصـور المتأخرة[475].

مما سبق يتضح أن الاختصار إذا لم يهدف إلى أهداف معينة يعبر عنها المختصر في مقدمـة كتابه تبقى مهمته مجهولة، وهو ما لاحظناه في كثير من المختصرات التي يعتبر فيها المؤلـف عـن أهدافه ونواياه. وكثير منهم يذكر أنه يريد أن يجمع ما هو متفرق في كتب المذهب فيجند نفسـه لإعطاء نظرة عما تفرق في المذاهب بمؤلف مختصر ليجمع ما هو متفرق في المذهب ويقدمـه في شكل مختصر يختلف الناس في استقباله؛ فإذا كان هذا المختصر فعلا جمع فيه المؤلف ما هو متفرق في كتب الفقه فإنه يحظى باهتمام كبير لدى أوساط المثقفين، وإذا كان فيه إخـلال بمـا يضـر بالمؤلف، فإنه يتعرض للانتقادات من القراء.

وإذا كان الحال ما ذكر، فإلى أي حد أسهم المختصرون باختصار الزمان في مختصـرا م؟ وهل استفاد الخلف في هذه المختصرات؟ ثم إلى أي حد كان الزمان عاملا مسـهما في ظهـور المختصرات؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

(475) منتخبات التواريخ لدمشق، ص: 17.

الفرع الرابع: اختصار الزمان

لقد بذل الفقهاء الأقدمون -رحمهم الله- جهدا كبيرا في المؤلفات العلمية التي تركوها لنا فوقف الخلف أمام هذه المؤلفات الطويلة مشدوهين لا يعرفون التي يأخذون منها سيما أنهم يريدون أن يختصروا الزمان، يعني أنهم يريدون أن يتفقوا منها بأقل كلفة ممكنة على اعتبار أن العصر موصوف بالسرعة في كل شيء، وأمام هذه الإشكالية دخل المتأخرون هذه المؤلفات بأغراض تختلف من شخص لآخر، وأمام هذه المسألة تعاملوا مع الكتب القديمة والطويلة بمراحل نسرد بعضها فيما يأتي:

»لقد كان العلماء عند تدوينهم هذه الكتب يبسطون القول في كل باب ويفصلون أحكام كل مسألة ويجمعون أقوال أئمة ذلك المذهب، ومن أهم هذا النوع في الفقه المالكي كتاب الموطإ، وكتاب المدونة وقد تم الحديث عنهما.

وإلى جانب هذه الكتب المدونة ظهرت كتب آخرى، عمل فيها مؤلفوها على تلخيص الكتب الفقهية المطولة، عن طريق حذف ما لم تكثر الحاجة إليه، وجمع ما تفرق في كثير من الكتب، مع الاختصار في الكلام بجمع كثير من المسائل في القليل من الكلام، وهذه الكتب هي التي تسمى المختصرات، ومن أهمها في الفقه المالكي مختصر خليل المشهور والذي سيأتي الحديث عنه في حينه.

وكما اختلفت طريقة الفقهاء في التأليف بين التطويل والاختصار، فقد اختلفت أساليبهم التي يعالجون بها هذه المواضيع بين من يستعمل النثر في كتابته وبين من يختار النظم باعتباره وسيلة للتعبير والتأليف ليشجع الطلاب على الإقبال على كتابته وليسهل عليهم حفظه واستظهاره، ومن أشهر المنظومات الفقهية في المذهب المالكي المنظومة المسماة "تحفة الحكام" لأبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن عاصم المزداد سنة 760هـ«[476].

ولم يقف المتأخرون عند هذا الحد، بل أطلقوا عنان أنفسهم في الخوض في المختصرات أملا منهم أن يدخلوا أغوار المؤلفات القديمة، ولهذا لما كثرت المختصرات والمنظومات، وتبين أن أغلبها

(476) محاضرات في المدخل لدراسة التشريع الإسلامية، ابن معجوز، ص: 126-127.

مما يعسر فهمه والاستفادة[477] منه اتجهت همة الفقهاء إلى شرح هذه المختصرات وتبسيطها، وتخريج المسائل التي اشتملت عليها وآراء الفقهاء في كل مسألة ذكرت فيها وبيان الراجح والمعول عليه من بين هذه الآراء[478].

وقد عج الفقه المالكي بهذه الشروح والحواشي والتعليقات والزوائد فأضحت الساحة الفقهية المالكية بمؤلفات تفوق ما كان منتظرا منها فوقف الفقهاء المتأخرون مشدوهين أمام هذه الثروة الفقهية التي أفرزها كثير من الشروحات والتعليقات وغيرهما في الوقت الذي يبحثون فيه عن اختصار الزمان بأقل كلفة ممكنة؛ حيث يبحثون عن استيعاب هذه المؤلفات القديمة بسرعة فائقة دون ضياع أعمارهم وريعان شبابهم بين هذه المؤلفات الطويلة فكان ذلك مدعاة لظهور المختصرات الفقهية.

كما أن تراكم أقوال الفقهاء واختلافهم في تفسير في أقوال المدونة وتعدد آراء الفقهاء في المسألة الواحدة جعلت المتأخرين يسبحون في بحر لا ساحل له ولاسيما إذا علمنا أن علماء المالكية لم يتخلوا عن قواعد الترجيح التي تبناها وأقرها علماء الدور السابق، وإن أدخلوا عليها شيئا من التحرير مستحدثين بذلك بعض القواعد التي أملتها طبيعة هذه المرحلة، وما بلغه المذهب من تطور في الآراء واستقرار في المنهج الاستنباطي والتفريع والتجريح.

اعتمد علماء دور التطور القاعدة التي تنص على أنه إنما يفتى بقول مالك في الموطإ، فإن لم يجده في النازلة فبقوله في المدونة، فإن لم يجده فبقول ابن القاسم فيها وإلا فبقوله في غيرها،وإلا فبقول الغير فيها، وإلا فبأقاويل أهل المذهب. إلا أن علماء هذا الدور، دور الاستقرار، يرون أن هذا ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بما قاله أبو الحسن الطنجي[479]: »قول مالك في المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها، لأنه الإمام الأعظم. وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها، لأنه

(477) محاضرات في المدخل لدراسة التشريع الإسلامي، ص: 127-128.

(478) نفسه، ص: 127.

(479) أبو الحسن الطنجي علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني، شهر بالطنجي، الفقيه الحافظ الفرضي الحسابي، له تقييد على المدونة، أخذ عن أبي الحسن الزرويلي، توفي 734هـ. (انظر نيل الابتهاج ص: 204، وشجرة النور ص: 218).

أعلم بمذهب مالك رضي الله تعالى عنه. وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم في غيرها وذلك لصحتها«[480].

ويقول العدوي في هذا الصدد: »رواية ابن القاسم في المدونة مقدمة على رواية غيره فيها. ورواية غير ابن القاسم في المدونة مقدمة على قول ابن القاسم في غير المدونة، تأولـه في غيرهـا. وقول مالك والذي رواه عنه ابن القاسم ولو في غير المدونة مقدم على قول ابن القاسم في غيرها. وأما قوله فيها فهو مقدم على روايته عن الإمام في غيرها«[481].

لعل التعليل المنطقي لإفراد المدونة بالتقديم والاكتفاء بالنص عليها أن المدونة جاءت متأخرة عن الموطإ، ثم إن آراء الإمام التي رواها ابن القاسم أوثق تلاميذ الإمام وأطولهم صحبة؛ إذ صحب مالكا أزيد من عشرين سنة ولم يفارقه حتى مات[482]

وتأخر المدونة تأليفا مع تميزها برواية ابن القاسم وأقواله، منحها درجة التفضيل والتقـديم؛ فهي تقدم الصيغة الأخيرة لاجتهاد الإمام وما توصل إليه من آراء فقهية، قد تختلف عما جـاء في الموطإ المتقدم تأليفا، هذا الاختلاف نتيجة حتمية لتغير آراء ا تهد في القضايا التي تعرض عليه في ضوء إعادته النظر والتأمل استنباطا وأدلة؛ فقد اتفق المالكية على أن رواية ابن القاسم في المدونـة تقدم على كل ما يخالفها[483]؛ إذ كان عالما بالمتقدم من قول مالك والمتأخر، ولما وقع الاتفـاق على الثقة بعلمه وورعه، علم أن ما أجاب في المدونة إلا بما روي أنه طلب من الله تعالى أن يحمل الناس على العمل به، وغلب على الظن أنه إنما يجب في المسائل بقول مالك الأخير؛ حيث يختلف قوله[484].

يقول ابن فرحون: »ورث المتأخرون من علماء المالكية تراثا ضخما من الآراء والاجتهادات الفقهية التي قد تمثل اتجاهات متعارضة، مما حدا ببعضهم إلى سؤال أحد العلماء: لماذا مـذهبكم

(480) تبصرة الحكام: 49/1، وكشف النقاب الحاجب ص: 68، والبهجة: 21/1.
(481) حاشية العدوي على الخرشي (امش الخرشي على خليل): 36/1.
(482) كشف النقاب الحاجب ص: 68، تبصرة الحكام: 47/1-49.
(483) فتح العلي المالك: 106/1.
(484) كشف النقاب ص: 68، نيل الابتهاج ص: 357-358، تبصرة الحكام: 47/1-49.

كثير الخلاف؟ قال: لكثرة نظاره في زمن إمامه، وقد أخذ عنه مشافهة نحو ألفين كلهم مجتهد أو قارب الاجتهاد»[485]. لذلك فالمسألة الفقهية الواحدة لا تخرج عن الأقوال الثلاثة:

القول الأول: الراجح، وهو ما قوي دليله.

القول الثاني: المشهور، وتختلف الآراء في تعريفه إلى ما يأتي:

أ-ما قوي دليله فيكون مرادفا للراجح.

ب-ما كثر قائله.

ج-رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة[486].

والمعتمد من هذه التفسيرات القول الثالث: الضعيف والشاذ، والضعيف يقابل الراجح والشاذ يقابل المشهور. فإذا صح في المسألة قول راجح أو قول مشهور فالمعتمد أحدهما، ولا يجوز العدول عن الراجح أو المشهور إلى الشاذ أو الضعيف إلا إذا كان العمل عليه وصيغة أفعل التفضيل (الأرجح أو الأشهر) تعطي التقديم للقول الموصوف به، فالأرجح مقدم على الراجح والأشهر مقدم على المشهور[487].

أما عند تعارض الراجح والمشهور في قضية واحدة فالعلماء مختلفون في تقديم أيهما؟ ولعل الأمر قد استقر عند المتأخرين من علماء هذا الدور، على أن المعتمد عند تعارض الراجح والمشهور تقديم الراجح أيا كان قائله متى ثبتت قوة دليله على دليل الرأي المقابل، وقد تمت الإشارة إلى ذلك.

ولا أريد أن أدخل غمار خلافات فقهية في تصنيف الآراء الفقهية؛ فقد أسهب الفقهاء القول في ذلك، بقدر ما أريد أن أشير إلى أن العامل الأساس في بحث المتأخرين عن اختصار الزمان والتفقه ولو باليسير ما ذكرت سابقا من كثرة أقوال فطاحل المالكية في المسألة؛ بحيث يجد الباحث العادي الذي لا يتزود بوسائل علمية تمكنه من معرفة الراجح والمرجوح، والضعيف

---

(485) نيل الابتهاج ص: 27-28.

(486) الدسوقي محمد عرفة حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: 20/1.

(487) كشف النقاب ص: 62.

والقوي وغيرها يجد الكثير من الأقوال التي تعج بها كتب الفقه المالكية، فذاك بحر لا ساحل لـه؛ فكل من لا يحسن السباحة فلا يخرج منه سالما، لذلك بحث المتأخرون عن مخرج باختصار الزمان بأقل كلفة فقهية تجنبهم الغوص في اختلافات فقهية لا يدخلها إلا الحاذق العالم العارف المتطلع في علوم الشريعة واللغة العربية وغيرهما.

وإذا كان الأمر كذلك، فما هو موقف الفقهاء من المختصرات؟ إلى أي حـد أسـهمت انتقادا م للمختصرات في إثراء الفقه المالكي؟ وما هي أهم الانتقادات التي وجهت للمختصرات الفقهية؟

تلك الأسئلة سيعالجها الفصل الموالي.

الفرع الثاني: مختصرات المدونة

تعتبـر "المدونة" أصل علم المالكيين، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطإ مالك -رحمه الله- ويروى أنه: ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطإ الإمام مالك -رحمـه الله- ولا بعد الموطإ ديوان في الفقه أفيد من المدونة، والمدونة هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهـل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن مـن الصـلاة تجزئ عن غيرها ولا يجزئ غيرها عنها...«[488].

يوضح هذا النص موقع المدونة عند المالكية؛ فابن رشد -رحمه الله- يقدم لنا المدونة كتابـا معتمدا عند المالكية باختلاف مدارسهم، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها... [489].

ولعل أي كتاب من كتب المذهب لم يحظ بمثل ما حظيت به المدونة فلقد افتتن ا النـاس افتتانا وحفظوها استظهارا على كبر حجمها، وأكثروا من شروحها والتعليق عليها واختصـارها فكثرت نسخها، وتطايرت شرقا وغربا، واهتبل الناس ا عامة وخاصة، وشرحوا غريبها ونبـهوا

(488) المقدمات الممهدات: 1/44-45.
(489) ترتيب المدارك: 300/3.

على مشكلا ا[490] أيا كانت مدارسهم وعصورهم حتى قال قائلهم: »ما من حكم نـزل مـن السماء إلا وهو في المدونة[491] فهي أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين[492]، وهـي أصـل المذهب وعمدته[493]. »فإذا أطلق الكتاب فإنما يريدو ا لصيرورته عندهم علما بالغلبة عليها[494] وهي التي تسمى الأم«[495].

والمدونة إلى كل ما سبق، أفسحت مجالا كبيرا للأحكام المعتمدة على العقل مـع سـهولة تناولها ووضوح لغتها وهي شاهد أمين على علو م لة جامعها وشيخه، ومـا بذلـه في ترتيبـها وتبويبها[496].

وأصبحت مدونة سحنون إماما لكتب المذهب؛ إذ تناولتها أفكار أربعـة مـن الأئمـة ا تهدين: الإمام مالك وابن القاسم وأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد، فأقبل عليها العلمـاء بالشرح والتعليق والاختصار... [497].

وعليه، فأهم الفقهاء الذين اختصروا المدونة على الترتيب هم:

1-إبراهيم بن عجنس[498]، مـن أسـباط الكلاعـي[499] الزبـادي نسـبة إلى زبـاد الأندلسي[500]، من أهل وشقة -بفتح أوله وسكون ثانيه والقاف- بلدة بالأندلس[501].

(490) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي رحمه الله، ص: 177.
(491) شجرة النور: 79/1، جذوة الاقتباس: 127/1.
(492) مواهب الجليل: 34/1.
(493) نفسه: 34/1.
(494) حاشية العدوي على الخرشي: 38/1.
(495) مواهب الجليل: 34/1.
(496) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، ص: 181.
(497) دليل السالك للمصطلحات والأسماء، للدكتور شلبي، ص: 83، صورة مصورة.
(498) انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 471/4، وتاريخ علماء الأندلس: 37/1، والديباج ص: 91.
(499) كلاع بالفتح وآخره عين مهملة: إقليم كلاع بالأندلس، من نواحي بطليوس. (ترتيـب المـدارك: 474/4).
(500) الديباج: 278/1.
(501) معجم البلدان: 929/4.

كان أحد الحفاظ للفقه، اختصر المدونة وله رحلة سمع فيها من يوسف بن عبد الأعلى. توفي سنة خمس وسبعين ومائتين (ت.275هـ) [502]. وعجنس –بعين مهملة وجيم مفتوحة ونون مفتوحة مشددة وسين مهملة-[503]. والزبادي –بالزاي المعجمة وباء موحدة- نسبة إلى زباد موضع بالمغرب، ذكره السمعاني[504].

ذكر عياض أنه اختصر المدونة في عشرة أجزاء وسهلها، وذكر أنه توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين أو أربع وسبعين ومائتين، وقيل: ست وسبعين[505].

2-حمديس بن إبراهيم بن أبي محرز اللخمي، من أهل قفصة من الطبقة الثالثة ممن لزم مالك ولم يره من أهل إفريقية. سمع من ابن عبدوس بن عبد الحكم ويونس الصدفي. وله في الفقه كتاب مشهور في اختصار مسائل المدونة، رواه عنه مؤمل بن يحيى والناس. توفي سنة تسع وتسعين ومائتين (ت.299هـ) [506].

وذكر صاحب طبقات المالكية أنه توفي سنة سبع وسبعين ومائتين (ت.277هـ)، قال ابن عبد السلام في نسبة الطالب في ضبط ألغاز ابن الحاجب حمديس -بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال بعدها ياء مثناة وبعد الياء سين مهملة-[507].

رواية مختصر حمديس، لمحمد بن إبراهيم بن أبي محرز اللخمي المتوفى سنة 299هـ رواه ابن الفرضي إجازة وربما رواه سماعا عن شيخه محمود بن حكم بن منذر بن عبد الله الأسدي (ت.394هـ)، قال -بعد أن ذكر سماع شيخه للكتاب وغيره-: وسمعت أنا منه ببجاية، وأجاز لي جميع روايته هكذا سماه ابن الفرضي (مختصر حمديس)، وهو كتاب مشهور في الفقه كما يقول عياض في المدارك: 384/4 موضوعه اختصار مسائل المدونة، رواه عن حمديس مؤمل بن يحيى،

(502) الديباج: 278/1.
(503) نفسه: 278/1.
(504) الأنساب للسمعاني: 127/3، طبعة دار الكتب العلمية، دار الكتاب.
(505) ترتيب المدارك: 471/4-472.
(506) ترتيب المدارك: 384/4، الديباج: 108/1 امش نيل الديباج.
(507) طبقات المالكية، مخطوط، رقمه بالخزانة العامة: 3928د، ورقة 125.

ولم يترجم ابن الفرضي لحمديس ولا لمؤمل بن يحيى وإنما ترجم لمؤمل بن سلمان، ويشبه أن يكون هو الذي روى عن حمديس مختصره[508].

3-محمد بن أحمد الجبلي، له مختصر في المدونة، توفي في شوال سنة عشرة، ويقال: ثلاثة عشر وثلاثمائة (ت.313هـ) [509].

4-فضل بن سلمة بن جرير الجهني مولاهم، له مختصر المدونة ومختصر الواضحة، ومختصر كتاب ابن المواز. توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة (ت.319هـ) [510] واختصر الواضحة، وهو من أحسن كتب المالكية[511]. وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "المزهر" المختصرات التي فضلت على أصولها يذكر منها مختصر الواضحة لفضل بن سلمة، وله أيضا كتاب جمع فيه مسائل المدونة والمستخرجة وا موعة، وله جزء في الوثائق... [512].

5-محمد بن عبد الله بن عيشون...، وله مختصر مشهور واختصر المدونة إلا الكتب المختلطة. توفي بطليطلة سنة واحد وأربعين وثلاثمائة (ت.341هـ) [513].

6-عبيد الله بن فرج الطومالقي النحوي، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان. روى عن أبي علي البغدادي وأبي عبد الله الرياحي وابن القوطية ونظرائهم، وتحقق بالأدب واللغة، وعنى بذلك كله، وألف كتابا متقنا في اختصار المدونة استحسنه القاضي أبو بكر بن زرب ذكر ذلك ابن عابد، قال ابن الفرضي: توفي يوم الاثنين النصف من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة (ت.386هـ) ودفن صبيحة يوم الثلاثاء بمقبرة مومره. قال ابن حبان: وكان مولده سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (ت.324هـ)[514].

---

(508) أبو الوليد القرطبي حياته وآثاره، رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، إعداد: أحمد اليزيدي، تحت إشراف نوري معمر: 395/2.

(509) المدارك: 183/5.

(510) نفسه: 221/5.

(511) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: 3928د، ص: 143.

(512) طبقات المالكية، ص: 143.

(513) المدارك: 172/6-174.

(514) الصلة: 454/2.

7-أبو القاسم إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي المصري القرطبي، وله في المدونة اختصار معروف، مولده سنة 305هـ، وتوفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (ت.384هـ)(515).

8-مختصر أبي محمد بن عبد الله القيرواني (ت.386هـ) سيأتي الحديث عنه.

9-القاضي أبو بكر بن سليم... له كتاب اختصار المدونة.. توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة (ت.367هـ) (516).

10-أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين –بفتح الزاي والميم وكسر النون- البيري(517). كان من مفاخر غرناطة، وكبار المحدثين والفقهاء الراسخين، أجل وقته فقها وحديثا، متفننا عارفا باختلاف العلماء، متطلعا في الأدب والأخبار والنحو وقرض الشعر، متبتلا متقشفا، داوم الصلاة والبكاء كثير الصدقة، مواسيا لجاهه وماله، فصيحا آخذا بالأفئدة، حسن التأليف، له تفسير للقرآن، وشرح للمدونة واختصار لها، ليس في مختصرا ا مثله باتفاق، وله كتاب المنتخب في الأحكام شهير، واختصار شرح الموطإ لابن مزين وأصول الوثائق وكتب مهمة غيرها. توفي بالبيرة سنة تسع وتسعون وثلاثمائة (ت.399هـ) (518).

قال عياض رحمه الله: »(...) وكان حسن التأليف، مليح التصنيف مفيد الكتب في كل فن ككتاب المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها، ليس في مختصرا ا مثله باتفاق، قال ابن سهل: »أفضل مختصرات المدونة وأقر ا ألفاظا ومعاني لها...«(519). قال الذهبي في الهامش: »واسم المختصر "المغرب في اختصار المدونة" وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها، مع تحرير للفظها وضبط لروايتها ليس في مختصرا ا مثله باتفاق«(520).

(515) شجرة النور، ص: 93، المدارك: 298/6، الديباج ص: 95.

(516) ترتيب المدارك: 284/6-289.

(517) انظر الديباج: 333/2، الوافي بالوفيات: 321/3، طبقات المفسرين: 162/2، شجرة النور: 101/1، ترتيب المدارك: 183/7.

(518) الفكر السامي: 144/3.

(519) ترتيب المدارك: 183/7.

(520) سير أعلام النبلاء: 88/7.

التعريف بمختصر المدونة المسمى المقرب:

كتاب المقرب لابن أبي زمنين، حذف أوله وآخره، وفي الورقة الموالية للمحذوفـة عنـوان كبير -الحكم في توقيف ما يستحق من الحيوان- بدأ في التآكل، يقع في 367 ورقة مع حذف في بدايته و ايته، معدل السطور في الورقة 24 سطرا، حجم أوراقه متوسـطة، عـدد الأسـطر في الصفحة الواحدة 24 سطرا، وعدد الكلمـات في السـطر الواحـد 22 كلمـة، مسـطر ا 27×19.5، مكتوب بخط مغربي جميل واضح، ولكنه لا يحمل تاريخ النسخ ولا اسم الناسـخ، محذوف الصفحات الأولى والأخيرة من ص: 1 إلى 15، وفيه حذف الأطراف، أتـت الأرضـة على أطرافه(521).

(521) المقرب لمسائل المدونة وشرح مشكلا ا لابن أبي زمنين، رقمه بالخزانة العامة: 3624د.

الصفحة الأولى من مختصر ابن أبي زمنين المسمى:

"المقرب لمسائل المدونة وشرح مشكلا ا"

الورقة الأخيرة من مختصر ابن أبي زمنين المسمى: "المقرب لمسائل المدونة وشرح مشكلا ا"

مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: 3624د

يتضح مما سبق أن المختصر المذكور يعتبر قمة في الاختصار كما ذكر القاضي عياض رحمه الله الذي وصفه بأنه أحسن المختصرات، وتتجلى جمالية هذا المختصر في النقط الآتية:

أولا: من حيث الدقة في المصطلحات الفقهية المستعملة في المختصر، إذ لم يلاحظ عليه أي إخلال في ذلك.

ثانيا: من حيث الاستشهاد بالأقوال الفقهية، حيث يستشهد بالأقوال الراجحة والمشـهورة وغير ذلك، ودون ذكر جملة الأقوال الضعيفة والشاذة في المسألة.

ثالثا: من حيث اللغة يستعمل المؤلف الأسلوب الجميل الجذاب من حيث التنسيق المحكـم، ودون مجانية الألفاظ أو التعابير الزائدة.

رابعا: عدم الإطناب في أساليبه الفقهية، والإطناب مصدر أطنب في كلامه إطنابا: إذا بالغ

فيه وطول ذيوله لإفادة المعاني، واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان: إذا أطال مقامه فيه، وفرس مطنب: إذا أطال متنه، ومن أجل ذلك سمي حبل الخيمة: طنبا لطوله، وهو نقيض الإيجاز في الكلام(522).

ويقول ابن منظور في هذا الصدد: »والعلاقة بين الإطناب والبلاغة وثيقة، بل عرفوا الإطناب بأنه البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما، وأطنب في الكلام: بالغ فيه«(523).

ويتضح مما سبق أن ابن أبي زمنين في مختصره لا يسلك سبل الإطناب لعلمه أن الحاجة تدعو إلى الإيجاز والاختصار.

كما يتضح من هذا المختصر أن ابن أبي زمنين يلتصق بما ورد في "المدونة" عن الإمام مالك برواية سحنون عن ابن القاسم، ولا يخرج منها إلا نادرا، كما يسوق أحيانا بعض الروايات عن المصادر في الكتب المالكية.

والخلاصة أن هذا المختصر يعد قمة في المختصرات المالكية، إذ لو حقق لأغنى عن المختصرات المالكية.

إلى جانب هذا فقد ألف ابن أبي زمنين "منتخب الأحكام" ويوجد هذا الكتاب بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1730د أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله عليه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، هذا سفر فيه جميع منتخب الأحكام لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين رضي الله عنه وعن جميع المسلمين:

كتاب من الأحكام فيه جواهر … على فقهها نور من الحق زاهر

إلى أن قال: »...في الكتاب الأول إن شاء الله تعالى الحكم في رفع المدعي، والحكم في أخذ المقالات، والحكم في المتلاعبين في التوكيل على الخصومة إلخ. يقع الكتاب في 268 ورقة من حجم كبير، أخذ في التآكل، خطه مغربي مقروء خال من تاريخ النسخ.

قال في آخر الكتاب: والحمد لله رب العالمين، محب العلماء وعبدهم وخديمهم إبراهيم بن

(522) الطراز ليحيى بن حمزة العلوي: 230/2.
(523) لسان العرب، مادة: طنب.

عبد الرحمن الجيلالي -لطف الله به-. يضم عشر كتب أولها: الحكم في رفع المدعي، وآخره كتاب بيع أهل الكتاب والمجوس.

يقول ابن أبي زمنين في كتابه -بعد مقدمة الناسخ-: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الجزء الأول من منتخب الأحكام لابن أبي زمنين[524] -رحمه الله تعالى-: الحكم لله، الحكم الذي لا يجوز والمحيط علما بما تخفي الصدور، وصلى الله على محمد خاتم النبيئين وعلى آل محمد أجمعين وبعد:

فإن هذا الكتاب جمعت فيه عيونا من مسائل الأقضية والأحكام، وانتخبتها حسانا جيادا، أردت بذلك النصيحة لمن كان من حكام المسلمين قد شغله ما قلده وعصب به من درس كتب الفقه ومطالعتها والاستكثار من النظر فيها، ليستغنى بما انتخبته من ذلك إذا علمه عن المشاورة فيه مني، ولا يجهل به بشيء، فليس يستحسن من الحكم أن يشاور في كل ما يرفع إليه من أمر الخصوم، بل بعد شرحه في علم القضاء كان أقبل له وأحرز لدينه ولا توفيق إلا بالله، -الحكم في رفع المدعي- حجم السطر في الورقة 33 سطرا بخط رفيق، خطه مغربي[525].

وله أيضا المشتمل في الوثائق، قال الخولاني في المدارك: «وكان حسن التأليف مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن ككتاب المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها ليس في مختصرا مثله باتفاق»[526].

وتوجد نسخ أخرى للمنتخب في المكتبة الوطنية بتونس ناسخه الحسن بن محمد المغربي التفزاري، خطه مغربي[527]. كما توجد نسخة أخرى بخزانة سيدي علال الفاسي تحت رقم 74ع أوله باب رفع المدعي عليه عدد صفحاته 603، مقياسه 21/15 مسطرته 251، خطه

(524) للتذكير فالدكتور عبد الوهاب خلاف قام بدراسة تحليلية أسهب القول في منتخب الأحكام في مجلة معهد المخطوطات العربية تحت عنوان: "الفقيه ابن أبي زمنين ومخطوطه منتخب الأحكام". (مجلة معهد المخطوطات العربية: 211/1، السنة: جمادى الأولى 1406هـ/ يناير 1986م).

(525) منتخب الأحكام لابن أبي زمنين، ورقة 11، الخزانة العامة تحت رقم: 1730د.

(526) المدارك: 7/183-186.

(527) فهرس المخطوطات الوطنية، تونس: 27/1.

مغربي دون الوسط[528]. يقول المنوني -رحمه الله- ابن أبي زيد محمد بن عبد الله بن عيسى النفزي المرن ثم البيري (ت.399هـ/1009م) اختصر المدونة بكتاب المقري وصنفه في منهجية اهتم فيها بشرح المشكل، توجد نسخة بالخزانة العامة تحت رقم 3624د[529].

تأليف مختصر ابن أبي زمنين على الولاء: ألفه إبراهيم بن جعفر، الفقيه المشاور، من أهل سبتة، أبو إسحاق اللواتي... ألف المختصر ابن أبي زمنين على الولاء فجاء بأحسن رتبة... [530] يروي المؤلف كثيرا عن المدونة وابن القاسم وابن حبيب وأشهب والعتبي وسحنون وغيرهم. ويبدو لي -والله أعلم- أنه بدأ بباب الشهادات ثم يليه باب في دعوى النكاح والطلاق والنسب والرق، إلخ[531].

راوي المختصر، قال ابن خير: »...كتاب المقرب في اختصار المدونة... وكل ذلك من تأليف الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي زمنين، حدثني بذلك كله أبو الحسن علي بن محمد بن هذيل المقري، أجازه عن ربيبه أبو داود سليمان بن نجاح المقري عن أبي عمرو عثمان بن أبي سعيد المقري عن ابن أبي زمنين مؤلفاها -رحمه الله-...[532].

11-أبو القاسم البيري عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحضرمي البيري القيرواني المعروف باللبيدي، له كتاب في مسائلها في أزيد من مائتي 200 مسألة، وله ملخص في اختصارها سماه: الملخص، توفي سنة أربعين وأربعمائة (ت.440هـ) [533].

12-خلف أبو القاسم مولى يوسف ابن لمول البلنسي، المعروف بالبرالي، وقع بخط ابن بشكوال المعروف بالبريلي –بإسكان الراء وفتح الياء المثناة من تحت-، وضبطه بعضهم بكسر

(528) الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي: 170/3.

(529) حضور المدونة الكبرى في المؤلفات والحلقات الدراسية، ص: 144. ذكر المنوني في هامش كتابه هذا أن عياضا رحمه الله سمي في طبقة هذا المصدر بالمغرب، بالغين، خلاف المعروف من ذكره باسم المقرب، بالقاف. (المدارك: 185/7).

(530) الديباج: 269/1-270، تحقيق: أبو النور.

(531) المقرب لابن أبي زمنين، رقمه بالخزانة العامة: 3624د

(532) فهرست ابن خير، ص: 251.

(533) طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة 256، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.

الباء الموحدة والراء الساكنة والياء المثناة نسبة إلى قرية من عمل بلنسية مفـتي بلنسـية في وقتـه وعظيمها.

وكان من أهل العلم والجلالة، وله كتاب في شرح المدونة واختصارها سمـاه التقريـب، استعمله الطلبة في المناظرة، وانتفعوا به، عول فيه على نقل ابن أبي زمنين في لفظ المدونة وأخذت عليه فيه أوهام في النقل، ذكر أنه لما أكمل خلف كتابه دخلت منه نسخة صقلية وعبد الحق ا، فلما قرأه ونظر فيه إلى أقواله وما أدخله فيه من كتابه استحسنه وأراد شراءه فلم يتيسر لـه ثمنـه فباع حوائج من داره واشتراه فغلا الكتاب وتنافس فيه الناس عند ذلك، وكان أبو الوليد هشـام بن أحمد الفقيه، يقول: من أراد أن يكون فقيها[534] من ليلته فعليه بكتاب البريلي، وروى عن أبي محمد بن المكوي وابن العطار والأصيلي، وكان مقدما في الوثائق. توفي سـنة ثـلاث وأربعـين وأربعمائة (ت.443هـ) [535].

13-سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث الباجي، القاضي أبو الوليـد.. لـه كتاب المهذب في اختصار المدونة، وهو اختصار حسن ومختصر المختصر في مسائل المدونة. توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة (ت.474هـ) [536].

14-إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن يحيى الليثي، سمع من أبيه ورحل فسمع بإفريقية مـن يحيى ابن عمر وابن طالب، وبمصر من محمد بن أصبغ بن الفرج، دخل العراق وسمع من إسماعيل القاضي وألف الكتب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله، وهو الذي اختصرها محمـد وعبد الله بن أبي عيسى، ثم اختصر ذلك المختصر أبو الوليد بن رشد...[537].

15-ابن مالك القرطبي... له مختصر على المدونة... [538].

16-إبراهيم بن محمد من شنظير الأموي من أهل طليطلة، يكنى أبا إسحاق، كانـت لـه

---

(534) الديباج ص: 113-114، المدارك: 164/8.

(535) ترتيب المدارك: 164/8.

(536) المدارك: 117/8-124.

(537) طبقات المالكية: ورقة 67.

(538) نفسه: ورقة: 264.

عناية وطلب وسماع ودين وفضل، وكان يبصر الحديث وعلله، وكان يسمع كتب الزهد والكرامات، وقد اختصر المدونة والمستخرجة، وكان يحفظها ظاهرا، ويلقي المسائل من المسائل من غير أن يمسك كتابا ولا يقدم مسألة ولا يؤخرها، وكان قد شرب البلاذر ذكره ابن مطهر...[539].

17-أبو حفص عمار بن مسلم... ألف اختصار المدونة فزاد على اختصار الباجي زوائد...[540].

18-أبو القاسم[541] خلف بن القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي... له كتاب التهذيب في اختصار المدونة، اتبع فيه طريقه اختصار أبي محمد. إلا أنه جاء به على نسق المدونة وحذف ما زاده أبو محمد...

وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتيمنوا بدراسته وحفظه، وعليه معول أكثرهم بالمغرب والأندلس. إلا أن أبا محمد عبد الحق ألف عليه جزءا فيما وهم فيه على المدونة... وأنا أقول إن البراذعي بنجوة عن انتقاد عبد الحق فإن جميع ما انتقد عليه لفظ أبي محمد -رحمه الله-... وله أيضا اختصار الواضحة[542]...

قال ابن خلدون: »ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى المختصر. ولخصه أيضا أبو سعيد البراذعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى التهذيب واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه[543]. ويقال إن فقهاء القيروان أفتوا برفض كتبه وترك قراءتها لتهمته لديهم وسهل بعضهم في اختصاره المدونة وحده لشهرة مسائله[544].

قال ابن فرحون في سياق الحديث عن كتابه السابق: »وقد ذكر لي بعض من كاشفته من

---

(539) الصلة: 153/1.

(540) المدارك: 207/8.

(541) طبقات المالكية: ورقة 67.

(542) ترتيب المدارك: 257/7.

(543) مقدمة ابن خلدون: 1059/3.

(544) ترتيب المدارك: 256/7.

فقهائنا أن البراذعي[545] لما أتم كتاب التمهيد، جاء بعض الطلبة ليسمعه عليه، فلما تم الصدر بالقراءة، فقال له البراذعي: اقرأ، فقال: قد سمعته على أبي محمد، وهل زدت في المختصر أكثر من الصدر... (ت.430هـ)»[546]

19-الشارماساحي عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المغربي المولود بالإسكندرية المنشأ والدار. قال ابن فرحون في الديباج: كان إماما عالما.. ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ت.633هـ) بأهله وولده وصحبه جماعة من الفقهاء فتلقاه الخليفة المستنصر بالله بالرحب والإقبال وبلوغ الآمال، وكان دخوله بغداد سنة سابع عشر المحرم، فلما كان في عاشر صفر، استدعي إلى الوزارة وأخلع عليه خلعة حليقة سوداء وعمامة وطرحه وأعطي بغلة بركب حميل، وولي تدريس المدرسة المستنصرية...

ألف نظم الدرر في اختصار المدونة، اختصرها على وجه غريب وأسلوب عجيب من الترتيب والنظم وكذلك سماه نظم الدرر، وهي تسمية طابقت مسماه وشرحه شرحين، وله كتاب الفوائد وكتاب التعليق في علم الخلافة، وكتاب شرح أدب النظر وكتاب شرح ابن الجلاب وغير ذلك. توفي سنة تسع وستمائة (669هـ) [547].

20-محمد بن رباح[548] بن صاعد، له اختصار المدونة... [549].

---

(545) انظر ترجمته في: المدارك: 258/7، وشجرة النور ص: 105، وسير أعلام النبلاء: 523/17، وتاريخ التشريع الإسلامي للخضري ص: 256، والديباج: 349/1، وطبقات المالكية: ورقة 256، والفكر السامي: 243/4، والوافي بالوفيات: 364/13، وتاريخ علماء الأندلس: 136/1، وشذرات الذهب: 144/3، وطبقات القراء: 272/1، وسير أعلام النبلاء: 116/11، والأعلام: 311/12، ومعجم المؤلفين: 106/4، وتاريخ ابن خلدون: 813/1:4.

(546) الديباج: 349/1، تحقيق وتعليق: أبو النور.

(547) طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة 356، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: 3928د.

(548) يقول القاضي عياض: محمد بن رباح بن صاعد الأموي، طليطلي، أبو عبد الله، سمع وهب بن عيسى وغيره، وكان موصوفا بصلاح وفضل وعناية بالعلم والرواية له، والحفظ لمذهب مالك، واستفتي ببلده. وله في المدونة اختصار كان مشهور بطليطلة يدرسه أهلها، وكان حماس بن محمد يثني عليه ويفضله. وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (358هـ). (ترتيب المدارك: 177/6-178).

(549) ترتيب المدارك: 177/6.

21-محمد بن إسحاق بن منذر أبو بكر بن السليم[550]، له اختصار المدونة... [551]

22-محمد بن عبد الملك الخولاني[552] المعروف بالنحوي، له اختصار المدونة، قال عنه عياض: اختصار مشهور... [553].

23-محمد بن إبراهيم اللخمي، له اختصار المدونة، وصفه عياض بالشهرة وسماه ابن فرحون في التبصرة[554].

أولئك أهم العلماء الذين هذبوا واختصروا المدونة، وقد ذكر جلهم العلامة الجيدي -رحمه الله-، وقد أوصل عدد الذين اختصروها إلى تسعة عشر عالما. غير أنه بالبحث والتمحيص قد يفوق العدد ما توصل إليه البحث، ولعل البحوث العلمية التي تنصب على هذا الجانب مستقبلا ستكشف مختصرات أخرى.

وإذا كان هذا حال مختصرات المدونة، فما هي المختصرات التي برزت على الساحة الفقهية في الأمهات المالكية الأخرى؟

الفرع الثالث: مختصرات الأسدية والموازية والواضحة والمستخرجة

تعتبر هذه الأمهات من الكتب المهمة جدا في الفقه المالكي، غير أ ا لم تحظ بعناية فائقة على غرار ما حظيت به المدونة من اختصارات هائلة وشروحات وتعليقات.

(550) هو محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة، واسمه جعفر، وهو الداخل إلى الأندلس مع ابن يزيد بن عبد الله مولى سليمان بن عبد الملك. وله كتاب الوصل لما ليس في الموطإ، واختصار كتاب المدونة، وكتاب المروزي. (ترتيب المدارك: 280/6). توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة (367هـ) (ترتيب المدارك: 289/6). وقد أسهب القاضي عياض في ترجمته حيث أفرد له عشر صفحات في ترتيب المدارك. (انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 280/6، وتاريخ علماء الأندلس: 77/2، والعبر للذهبي: 338/2، وشذرات الذهب: 60/3، وشجرة النور: 98/1).

(551) المدارك: 281/6.

(552) هو أبو عبد الله، ويعرف بالنحوى، أصله من بلنسية، سكن بجاية، كان فقيها حافظا متصرفا في المسائل، يناظر عليه، وله في المدونة اختصار مشهور. وكف بصره قبل وفاته بأعوام، وتوفي سنة أربع وستين وثلاثمائة (364هـ). (انظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس: 75/2، وترتيب المدارك: 20/7).

(553) المدارك: 20/7.

(554) نيل الابتهاج، ص: 342.

ونظرا لقلة اهتمام الفقهاء بهذه الأمهات فيما يتعلق بالاختصار، ارتأيت أن أجمعها في فرع واحد مبرزا عددا غير قليل من الفقهاء الذين اختصروها، ولست أدري ما السبب الذي من أجله أحجم الفقهاء عن اختصار هذه الأمهات.

وأعتقد أن كل هذه الكتب تختلف مكانتها لدى الفقهاء مع الميل الواضح للكتب التي تحظى: »... بسماعات تلاميذ الإمام مالك، إلا أن هناك بعضا من كبار تلاميذ مالك كان لسماعاتهم ومروياتهم الحظ الوافر من تلقي المالكية ممن جاء بعدهم بالقبول والاعتماد، ولعل من أشهر هذه السماعات: سماعات عبد الرحمن بن القاسم، وسماعات أشهب، وسماعات ابن وهب، وسماعات ابن عبد الحكم، وسماعات ابن الماجشون.

والكتب التي تجمع هذه السماعات كتب لاشك في اعتمادها؛ إذ هي منقولة نقل الثقة عن الإمام مالك، وقد تضم هذه الكتب الاجتهادات الشخصية، تكتسب الاعتماد من الثقة بقائلها ومدى معرفته بمذهب مالك وأصوله ومع اعتماد هذه السماعات والكتب والتي تجمعها على العموم، وأن نقل هذه السماعات لا يكاد يخلو منها كتاب معتمد من كتب الفقه المالكي قديما وحديثا، إلا أن اعتماد سماع صاحب معين من أصحاب الإمام يحظى بالترحيب والتفضيل لدى بعض المدارس دون بعض والعكس صحيح أيضا... «[555].

وأعتقد أن ما ذكره الإمام السيوطي سابقا كان له أثر واضح في عزوف جل الفقهاء عن كتب المالكية التي لم تحظ بالإجماع، ولعل موقفهم من كتاب الأسدية يبرز هذا الجانب، وعليه فمن هم الذين اختصروا الأسدية؟

1- مختصرات الأسدية

يعتبر كتاب الأسدية من الكتب التي تعرضت لانتقادات مختلفة؛ حيث لم تسلم من سهامات النقد، إلا أنها في بدايتها عرفت إقبالا منقطع النظير، إلا أن نقولات سحنون –رحمه الله- عن ابن القاسم وجمعه ما يمكن جمعه راجعة إلى ما كان يشك فيه من قول مالك، وقد مر الحديث عن هذا الكتاب. وعليه فالذين اختصروا الأسدية هم:

(555) تنوير الحوالك: 6/1.

1-محمد بن عبد الحكم[556] بن أعين بن الليث، يكنى أبا محمد، سمع مالكا والليث، وكان رجلا صالحا ثقة... له تآليف كثيرة منها: المختصر الكبير والصغير والأوسط، وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومائتين (214هـ) [557].

2-أبو زيد بن أبي الغمر... أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر مولى بني سهم، روى عن ابن القاسم وابن وهب قال ابن أبي دليم في طبقاته رآى مالكا ولم يأخذ عنه شيئا، روى عنه ابناه محمد وزيد، أخرج عنه البخاري في صحيحه وأبو زرعة، وروى عنه محمد بن المواز وهو راوي الأسدية، وهو الذي صححها على ابن القاسم بعد أسد بن الفرات. وله كتب حسنة؛ له مختصر الأسدية وسماع ابن القاسم، قال ابن وضاح لقيته بمصر وهو شيخ ثقة. له مؤلف حسن في مختصر الأسدية. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين (ت.234هـ)، ومولده سنة ستين ومائة (ت.160هـ) [558].

3-البرقي.. له فيها اختصار أيضا وهو الذي كان يصححها على ابن القاسم، وعليها كان مدار أهل مصر[559].

أما الذين اختصروا الموازية، فهم:

2-مختصرات الموازية

الذين اختصروا الموازية لابن المواز هم:

1-فضل بن سلمة، له مختصر لكتاب ابن المواز، توفي سنة 319هـ، وقد سبقت ترجمته في هذا المبحث.

2-أبو الفضل عباس بن عيسى الممسي، اختصر كتاب ابن المواز.. توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (ت. 333هـ)، قال عياض: وممسي قرية هناك[560].

(556) سبقت ترجمته.
(557) انظر المدارك: 22/4-24، بتصرف.
(558) نفسه: 22/4-24، بتصرف.
(559) طبقات المالكية: ورقة 59، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 3928د.
(560) المدارك: 299/5، شجرة النور، ص: 83.

على الرغم من قلة هؤلاء الذين اختصروا الموازية، فإن حضورها في الساحة الفقهية المالكية يبقى دائما في مقدمة الكتب التي حظيت بالعناية القصوى عند فقهاء المالكية، وخاصة إذا علمنـا أن الموازية قد اعتمد عليها الشيخ ابن أبي زيد القيرواني في كتابه النوادر والزيادات فلم يبـق إلا القليل جدا. وقد اهتم الباحثون بالموازية؛ ويحاولون جمع نصوصها المتفرقة في مظان مختلفة لأهميتها في الفقه المالكي، وقد سجل في هذا الإطار بحث لنيل دكتوراه الدولة يحاول صاحبه اسـتخراج جميع نصوص الموازية في النوادر والزيادات وغيره ليجعلها صورة تقريبية للموازية[561].

وبالرغم من هذه الجهود المتواضعة فإن البحوث العلمية لم تصل بعد إلى ما وصلت إليه في المذاهب الأخرى على اعتبار أن هذه الأمهات مازالت تحتاج إلى بحث دقيق في تأصيل مسـائلها وتفريعها وتخريجها، وكلها مسائل تحتاج إلى البحث الجاد والتمحيص الهادف.

هذا إذن عن مختصرات "الموازية"، فما هي أهم المختصرات التي تناولت الواضحة؟ وما هو أثر هذا الاختصار عليها؟

3- مختصرات الواضحة لابن حبيب

تعتبر واضحة ابن حبيب من أهم الكتب الفقهية المالكية، نظرا لمحتويا ا العلمية وما اشتملت عليه من الأحاديث والفقه المالكي، ويعتبر مؤلفها من أهم الفقهاء المالكية الذين أرسـوا قواعـد المالكية بالأندلس؛ حيث اهتم بالمذهب المالكي وحاول تفريعه وتأصيله في القطر الأندلسي الذي كان مصرعا لعدد كبير من المذاهب الفقهية. لذا كانت المؤلفات المالكية الأندلسية سدا منيعا أمام كل تيار فقهي، غير المذهب المالكي.

إلا أن العناية بالواضحة بالشكل الذي رأينا به في المدونة لم يكن كذلك؛ بحيث لم يهـتم الفقهاء باختصار الواضحة ولا شرحها ولا التعليق عليها، وربما لأسباب في ذا ا، لأن الواضحة لم تكن ذلك الكتاب الكبير الذي يحتاج إلى شرح مفصل، نظرا لأسلو ا المبسط والجيد، ولا ذاـك الكتاب المعقدة ألفاظه وتعابيره؛ فهي، أي الواضحة، تضم بين دفتيها الفقه المـالكي الصـافي—

(561) يتعلق الأمر بالطالب الأستاذ الحسن مكراز الذي سجل بحثه بكلية الشريعة بأكادير تحت عنوان: فقه ابن المواز: جمع ودراسة، تحت إشراف: الدكتور الحسن العبادي.

بأسلوب مبسط، لا يحتاج إلى تهذيب ولا إلى تفصيل.

وأعتقد أن ذلك هو السبب المباشر الذي صرف الفقهاء عن اختصارها وتهذيبها والتعليق عليها، غير أن ابن خلدون -رحمه الله- يرى سببا آخرا؛ إذ يقول(562): «اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها، ولا ندري ما سر ذلك، هل يرجع للمؤلف -بالكسر-فإن صاحب الواضحة كان له من يتحامل عليه، وقد خصص القاضي عياض في المدارك فقرة كاملة لمن تحامل عليه... (563). أم أن السبب يرجع إلى المؤلف -بالفتح- بمعنى أن كتاب العتبي جاء أكثر تنظيما وأحسن إخراجا... (564).

وكيفما كانت الأسباب والمسببات فإن أهم الفقهاء الذين اهتموا بالواضحة فهذبوها واختصروها، هم:

1-فضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجهني، من أهل البيرة... وله مختصر في المدونة ومختصر الواضحة، زاد فيه من فقهه، وتعقب فيه على ابن حبيب كثيرا من قوله وهو من أحسن كتب المالكيين(565).

2-القاسم الأزدي المعروف بالبرازعي صاحب المؤلفات المشهورة على مذهب مالك(566). له اختصار الواضحة(567).

تلك أهم المختصرات التي ظهرت على الساحة المالكية حاليا؛ فقد حاول البحث أن يجمع أكبر عدد ممكن، إلا أنه لم يقف على غير ما ذكر، لأن جل الكتب التي تناولت ترجمة ابن حبيب وكتابه لم تتحفنا إلا بما ذكر بالرغم من أن كتاب الواضحة في الفقه والسنن لم يؤلف مثلها كما

(562) مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الوافي: 1058/3.

(563) المدارك: 129/4-131، بتصرف.

(564) ابن القاسم وأثره في الفقه المالكي: 225/1.

(565) جذوة الاقتباس: 520/2، الديباج ص: 219.

(566) المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري؛ نشأة وخصائص: 399/2، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، إعداد: مصطفى لهروس، تحت إشراف الدكتور فاروق حمادة.

(567) ترتيب المدارك: 256/7، شجرة النور: 105/1.

قال مخلوف[568] في سياق ترجمة ابن حبيب.

بالرغم من هذه القلة في المختصرات في الواضحة، فإن الواضحة لها أهمية كبيرة، وإن كانت مختصرا ا أقل من مختصرات المستجرة الآتي بيا ا.

4-مختصرات المستخرجة

المستخرجة[569] للعتبي[570] هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي العتبي القرطبي، رحل إلى المشرق وسمع من كثير من العلماء الكبار، ثم رجع إلى مسقط رأسه بالأندلس؛ حيث أصـبح فقيها مالكيا مرموق المكانة، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين (ت.255هـ/869م).

آثاره: المستخرجة من الأسمعة مما ليس في المدونة. يبحث هذا الكتاب قضايا صعبة في الفقه المالكي... ولابن رشد شرح عليه بعنوان كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيـه والتعليل، حيث شرحه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة 520هـ/1126م بشـرح لم يبلغه أحد. ونسخه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386هـ/996م مـن هذا الفصل بعنوان "تبويب المستخرجة" ووصل إلينا من هذا الكتاب قطعة قديمـة في القـيروان بعنـوان "كتاب التخيير والتمليـك والخلع" حوالي 30 ورقة، ومنـه مكـروفيلم في المتحـف الإسلامي بتونس[571].

اختصرها كل من:

1-يحيى بن عمر الكتاني الجياني، وسمى كتابه "المنتخبة"، ذكـره ابـن فرحـون ضـمن كتبه[572]. تفقه على سحنون. له مؤلفات، منها: اختصار المستخرجة المسمى المنتخبة[573].

2-عبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري، من أهل البونة، يكنى

(568) شجرة النور: 75/1.

(569) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: 144/2، قسم الفقه (فقه مالك).

(570) أبو عبد الله محمد العتبي. (انظر ترجمته في شجرة النور: 75/1، وترتيب المدارك: 252/4).

(571) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: 144/2، وانظر بروكلمان الملحق 662/1.

(572) الديباج ص: 351، طبعة دار الكتب العلمية.

(573) كتاب الإبانة، ص: 39، ترتيب المدارك: 359/4، شجرة النور: 75/1.

أبا محمد. كان من أهل المعرفة والعلم والحفظ والفهم. وله كتاب حسن في الوثائق والأحكـام، وهو كتاب مفيد واختصر أيضا المستخرجة وغيرها، وكانت له رواية عن أبيه وغيره. وتوفي لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنين وستين وأربعمائة (ت.462هـ) [574].

3-فضل بن سلمة الجهني البجاني (ت.319هـ)، جمع بين المستخرجة والموازية[575].

4-القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ألف البيـان والتحصـيل لمـا في المستخرجة من التوجيه والتعليل[576].

تلك أهم المؤلفات التي اهتمت بالمستخرجة سواء من حيث اختصـارها، أو مـن حيـث ذيبها، أو إعادة هيكلتها على غرار صنيع القاضي أبي الوليد في كتابه البيان والتحصيل والـذي أحسن صنعا في إعادة الكتاب المذكور والذي عرف إقبالا كبيرا منذ أن هذبه ونقحـه وأصـله وقعده، فصار بذلك مصدرا أساسا لفت أنظار الفقهاء والباحثين وغيرهـم، بـالرغم مـن أن المستخرجة لم تعرف في بدايتها إقبالا كبيرا نظرا لما نعتت ا من ضعف بضـاعتها، ممـا جعـل الفقهاء لم يهتموا ا ولم يختصروها بالحجم الذي اختصروا ا المدونة.

إلا أن الذي أعـاد الدفء لهذا الكتـاب بعدمـا قيضـه الله العلامـة الكبير الإمام ابن رشد -رحمه الله- والذي أعاد هيكلة هذا الكتاب فهذبه ونقحه وبوبه فطار شرقا وغربا، وأصبح في الصدارة في كتـب أمهـات المالكيـة؛ بحيـث لا يمكـن أن يستغني عنه كل باحـث أو فقيه على أي حال.

وكيفما كانت الأحوال، فإن المختصرات في المستخرجة قليلة جدا، ونتساءل: ما هـو دور الأندلسيين في اختصار هذه الأمهات؟

الفرع الرابع: دور الأندلسيين في اختصار هذه الأمهات

يأتي كتاب المدونة في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الموطإ، لذلك نـال مـن العنايـة

(574) الصلة: 428/2، شجرة النور: 119/1.
(575) شجرة النور: 75/1.
(576) نفسه: 82/1.

والإطراء والتقدير ما لم تنله بقية كتب المالكية، فالمدونة هي أصل علم المالكيين بل هي عنـدهم ككتاب سيبويه عند النحويين، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب. وعن أهمية المدونة يقول ابن رشد: »وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطإ مالك -رحمه الله- ولا بعد موطئه ديوان في الفقه أفيد من المدونة... (577)

ولهذا اختار المغاربة مذهب المدونة، وتمسكوا بما ورد فيها من مسائل فقهية حـتى أصـبح المشهور في اصطلاح المغاربة يطلق على مذهب المدونة، قال ابن فرحون تقرر مما ذكرناه أن قول ابن القاسم هو المشهور في المذهب إذا كان في المدونة. والمشهور في اصطلاح المغاربة هو مذهب المدونة، والعراقيون كثيرا ما يخالفون المغاربة في تعيين المشهور(578)..

وفصل أبو الحسن الطنجي القول المشهور في المدونة فقال: قول مالك في المدونة أولى مـن قول ابن القاسم فيها، لأنه الإمام الأعظم، وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها لأنه أعلم بمذهب مالك رضي الله تعالى عنه، وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم في غيرهـا وذلـك لصحته(579).

ولما كانت المدونة بهذه المرتبة عكف علماء الأندلس على دراستها وحفظهـا وشـرحها واختصارها، فلا يرقى الفقيه عندهم إلى مرتبة الفقهاء المشاورين المعتمدة أقوالهم وآراؤهم إلا إذا درس المدونة وحفظها، بل أكثر من هذا فقد اشترط ولاة الأندلس لتولية القاضي أن يكون حافظا للمدونة مستظهرا لها.. (580).

وتظهر مكانة المدونة ومدى عناية علماء الأندلس بها في كثرة الطلبة الذين توجهـوا نحـو إفريقية قصد الالتقاء بالإمام سحنون وسماع المدونة وروايتها عنه مباشرة، حتى إنه اجتمع بمدينـة

(577) تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور محمـد شـرحبيلي، ص: 474، طبعـة وزارة الأوقاف.

(578) نفسه، ص: 475.

(579) الديباج: 208/2.

(580) أسنى المسالك، ص: 96.

البيرة وحدها ثمانية من رواة سحنون في وقت واحد... [581].

ويظهر أن علاقة الأندلسيين بالمدونة كانت في وقت مبكر؛ فقد التقى الفقيه عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل بالإمام سحنون وسمع منه الأسدية قبل تدوينها.. [582].

ويعد عثمان بن أيوب بن أبي الصلت المتوفى سنة 246هـ أول من أدخل المدونة إلى الأندلس، وذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ-272هـ). ومنذ ذلك الحين اهتم علماء الأندلس بالمدونة فاشتغلوا بتهذيبها واختصارها وتسهيلها وجعلها في متناول جميع المهتمين بفقه السادة المالكية. ومن أشهر الفقهاء الذين اشتغلوا بالمدونة في هذه الحقبة بالأندلس:

1-إبراهيم بن عجنس بن أسباط الكلاعي الزيادي، من أهل وشقة، اختصر المدونة في عشرة أجزاء وسهلها... وقد سبقت ترجمته في هذا الباب[583].

2-إبراهيم بن يحيى بن بردون من أهل طليطلة. اهتم بالمدونة واختصرها، قال في المدارك: »... وذكر أن له اختصارا للمدونة، وأنه يملي على كتابه من نوعين مختلفين...«[584].

3-فضل بن سلمة بن جرير، كان من أوقف الناس على الروايات وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك فكان حافظا للفقه على مذهب مالك، بعيد الصيت فيه، شهد له بذلك كبار الأئمة وعلى رأسهم ابن حزم الظاهري الذي أثنى عليه بقوله: »... كان من أعلم الناس بمذهب مالك..« [585].

وله عدة مصنفات في الفقه على مذهب مالك، منها كتاب جمع فيه مسائل المدونة، وكتاب اختصر فيه المدونة... [586].

4-محمد بن عبد الله بن عيشون، كان عالما متقدما في مذهب مالك، اختصر المدونة إلا

(581) الديباج: 277/1.
(582) تاريخ ابن الفرضي: 37/1.
(583) انظر الديباج: 277/1-278.
(584) نفسه: 137/2.
(585) الديباج: 137/2، المدارك: 221/5، جذوة الاقتباس: 50/2.
(586) الديباج: 40/1-41.

كتاب المختلطة منها... [587].

أما باقي كتب أمهات المذهب المالكي، الموازية للفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندري والمعروف بابن المواز المتوفى سنة 269هـ... فلم تنل من العناية والاهتمام ما نالته باقي الأمهات التي سبق ذكرها، مع ذلك وجدنا من بين فقهاء الأندلس من اعتنى ا ودرسها وجمع مسائلها واختصرها من ذلك ما نقله عياض في ترجمة فضل بن سلمة بن جرير أنه له مختصره لكتاب ابن المواز، وله كتاب جمع فيه مسائل المدونة والمستخرجة وا موعة... [588].

إن كتاب المستخرجة من السماعات لأبي عبد الله العتبي هو أحد أمهات كتب المذهب المالكي التي استودعت الروايات والأقوال لكبار أئمة المذهب في عصره الأول. وتمتاز المستخرجة بحصرها معلومات فقهية معظمها من رواية ابن القاسم العتقي عن مالك من طريق تلامذته المباشرين وسماعات غيره من كبار تلامذة الإمام الذين طبقت شهر م الآفاق.

وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها المستخرجة، خاصة وأن صاحبها أدرج فيها مجموعة من الروايات والمسائل دون أن يكون له حق الرواية، مما دفع ببعض النقاد إلى ا امه بالتساهل وعدم التحري. ومع كل هذا نالت المستخرجة مكانة رفيعة بين كتب الفقه المالكي وتلقاها العلماء بالقبول، لبلوغ شهر ا الآفاق، حتى إن أهل الأندلس اعتمدوها وقدموها على الواضحة[589] قال ابن خلدون: »وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها..« [590].

بالرغم من النقد الشديد الذي تعرضت له المستخرجة من قبل النقاد، لاحتوائها على روايات غير متفق عليها، وأخرى مناقضة بل أكثر من هذا فهي في نظرهم تشتمل على روايات موضوعة، نالت المستخرجة شهرة عريضة في إفريقية والأندلس، وعكف الناس على دراستها وحفظها و ذيبها، وقدموها على كتاب الواضحة.

---

(587) تاريخ علماء الأندلس: 328/1.

(588) ترتيب المدارك: 222/5.

(589) المدرسة المالكية إلى اية القرن الثالث الهجري، ص: 398.

(590) مقدمة ابن خلدون: 1058/3.

وقال المقري -بعدما ذكر الانتقادات التي وجهت للمستخرجة: »... ولكن الكتاب وقـع عليه الاعتماد من علماء المالكية...« [591].

بل إن الفقيه عندهم لا يدخل في دائرة العلماء الراسخين في العلم حتى يحفظ المسـتخرجة ويتفقه ا.

قال ابن رشد، وهو يتحدث عن المستخرجة،: »على أنه كتاب قد عول عليـه الشـيوخ المتقدمون من القرويين والأندلسيين، واعتقدوا أن من لم يحفظه ولا تفقه فيـه، لحفظـه المدونـة وتفقهه فيها، بعد معرفة الأصول وحفظه سنن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فلـيس مـن الراسخين في العلم ولا من المعدودين فيمن يشار إليهم من أهل الفقه...«[592].

وقال ابن أبي زيد: »... من حفظ المدونة والمستخرجة لم يبق عليه مسألة..«[593]. واشتغل الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج بالمستخرجة فبو ا على شـكل أبـواب المدونة، وكان الطلبة من أهل المغرب يقصدون سماعها منه..« [594].

وهذ ا ابن أبي زيد القيرواني، وجمع ذلك في كتاب ذكره ابن فرحون ضمن مؤلفات ابـن أبي زيد فقال: ».. وله كتاب ذيب العتبية..« [595].

ولم تقف عناية العلماء بالمستخرجة عند الحفظ والتدريس، بل اهتمـوا بجمـع مسـائلها وبوبوها وهذبوها واختصروها وشرحوها توجيها وتعليلا.

واختصر الفقيه يحيى بن عمر الكناني الجياني كتاب المستخرجة وسمى كتابه هذا "المنتخبـة" ذكره ابن فرحون ضمن كتبه[596].

---

(591) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بـيروت،: 215/2-216.

(592) البيان والتحصيل لابن رشد: 28/1-29.

(593) نفسه: 29/1.

(594) تاريخ علماء الأندلس: 383/1.

(595) الديباج ص: 238.

(596) نفسه، ص: 239.

وظلت عناية العلماء بالمستخرجة مستمرة إلى عهد الإمام أبي الوليد ابن رشد الذي اشتغل بالمستخرجة وشرحها في كتابه المسمى "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل"[597]. فجاء كتابه حافلا بآراء كبار أئمة المذهب المالكي وطابق اسمه مسماه، بيانا وتحصيلا وشرحا وتوجيها وتعليلا لمسائل كتاب المستخرجة أودعه ابن رشد جميع معارفه الفقهية وتجاربه الشخصية في التدريس والقضاء والإفتاء فجاء كتابه هذا خلاصة وافية محيطة بالفقه المالكي الذي يمثل آراء أئمته بالأندلس عبادة ومعاملة. وبين ابن رشد في مقدمة البيان والتحصيل سبب شرحه للمستخرجة، وأنها أصبحت في عصره من أمهات المالكية التي يصعب على الطالب فهمها، خاصة وأنها تضم مسائل فقهية مشكلة وعويصة تحتاج إلى شرح وبيان حتى لا تحمل على غير وجهها الصحيح.. [598].

وأعتقد أن عدم الإقبال على تهذيب العتبية واختصارها يرجع أساسا إلى الأسباب الآتية:

1-التساهل والجمع من غير تمييز؛ ذلك أنه رغم المكانة العلمية الرفيعة التي وصل إليها العتبي بين أقرانه، فإن علمه في المستخرجة تعرض لانتقاد شديد؛ فقد وصفه العلماء بالتساهل والجمع من غير تمييز بين الصحيح والضعيف، كما أن في المستخرجة كثيرا من الروايات المطروحة والمسائل الشاذة والغريبة.

وقال ابن فرحون في هذا الصدد: »وهو الذي جمع المستخرجة وكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة، وكان يأتي بالمسألة الغريبة، فإذا سمعها قال: أدخلوها في المستخرجة[599].

2-وجود الأخطاء الكثيرة في المستخرجة.

وقال ابن وضاح: »إن المستخرجة فيها خطأ كبير..« [600].

واتهم ابن عبد الحكم العتبي بالكذب في المستخرجة، وأنه ينقل مسائل في الفقه لم يقف على

(597) مقدمة البيان والتحصيل، إعداد: محمد حجي وسعيد أعراب.

(598) أخبار الفقهاء والمحدثين لابن فارس، ص: 179.

(599) الديباج: 177/2.

(600) المدارك: 254/4.

أصحا ا.

قال أسلم بن عبد العزيز، قال لي ابن عبد الحكم، يعني محمد،: أتيت بكتب حسنة الخـط تدعى المستخرجة من وضع صاحبكم محمد بن أحمد العتبي فرأيت جلها مكـذوبا ومسـائل لا أصول لها، ومما قد أسقط وطرح، وشواذ من مسائل ا الس لم يعلق عليها أصحا ا فخشـيت أن أموت فتوجد في تركتي فوهبتها لرجل يقرأ فيها كما سبقت الإشارة إلى هذا النص.

وهذا النقد الذي تعرض له ابن عبد الحكم، لكونه أنكر ما جاء في العتبية، ثم وهبها لغـيره كي يقرأها وينتفع ا، هو نفسه حصل لابن لبابة من قبل أحمد بن خالد الذي عاب عليه قـراءة المستخرجة على الناس مع علمه بخطتها، وأنكر عليه ذلك.

قال أحمد بن خالد: قلت لابن لبابة: أنت تقرأ هذه المستخرجة للناس وأنت تعلم من باطنها ما تعلم؟ قال: إنما أقرؤها لمن أعرف أنه يعرف خطأها من صوا ا..« (601).

3-عدم تصحيح الكتاب على صاحبه.

إن جواب ابن لبابة السابق مقنع وفيه ما يرد على من قلل من قيمة الكتاب وأن شأنه شأن كل مجهود علمي لا يخلو من نقص أو خطإ. غير أن الفقيه بإمكانه تمييز خطئها من صوا ا. كما أن هذا النوع من الكتب لا يفهمها إلا من كان له إلمام واطلاع على المسائل الفقهية، ودربة على قراء ا وفهم معانيها. وهذا ما أكده ابن رشد في مقدمة شرحه للمستخرجة؛ حيث رأى أن فيها مسائل مشكلة وأخرى عويصة لا يفهم معناها، وقد تحمل على غير وجهها... (602).

كل هذه العوامل المذكورة أسهمت إلى حد كبير في صرف النظر عن اختصار العتبية على غرار ما جرى للمدونة وغيرها، وحتى الذين تعرضوا لاختصارها، وهم قليل، لا يعدو الأمـر أن يكونوا قد اعتمدوا على مصادر موثوقة أو على نسخة صححت على المؤلف نفسه.

وعلى أي كيفما كانت الأحوال، فإن علماء الأندلسيين قاموا بدور فعال في إثراء الفقـه المالكي بواسطة مؤلفا م القيمة؛ حيث أسهم هؤلاء الفقهاء بمجهودات كثيرة في إثـراء الفقـه

(601) نفسه: 254/4، بتصرف.

(602) البيان والتحصيل: 20/1، مقدمة المحقق بتصرف.

المالكي بالأندلس، بحيث لا أحد ينكر الدور الكبير الذي قام به الفقهاء في تفعيل المذهب المالكي بالأندلس.

وهنا سنتساءل: ما هو أثر ظاهرة المختصرات في غير الأمهات المالكية؟ ومـا هـي أهـم المختصرات التي ظهرت من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري؟

تلك أسئلة سيجيب عنها المبحث الموالي.

المبحث الثالث

ظاهرة الاختصار في كتب أخرى غير الأمهات عند المالكية من القرن الثالث إلى القرن السابع

تمهيد

تعتبر ظاهرة المختصرات في غير الأمهات المالكية من المسائل التي طفت على الساحة الثقافية المالكية؛ ذلك أنه منذ القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري ظهرت مؤلفات كثيرة تناولت جل الكتب التي ظهرت في المكتبات المالكية.

وسيحاول البحث تصنيف هذه المختصرات حسب كل عصر على أن لا يتم الحديث عن المختصرات التي سبقت والتي ظهرت في أحد القرون التي سنسرد مختصراته.

ولذا فإن هذا المبحث يهدف أساسا إلى إبراز المختصرات الفقهية التي أثرت الساحة الفقهية المالكية في غير الأمهات المالكية عبر القرون الخمسة التي تكفل البحث بتناولها، وقد يجد الباحث صعوبة شتى في ضبط مختصرات العصر لتداخل العصور والقرون، فضلا عن أن بعض الفقهاء يرى أن العصر يبدأ من ولادته إلى منتصف القرن الموالي له، وهكذا دواليك. غير أن البحث سيحاول أن يبرز كل مختصر حسب العصر الذي ظهر به مع تجاوز ذلك بشيء قليل.

فما هي إذًا أهم المختصرات التي ظهرت في الساحة الثقافية المالكية في غير الأمهات المالكية؟ وما هو أثر هذه المختصرات على الفقه المالكي؟ وأخيرا ما هي أهم المختصرات التي ظهرت في القرن الثالث؟

تلك أسئلة ستجيب عنها الفروع اللاحقة.

الفرع الأول: المختصرات الفقهية المالكية في القرن الثالث

لقد بدأت المختصرات في الفقه المالكي مبكرا، وقبل هذا التاريخ ظهرت في الفقه المـالكي مختصرات كبيرة أسهمت بشكل كبير في إثراء الفقه المالكي، وقد حاولت أن أرتب ما ذكـرت حسب التاريخ الزماني لكل المختصرين، ولعل أول من تصدى للاختصار -كما ذكره القاضـي عياض رحمه الله- هو:

1-مختصر مالك بن علي بن عبد الملك بن قطن... قال الحميدي: »وله مختصر في الفقـه على مذهب مالك -رحمه الله- توفي سنة ثمان وستين (ت.68هـ)[603].

2-مختصر ابن عبد الحكم، عبد الله بن عبد الحكم. وله المختصر الصغير، قصره على علـم الموطإ، فيه ألف مسألة ومائتان، فمن هذا التاريخ بدأت فكرة الاختصار، وظهر الملل والكلـل في القرائح بسبب كثرة الفقه التقديري[604].

ابن عبد الحكم عبد الله بن عبد الحكم بن المين بن الليث، يكنى أبا محمـد، سمـع مالكـا والليث، وكان رجلا صالحا ثقة متحققا بمذهب مالك فقيها صدوقا، إليه أفضت الرياسة بمصـر بعد أشهب وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد، وكان صديقا للشـافعي وبه له توفي[605].

قال عياض رحمه الله: »(...) قال التستري: سمعت البركاني يقول: »عرضت مختصر عبـد الله بن عبد الحكم على كتاب الله وسنة رسوله -يعني مسائله- فوجدت لكلها أصـلا إلا اثـنتي عشرة مسألة فلم أجد لها أصلا، قال: وعدد مسائله: ثمانية عشر ألف مسألة، توفي البركاني سـنة تسع وثلاثمائة (ت.309هـ)«[606].

ألف عبد الله المختصر الكبير، يقال إنه نحا به إلى اختصار كتـب أشـهب، والمختصـر الأوسط نوعان، فالذي من رواية القراطيس فيه خلاف، والذي من رواية ابنه محمد ابـن عبـد الحكم وسعيد بن حسان، وقد اعتنى الناس بمختصراته ما لم يعتن بكتاب من كتب المذهب بعـد

(603) ترتيب المدارك: 256/4-257.
(604) الفكر السامي: 113/1.
(605) فهرس القرويين: 483/2.
(606) ترتيب المدارك: 16/5.

الموطإ والمدونة، وعليها معول المالكية ببغداد في المدرسة. واعتنى أهل بغداد ـا كـل الاعتنـاء ويرجحو ا على غيرها كالمغاربة بالنسبة للمدونة، وذكر بعضهم أن مسائل المختصر الكبير ثمانية عشر ألفا (18000) والأوسط أربع آلاف (4000) مسألة، والأصغر ألف ومائتـا (1200) مسألة(607). قال مترجموه: إن مختصره الصغير قصره على علم الموطإ، والأوسط صنفان: فالـذي من رواية القراطيس عنه في زيادة الآثار بخلاف الذي من رواية محمد ابنـه. وكانـت وفاتـه في رمضان سنة 214هـ، وكانت ولادته سنة 155هـ.

3-مختصر أبي مصعب: أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث الزهري، تلميذ وراوية لمالك، ولد حوالي سنة 150هـ/767م، وعاش في المدينة، كان قاضيا، ولكن ابن جعفر أعفـاه مـن مهمته سنة 210هـ، وكان في فتاويه يجعل للرأي مكانة كبيرة بجانب أخذه بالنص. وتوفي سنة 242هـ/856م. ومن آثاره: المختصر في الفقه يوجد بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 874 به 174 ورقة(608).

4-مختصر حرملة بن يحيى التجيبي، أبو حفص قال في المدارك: ذكـره ابـن أبي دلـيم في الفقهاء المالكية. وقال ابن الكنداري عن أبي عيينة وعن ابن وهب،و ما تفقه. وعده الشـيرازي من الشافعية، وكان راوية كتبه الأخيرة، قال: »وصنف كتبا كثيرة، منها المختصر، وقال ابن أبي دليم كان رسخ في مذهبه ثم ترك الفتيا به، وكان لا يفتى إلا بمذهب مالك، قال ابن وضاح: قلت لحرملة: يا أبا حفص ما لك تتمذهب بمذهب أصحابك المصريين تقرأ مثل هذه الكتـب، أعـني كتب الشافعي، فقال: يطلبها مني هؤلاء فقلت له: أو كل ما يطلب منه تخرجه؟ قال: أسـتحي والله منهم. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين (243هـ). ومولده سنة سـت وسـتين ومائـة (166هـ)(609).

5-مختصر أبي بكر محمد بن أبي يحيى زكرياء الوقار -بتخفيف القاف- أخذ عن أصبغ بن

(607) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة: 51، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.
(608) فهرس مخطوطات القرويين: 483/2.
(609) طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة 76.

عبد الحكم، وغيرهما، وله مختصران أكبرهما في سبعة عشر جزءا[610]. وأهل القيروان يفضلون مختصر الوقار على مختصر ابن عبد الحكم. توفي سنة تسع وستين ومائتين (ت.269هـ). وقيل أربع. وقيل: ثلاث[611].

6-مختصر القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد، ولد سنة مائتين 200هـ، وتوفي سنة اثنان وثمانين ومائتين. له مختصر في الفقه[612].

7-مختصر ابن أبان ليحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى الليثي، ألف الكتب المبسوطة في اختلاف أصحاب مالك وأقواله، وهي التي اختصرها محمد وعبد الله ابنا أبان بن أبي عيسى، ثم اختصر ذلك الاختصار شيخنا قاضي الجماعة أبو الوليد محمد بن رشد -رحمهم الله- توفي سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائتين 303هـ. وقيل 293هـ[613].

8-اختصار مختصر ابن عبد الحكم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله البرقي.. الثقة المحدث الراوية.. توفي سنة 349هـ[614].

9-مختصر محمد بن عبد الله بن عيشون من أهل طليطلة، يكنى أبا عبد الله، كان فقيها حافظا للمسائل، وله مختصر في الفقه وكتاب في توجيه الموطإ. توفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة (ت.341هـ)[615].

10-مختصر بكر بن العلاء القشري، أبو الفضل بصري، خرج عنها إلى مصر، فأدركها رئاسة عظيمة. أثنى عليه غير واحد. ألف كتبا جليلة. اختصر كتاب القاضي إسماعيل وزاد عليه، وله كتاب الرد على المزني. توفي سنة ثلاثمائة وأربعة وأربعين (ت.344هـ)[616].

---

(610) الفكر السامي: 123/3.

(611) طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة: 81.

(612) ترتيب المدارك: 278/4-291، الديباج ص: 92-95، نيل الابتهاج: 282/1-291، الفكر السامي: 123/3.

(613) ترتيب المدارك: 160/5، شجرة النور، ص: 77.

(614) شجرة النور: 67/1.

(615) تاريخ علماء الأندلس: 723/2.

(616) الفكر السامي: 132/3.

11-مختصر ابن القرطي محمد بن القاسم بن شعبان،وله كتاب مختصر ما ليس في المختصر. توفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (355هـ). وقد ذكره اللخمي في تبصرته كثيرا باعتبار مؤلف كتاب مختصر ما ليس في المختصر(617).

12-مختصر محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي. ألف كتاب مختصر العين. توفي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة (379هـ) (618). له مختصر في الفقه، ولعله مختصره المبسوط وهو المشهور عند القاضي إسماعيل؛ حيث ذكره ابن عبد البر ضمن مراجعه في كتابه الكافي، والذي ذكر أنه اعتمد عليه(619). وقد ذكر مختصر المبسوط حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون(620).

13-مختصر علي بن عيسى التجيبي الطليطلي. قال في المدارك: »أخذ بقرطبة عن أحمد بن خالد... له المختصر، مشهور انتفع به وانتقد عليه، فيه مسائل، وهي صحيحة جيدة جارية على الأصول وإن قال فيه غيره كذا، فقال بعض الفقه من حفظه فهو فقيه.. وكان ابن النجار يقول: »بأهل طليطلة كتابان أجازا العلماء الأخذ فيهما، ثم تلقاهما الناس: تفسير يحيى بن مزين، ومختصر بن عبيد(621). توفي في حدود أربعين وثلاثمائة (ت.340هـ) (622).

14-مختصر ابن الجلاب، يتكون هذا المخطوط من 102 ورقة، مع حذف أوله وآخره دون ذكر كتب الفقه، كتب لخط غير مقروء مع الشرح فوق السطور. يوجد بالخزانة العامة تحت رقم 5810 دون ذكر تاريخ النسخ ولا ناسخه لمؤلفه ابن الجلاب المتوفى سنة 378هـ. وقد طبع الكتاب.

15-مختصر إدريس بن عبد الملك بن إدريس أبي العلاء الأنصاري المالكي الإسكندري،

(617) ترتيب المدارك: 274/5، الديباج: 194/2، طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة 251، الشجرة، ص: 80.

(618) ترتيب المدارك: 37/7-40، شجرة النور ص: 100.

(619) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبد البر ص: 10.

(620) كشف الظنون: 1730/2.

(621) طبقات المالكية: ورقة 162.

(622) نفسه: ورقة 162.

ذكره أبو المطغر منصور بن سليم في تاريخ الإسكندرية. وذكره عيسى بن عبد العزيز اللخمي في فهرسته وقال إنه اختصر ابن الجلاب في الفقه رحمه الله[623].

تلك أهم المختصرات التي ظهرت في القرن الثالث، والتي لعبت دورا كبيرا في إثراء الفقـه المالكي وإن كانت هذه المختصرات لا تشو ا شائبة التعقيد، لأ ا في البداية لم تعـرف الرمـوز والألغاز والإغلاق، ومن هذا التاريخ بدأت فكرة المختصرات تلوح في الأفق وإن كان الاختصار في هذه المرحلة له طابع خاص يختلف شكلا ومضمونا عما آل إليه الوضع في العصور المتـأخرة. على أن الاهتمام ذه المختصرات ما لبث أن تطور مع مرور الزمن نتيجة فتور الهمم عن تحصيل المبسوطات والتعامل مع المطولات من جهة، وقصور الفقهاء عن الابتكار والإبداع مـن جهـة ثانية[624].

وإذا كان هذا حال المختصرات في القرن الثالث، فما هي أهم المختصرات التي ظهرت في القرن الرابع الهجري؟ وما هي ميزات هذه المختصرات؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الثاني: المختصرات الفقهية في القرن الرابع

يعتبر القرن الرابع بداية حقيقية للمختصرات الفقهية التي ظهرت في الساحة الفقهية المالكية؛ حيث ظهرت مجموعة من المختصرات الفقهية التي أسهمت إلى حد كبير في إثراء المكتبة المالكية، وأهم المختصرات التي وقفنا على عناوينها في أثناء البحث:

1-اختصار الثمانية لابن بيطر، لأبي أيوب سليمان بن بيطر القرطبي (ت.402هـ). تفقه بابن زرب وابن القوطية وغيرهما[625]. قال عياض: وله في الكتب الثمانية لأبي زيـد القـرطبي اختصارات[626].

(623) الديباج، ص: 99.

(624) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 131.

(625) المدارك: 15/8.

(626) مختصر النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكـام لأبي عبـد الله محمـد بـن هـارون الكنـاني (ت.750هـ)، تقديم وتحقيق من أول الكتاب إلى اية الطلاق: ميلود ميهوبي، تحت إشراف الـدكتور:

2-مختصر إبراهيم ين محمد بن الحسين الأموي أبو إسحاق بـن شـنطير المتـوفى سـنة 402هـ[627]، قال عنه الزركلي: »اختصر المدونة والمستخرجة«[628]. له مختصر المدونة ومختصر المستخرجة.

3-اختصار الوثائق لعبد الرحمن بن المطرفي بن مروان عبـد الـرحمن الفتـازعي المتـوفى 413هـ. قال ابن فرحون: »حسن التأليف، اختصر كتاب ابن سلام في تفسير القرآن واختصار وثائق ابن الهندي«[629].

4-اختصار المبسوطة للقاضي إسماعيل، محمد أبو عبد الله بن يوسف بن بشكوال، يعـرف بابن الفخار المتوفى سنة 419هـ[630].

5-مختصر خلف أبو مولى يوسف بن لمول البلنسي المعروف بالبريلي، المتوفى 420هـ: له شرح المدونة، واختصرها باسم "التقريب"[631].

6-مختصر أبي إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي المتوفى سنة 433هـ، له تعـاليق علـى المدونة وتعليق على مختصر ابن المواز[632].

7-مختصر أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد المصري المعـروف باللبيـدي، المتـوفى سـنة 446هـ، له ملخص مختصر المدونة سماه "الملخص"[633].

8-مختصر عبيد الله بن محمد بن مبارك، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان. روى عـن ابـن القاسم، حاتم بن محمد، وأبي عمر بن خضر، وأبي بكر بن مغيث وغيرهم. وأجاز لـه أبـو ذر الهروي ما رواه...

محمد الروكي، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، الرباط: 54/1. المدارك: 15/8.

(627) الأعلام للزركلي: 61/1.

(628) نفسه: 61/1.

(629) الديباج: 485/1، شجرة النور: 112/1.

(630) شجرة النور، ص: 112.

(631) الديباج: 352/1، المدارك: 164/8.

(632) الفكر السامي: 207/4.

(633) الديباج: 448/1، شجرة النور، ص: 109.

ولابن مروان بن مالك مختصر حسن في الفقه، حكم له فيه بالبراعة، وله كتاب ساطع البرهان. توفي سنة ستين وأربعمائة (460هـ) [634].

9-مختصر الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه الإمام مالك في الموطإ من الرأي والآثار، ليوسف بن عمر بن عبد البر (ت.463هـ). واختصره ابن عبد البر أيضا في كتاب الكافي في الفقه[635].

10-مختصر أبي الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي، المتوفى سنة 474هـ، له مختصر المختصر في مسائل المدونة، المهذب في اختصار المدونة[636].

11-عبد الله بن إسماعيل الإشبيلي، المتوفى سنة 497هـ. له شرح مختصر ابن أبي زيد[637].

تلك أهم المختصرات التي توصل إليها البحث، والتي ظهرت في القرن الرابع الهجري، والتي تتميز بسهولة تناول ألفاظها وحشد مسائلها وأدلتها بتفاصيل مدققة باختصار في ألفاظها وحشو القليل فيها بمعان كثيرة، لذا لم يكن الاختصار بدعة من بدع هذا الدور، بل كان موجودا في الدور الرابع؛ فإن تلامذة الأئمة قد اختصروا كلامهم ونحوا في هذا الاختصار نحو حذف ما لا تدعو الحاجة إليه من المسائل وترتيب ما أملاه الأئمة غير مرتب. وسار على أثرهم في ذلك فطاحل العلماء. وأما أواخر هذا الدور فإن الاختصار اتجه إلى وجهة غريبة وهي الاجتهاد في جمع كثير من المسائل في قليل من الألفاظ[638].

وإذا كان هذا حال القرن الرابع، فما هي المختصرات التي ظهرت في القرن الخامس؟ وماهي ميزا ا؟

الفرع الثالث: المختصرات الفقهية في القرن الخامس

(634) الصلة: 458/2.
(635) مقدمة كتاب الكافي لابن عبد البر.
(636) شجرة النور، ص: 120، نفح الطيب: 361/1، الديباج: 377/1، الفكر السامي: 317/4.
(637) الإعلام للمراكشي: 186/8.
(638) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 269.

يعتبر القرن الخامس الهجري من أهم القرون التي عرفت فيه الثقافة الفقهية توجهات علمية أفرزت كثيرا من المعطيات الأساسة والتي وظفت في تحول ملموس في ا ال الفقهي، وخاصـة إذا علمنا أن المختصرات الفقهية في هذا القرن أخذت توجها جديدا يتمثل في محاولة إعادة هيكلـة الفقه ولو بصورة المختصرات مما فتح الباب على مصراعيه لظهور المختصرات الفقهيـة. فـإنني سأقتصر على أهم المختصرات التي وقفت عليها والمتعلقة بالقرن السادس الهجري وهي كما يأتي:

1-مختصر أحمد بن مبشر الأموي من أهل إشبيلية، يكنى أبا عمر، روى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن ما شاء الله الطليطلي، وكان فقيها حدث عنه أبو عبد الله بن ا اهد، وله مختصر يسمى مختصر الطليطلي في الفقه، وذكر أنه أكمل قراءته عليه يوم عرفة سنة ست وخمسمائة (506هـ) بخط ابن خير(639).

2-مختصر إبراهيم بن جعفر اللواتي، له مختصر في الفقه، توفي سنة ثلاثة عشر وخمسمائة (513هـ)، وهو مغربي الأصل(640).

3-مختصر إبراهيم بن عبد الصمد الشيخ أبي طاهر بن بشير التنوخي، كان رحمه الله إمامـا عالما مفتيا جليلا فاضلا ضابطا... وله التنبيه على مبادئ التوجيـه، وكتـاب التهـذيب علـى التهذيب، وكتاب مختصر يحفظه المبتدئون... ولم أقف على تاريخ وفاته، غير أنه ذكر في تأليفـه المختصر أنه أكمله في ستة وعشرين وخمسمائة (526هـ) رحمه الله(641).

4-مختصر أبي إسحاق إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن.. له مختصر مفيد، مولده سنة خمس وتسعون وأربعمائة (495هـ)، وتوفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة (579هـ) (642).

5-مختصر أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الأزدي الإشـبيلي، يعـرف بـابن الخراط... له مؤلفات منها اختصار اقتباس الأنوار للرشاطي، وهو أحسن من الأصل. ومولده سنة

(639) التكملة لابن الأبار: 49/1.
(640) المغرب عبر التاريخ للدكتور إبراهيم حركات: 227/1.
(641) الديباج: 265/1-266، تعليق أبي النور.
(642) شجرة النور، ص: 155، الديباج: 265/1.

عشرة وخمسمائة (510هـ)، وتوفي ببجاية سنة واحد وثمانين وخمسمائة (581هـ) [(643)].

6-مختصر أبي جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي الغرناطي، يعرف بابن القصير. توفي سنة 575هـ، له اختصار الموطإ واختصار الوثائق واختصار الترمذي[(644)].

7-مختصر الحوفي أبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز الكلاعي، له المختصر في الفرائض، يعرف بمختصر الحوفي. توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة (587هـ) [(645)].

تلك أهم المختصرات التي وقف عليها البحث في القرن الخامس الهجري، وهي تتنـوع إلى مختصرات في الفقه، حاول أصحا ا السير ا إلى الأمام، وهي كما نعلم، مختصـرات بـدأت في التعقيد؛ حيث يلاحظ على هذه المختصرات أنه منذ بداية القرن الخامس وما يليه بدأ المختصرون بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة على الفهم لتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسـائل مـن بينها، »لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح مـن الوقت. ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبـه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقـع في تلك من التكرار والإحالة المقيدين لحصول الملكة التامة...«[(646)].

تلك أهم الصفات التي تتصف ا المختصرات كما وصفها ابن خلدون؛ فهي لم تدخل عليها التعقيدات التي دخلتها فيما بعد, وأخذت في الازدياد في القرون اللاحقة، وقد أحدث ذلـك أثـرا ملموسا في الساحة الفقهية المالكية؛ ذلك أن المختصرات أسهمت إلى حد كبير في توقف التـأليف الفعلي في الجانب الفقهي. واشتغل الناس بالمختصرات مما جعل الفقه يعرف توقفا ملحوظا.

إذا كان هذا حال القرن الخامس، فما هي أوضاع المختصرات في القرن السادس؟

---

(643) شجرة النور، ص: 155.

(644) نفسه، ص: 153.

(645) الذيل والتكملة، ص: 608، طبعة دار الثقافة، بيروت.

(646) المقدمة لابن خلدون: 1242/3.

الفرع الرابع: المختصرات في القرن السادس الهجري

يعتبر القرن السادس أهم القرون التي انطلقت فيه شرارة المختصرات بكثرة التصحيف وانقطاع سلسلة الاتصال بترك الرواية، وهو عيب من العيوب اللاصقة في المختصرات في القرن السادس الهجري. إلى جانب هذا، فقد برز عدد غير قليل من المختصرات في هذا القرن نورد ما توصل إليه البحث مرتبا، وذلك حسب تاريخ وفيات أصحابها، وأهمها ما يأتي:

1-مختصر أبي العباس أحمد بن عبد المومن بن موسى الشريسي.. له مختصر صغير.. واختصر نوادر أبي علي القالي. توفي سنة تسعة عشر وستمائة (619هـ) (647).

2-مختصر ابن أصبغ أبي عبد الله محمد الشيخ، له المختصر في الفقه المالكي، يسمى شبه الحكام على مآخذ الأحكام، توفي سنة عشرين وستمائة (620هـ) (648).

3-مختصر أبي عمرو عثمان بن الحاجب، له مختصره الفقهي، سيأتي الحديث عنه(649).

4-مختصر عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الشرمساحي(650)، له نظم الدرر في اختصار المدونة. سبق الحديث عنه(651) المتوفى سنة 660هـ.

5-مختصر عز الدين ابن عبد السلام، له الفوائد في اختصار القواعد، يوجد هذا الكتاب بالمملكة العربية السعودية، وبالضبط بالمدينة المنورة بمكتبة الأستاذ نجم عبد الرحمن الخاصة، رقم الحاسوب 11/24، وهو كتاب مخطوط لا يوجد عليه اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، خطه مشرقي، عدد أرواقه 32 وعدد أسطره 23 سطرا(652).

6-مختصر الإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبي، له مؤلفات في التصوف، له

(647) شجرة النور، ص: 176-177.
(648) نيل الابتهاج، ص: 223.
(649) شجرة النور، ص: 167.
(650) وشارمساح اسم ببلد مصر، وهي بشين معجمة بعدها ألف وراء مهملة وميم ساكنة وسين مهملة وألف وحاء مهملة. (الديباج ص: 143).
(651) الديباج: 142/1، الفكر السامي: 323/4.
(652) فهرست كتاب القواعد الفقهية وأصول الفقه، ص: 66.

مختصر لابن سرالفة، وهو كتاب أدب، أشهره. توفي سنة اثنتين وستين وستمائة 662هـ[653].

7-مختصر أبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم النهيمي القريشي. له مؤلفات كـثيرة... منـها مختصره المسمى السبل إلى مناهج التأويل، توفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة 673هـ[654].

8-مختصر قاضي القضاة ناصر الدين أبي العباس أحمد بن منصور الشهير بابن المـنير، لـه اختصار التهذيب. توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة (683هـ)[655].

تلك بعض المختصرات التي ظهرت في القرن السادس الهجري، وهي مختصرات لا تخرج عن الإطار الذي رسمه عدد غير قليل من الباحثين والمهتمين، الذين يرون أن هذا القرن مميز بمختصراته بكثرة التصحيف والتعقيد والألغاز وغير ذلك، يقول الونشريسي –رحمه الله- في هذا الصـدد: »إن كثرة التصحيف وانقطاع سلسلة الاتصال بترك الرواية عيب من عيوب المختصرات... ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربا ا ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمها ا. وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع، من ذلك لو كان من يسمع وذيلت كتابه يسمع مسـائله أجمع، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى -من كتب لا يدرى فيها ما زيد مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف عنها. ولقد كـان أهـل المائـة السادسة وصدر السابعة لا يسوغون الفتوى من تبصرة الشيخ أبي الحسـن اللخمـي لكونـه لم يصحح على مؤلفه ولم يؤخذ عنه«[656].

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: »وأكثر ما يعتمد اليوم ما كان هذا النمط، ثم انضاف إلى ذلك عدم الاعتبار بالتقاليد فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كما يؤخذ من كتب المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ولم يكن فيمن قبلنا؛ فلقد تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب الذي هو المدونة اليوم لشـهرة مسـائله وموافقته في أكثر ما خالف فيه ظاهر المدونة لأبي محمد، ثم كان أهل هذه المائة عن حـال مـن

(653) كشف الظنون: 45/1.

(654) الفكر السامي: 67/4.

(655) شجرة النور، ص: 188.

(656) المعيار للونشريسي: 479/2.

قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه، وأفنوا أعمارهم في حل لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا إلى رد ما فيه إلى أصوله بالتصحيح، فضلا عن معرفة الضعيف على المتعلمين فأركبوهم صعبا يقطعهم على تعطيل الملكات النافعة وتمسكها، ومن يهد الله فلا مضل له، والله سبحانه وتعالى أعلم«(657).

وهكذا رأينا أوضاع المختصرات -كما وصفها ابن خلدون-؛ فهي في ذروة من التعقيد. كما انطفأت إذ ذاك جذوة الاجتهاد وركن الناس إلى التقليد والاختصار فأكثر الكتب التي تجدها، بعد ذلك العصر، سلكت مسلك التهذيب، أو جمع التشتيت وبيان الغريب، أو نحت منحى الإبداع والترتيب، أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب فهجرت كثير من المؤلفات والتي لا تستساغ منها الفتوى ولا يرجع إليها، وتلك حالة المختصرات في القرن السادس الهجري. فإلى أي حد ازدادت الأوضاع تأزما في القرن السابع الهجري؟ ثم ما هي أهم المختصرات في القرن السابع الهجري؟ وما هو أثرها على الفقه المالكي؟

ذلك ما سنقف عليه في الفرع الموالي

الفرع الخامس: المختصرات الفقهية في القرن السابع الهجري

مما لاشك فيه أن القرن السابع الهجري يعتبر قمة تاريخية في حلقات المختصرات؛ ذلك أ ا بلغت ذرو ا في التعقيد. ولهذا عرفت المختصرات الفقهية تحولا كبيرا منذ القرن السابع وما يليه...

وبلغ الاختصار المركز أوجه بظهور مختصر خليل، والذي اختصر فيه كتاب ابن الحاجب. وتوالت على مختصر خليل الشروح والحواشي، بل المختصرات حتى أضحت مؤلفات الفقه النظري لا تكاد تتجاوز هذه الدائرة، مما حدا ببعض العلماء المؤرخين للفقه الإسلامي إلى اعتبار هذا المنهج من أسباب هرم الفقه المالكي.

قد لا يجانب الباحث الصواب إذا تبنى الرأي القائل بأن هذه التآليف نمط من أنماط التقنيين؛ ذلك أ ا: »مختصرات محررة على طريقة الانتقاء بأقوال تثبت هي الراجحة المشهورة، وأقوال

(657) مقدمة ابن خلدون: 1242/3، بتصرف.

تلغى: هي التي ضعفها النظر في الدور الماضي باعتبار أسانيدها أو اعتبار مداركها أو باعتبار قلـة وفائها بالمصلحة التي تستدعيها مقتضيات الأحوال، وهو النهج الذي يطلق عليه فضيلة الشيخ ابن عاشور تقنينا[658].

وصارت هذه المختصرات والحواشي والشروح هي سمة غالب مؤلفات الفقه النظـري في هذا الدور، فإن الفقه التطبيقي، بفروعه، اتجه اتجاها عكسيا بالتوسع فيه في مؤلفات تابعت ت يل الأحكام الشرعية على واقعات المشاكل، قضاء وفتوى متبعة في ذلك منهج التفصيل في الصـور العلمية لمسائل الأحكام والتوثيق ودراستها من حيث الوفاء بتحقيق المصالح الشرعية المنوطة ـا على حسب مقتضيات الأحوال. وقد ظهرت على هذا المنهج الثاني كتب الأحكام والتوثيـق... وتبعها ازدهار التحقيق الفقهي في جزئيات المسائل العملية التي طفحت به الفتوى والرسائل...

أما من حيث الموضوع فتكاد كتب الفقه النظري اختصارا أو شروحا، وحواشـي تـدور حول مؤلفات معينة اشتهرت واعتمدت كالمدونة والتهذيب والرسالة وجامع الأمهات ومختصـر خليل، وكان لهذا الأخير الحظ الأوفـر مـن هـذه المؤلفـات شـروحا وحواشـي ونظمـا واختصارا...[659].

كما هتم علماء هذه الفترة بالفقه التطبيقي بفروعه: الفتاوى والأحكام والتوثيق وما جرى به العمل. ونالت هذه المختصرات حظا وفيرا وحيزا كبيرا من مؤلفات هذا الدور، وبخاصة مـا يتعلق بالأحكام والتوثيق وجريان العمل؛ فقد جمع المعتنون بفقه القضاء المسائل التي جرى عليهـا العمل بنوعيه المطلق والمحلي، ونظموا فيها أراجيز عرفت باسم كتب العمليات وألفـت عليهـا شروح فأصبحت العمليات وشروحها مادة لأسماء ومصطلحات كثيرة لا توجد إلا في القـرون والأقطار التي جرى فيها العمل بتلك الأحكام[660].

إلى جانب ظهور مختصر خليل الذي تمت الإشارة إليه، فقد ظهـرت في القـرن السـابع

(658) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، السنة 1419هـ، ص: 21.

(659) ا لة نفسها، ص: 21-22.

(660) ا لة نفسها، ص: 22.

مختصرات، أهمها ما يأتي:

1-مختصر الحسين بن أبي القاسم البغدادي المعروف بالنبلي الملقب بعز الدين، قاضي القضاة ببغداد... له تصانيف كثيرة، منها كتابه الهداية في الفقه، واختصار كتاب ابن الجلاب اختصـارا حسنا اشتغل الناس به.. توفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة (712هـ) (661).

2-مختصر أبي بكر بن القاسم بن جماعة الهواري، له مختصر ابن الجلاب. توفي سنة اثـنتي عشرة وسبعمائة (712هـ) (662).

3-مختصر أبي الروح عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي، الفقيه الإمام المتفـنن.. حفـظ مختصر ابن الحاجب في ثلاثة أشهر ونصف، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي. بلغ فيه الصدفي سبع مجلدات واختصر جامع ابن يونس، وله تاريخ في اثني عشر مجلدا. مولـده أربـع وسـتون وستمائة 664هـ، وتوفي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة 713هـ(663).

4-مختصر محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل أبي عبـد الله الربعـي التونسـي المالكي... له مختصر التفريع. توفي سنة خمس عشرة وسبعمائة (715هـ) (664).

8-مختصر أحمد بن الحسن بن علي الزيات، الخطيب المتصوف الشهير... لـه تصـانيف كثيرة، منها كتاب شرف المهارق في اختصار كتاب المشارق. مولده سنة تسع وأربعين وستمائة 649هـ. توفي عام ثمانية وعشرين وسبعمائة 728هـ(665).

9-مختصر أبي عثمان سعيد بن الشيخ أبي جعفر... له تآليف، منها اختصار جة ا ـالس لابن عبد البر واختصار المرتبة العليا لابن راشد. كان مولعا باختصار الكتب(666).

10-مختصر إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي، قاضي القضاة بتونس يكـنى

(661) الديباج، ص: 106 امش نيل الابتهاج.
(662) التوشيح ص: 81، الديباج: 271/1.
(663) شجرة النور: 219/1.
(664) الديباج ص: 323-324.
(665) نفسه: 195/1-196.
(666) شجرة النور: 214/1.

أبا إسحاق، كان علامة وقته ونادرة زمانه. ألف كتاب معين الحكام في مجلدين وهو كتاب كثير الفائـدة غزير العلـم، نحا فيـه إلى اختصـار المطببة، وله الرد على ابن حزم في اعتراضه على مالك -رحمه الله- في أحاديث خرجها في الموطإ ولم يقل ا وله اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد بن رشد. توفي بتونس سنة أربع وثلاثين وسبعمائة (734هـ) [667].

11-مختصر محمد بن عبد الوهاب: توفي سنة واحد وخمسين وسبعمائة (751هـ)[668]، اختصره ابن قيم الجوزية في كتابه "زاد المعاد".

12-مختصر خليل بن إسحاق بن موسى ضياء الدين الجندي...: له المختصـر في الفقـه المالكي، والتوضيح شرح به مختصر ابن الحاجـب. تـوفي سـنة سـبع وسـتين وسـبعمائة (ت.767هـ)[669].

تلك أهم المختصرات التي ظهرت في القرن السابع، وهي مختصرات بلغت ذرو ا في كـل شيء، ويأتي في مقدمتها مختصر خليل الذي يعد خاتمة المختصرات في القرن السابع الهجري.

وهو مختصر مفيد[670] في الفقه قصد فيه إلى بيان المشهور مجردا عن الخلاف، وجمـع فيـه فروعا كثيرة جدا مع الإيجاز البليغ[671]، أجاد فيه كل الإجادة وأكـب النـاس علـى فهمـه وحفظه[672]؛ مدحه ابن غازي حسب ما نقل عنه ابن فرحون فقال: »أفضل نفائس الأعـلاق، وأحق ما رمق بالأحداق، وصدفت له همم الحذاق؛ إذ هو عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، مبين لما به الفتوى... قد جمع الاختصار في شدة الضبط والتهذيب، وأظهر الاقتدار في حسـن المسـاق والترتيب؛ فما نعلم أحدا نسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله«[673] اختصر فيه ابن الحاجب

(667) الديباج: 270/1.
(668) ذخائر التراث الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن، ص: 219-222.
(669) الديباج: 357/1، شجرة النور، ص: 223، الفكر السامي: 286/4.
(670) الدرر الكامنة: 86/2.
(671) الديباج المذهب: 357/1-358.
(672) درة الحجال: 257/1.
(673) توشيح الديباج ص: 96، نيل الابتهاج ص: 114.

وسلك فيه طريق الحاوي[674] عند الشافعية ،فجمع الفروع الكثيرة من كتب المذهب حتى قـالوا إنه حوى مائة ألف مسألة منطوقا ومثلها مفهوما. وإنما ذلك تقريب[675].

ولهذا يعد من أهم المختصرات التي حاولت أن تنهج منهجا خاصا في الأحكـام الشـرعية الفرعية الاجتهادية وما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجج المثبتة لها[676]. وهذا التفسير يضيف دائرة الأقوال والآراء الفقهية التي تندرج تحت مظلة المذهب؛ إذ تخرج بـه الآراء الفقهية المعزوة إلى تلاميذ مالك ومن جاء بعدهم من أئمة المذهب.

ولعل اقتصار مختصر خليل -رحمه الله- على بعض آراء الأئمة يندرج أساسا في أن من تتبع المذهب المالكي سيرى أنه متقدم على المذاهب الفقهية الأخرى في كثـرة الأقـوال الفقهيـة في المسألة، وهو أحد الأسباب التي أدت إلى ظهور المختصرات الفقهية في الفقه المالكي وتطورهـا، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل الموالي.

الفصل الثالث

دواعي تطور المختصرات في الفقه المالكي

توطئة

عرفت المختصرات الفقهية تطورًا كبيرًا، وظهر على الساحة الفقهية نماذج منها، وتنـاول المختصرون جل العلوم النقلية بما في ذلك الفقه، وسيتولى البحث الحديث عنها في حينه، كما أن دواعي مختلفة كانت وراء ازدهار هذه الظاهرة، منها تقاعس الهمم والاكتفاء بما ألفه المتقـدمون

(674) كتاب الحاوي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى 450هـ.
(675) الفكر السامي: 4/286-287.
(676) الإحكام في تمييز الفتاوي للقرافي، ص: 200.

وإعادة النظر فيه والاشتغال به تصنيفا واختصارا وتحريرا وشرحا.

كلها عوامل أسهمت إلى حد كبير في تفنن وتطور فن المختصرات بذلك، لأنه وجد من اشتغل ا وتفنن في إبراز أنواعها فأثرت الساحة الفقهية المالكية بما لها من إيجابيات وسلبيات، وبذلك عرف تطور المختصرات منهجا قويا في ظهور عدد غير قليل من المصنفات التي شملتها المختصرات؛ حيث ظهرت المختصرات في الوثائق والأحكام والمسائل الفقهية وغيرها من الفتوى العلمية التي عرفت المختصرات طريقها إليها؛ بحيث لم تقتصر على الفقه فقط بل شملت كل مكوناته التي خرجت إلى الوجود على شكل مختصرات تطورت بفضل هؤلاء المختصرين الذين اهتموا بكل جوانب الاختصار على الرغم من أن بعضهم يتهمهم بالمغالاة في ذلك، ولكن يجب ألا ننسى أن كل المختصرات لا يمكن أن توصف بالنعوت والأوصاف التي أطلقت على المختصرات، سأعالج في هذا الفصل الكلام على أسباب تطور المختصرات وتطور أصنافها، وجهود المغاربة والأندلسيين في اختصار المدونة، وذلك في نطاق ثلاثة مباحث، وفي ضمنها عدة فروع. المبحث الأول: في أسباب تطور المختصرات، ثم يليه المبحث الثاني: في تطور أصنافها، وأخيرا المبحث الثالث في جهود المغارب والأندلسيين في مختصرات الفقه المالكي.

المبحث الأول

أسباب ودواعي تطور المختصرات في الفقه المالكي

تمهيد

منذ القرن الثالث الهجري لاحت بوادر المختصرات في الفقه المالكي، وخاصة بظهور مختصر ابن عبد الحكم، ومن ثم بدأ منهج متابعة التلخيص والتحرير، والتهذيب لمسائل الأحكام الموضوعة على الأسلوب الذي ذكرناه في القرن الخامس وكان السبب المباشر في هذا النوع من الاختصار في الفقه المالكي هو المنهج الذي سلكه الإمام الشافعي في كتابه الوجيز، يقول صاحب ومضات فكر في هذا الصدد: »وكان لمنهج الاختصار المحكم الذي ظهر به الإمام الغزالي في المذهب الشافعي بكتاب الوجيز تأثير قوي في دفع العمل الفقهي على ذلك المنهج كما صرح بذلك ابن شاس في خطبة كتابه "الجواهر الثمينة" وهو الذي سار على خطته ابن الحاجب والقرافي ومن بعدهم«[677].

ولعل ما قام به علماء الفترة السابقة عملا جليلا هو النظر في التراث العلمي الموروث من الفترة قبلها، بالترجيح والتشهير وضم ذلك في مؤلفات جامعة موسوعة مع التنظيم والترتيب، وأخرى مختصرة اختصارا موسوعيا، تبتعد عن الإطناب، وتتسم بالوضوح والشمول لعل آخرها عقد الجواهر الثمينة، والذي يرى مؤلفه أنه اختصار حذا فيه منهج الغزالي في وجيزه وإن كانت المقارنة توضح فروقا جذرية في المادة العلمية لعل من أوضح هذه الفروق أن الوجيز مع تركيزه في ذكر آراء الشافعية تركيزا موجزا غاية الإيجاز، شارك بين الشافعية والمذاهب الأخرى، كما أشار إليه الإمام الغزالي في مقدمته حين يقول: »يركز ابن شاس على اختلاف أصحاب مالك ولا يخرج عن نطاق المذهب إلا نادرا«[678].

---

(677) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 20.
(678) المجلة نفسها، العدد: 41، ص: 20، بتصرف.

وكل هذا التطور في المختصرات أسهم إلى حد كبير في انتعاش مؤلفـات كـثيرة تتسـم بالاختصار، وتسعى إلى إعادة النظر في كل المؤلفات الطويلة التي هجرت بسبب كثر ا وطولهـا، ولو اقتضى الأمر تقسيمها واختصارها بطرق أخرى دون أن ننسى أن أصحاب المراكز العامة في السلطة لا تعير أي اهتمام للثقافة في هذه الفترة بعدما كانت السند الرسمي للفقهـاء والمبـدعين والمؤلفين، كلها عوامل أدت بأصحاب المختصرات إلى خلق تفكير في التعامل مع المؤلفات فنـتج عن ذلك تطور المختصرات وأصبحت تغزو كل أنواع العلوم، بل أصبح أصحا ا يتفننون في كل ما ألف إلى غير ذلك من أسباب تطور هذه الظاهرة في الفقه المالكي، وهو ما سيدور الحديث عنه في الفروع اللاحقة.

الفرع الأول: انكباب الفقهاء على اختصار بعض المؤلفات دون الأخرى

مما لا شك فيه أن انكباب الفقهاء على المختصرات لم يكن وليد المرحلة، بل منـذ القـرن الثالث ظهرت بوادر المختصرات، ويمكن القول أن أول المختصرات الفقهية ظهورا في المـذهب المالكي كان في عصر الفقهاء المتقدمين أوائل القرن الثالث الهجري؛ فقد ألف عبد الله بن عبـد الحكم المختصر الكبير والأوسط والصغير، أما الكبير فيقال إنه نحا به اختصار كتب أشهب، وأما الأوسط فهو صنفان؛ فالذي في رواية القراطيس فيه زيادة الآثار خلاف الذي في رواية محمد ابنه وسعيد بن حسان، والمختصر الأصغر قصره على علم الموطإ. وقد اعتنى الناس بمختصراته مـا لم يعتن بكتاب من كتب المذهب بعد الموطإ والمدونة، وقاموا بشرحها وعلى المختصـرين الأكـبر والأصغر يعول البغداديون من المالكية في المدارسة وإياهما شرح أبو بكر الأ ري، ولقـد بلغـت مسائل المختصر الكبير ثماني عشرة ألف (18000) مسألة، وفي الأوسط أربعـة آلاف مسـألة (4000)، وفي الصغير ألف ومائتان (1200) [679]. كما ألف أبو بكر محمد بن زكرياء الوقار المصري مختصرين في الفقه، الكبير منها في سبعة عشر جزءا وأهل القيروان يفضلون مختصره على مختصر ابن عبد الحكم[680] وفي عصر الفقهاء المتأخرين توالت المختصرات فظهر أول اختصـار

(679) المدارك: 365/3
(680) شجرة النور: 68/1.

المدونة لفضل بن سلمة الجهني الأندلسي واختصر غيرها من الأمهات كالواضحة والموازية، وألف أبو القاسم عبيد الله الجلاب مختصر المشهور المسمى بالتفريع(681)، وهو مطبوع.

أما أبو محمد بن أبي زيد القيرواني الذي وصفه القاضي عياض بقوله: »لخص المذهب وضم كسره وذهب عنه، وامتلأت تواليفه، عارض كثير من الناس أكثرها، فلم يبلغوا مداه، مع فضل السبق، وصعوبة المبدإ، وكان يعرف بمالك الصغير« (682) فإن له اختصار المدونة، وهو كتاب مشهور عليه المعول في المذهب. كما ألف كتابه المشهور بالرسالة، وقد كثر استعمال الناس لها(683).

ولقب بباكورة السعد وبزبدة المذهب، لأنه أول مختصر ظهر في المذهب بعد تفريع ابن الجلاب، والمراد بكون الرسالة أول مختصر بعد التفريع، أنها أُلفَت على نحو مستقل دون التقييد في الاختصار من كتاب معين دون سواه، ثم جاء أبو سعيد خلف ابن أبي القاسم البراذعي وبعضهم يكتبها بالذال المعجمة، وألف التهذيب في اختصار المدونة واتبع فيه طريقة اختصار أبي محمد بن أبي زيد، إلا أنه ساقه على نسق المدونة وحذف ما زاده أبو محمد. وقد أقبل طلبة الفقه على هذا الكتاب وسموا بدراسته وحفظه، وكان عليه معول الناس بالمغرب والأندلس حتى تركوا به المدونة ومختصراتها، فشغل دورا مهما قبل ظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي(684).

كما ظهر مختصر من مختصرات العراقيين، وحقق شهرة لا تقل عن سابقه وهو كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب. ويعتبر هذا الكتاب، على صغره، من خيار الكتب وأكثرها فائدة(685)، أما مختصر ابن الحاجب الفرعي المسمى جامع الأمهات فإنه يعد من المختصرات التي حظيت باهتمام المالكية شرقا وغربا، فصنفه أبو عمرو جمال الدين عثمان المعروف بابن الحاجب ممن برع في العلوم وأجاد في التصنيف، وقد بالغ ابن دقيق العيد في مدح المختصر أوائل شرحه

(681) شجرة النور: 82/1، الفكر السامي: 398/4.
(682) المدارك: 216/6-218
(683) الفواكه الدواني: 2/1، شجرة النور ص: 96.
(684) الفكر السامي: 243/4، طبعة دار الكتب العلمية.
(685) نفسه: 236/4.

فيه، ويقال إنه اختصره من ستين كتابا (60) وفيه ست وثلاثـون ألـف مسـألة (36000) مسألة[686].

ولقد احتل مختصر ابن الحاجب مركز الصدارة عند الفقهاء وطلاب العلم في الفترة الممتدة منذ صدوره إلى ظهور المختصر الخليلي. ويكفي دليلا على تلك الرتبة المرموقة مبادرة ثلاثة مـن أعلام تونس في عصر واحد إلى شرحه وهم ابن راشد القفصي، وابن عبد السلام، وابن هارون، لكن الأول هو الشارح الحقيقي. على أنه استعان بابن دقيق العيد، لأنه شيخه، أما الآخران فإنمـا سارا في ضوء نبراسه، لكن أتقن الشروح شرح ابن عبد السلام الهواري، ثم شرحه بقرب التاريخ الشيخ خليل بمصر وهو الكتاب المسمى التوضيح، واستعان فيه بكتاب ابن عبد السلام[687].

ثم جاء آخر مالكية العراق عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي وألف كتاب الإرشاد وجعله مختصرا في فروع الفقه فجمع فيه ما في الجلاب والرسالة والتلقين بزيادات مع أن كلا منها أكبر منه جزءا. كما انتقى أمهات مسائل ابن الحاجب وجواهر درره، وتفصيل مسائله، غالبا في الجواهر، هكذا أخبر عنه الشيخ زروق في أول شرحه على الإرشاد[688].

وفي اية المطاف يطل على المذهب مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المصري الذي اختصـر به مختصر ابن الحاجب وجمع فيع الفروع الكثيرة من كتب المذهب قالوا: إنه حوى مائـة ألـف مسألة منطوقا ومثلها مفهوما، وقد بين فيه ما به الفتوى من الأقوال ومع أنه أقام في تأليفه خمسـا وخمسين سنة 55هـ، إلا أنه لم يخرج من التلخيص في حياته إلا ثلاثة: الأول إلى النكاح والباقي وجد في تركته في أوراق المسودة فجمعه أصحابه وضموه لما لخص فكمل الكتاب، ولقـد بـالغ الشيخ في أسلوب اختصاره حتى عد من الألغاز، ومع ذلك اعتنى الناس به عناية فائقـة شـرحا وتدريسا.

هذه أهم المختصرات التي ظهرت في مسيرة المذهب، وكان كل مختصر عنوان كتاب وقته،

(686) شجرة النور: 67/1.

(687) الفكر السامي: 271/4، شجرة النور: 96/1.

(688) نيل الابتهاج، ص: 151-152.

تتمحور حوله الدراسات الفقهية ردحا من الزمن، حتى إذا أشرق مختصر جديد وحظي بـالقبول وذاع بين الناس صيته غربت شمس المختصر السابق.

أما مختصر خليل فهو أطول بقاء حتى يوم الناس هذا، بل استقطب الاهتمـام كلـه[689]، يقول الشيخ أحمد بابا السوداني: »لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتـأخرة إلى الاقتصـار علـى المختصر في هذه البلاد المغربية: مراكش وفاس وغيرها، فقل أن ترى أحدا يعتني بابن الحاجـب فضلا عن المدونة، بل قصاراهم الرسالة وخليل وذلك علامة دروس الفقه وذهابه[690].

ويعود السبب في تأليف المختصرات إلى أن المتأخرين عسر عليهم اسـتيعاب مـا ألـف المتقدمون من دواوين كبار، كالمدونة والموازية والواضحة وأمثالهـا، وشـق علـيهم حفظهـا واستقصاؤها فاستعاضوا عنها كتبا مختصرة تيسيرا علـى المبتـدئين وتسـهيلا للحفـظ علـى المتعلمين[691]، فالغرض من الاختصار مبني على مقصدين؛ هما تقليل الألفاظ تيسيرا على الحفظ، وجمع ما هو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع المسائل، وكل منهما مقصد حسن، لولا حصول المبالغة في الاختصار إلى الحد الذي أضر بالفقه[692]؛ فقد انصب عمل الفقهـاء في حل ألغاز المختصرات والخلاف في تأويلها فوضعت لبيا ا الشروح، ثم تعقبوها بالحواشـي ممـا أضاع الوقت وبدد الجهود[693].

وأختم هذا الفرع بما ذكره الحجوي تحت عنوان: غوائل المختصرات، قـال: »(...) لمـا ألفت المتقدمون دواوين كبارا كـ "المدونة" و"الموازية" و"الواضحة" وأمثالها، عسر على المتأخرين حفظها لبرودة وقعت في الهمم، فقام أهل القرن الرابع باختصارها، فأول من وقف عليه، اختصر "المدونة" فضل بن سلمة الجهني الأندلسي المتوفى سنة 319هـ، وكما اختصرها غيره كما تقدم

(689) الاختلاف الفقهي، رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، إعداد: عبد العزيز بنصـالح، إشراف: الدكتور عمر الجيدي، ص: 94.
(690) نيل الابتهاج، ص: 168.
(691) تاريخ المذهب المالكي، للجيدي، ص: 132.
(692) الفكر السامي: 457/4.
(693) نيل الابتهاج، ص: 169.

لنا في ترجمته، ثم في قريب من زمنه الإمام محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي له مختصر مشهور، واختصر "المدونة" إلى الكتب المختلطة منها، توفي سنة 341 إحدى وأربعين وثلاثمائة كما في "المدارك"، ثم محمد بن عبد الملك الخولاني المعروف بالنحوي البلنسي الأصل، وسكن بجاية الأندلس، الفقيه النظار، له مختصر مشهور على "المدونة"، توفي سنة 364هـ أربع وستين وثلاثمائة، ذكره في "المدارك"، ثم ابن أبي زمنين الذي اختصر "المدونة" في الأندلس كما اختصرها ابن أبي زمنين في القيروان، وكانا في عصر متقارب.

فقيل: إن مختصر ابن أبي زمنين أفضل المختصرات، واختصرها أيضا أبو القاسم الليبيدي بعده وغيرهما كما في تراجم هؤلاء الفقهاء، كما اختصروا غيرها، وتقدم في ترجمة ابن عبد الحكم أنه ألف مختصرا قبل ذلك، لكن الذي وقع تداوله بين الأعلام من مختصرات "المدونة" هو مختصر ابن أبي زيد، وأتقن ترتيبه. واشتهر كثيرا حتى صار من اصطلاحهم إطلاق لفظ "المدونة" عليه. ثم جاء أبو عمرو بن الحاجب واختصر تهذيب البراذعي في أواسط السابع، ثم جاء خليل في أواسط الثامن واختصره، وهناك بلغ الاختصار غايته، لأن مختصر خليل مختصر مختصر المختصر بتكرر الإضافة ثلاث مرات، وإن أخل بالفصاحة، وكاد حل عبارته أن يكون لغزا. وفكرتهم هذه مبنية على مقصدين وهما تقليل الألفاظ تيسيرا على الحفظ وجمع ما هو في كتب المذهب من الفروع، ليكون أجمع للمسائل، وكل منهما مقصد حسن لولا حصول المبالغة في الاختصار التي نشأت عنها أضرار«[694].

تلك أهم المختصرات التي انكب الفقهاء في دراستها دراسة علمية؛ بحثا ودراسة وتلخيصا واختصارا، علما أن هناك مختصرات أخرى لم تحظ بالعناية كسابقتها، وسنتحدث عن أسباب أخرى في تطور المختصرات في الفرع الموالي.

الفرع الثاني: تقليص دور الفقهاء في النشاط الثقافي

عرف المذهب المالكي تقلصا كبيرا في النشاط الثقافي الذي كان يتزعمه العلماء، إما

(694) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحجوي: 457/4.

برحلات علمية لعدد كثير من الأقطار، وإما بالتأليف داخل المذهب؛ »إذ لا يمكن أن يتم لفقيـه من فقهاء الأدوار الماضية لقب فقيه ولا ينال تمام الاحترام إلا بالرحلة والتلقي من علماء الأمصار سوى علماء بلده، وقليل منهم من اعترف له بالنبوغ والتبريز مع بقائه في بلده. فـإذا نظرنـا في تاريخ علماء كبار الأمة والمحدثين نجدهم جميعا جابوا آفاقا لا تكاد تضمهم بلاد حتى يرحلـوا إلى أخرى لتلقي الحديث والفقه، وكانت مكة تجمعهم في المواسم فيستفيد كل من الآخر ما عنده من علم حديث وفكر. ومن أجل ذلك كان التعارف تاما ما بين علماء العصر الواحد، وهذا مما يزيد في معارفهم ويقوي[695] المودة بينهم؛ وذلك مع صعوبة الرحلة وشدة الأسفار. أما في هذا الدور، أي دور شبه الانحطاط، لاسيما في أواخره، فقد بتت الصلات بين علماء الأمصار فصار العـالم المصري لا يكاد يسمع باسم العالم الهندي، وهذا لا يعرف المغربي. وهكذا إلا مما ينقل من كتب أحدهم؛ فهناك يسمع به وربما سار كتابه، ومن أشد الأمور وقعا أنك تجد في موسم الحج بعـض العلماء المختلفة أمصارهم، ولا يهتم أحدهم أن يتعرف بالآخر أو يروي عنه شيئا وقد أدخل ذلك الضعف على العلوم الإسلامية الشرعية، وخاصة الفقه[696].

غير أنه منذ القرن الثالث، عرف الفقه نشاطا مكثفا تمثل في إنتـاجهم الفكـري؛ حيـث أسهموا في النشاط الثقافي بصفة ملحوظة، وأثروا الساحة الثقافية بنتاجهم الفكـري، وكانـت مؤلفا م خير دليل على ذلك. وساعد في ذلك الدعم المعنوي الذي أسهم به الحكام قصد إثـراء الساحة الثقافية. »إلا أنه ما إن تلاقحت الأفكار وتعددت الآراء في ظل التسامح والحريـة الـتي أطلقها الحكام على الصعيد الفكري والعقائدي حتى شعر هؤلاء بالحاجة إلى الحـد مـن تلـك التيارات الجارفة، وقد ظهرت ملامح التدخل السياسي في ا ال الديني عندما اختار هارون الرشيد أبا يوسف رئيس الحنفية قاضي قضاته ومفتي رعيته. بينما اختار الخليفـة الأمـوي في الطـرف المقابـل بالأندلـس مذهب الإمام مالك وألزم به رعاياه. وبرز تدخل الدولة بصفة ملحوظـة عنـدما أرغم المأمـون النـاس على اعتـناق آراء المعتزلـة والقول بخلق القرآن مثيرا بـذلك

(695) تاريخ التشريع الإسلامي، ص: 268.
(696) نفسه، ص: 267.

أزمة سياسية وفكرية بعيدة المدى، تصدى لها الإمام أحمد بن حنبل بوصفه أبرز رجال الحـديث والفقه...

ثم صار تدخل الدولة أدق تنظيما وإحكاما، لما فكر الحكام في غرس[697] الاتجـاه الـديني الذي يرتضونه من الأساس وذلك بإنشاء مدارس نظامية تدرس مذهبا محددا تناصره وتدعو إليه. وظهرت تلك المدارس في مراكز الخلافة الثلاثة "جامع" قرطبة التي أقيمت في الجـامع المشـهور، وكانت من أشهر المدارس الجامعة في الدنيا تدرس جميع العلوم، وأهمها العلوم الدينية على مذهب الإمام مالك [698]، ثم مدرسة الجامع الأزهر التي أسسها الخليفة الفاطمي سنة 378هـ، وتـدرس فيهـا كل العلوم، وخاصـة علوم آل البيت، فكانت نموذجا شيعيا في عالم أهل السنة.

أما المدرسة النظامية في بغداد فلن تظهر إلا في أواسط القرن الخامس سنة 459هـ، وقـد قامت هذه المدرسة لتعليم الدين على المذهب الشافعي... [699].

فكان من آثار ذلك ظهور نزعة الخضوع وراء الإذعان للسلطة عكـس نزعـة التحـدي والابتعاد عن السلطة التي اتصف ا الفقهاء في عهدهم الأول؛ فقد تميز موقف الفقهاء من أهـل السنة والجماعة بتبني مبدإ طاعة السلطان، ولو كان جائرا، حق طاعة الوحدة وعدم شق عصـا المسلمين وسفك دمائهم... [700].

إلى جانب تدخل السلطة الحاكمة في تقليص نشاط الفقهاء، وذلك بفرضهم التوجه الفقهي المعين فإن الوضع الفقهي في هذه المرحلة، وأعني بذلك من اية القرن الثالث إلى القـرن الرابـع الهجري والصفة المميزة لهذا العصر هي التقليد في الأمصار؛ حيث قلد اتبـاع الفقهـاء الأربعـة فقهاءهم في جميع ما تركوه، و»سد الناس باب الخلاف وطرقه... وهو ما أشار إليه ابن خلدون رحمه الله بقوله: »... ولما كثرت شعب الاصطلاحات في العلوم، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولما خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه فصرحوا بـالعجز

(697) مقدمة محقق التفريع: 67/1.
(698) مقدمة محقق التفريع: 68/1.
(699) نفسه: 68/1.
(700) نفسه: 68/1.

والإعواز«[701] كما تمت الإشارة إلى ذلك.

فقد كان لهذه الظاهرة الخطيرة في الفكر الديني ما لاحظه الإمام النووي -رحمـه الله- إذ يقول: »إن ا تهد لم يوجد منذ القرن الرابع، وكان الفقهاء مجتهدين اجتهادا مقيدا؛ أي إن لهـم ملكة يستنبطون ا المسائل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولكنـهم مقيـدون بقواعـد مذهب إمامهم واستمر هذا إلى القرن الخامس.. ثم ضعف الاجتهاد بعـض الشـدة، وأصـبح ا تهدون، مجتهدي فتوى، أي إنه إذا عرض عليهم أمر كان فيه قولان أو أكثر رجحـوا أحـد الأقوال حسب حججه كابن الحاجب،وهذه الطبقة انتهت أواسط القرن السابع، ولم يبق بعـدها إلا المقلدون تقليدا محضا.. [702]

إلى جانب ما ذكر من سلبيات تدخل السلطة في التوجه الثقافي، فإن التقلبات السياسية التي عرفتها الدولة أثرت بشكل كبير على نتاج الفكر المذهبي؛ ولننظر مثلا إلى ما كانت عليها مصـر قبل سقوط مملكتها وانتقال الخلافة عنها باعتبارها أنجبت عددا كبيرا من الفقهاء الذين أثروا الفقه المالكي على غرار أقطار أخرى، فقد كانت حركة التأليف فيها عرفت تقلصـا كـبيرا بسـبب المشاكل المذكورة سابقا وغيرها، فلم تقتصر هذه الظاهرة على المذهب المالكي، بل جل المذاهب تقلص فيها التأليف بشكل ملحوظ على الرغم من ظهور فطاحل العلماء بمختلف المذاهب كأسماء العز بن عبد السلام وابن الحاجب وابن دقيق العيد وابن عرفة وابن تيمية والسبكي وابنـه وابـن القيم وغيرهم، وهم من نوابغ المذاهب الأربعة.

وإذا رجعنا إلى ما بعد ذلك فلا نسمع باسم عالم كبير أو فقيه عظيم أو مؤلف مجيد، بـل نجد قوما غلبت عليهم القناعة في الفقه؛ فقلما نجد من يشتغل بغير مذهبه. وإذا اشـتغل بمذهبـه اقتصر على تلك الكتب التي اشتد ا الاختصار حتى كأ ا ما ألفت لتفهم كأن السقوط السياسي سقط بالعلم ولاسيما الديني منه إلى هوة بعيدة الغاية[703].

(701) مقدمة ابن خلدون، ص: 450.

(702) ظهر الإسلام لأحمد أمين: 7/6/2، بتصرف، نقلا عن الإمام النووي.

(703) القباب وجهوده في الفقه المالكي، رسالة دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، إعداد: أحمـد المراري، إشراف الدكتور محمد الروكي، ص: 14.

كما أن للتراجع عن الأفكار الموحدية في الفقه أثرا سلبيا على سير الدراسـات الفقهيـة؛ حيث انصب اهتمام الفقهاء على الفروع الفقهية، ولم يكن هناك ميل إلى الاجتهاد إلا في إطـار محدود، لأن جهود العلماء موجهة بالدرجة الأولى إلى خدمة الفروع الفقهية، عن طريق شـرح كتب المتقدمين والتحشية عليها واختصارها، مما جعل هذه الشروح والحواشي تعبر عن الجمـود، لأ ا اقتصرت على اجترار القديم وإعادته اختصارا أو شرحا أو نظما، لذلك غاب روح التجديد والابتكار في بعض المؤلفات التي ألفت في هذا العصر رغم أن الأستاذ عبد الله كنون –رحمه الله- ذهب إلى أن النهضة التي ضها علم الفروع بسبب الإقبال الشديد على طلبه قد أفادت العلم من حيث هو وأفادت الأسلوب العلمي أكثر؛ حيث أدخلت عليه تحشيا مشهودا في آثار علماء هـذا العصر الممتاز بكثرة الجمع والتحصيل وحسن التصرف والتحليل(704).

تلك جملة من الأسباب التي أسهمت إلى حد كبير في بروز المختصرات التي أثرت سلبا على الفقه، وهناك سبب آخر يتمثل في عدم اعتناء الحكام بالمواهب الفكرية للعلماء، وهو ما سنتحدث عنه في الفرع اللاحق.

الفرع الثالث:

تقاعس السلطات الحاكمة عن الدعم المادي والمعنوي لحركة التأليف

يعتبر تقديم الدعم المادي والمعنوي للجانب الثقافي مسألة أساسة في كل ا تمعـات الـتي عرفت نشاطا ثقافيا مكثفا يبرز أثره في مدى العناية بالجانب الروحي والثقافي الذي يعتـبر منـار حضارة الأمة ووعيها؛ إذ بذلك يحارب الجهل والتخلف والأمية التي تنخر في ا تمعات الـتي لا تم بذلك، ولذلك فالمسؤولية تقع على السلطات الحاكمة التي عليها أن تم اهتماما كبيرا ـذا الجانب.

ولعل من تتبع مراحل الدولة الأموية والعباسية سيلاحظ أن الاهتمام بالجانب الثقافي يعتريه المد والجزر؛ حيث عرف اهتماما كبيرا وواسعا من قبل الحكم(705) بن عبد الرحمن المستنصر بالله

(704) النبوغ المغربي في الأدب العربي: 200/1.

(705) انظر ترجمته في: الكامل لابن الأثير: 87/7، والوافي بالوفيات: 397/2، وتاريخ الخلفاء ص: 356.

الأموي الأندلسي.. يقول ابن الأثير في هذا الصدد: »وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر... وكان محبا للعلم وأهله، عالما فقيها في المذاهب عالما بالأنساب والتواريخ، جماعا للكتب، مكرما للعلماء، محسنا إليهم، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم«[706].

يقول عبد الله عنان في هذا الصدد: »وقد انتهت إلينا تفاصيل مدهشة عن الدور العظيم الذي قام به الحكم في إنشاء المكتبة الأموية الكبيرة... ولما توفي الناصر عين ولده الحكم بجمع مكتبات القصر وتنظيمها لتكون بداية طيبة للمكتبة الأموية العظيمة التي أنفق بقية عمره في جمعها وتنسيقها... مضيفا أنه لم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وآثارها والتفهم لها. أفاد العلم ونوه بأهله ورغب الناس في طلبه ووصلت عطاياه وصلاته إلى الفقهاء والأمصار النائية... وكان الحكم يبعث إلى أكابر علماء المسلمين من كل قطر بالصلات الجزيلة للحصول على النسخ الأولى من مؤلفاتهم ومن ذلك أنه بعث إلى أبي الفرج الأصبهاني ألف دينار من الذهب العيني ليحصل منه على نسخة من كتاب الأغاني فأرسل إليه منه نسخة حسنة... قبل أن يحصل عليها أحد في العراق أو ينسخه أحد منهم... وفعل الحكم مثل ذلك مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي[707]؛ إذ بعث إليه بمبلغ جليل ليحصل على النسخة الأولى من شرحه المختصر لابن عبد الحكم[708].

يقول الدهماني في هذا الصدد: »ولقد ولع الخلفاء والأمراء بالعلم ولعا شديدا فأضحوا ناصرين واستدعوا البارزين منهم إلى قصورهم وأغدقوا عليهم النعم ومكنوهم من وسائل البحث وبعثوا فيهم روح المنافسة وأقاموا بينهم المناظرات فأصبحت بغداد قبلة الطلاب في العلم يلجأون إليها لينهلوا من مواردها في الدين والأدب والفلسفة والعلم والفن والطباعة، وأنشئت المدارس والمكتبات إلى جانب المساجد الجامعة التي كانت تعقد فيها مجالس العلم بالمئات؛ خاصة بعد

---

(706) دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصري لعبد الله عنان: 456/2.

(707) انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 186/6، والعبر: 371/2، وسير أعلام النبلاء للذهبي: 332/16.

(708) دولة الإسلام في الأندلس لعبد الله عنان: 456/2، الطبعة الثالثة، 1380هـ.

الصلوات. وتعلقت الهمم بالكتب فتجمع منها لدى ملوك بغداد ومصر وقرطبة مئات الألـوف، كما أن أكابر القوم والعلماء الفقهاء كانوا يملكون ثروات ثمينة من الكتب في شتى ميادين العلـم والمعرفة« [709].

وما إن انتصب بنو العباس على العرش حتى أحدثوا التغيير المرتقب في أمور الدين وعلاقـة التشريع، وكسوا سلطا م من أول أمرهم طابعا دينيا واضحا، فما كان عند الأمويين ملكا أصبح عند العباسيين رئاسة دينية كما سبقت الإشارة إلى ذلك[710]

وكان لهذا الاهتمام بالجانب السياسي أثر فعال في صفوف المثقفين والثقافة بصفة عامـة؛ حيث لم يكن ذلك الدعم الذي للفقهاء ولا للمؤلفات العلمية، فأخذ الضعف يدب في صـفوف المثقفين والفقهاء بعدما ألفوا التشجيع والتقرب وإجزال العطايا لمن يستحق ذلك. فأضحت بذلك مؤلفات عظيمة في تلاشٍ مستمر، بل ذهب بعض الفقهاء والباحثين إلى إعـادة النظـر في هـذه المؤلفات وذلك بتقليص حجمها ومحتواها علها تجد من يهتم ا نظرا لانشغال الناس بال اعـات السياسيـة والحروب القبليـة فكان ذلك سببا في ظهور بعض المختصرات الفقهية التي أفرز ـا الظروف العلمية التي أشرنا إليها آنفا، فأخذ الاهتمام يميل إلى هذه المؤلفات الطارئة على الساحة الثقافية التي حظي بعضـها بالقبول شكلا ومضمونا، وبعضها الآخر محروما من هذا القبـول.

ويبدو أن الجانب العلمي في عصر الدولة العباسية كان يسير في خط معاكس لما كانت عليه جوانب الحياة الأخرى وما ترتب عليها من أزمات وفوارق اجتماعية؛ ذلك أن خلفاء بني العباس قد أولوا عناية فائقة للعلم وأهله، وعملوا على استجلاب العلماء والفقهاء والأدباء وتشـجيعهم على التحصيل والتدريس، حتى غدت حاضرة الخلافة مركز إشعاع علمي وموئلا للعلمـاء. ومن مظاهـر النهضـة العلمية في هذه الفترة أننا لم نعد نرى الاهتمام بالعلوم منحصرا في العلمـ ـاء وحدهم، بل لقـد كان للخلفاء أيضا نصيب من ذلك؛ فقد روي أن المأمون[711] كـان مـن

(709) مقدمة محقق التفريع: 50/1.

(710) نفسه: 64/1.

(711) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري: 163/5-228، البداية والنهاية في التاريخ لإسماعيل بن كثير: 274/10-281

عظماء الخلفاء... وأول من فحـص منهم علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربيـة وشهرها... [712].

فكان اهتمام الخلفاء بجانب العلم داعيا وحافزا لغيرهم من الرعية على التفقـه في الـدين والاغتراف من معين الحكمة. إلا أن هذا الاهتمام قد جر في بعض الحالات ويلات كـثيرة ذاق العلماء مرارا كما حدث في مسألة خلق القرآن؛ حيث تم التنكيل بكثير من العلماء المخـالفين لآراء الخلفاء في هذه المسألة الكلامية...[713].

الفرع الرابع: قلة رحلات علمية بين المدارس المالكية

إن متتبع حركة الفقه المالكي منذ القرن الثالث إلى القرن السابع وما بعـده سـيلاحظ أن التعاون الثقافي بين المدارس المالكية يعرف اضطرابات وتقلبات تتمثل بين المد والجـزر، وأحيانـا غياب مدرسة على الساحة الثقافية كما يلاحظ عن غياب مدرسة العراق ومدرسة المدينـة عـن ساحة النشاط المذهبي[714]، ولا يعني غيا ما انعدامها، بل هو غياب تأثيرهما العلمي، آراء وكتبا، اللهم ما كان من ظهور ابن فرحون في المدينة، الذي: »أظهر مذهب مالك ا بعد خموله«[715]، فأنعش بمؤلفاته الحركة العلمية المالكية بالمدينة المنورة بخاصة بعد أن كان المذهب المالكي يغيـب غيابا كليا، شأنه في ذلك شان المذاهب السنية الأخرى، التي كانت لا تدرس، أو لا تـدرس في تلك الفترة إلا خفية، وذلك خلال حكم الشيعة للمدينة النبوية... [716] على صـاحبها أفضـل الصلاة والسلام. يضاف إلى هذا ضعف الدولة الإسلامية في الأندلس، وتمزقها إلى دويلات وما أعقبه من غزو إسباني اكتسح الدولة الإسلامية اكتساحا كاملا خرج على إثره المسـلمون مـن

(712) تاريخ الطبري: 214/10، بتصرف.
(713) البداية والنهاية لابن كثير: 272/10.
(714) نيل الابتهاج، ص: 12، بتصرف.
(715) نفسه، ص: 13، بتصرف.
(716) انظر رسائل في تاريخ المدينة لابن عاشور، ص: 141-143.

الأندلس«[717]. فغابت المدرسة الأندلسية المالكية تدريجيا، ولكن تأثيرها العلمي ظل ماثلا قويا في المذهب من خلال أنصارها مع المدرسة الإفريقية بعامة، بعد أن هاجر علماء الأندلس إلى شمال إفريقية بأقطاره المختلفة وإن كانت إقامتهم تركزت غالبا في المغرب (فاس) وتونس (القيروان). ومن ثم لم يبق في ميدان النشاط المذهبي إلا المدرستان المصرية والإفريقية المغربية بالمعنى الواسع.

وكان من بين هاتين المدرستين -المصرية والمغربية- تواصل مطرد منعكس؛ فالمذهب المالكي، بعد أن انقطع علماؤه من الديار المصرية في أواخر القرن الرابع تحت حكم الفاطميين بدأ يعاود مسلته في أواخر القرن السادس بمن رحل إلى مصر من الأفارقة والأندلسيين والصقليين الذين رفعوا لواء المذهب المالكي فيها من جديد... فشاعت بذلك الكتب المغربية ومناهج الدارسة الإفريقية والأندلسية،وكذلك استمر هذا التواصل المطرد المنعكس بين القاهرة وتونس يزيد ثباتا وتوثيقا بابن الحاجب والقرافي«؛ إذ كان من الآخذين عليهم ابن راشد أخذ عن القرافي، وناصر الدين الزواوي أخذ عن ابن الحاجب الذي نشر مختصره الفرعي في إفريقية والمغرب... وقابل ظهور هؤلاء بمصر أن ظهر بتونس أمثال ابن هارون الكناني وابن عبد السلام، فاعتمدوا كتب المصريين ورووا عن المتخرجين بهم[718].

إن النتيجة الحتمية لهذا التواصل المطرد بين المدرستين (المصرية والمغربية ممثلة بتونس) كما صوره بإسهاب فضيلة الشيخ ابن عاشور في النص السابق- هو تلاشي النزعة الانفرادية بين المدرستين وانصهارهما في بوتقة الوحدة المذهبية المالكية، ومما لاشك فيه أن الرحلات العلمية بين علماء هذين القطرين وغيرهما من الأقطار الإسلامية كان لها أثر كبير في خلق المناخ العلمي لهذه الوحدة المالكية.

فمنذ نشوء الحركة العلمية في أقطار المغرب لم تنقطع رحلة علمائه إلى المشرق إلا في عصور الفتن والاضطرابات، وهذه الرحلات لها أثر في انتقال مؤلفات المغاربة إلى الشرق ومؤلفات المشارقة إلى الغرب، وما يتبع ذلك من تلقيح لمناهج التدريس وأساليب التأليف، ومن توفر المادة

(717) شجرة النور الزكية، القسم الثاني، ص: 150-151.
(718) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 8-9.

وتعدد المصادر أمام الباحثين والدارسين... فاندمجت الآراء العلمية في بعضها وتلاشت الاختلافات الجذرية إلا ما كان من طبيعة الاجتهادات الفردية التي تظهر بين علماء المدرسة الواحدة.

ويعتبر المذهب المالكي من بين المذاهب المتعددة المناهل وتعددت المشارب والمدارس بأنحاء العالم الإسلامي. وتتميز هذه المدارس بما يلائم الظروف التي أنشئت فيها والبيئة التي ترعرعت فوق أحضانها، فكانت في القرن الرابع الهجري، بالخصوص، منارة إشعاع علمي متميز؛ حيث انفردت كل واحدة بمميزاتها في تدريس الفقه المالكي، وإثرائه بحثا واجتهادا وتأصيلا وتقعيدا وتحليلا وتفريعا، وكانت كل مدرسة تنتهج طريقة معينة وأسلوبا خاصا وتمارس ضربا من الاجتهاد...[719] داخل المذهب فنشأ عنه ما يسمى اختلاف المذهب، ونتجت عنه تيارات فقهية تتباين في فروعها وتتلاقى في جميع أصولها؛ إذ تنتسب كلها إلى الإمام مالك، لا تميل عن منهجه ولا تحيد عن مبدئه، كما كانت كل مدرسة تقتدي بفريق من أتباع مالك، وتعتمد من الأمهات والمصادر كتبا خاصة، ألفت كلها على أساس واحد هو "الموطأ" فكانت المدرسة المالكية العراقية التي أنشأها القاضي إسماعيل وتولاها من بعده أبو بكر الأبهري وأصحابه تعتمد أساسا إلى جانب الموطإ مختصر ابن عبد الحكم؛ إذ يقول الأبهري: »قرأت مختصر ابن عبد الحكم خمسمائة مرة[720] وقد شرح المختصر الصغير والكبير لابن عبد الحكم الأول سنة 329هـ والثاني سنة 340هـ. وفي هذا المعنى يقول ابن ناجي: »إن أهل بغداد اعتنوا بمختصر ابن عبد الحكم أكثر من غيره، فهم إذا وجدوا في المسألة قولين لمن ذكر قدموا قول ابن عبد الحكم. ولكثرة اعتناء القرويين بابن القاسم جروا على العكس« [721]. أما المدرسة القروية والمدرسة الأندلسية فيقول عنهما ابن خلدون: »وقد عكف أهل القيروان على المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية« [722] كما تمت الإشارة إلى ذلك.

وهكذا تواصلت الرحلات العلمية عبر العصور حتى أصبحت الرحلة شرطا ضروريا

---

(719) مقدمة محقق التفريع: 93/1.

(720) ترتيب المدارك: 186/6 بتصرف.

(721) نفسه: 188/6 بتصرف.

(722) مقدمة ابن خلدون، ص: 450، دار القلم، بيروت.

لاستحقاق لقب العالم؛ لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال لقاء المشائخ ومباشرة الرجال». وقد دون الكثيرون رحلا م وألفوا فيها التآليف الضخمة المليئة بالمعلومات التاريخية والأدبية والاجتماعية... وغيرها[723].

يقول القاضي عياض في هذا الصدد: «وكثرت الرحلات العلمية إلى بغداد والشام ومكة والمدينة من المغرب والأندلس، كما نزح بعض أهل المشرق إلى القيروان والأندلس بعد ما فرقوا من ضعف الخلافة العباسية وتقسيمها إلى دويلات وكثرة الانتفاضات المذهبية. أقول نزحوا باحثين عن الاستقرار في بلد إسلامي ليس فيه إلا دين واحد ومذهب واحد وعقيدة واحدة»[724].

وكانت النتيجة لهذه الرحلات أن أدخلت كتبا كثيرة من المؤلفات البغدادية إلى الغرب الإسلامي، وكان إدخال هذه الكتب بمثابة الثمرة الطيبة التي أنتجتها الرحلات والاتصالات، ولعل استقراء الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والبرامج، يمكن رصد عددهم من هذه المؤلفات، كما يمكن استطلاع حركة وتداول هذه الكتب في مجالس الدرس عبر العصور.

وكان هذا الوضع سائدا بين المدارس المالكية عبر القرن الثالث والرابع الهجريين إلى أن جاء القرن الخامس بتطورات أخرى منها الرحلات العلمية بين المدارس المالكية، فكان ذلك سببا من أسباب الاشتغال بالمنتوجات المحلية والابتعاد عما أفرزته كل مدرسة من مؤلفات علمية قيمة، فأدى ذلك إلى ظهور مختصرات علمية في كل فن وفي كل مدرسة؛ واكتفي بقراءة الكتب المحلية وإعادة النظر فيها، وأغلقت بابها عما سواها كل مدرسة واشتغلت بما أنتجته، فخيل لها أن إعادة النظر في بعض الكتب وصياغتها من جديد سيقدم الفقه. إلا أن العكس هو الذي حصل؛ حيث أصبحت هذه المؤلفات أكثر تقعيدا وأكثر اختصارا، وكان ذلك سببا آخر ينضاف إلى الأسباب التي أدت إلى ظهور المختصرات وتطورها.

هذا عن المختصرات، فما هي أصنافها وتطورها؟ وما هو أثر ذلك على الفقه المالكي؟

(723) نفسه، ص: 541.

(724) ترتيب المدارك: 1/64-65، بتصرف.

المبحث الثانـي

تطور أصناف المختصرات

تمهيد

لقد ظهرت المختصرات في جل العلوم النقلية ومن بينها الفقه، ودخلت جل أصنافه فكـان لابد أن يقوم علماء المذهب بمهمة الضبط وتجديد التلخيص والتهذيب حـتى تتحـد الصـورة وينسجم التعبير ويأتلف ما تفرق من الأسمعة ويجتمع ما تشتت من الأقوال. ومن ثم ينبغـي أن لا ينطلق بنا العنان فتتخيل تلك المؤلفات المختصرة -اسما لا مسمى- كراسات صغيرة تجمع نقاطـا رئيسية مركزة أو بتعبير آخر: »تذكير لرؤوس المسائل ينتفع ا المنتهي للاستحضار وربما أفـادت بعض المبتدئين الأذكياء؟ لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة«[725].

إن المختصرات في هذه المرحلة ذيب، وتنقيح وتنظيم وترتيب للمادة الفقهية، لذلك فـإن التهذيب والترتيب والاختصار والتنقيح لأمهات ودواوين المذهب مع زيادة ما استجد وترجح من آراء ميزات نالت منها أصناف المختصرات حظا وافرا. فما هي هذه الأصناف؟ ثم ما هي الفنون العلمية التي نالت المختصرات؟ وأخيرا ما هو أثر ذلك على الفقه المالكي؟

تلك أهم الأسئلة التي ستتناولها الفروع الموالية مبتدئا بالصنف الأول: الوثائق.

الفرع الأول: أصناف المختصرات

الصنف الأول: الوثائق

1-مختصر الوثائق لابن الهندي[726]: وهو أبو عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم القرطبي، أخذ عن أبي إبراهيم وطبقته. قال ابن حبان: كان واحدا في علم الشروط ولا نظير له، اعترف بـذلك فقهاء الأندلس طرا، وله فيها كتاب مفيد جامع محتو على علم كثير وفقه جم، وعليـه اعتمـاد

(725) مقدمة ابن خلدون: 535/1 بتصرف.

(726) انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 146/7.

الحكام والمفتين،وأهل الشروط بالأندلس والمغرب. وقد اختصره جماعة منهم، اعتنى به القنـازعي وابن ذهل وابن عبد الواحد مع ما أضاف إليه. ولم يكن بالمرضي في دينه، ولا بالمقبول قوله عديم المروءة، وذكر أشياء منكرة، وهو أحد من لاعن زوجته بالأندلس بعهد القاضي ابن السـليم في المسجد الجامع... توفي في رمضان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (ت.399هـ) [727].

2-مختصر الوثاق لعبد الرحمن بن مـروان بـن عبـد الـرحمن الأنصـاري المعـروف بالقنازعي[728]، له كتاب اختصار وثائق ابن الهندي وغيره[729].

3-مختصر أحمد بن سعيد[730] بن دينار الأموي، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسـم. روى بقرطبة عن أبي عيسى الليثي وابن عون الله وابن المفرج وأبي محمد القلعي وأبي عبد الله بن الخراز، وابن زرب من الأندلسيين، وأخذ عن أبي عمر بن الهندي وثائقه، النسخة الأولى سمعهـا عليـه مرات واختصرها أبو القاسم هذا في خمسة عشر جزءا... قال ابن حبان: توفي أبو القاسم هذا في صدر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (ت.435هـ)، وقد نيف على التسعين. مولده سنة سبع وأربعين وثلاثمائة 347هـ[731].

4-مختصر عبد الصمد بن موسى بن هذيل بن ناجيب البكري، قاضي الجماعة بقرطبـة، يكنى أبا جعفر، روى عن أبيه وعن أبي القاسم حاتم بن محمد وغيرهما، وناظر عند أبي عمر بـن القطان الفقيه.. وكان له حظ من الفقه ومعرفة جيدة بالشروط. وله فيها مختصر حسن بأيـدي الناس. توفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة (495هـ) [732].

5-مختصر في الشروط لابن بقاء الجذامي المرجوني يحيى بن عمر (ت.521هـ). وقد ذكر

(727) طبقات المالكية، ورقة 191-192، المدارك: 146/7-147.

(728) انظر ترجمته في جذوة المقتبس: 278/1، وبغية الملتمس ص: 371، والعبر: 112/3، وسير أعـلام النبلاء: 342/17.

(729) شجرة النور، ص: 111-112، الأ ري وجهوده في الفقه المالكي، دبلوم الدراسات العليـا بـدار الحديث الحسنية، إعداد: محمد جوهار، تحت إشراف الدكتور: محمد الروكي: 158/1.

(730) انظر ترجمته في الصلة: 90/1، وترتيب المدارك: 92/8.

(731) الصلة: 90/1، المدارك: 92/8.

(732) الصلة: 550/2.

هذا المختصر ابن بشكوال -بعد أن بين معرفته بعقد الشروط بقولـه-. ولـه تـأليف مختصـر فيـها...[733].

6-مختصر النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام لعلـي المتيطـي (ت.478هـ ـ)، وتلخيصه لمحمد بن هارون الكناني التونسي (ت.478هـ/1350م) [734].

أوله: الحمد لله ذي العزة والجلال، الموصوف بالعظمة والكمال... وبعد، فإن علم القضاء والأحكام وما يتعلق بعلم الوثائق وفصول الخصام، من أجل العلوم قـدرا... إلى أن قـال: وإن كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للشيخ علي بن عبد الله اللخمي المتيطـي مـن أجلها تأليفا، فاستخرت الله تلخيصه في قدر الثلث من الأصل واستوعبت مسائله ومباحثه مع فقه الوثائق والمختار في كتبها، ولم أخل[735]بشيء من ذلك عدا ما تكرر منها«.

آخره مسألة: ولو قال: لا صوم مكذبا به، استتيب ثلاثا، فإن تاب وإلا قتل، قال أصـبغ: ويقتل بتركه وإن لم يجحده، انتهى«. كتبه محمد بن عبد الله[736] المزالي القيرواني في رمضان سنة 1115هـ بخط مغربي، 327ق، 35 س، 30×21 سم. توجد نسخة منه بدار الكتب الوطنية التونسية 18696 تحت رقم 269[737]...

نسخة أخرى: تحت رقم 728د. به ورقات 247، سطوره 34، مقياسـه 300/210، مكتوب بخط مغربي وسط، أورده بروكلمان في ملحقه (661/1) [738].

نسخة أخرى: تحت رقم 886د، مكتوب بخط مغربي لا بأس به، ا ورقات 247، عدد سطورها 33، مقياسه 305/215. وعندي منه نسخة ثالثة مرتبة تحت رقم 418د[739].

(733) الصلة: 673/2.
(734) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 661/1 (الملحق)، نيل الابتهاج ص: 407.
(735) فهرس المخطوطات المصورة، طبعة الكويت: 224/1.
(736) بتر في المخطوط.
(737) نفسه: 225/1.
(738) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 661/1 (الملحق).
(739) فهرس المخطوطات العربية-الخزانة العامة: 248/1، الطبعة الثانية.

تحقيق مختصر النهاية والتمام لابن هارون

1-الوثائق والأحكام المشهورة بالمطيتية، اختصرها بعض العلماء، ومنهم علي بن هـارون وسماه مختصر النهاية، وكتاب النهاية المذكورة والمعروف بالمطيتية، موجود جزء منـه في المكتبـة المركزية بالجامعة الإسلامية، يحمل رقم 6937، لكنه ناقص بحيث لم يوجد بقية كتاب النكاح. وقد وجد مختصره الذي اختصره علي بن هارون وحقق، لكن هو الآخر ناقص؛ حيـث ينتـهي بباب النفقات كما هو معلوم؛ إذ باب الحضانة يأتي آخر كتاب النكاح(740).

2-مختصر النهاية والتمام في الوثائق والأحكام، لأبي عبد الله محمد بن هـارون الكنـاني (ت.780هـ) تقديم وتحقيق ميلود مبهوبي من أول الكتاب إلى اية الطلاق، رسـالة دبلـوم الدراسات العليا، كلية الآداب -الرباط(741).

نسخة أخرى من مختصر المتيطي، يوجد الجزء الأول من مختصر المطيتي بزاوية تنغملت بـني ملال تحت رقم 199(742).

نسخة أخرى.. توجد بالمكتبة الوطنية بتونس، خطه مغربي م21/28ق-258-س 31-32-35 و133(743).

ابن هارون ومنهجه في الاختصار

لقد تكلم الفقهاء على أنواع التأليف وقسموها إلى سبعة أقسام، ومنها أن يكون التـأليف مطولا مسهبا، فيقصد المؤلف تلخيص ذلك بالاختصار والإيجاز وحذف المكرر إن وقع مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصود المؤلف الأول.

وهذا القسم هو الذي سار عليه ابن هارون في تأليفه لكتابه؛ حيث حذف المكرر وكبقيـة كتابه الوثائق فجاء كتابه في قدر الثلث من الأصل مستوعبا لأهم المسائل، بحثا وفقها، من صنف

(740) كتاب الإبانة في صحة إسقاط ما لم تجب من الحضانة، ليحيى بن محمد الكردي، طبعة المدينة المنورة، 1414هـ، ص: 35.

(741) رسالة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط، ميلود ميهوبي: 39/1.

(742) لائحة المخطوطات، بزاوية تنغملت بني ملال، ص: 9.

(743) فهرس المخطوطات الوطنية، تونس: 27/11.

الوثائق والمختار في كتبها، وهذا ما عبر به عنه في مقدمة الكتاب؛ حيث قال: »وكنت في بعض الأزمان ألزمت نفسي الاشتغال به والعكوف عليه فاستخرت الله في تلخيصه فلخصته واضح المعاني، مؤسس القواعد والمباني في قدر الثلث من الأصل. واختصاره لم يكن يغلب عليه الجمود بل فيه من التصويبات الهادفة والزيادات اللطيفة والمناقشات المثمرة الكثير الوفير[744].

8-اختصار الوثائق، لابن القصير الغرناطي عبد الرحمن بن أحمد الأزدي (ت.576هـ)[745].

9-الوثائق المختصرة، لأبي الحسن الغرناطي، إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري، المشتهرة بالغرناطي. ويعرف بحنكاش (ت.579هـ). وقد ذكر هذه الوثائق ابن الأبار بقوله: ويشارك في علم الحديث ومسائل الفقه والشروط، وله فيها مختصر مفيد[746]. والنباهي بقوله: بصيرا بالوثائق المختصرة المنسوبة له، وقد طبعت هذه الوثائق بالرباط مركز إحياء التراث المغربي باسم الوثائق المختصرة، إعداد مصطفى ناجي عام 1408هـ/1988م.

10-مختصر في الوثائق، لابن عقبون محمد بن أبي بكر بن يوسف الغافقي (ت.584هـ). وقد ذكر هذا المختصر ابن الأبار بقوله: »وكانت له معرفة بالوثائق وله فيها مختصر«[747].

11-مختصر أبي الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي.. وله في الشروط مختصر مفيد جدا سماه المقصد المحمود في تلخيص العقود... توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة (ت.585هـ)[748]. توجد نسخة بعنوان المختصر المحمود في تلخيص أصول العقود مبتورة الأخير، بخط حسن بن علي الجزولي. بزاوية تنغملت بني ملال رقم 278[749] (أعتقد أ ـ ا

(744) مختصر النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام لأبي عبد الله محمد بن هارون الكناني (ت.750هـ) من أول كتاب الطلاق إلى اية الطلاق، تقديم وتحقيق: ميلود ميهوبي، تحت إشراف الدكتور محمد الروكي: 70/1.

(745) نفسه: 70/1.

(746) شجرة النور، ص: 155، التكملة: 155/1-156.

(747) التكملة لابن الأبار: 537/2.

(748) شجرة النور: 158/1.

(749) لائحة المخطوطات بزاوية تنغملت بني ملال، ص: 13، طبعة وزارة الأوقاف.

للصنهاجي المذكور، ويجب تحقيق هذه المسألة).

12-مختصر عتيق بن أسد بن عبد الرحمن بن أسد الأنصاري يناشي، نشأ بمرسية، وروى عن أبي بكر، وعن أبي الحسن يحيى ابن البياز وأبي علي بن سكرة، وأكثر عن أبي محمد بن أبي جعفر، وأبو عبد الله بن فرج بن سليمان المكناسي. روى عنه سبطه أبو محمد بن سفيان وأبو إسحاق أبو خفاجه، وأبو بكر عتيق بن أحمد بن الخصم ومفوز بن طاهر بن مفوز. وكان فقيها متحققا بالفقه. وهو كان الأغلب عليه، داريا بالفتاوى، بصيرا بالأحكام، نافذا في المعرفة بعقد الشروط. وله فيها مختصر[750]. توفي ثمان وثلاثين وخمسمائة (538هـ) حسب ما ذكره التنبكتي.

الصنف الثاني: المختصرات في النوازل

1-مختصر نوازل لمحمد بن أحمد بن الحاج القيسي، يوجد بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 491[751].

2-مختصر نوازل البرزلي[752]، رقمه بالخزانة العامة 689ق.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله رب العالمين،والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين، وعلى آله وصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المومنين، وسلم عليه وعليهم أجمعين إلى يوم الدين، وأقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا كتاب قصدت فيه إلى جمع مسائل لا تسع مجالا من الكتب المسمى بجامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام للشيخ الإمام الحافظ المتفنن بحضرة تونس سيدي أبي الفاضل بن أبي إبراهيم البرزلي -رحمه الله- ونفع به[753].

(750) الذيل والتكملة، القسم الأول: 690/3، نيل الابتهاج ص: 349.

(751) فهرس المخطوطات: خزانة ابن يوسف، ص: 7.

(752) هو أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي، مفتيها وفقيهها وحافظها وإمامها، له ديوان كبير في الفقه، جمع فأوعى، وله الحاوي في النوازل اختصره حلولو والبوسعيدي والونشريسي. توفي سنة 841 أو 843 أو 844هـ وعمره 103هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور: 245/1).

(753) مختصر البرزلي، رقمه بالخزانة العامة: 689ق، فيلم 795.

وصف المخطوط: وهو مبتور في آخر هذا الجزء، ويتضمن 514 ورقة، معدل السطر في الورقة 24 سطرا بخط مغربي، مقروء، يكتب العناوين بخط بارز وكذا بعض الحروف وكذا اسم المؤلف، يعني البرزلي، وما أشبه ذلك.

توجد نسخة أخرى من مختصر مسائل البرزلي لحلولو[754].

أولها: قال العبد الفقير إلى رحمة الله سبحانه وتعالى أحمد بن أبي زيد الأندلسي المعروف بحلولو قال: هذه مسائل مختصرة من كتاب سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة أبي القاسم البرزلي. أوله كتاب الطهارة وآخره مسائل من الجامع ثم الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا..

يتكون هذا المخطوط من 310 ورقة بخط مقروء لم يشر فيه الناسخ إلى تاريخ نسخه. يوجد بالخزانة العامة تحت رقم 826ك[755].

وهناك نسخة أخرى: اختصار جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا والأحكام بالمفتين والحكام، تأليف أبي عبد الله البوسعيدي، خطه مغربي م/21/3، قياسه 155-30-25س، 34[756].

الصنف الثالث كتب في الأحكام المختصرة

1-مختصر النظر في أحكام النظر، لابن القطان: هو المحدث الحافظ النظار أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم المكناسي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان... وله تأليف: منها كتاب الا ع في القياس في إبطال القياس وكتاب الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، ومختصر النظر في أحكام النظر ومقاله في المكاييل والأوزان. توفي

(754) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اليزليطني القروي، عرف بحلولو الإمام العمدة والمحقق المؤلف الفقيه الأصولي. له شرحان على المختصر كبير وصغير. اختصر نوازل البرزلي. كان حيا سنة 875هـ. (انظر ترجمته في شجرة النور: 259/1).

(755) مختصر نوازل البرزلي، رقمه بالخزانة العامة: 826 ك.

(756) فهرس المخطوطات الوطنية: تونس: 7/1، الخزانة الحسنية تحت رقم: 12/4.

بسجلماسة وهو قاضيها في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة 638هـ[757]. وقد تم تحقيق هذا الكتاب من قبل الدكتور إبراهيم بن الصديق، وطبع من طرف وزارة الأوقاف.

2- مختصر الأحكام لبكر بن العلاء[758] القشيري، بصري الأصل ثم انتقل إلى مصر... ألف كتبا جليلة منها كتاب الأحكام المختصرة من كتاب إسماعيل بن إسحاق والزيادة عليه.. توفي سنة 344هـ[759].

3-مختصر الأحكام لأحمد بن محمد بن عبد الأنصاري أبو العباس الشارقة، له رحلة روى فيها بمكة عن كريمة المروزية وحج وسمع الحديث ودخل العراق وبلاد فارس والأهواز ومصر، ثم رجع إلى المغرب وسكن سبتة ومدينة فاس وغيرها. وكان فقيها فاضلا واعظا، كثير الذكر والعمل والبكاء. وألف كتابا مختصرا نبيلا مفيدا في أحكام الصلاة. توفي سنة خمسمائة (ت.500هـ) [760].

3-مختصر أحكام ابن سهل يبتدئ بـ الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين... وينتهي في المسائل في الغصب ودلال الاستحقاق، يتكون من 514 ورقة، رقمه بالخزانة العامة 742ق، خطه مغربي جميل، دون ذكر تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ[761].

4-اقتضاب السهل في اختصار أحكام ابن سهل لأبي عمران موسى الزناتي الأزموري، نزيل مراكش، توفي سنة 702هـ، يوجد بالخزانة العامة -كما سبق ذكره-، والخزانة الحسنية تحت رقم 1104، والخزانة الحمزاوية تحت رقم 305[762].

الصنف الرابع: اختصار كتب الفقه، ولا أقصد الكتاب، بل الكتب التي توجد داخل المؤلف الذي اختصر منه الكتاب

(757) نيل الابتهاج ص: 317.
(758) انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 271/5.
(759) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 255.
(760) الديباج، ص: 100 و55.
(761) مختصر أحكام ابن سهل، رقم: 742ق.
(762) ورقات عن الحضارة المرينية للأستاذ المنوني رحمه الله، ص: 301.

1-مختصر ابن رشد في الذكاة.

أوله: »فصل في الذكاة والذبائح. وآخره: انتهى مختصر الشيخ ابن رشد بحمد الله وحسن عونه وصلى الله وسلم على سيدنا وآله وسلم تسليما. يقع في ثلاث ورقات بخط مغربي مقروء وتوجد ضمن مجموع رقمه بالخزانة العامة 2418د[763].

وهذه نسخة أخرى، أولها:

قال القاضي أبو الوليد ابن رشد رحمه الله ونفعنا به وبأمثاله آمين. فصل في الذكاة والذبائح وجملة المذكين. ثمانية عشر ستة منها لا تؤكل[764] باتفاق.. الصبي الذي لا يعقل والمجنون في حال جنونه والسكران الذي لا يفيق والمرتد والمجوسي والزنديق، فهذه الستة التي لا تؤكل... باتفاق من المذهب، وستة تكره[765] الصبي والمرأة. قال ابن الجلاب: ولا بأس بذبيحة المرأة والصبي والسكران الذي معه شيء من عقله[766]...«.

الصنف الخامس: اختصار المسائل

1-اختصار مسائل ابن رشد أبي الوليد المتوفى سنة 520هـ، لمحمد بن هارون بن محمد الكناني التونسي أبي عبد الله المتوفى سنة 750هـ »أوله الحمد لله رب العالمين، وبعد فهذا كتاب اختصرت فيه مسائل الشيخ... الحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد... مسألة سئل -رحمه الله- عن آبار الصحارى التي دعت الضرورة إلى طيها بالخشب والعشب لعدم ما تطوى به...، فتغير لون الماء ورائحته. فأجاب -رحمه الله- بأن ذلك جائز، وخالفه غيره.

آخره: وأما قوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾[767]؛ فللناس فيه تأويلات، وما أعلم من فسره بخط الرمل، والله أعلم، (انتهى اختصار الأسئلة والأجوبة للقاضي أبي الوليد بن رشد مما لخصه الشيخ... محمد بن هارون). كتب بخط مغربي في 29 جمادى الأولى سنة

(763) مختصر ابن رشد في الذكاة، ضمن مجموع رقمه 2418د بالخزانة العامة، ورقة 323.
(764) بتر في المخطوط.
(765) بتر في المخطوط.
(766) مختصر ابن رشد في الذكاة، ضمن مجموع رقمه 2418د بالخزانة العامة، ورقة 323.
(767) سورة الصافات، الآيتان: 88-89.

1221هـ، 16ق/25س/و30×21ع[768].

2-كتاب مسائل مختصرة من كتاب المدونة لأبي عمران الفاسي رقم 1839د، ومعها نوازل الإمام الغرناطي.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد: قال الشيخ أبو عمران الفاسي[769] -رضي الله عنه- هذا ما اختصرنا من الدواوين خوفا من التطويل، من مسائل المدونة قصد الإفادة وعليها التعويل... [770].

نماذج من هذا الكتاب من كتاب البيوع: وقال في دراهم السوق والزيوف، ولا خلاف في الصرافي الذي يعلم ما فيه أنه لا يجوز المعاملة بلا مخافة أن يعرفه ويكسر، وعليه بدلها. وأما غير الصرافي الذي لا يعلم ما فيه وقصد به الغرر، فاختلف فيه على ثلاثة أقوال كرهه ابن القاسم في كتاب الصرف من المدونة ومنعه أشهب وجوزه ابن القاسم في كتاب الصلح؛ حيث قال: وأرى به الصلح جائزا، فإن قبضه رجل فكسره عليه وأفسده من غير تعمد، فهل يرد إلى من دفعه إليه أو يلزم الكاسر ويرد مثله. وظاهر المدونة أنه يلزمه ويرد مثله حيث قال: ولو جرت الفلوس بين الناس فجرى العين المسكوك يكره بذهب أو فضة – وبه قال أبو محمد في كتاب النوادر حيث قال: من قبض من دين له دينار فقطعه لحاجة فوجده رديا فليرد مثله في رداءة صحيحا، ويرجع بديناره. قال أصبغ: وإن العمد والخطأ في أموال الناس سواء. وذكر أبو الحسن اللخمي أن الدارهم المخلوطة جائرة وأن قيمة الصياغة معتبرة فيها.

مسألة: ومن ابتاع دراهم فقطعها أو حملها فوجدها زيفا غير خالصة فليردها ولا شيء عليه

---

(768) فهرس المخطوطات المصورة: 187/1، طبعة الكويت.

(769) أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي الفاسي القيرواني، الفقيه الحافظ، العالم الإمام المحدث، كان يقرأ القرآن بالسبع ويجوده، مع معرفة بالرجال، فاضلا، أصله من فاس، من بيت مشهور بها. استوطن القيروان، وحصلت له رئاسة العلم، تفقه بأبي الحسن القابسي، ورحل لقرطبة، وتفقه عند الأصيلي وغيره، واستجازه من لم يلقه، منهم ابن محرز، وعتيق السوسي، وأبو القاسم السيوري. له كتاب التعليق على المدونة، وهو كتاب جليل لم يكمل، وخرج من عوالي حديثه نحو مائة ورقة. توفي بالقيروان في رمضان سنة 430هـ. (انظر شجرة النور، ص: 106).

(770) مسائل مختصرة من المدونة، لأبي عمران الفاسي، ورقة: 33، رقمه بالخزانة العامة 1839د.

من الأجرة.

مسألة: البائع إذا قبض الدراهم فوجد بعضها نحاسا بعد شهر فله الرد ويكون القول قوله ويحلف ويأخذ البدل وإن قبضها على الرضا[771]، ثم أراد الرد بعد ذلك فالقول قول المشتري ويحلف على علمه أنه ما أعطاه إلا جيدا وهو نص المدونة وابن يونس.

مسألة: إذا اختلف المتبايعان في جودة الدراهم ورداءتها فادعى أحدهما بالاختبار بالنار وادعى الآخر الاختبار بأهل المعرفة، فالاختبار بأهل المعرفة أولا وهو قول ابن القاسم في المدونة... [772]إلخ.

وصف المخطوط: كتاب مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي يوجد بالخزانة العامة تحت رقم 1839د، يحتوي على ثمان وستين ورقة (68)، معدل السطر في الورقة (24) سطرا، بخط مغربي رقيق، يكتب المصنف المسائل بالأحمر. بدأ بكتاب النكاح وانتهى بكتاب البيوع: أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد. قال الشيخ أبو عمران الفاسي -رضي الله عنه- هذا ما اختصرنا من الدواوين خوفا من التطويل من مسائل المدونة قصد الإفادة وعليه التعويل. مسألة في تزويج المراة إن تزوجت بولاية عامة مع وجود الخاصة بعد الوقوع، والطول وفوات الدخول فينبغي للإمام أن يجيزه إن كان كفؤا لها... [773].

آخره: انتهى ما اختصره أبو عمران الفاسي من دواوين الأئمة -رضي الله عنهم- على يد الفقير لمن لا تأخذه سنة ولا نوم محمد ج أبو القاسم بن ج محمد بن ج أبو القاسم ج المرزوق ج محمد بن إبراهيم السلامي غفر الله له ولوالديه ولأحبته ولإخوانه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. ووقع الفراغ منه ضحوة يوم الأحد في شهر الله المعظم ربيع الثاني عام 1214هـ ورحم الله مشايخنا آمين وجميع ما احتوى عليه من الأحكام بصيغة مسألة مائتا مسألة وست مسائل. ومن المسائل ما يدخل فيها مسائل شتى وبعض الأحكام

(771) نفسه، ورقة: 39-40.

(772) نفسه، ورقة: 40،

(773) مسائل مختصرة من المدونة، لأبي عمران الفاسي، ورقة: 33، رقمه بالخزانة العامة 1839د.

بوب لها أبوابا -رضي الله عنه وأرضاه-.

يوجد هذا المخطوط ضمن كتاب في مقدمة هذا الكتاب أسئلة الإمام أبي محمد بن القاسم الغرناطي ومعه كتاب مسائل أبي عمران الفاسي المشهور، وهو من أهل القرن الخامس(774).

نسخة أخرى: أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، قال الشيخ أبو عمران الفاسي -رضي الله عنه- هذا ما اختصرنا من الدواوين دون التطويل من مسائل المدونة: مسألة في تزويج المرأة بعد الدخول والا ول إن تزوجت بالولاية العامة مع وجود الخاصة وفات بالدخول إلى أن قال: انتهى ما اختصره أبو عمران القاضي -رحمه الله- من دواوين المالكية -رضي الله عنهم- علي بن عبيد الله بن أبي القاسم غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولإخوانه ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عام 1144هـ في شهر الله المعظم رجب الفرد بعد أن خلت منه ستة وعشرون، عرفنا الله خيره وخير ما بعده، ووقانا شره وشر ما بعده، والحمد لله رب العالمين.

نظرة عن المخطوط المصور

يتكون المخطوط س 22 ورقة من حجم متوسط، معدل أسطر الورقة 30 سطرا بخط رقيق، خطه مغربي مقروء، يكتب العناوين بكتابة سوداء، ويحتوي على مجموعة من المسائل ابتدأها بالولاية على الزواج وختمها بالهبة. يوجد ضمن مجموع رقمه بالخزانة الحسنية 1185ف بخزانة محمد الفاسي(775).

نسخة أخرى: لأبي عمران الفاسي بن موسى بن عيسى البربري (ت.430هـ). لم يذكر فيه اسم الناسخ، تاريخ النسخ 1349هـ، خطه مغربي، عدد أوراقه 10، عدد الأسطر 21، رقمه في القسم 3/5381 رقم الحساب 26/282 مصدره السعودية، المدينة المنورة، مكتبة الحرم النبوي 121(776).

---

(774) رقمه بالخزانة العامة: 1839د، الورقة الأخيرة من المخطوط تحت رقم: 1839د.ع.ع. وقد ذكر صاحب المخطوطات العربية هذه النسخة في 146/1.

(775) اختصار المدونة لأبي عمران الفاسي، رقمه بالخزانة الحسنية: 1185.

(776) فهرس كتب الفقه الحنفية والمالكية، ص: 662، طبعة المملكة العربية السعودية، 1417هـ.

نسخة أخرى: أوله: هذا ما اختصرنا من الدواوين خوف التطويل من مسـائل المدونـة. مسألة في تزويج المرأة... إلخ في مجموع من ورقـة 17ب إلى 52 أ، مسـطرته 24، مقايسـه 150/250 فرغ من نسخه على يد محمد ين أبي القاسم بـن محمـد بـن أبي القاسـم بـن المروزي[777].

نسخـة أخـرى: توجد بدار الكتـب الوطنية تـونس، خطـه مغـربي م25×18ق س33-35-2532[778].

نسخة أخرى: كتاب فيه الاختصار من مسائل النوازل، رقمه 736ع المؤلف الفقيه أبـو عمران الفاسي المتوفى سنة 430هـ. أوله: كتاب النكاح، قـال الشـيخ في العجـوزة بنـت الخمسين... إلخ. عدد الصفحات 240 في مجموع من ص: 96 إلى 336، مقياسـه 15/21. مسطرته 24 تاريخ النسخ محرم عام 1147هـ. الناسخ: الحسن بن بلعيد الخط: مغـربي دون الوسط. ملاحظات: به لفظ في الوسط، وينبغي من نسبة هذا المخطوط إلى أبي عمران الفاسـي، ولعله اختصار لمسائل أبي عمران على المدونة إذاً المختصر غير المذكور ينقل تعليقات عن كثير من المتأخرين عن عهد أبي عمران. انظر: الديباج، ص: 291، شجرة النور، ص: 106[779].

نماذج من مسائل مختصره من المدونة للإمام أبي عمران الفاسي، رقمـه بالخزانـة العامـة 1839 د.خ.ع.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد. قال الشيخ أبو عمران الفاسي -رضي الله عنه-: هذا ما اختصرنا من الدواوين خوفا من التطويل من مسـائل المدونـة قصـد الإفادة، وعليها التعويل.

مسألة 1: في تزويج المرأة إن تزوجت بولاية عامة مع وجود الخاصة بعد الوقوع والـ ول وفوات الدخول، فينبغي للإمام أن يجيزه إن كان كفؤا لها. وبه قال علـي -رضـي الله عنـه-

(777) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بقسم الوثائق، الرباط: 146/1.
(778) فهرس المخطوطات، دار الكتب الدلائية، تونس: 107/3.
(779) الفهرس الموجز لمخطوطات علال الفاسي: 153/3.

والأوزاعي. وهو ظاهر المدونة في النكاح الأول؛ حيث قال: ولو قضى به قاض لأجزأته. واختلف فيه قول ابن القاسم في المدونة.

مسألة 2: ومن كتاب منتخب الأحكام لابن أبي زمنين، من تزوج امرأة ولها بنت صـغيرة فعلم وبنى ا ثم قال: أخرجها علي فليس له ذلك. ونص عليه ابن يونس في إرخاء الستور في باب الحضانة قال الجزيري: لا تلزمه النفقه إلا إذا تطوع، ولا يجوز اشتراطها، لأن اشتراطها يورث في النكاح تخليطا. ولا خلاف فيمن ابنته الصغيره لذي رحم منها أن يكفلها أو يحضنها، إما لحاجـة أو فقر أنه يجوز. ولا قول. وأما إن وهبها لغير محرم لها، المشهور الذي عليه الجمهور الجـواز في المستخرجة المنع. وأما إن وهبها أبوها في الصحة فلا خلاف في الجواز... [780].

مسألة 4: فيمن أصدق زوجته صداقا فاسدا مقدرا بالثلث أو الربع أو غير ذلك من أعراف البلد، ثم مات الزوج فلم تستوف المرأة صداقها بعد الموت حتى اتفق أهل البلد على تقدير صداق آخر باجتهاد ومصلحة وفعلوا ذلك قبل قسمة المال فأرادت المرأة أخذ صداقها، فهل مـا أخـذ بالعرف الأول أو بالثاني؟ وهل المعتبر في ذلك يوم الموت أو يوم القسمة؟ قولان: والمشهور يـوم القسمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أيما دار أو أرض أدركه الإسلام ولم يقسم فهي علـى قسمة الإسلام).

مسألة 5: وسئل عن امرأة طلقت أو مات عنها زوجها، ثم وضعت فقال العلماء: تـنكح مكا ما كالمعتدة بالإقراء إذا دخلت في الدم الثالث، فقيل: ى النبي صلى الله عليه وسـلم عـن نكاح المريض، أو ليس النفاس مرضا، قال: النساء يختلفن في الوضع رب امـرأة، لم تـنكح في نفاسها لأ ا مريضة، وقد تضع بعض النساء بغير رؤية الدم[781]، وهي متصرفة صحيحة فلا بأس بالنكاح في مثل هذه، والذي مرضت بذلك لم يجز نكاحها وذلك من باب المرض.

مسألة 6: قال فيمن أصدق زوجته صداقا فاسدا أو مجهولا أو أرضا أو حيوانا أو غيره، ثم مات الزوج وترك زرعا في أرضه أو يشبه متولدا من الصداق المذكور، فهل ذلك رأس مال الزوج

(780) مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي، ورقة: 33، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.
(781) بتر في المخطوط.

ويكون موروثا ولا يكون للزوجة بظاهر المدونة لا يخلو الزوج من وجهين من أن يموت قبل فوات هذا الصداق بيد الزوجة أو بعد فواته، فإن مات قبل الفوات فالزرع له، وإن مات بعد الفوات فلا يخلو الصداق من أن يكون أرضا أو حيوانا، فإن كان حيوانا أو أرضا يفوته الطول، وإن كان رباعا قال في كتاب البيوع الفاسدة لا يفيتها طول ولا حوالة الأسواق وفي كتاب الشفعة من المدونة فإن لم يتغير بطول الزمان وبالأسواق أو بالهدم فالقول قول البائع.

فإن كان حيوانا أو عرضا فلا خلاف في الطول كالشهر. وفي البيوع الفاسدة قال: لا يأتي عليها الشهور إلا وقد تغيرت؛ فالصداق الفاسد يفوت بيد المرأة بحوالة الأسواق كالبيع الفاسد وهو قول ابن القاسم في النكاح الثاني من المدونة؛ حيث قال: كل ما قبضت المرأة من صداقها الفاسد ثم تغير في يدها يفوت، وترد المرأة القيمة فيما يقوم والمثل فيما له مثل، وتكون لها جميع الغلة بالطلاق. وقال أبو الحسن اللخمي: إذا لم يكن في البلد صداق صحيح يقاس(782) عليه صداق المثل فدعهم وما تراضيا عليه، فإذا فات الصداق الفاسد بين المرأة فالزرع لها، ويجب على المرأة قيمة ما قبضت يوم القبض كالبيع الفاسد.

مسألة 7: من خرج في سنة الجوع فهو على الموت من يوم خروجه ولا يحتاج إلى حكم حاكم، وكذلك من خرج إلى بلد الطاعون أو خرج في زمانه فيرثه ورثته يوم خروجه. قاله مالك في كتاب الاستيعاب ونص عليه أبو الحسن في كتاب التبصرة.

مسألة 8: من أصدق زوجته جميع ماله فالنحل غير داخل، وأن النحل كسب ليس بمال. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (النحل كسب لا يحاز). وقال عمر رضي الله عنه: (النحل رزق للعابد يسوقه الله حيث شاء) وقال مالك في كتاب الأصول: »النحل كسب لا يملك. وقال فيه أيضا: من سرق جبة، فأخذ منه المنبوذ ليس لصاحبه إلا جباهه أو قيمته، إذ تلف يوم السرقة«. وقال مالك: »النحل والإوز والطير كلها لا تعطى في أصدقة النساء«(783).

كتاب الخلع والنفقات

(782) مسائل مختصرة لابن عمران الفاسي، ورقة: 35، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.

(783) مسائل مختصرة لابن عمران الفاسي، ورقة: 35، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.

مسألة 9: واختلف في المرأة إذا خلعت في مرضها أو هي في ستة أشهر من الحمل، قال مالك في المدونة: لم يجز ولا يرثها، وقال في كتاب ابن المواز: الطلاق نافذ والخلع غير جائز، وقال ابن القاسم في المدونة: إن أوقعته على أكثر ميراثه منها لم يجز، وظاهر قول مالك أن الطلاق نافذ والخلع غير جائز يلزم ويرد ما أخذ بناء على أن الخلع ليس معاوضة وإنما ذلك إرسال، وبه قال ابن القاسم في المدونة؛ حيث قال: يجوز الخلع ببعير شارد أو ثمرة لم يبد صلاحها أو جنين في بطن أمه،وبه قال أيضا فيمن تزوج ولية ويتيمة قبل البلوغ، ثم بلغا سفيهين لم تجز المبارات عنهما، لأن الخلع إرسال؛ إذ لو كان معاوضة لجاز الخلع لأن بيعهما وشراءهما جائز.

وقال ابن رشد في كتابه: اختلف في خلع المريضة والحامل فقيل إنه جائز، وقيل: إن خلعهما لا يجوز جملة من غير تفصيل، وهو ظاهر قول ابن القاسم في المدونة من سؤالات ابن القاسم. وسئل محمد بن الهندي عن قوم من البرابرة، وتحلف، ويرد عليها مالها، وكذلك الرجل المعروف بظلة النساء. قال مالك: الضر يثبت بالضرب والتهديد والتخويف والضرر في مالها ونفسها، قال: إذا ثبت ما ذكر فإنه يرد ما أخذ منها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: »رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه«(784).

وقال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: إن على الجهل والسفه والإكراه أبدا حتى يتبين خلافه، لأجل ذلك يقبل قولهن ويرد تصرفهن من بيع أو صلح أو غير ذلك إلا أن يعلم أن ذلك صدر منهن عن طيب نفس لقوله تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه﴾(785) الآية،

(784) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، عن عبد الله بن عباس، بلفظ: »إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه«، رقم الحديث 2035، كما أخرجه عن جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري) في الكتاب نفسه والباب نفسه تحت رقم 2033، بلفظ: »إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه«. وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري: 161/5، تحت باب: الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه. ثم قال: وأخرجه الفضل بن جعفر التيمي في فوائده بالإسناد الذي أخرجه به ابن ماجه بلفظ: »رفع«، ورجاله ثقات، إلا أنه أُعِلّ بعلة غير قادحة. انتهى من الفتح.

(785) سورة النساء، الآية: 4.

وقوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾(786)، وقوله صلى الله عليه وسلم: »إن ناقصات عقل ودين«(787)»(788).

مسألة 10: وللمرأة الحاملة النفقة وإن هربت ونشزت لأن النفقة على الحمل، وكذلك السكنى حتى تضع، فإن وضعت فلها جميع (789) ما للزوجات حتى يفطم ولدها ولا شيء في عمل المرأة في مدة هروبها والرضاع من غزل ونسج، ولا يدفع لها عند الوضع ما جرت به العادة من إدام وحِناء وغير ذلك. وقد عد بعض أهل العلم نفقات الزوجات التي طردهن أزواجهن ربع درهم في كل يوم وليلة، والكسوة دينار ونصف، ودرهمين للوقاية، ودرهمين للحنا واللحم والإدام في بعض الأوقات.

فهذا ما وجب لهن في وقت الضيق، أما وقت السعة فقيراط وثلاثة أرباع الدراهم في كل يوم وليلة. ومن سؤالات عبد الله بن أبي زيد سئل عن امرأة هربت عن زوجها فطلبها من أبيها فمنعها ثم بعد طول المدة طلبت النفقة عند أهلها؟ ألها ذلك أم لا؟ فقال الشتوي: التي أبت الرجعة إلى بيتها من غير ضرر لا نفقة لها، وأما التي منعها أبوها من الرجوع على الزوج بما أنفقت.

مسألة 11: نفقة المرأة على قدر نفقة يسر الزوج وعسره من عيش البلد، ولا يعتبر غيره ورب بلد لا يكون عيشها إلا نكدا بالحشيش مثل أهل العمود والبادية، يفرض للمرأة ذلك لأن

(786) سورة آل عمران، الآية: 36.

(787) أخرجه البخاري في كتاب الحيض، باب: ترك الحائض للصوم، رقم الحديث 293، وفي كتاب الزكاة، رقم الحديث 1369. ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم الحديث 144، عن عبد الله بن عمر. والترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، حديث رقم 2538، عن أبي هريرة. والنسائي في كتاب صلاة العيدين، بلفظ آخر دون ذكر نقصان الدين والعقل، حديث رقم 1558 و1561. وأبو داود في كتاب السنة، رقم الحديث 4059، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، حديث رقم 1278، وفي كتاب الفتن، رقم الحديث 3993، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة: مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم 5091 و10889.

(788) مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي، ورقة: 36، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.

(789) نفسه، ورقة: 37.

أهل العمود عيشهم على قدر أموالهم، وخاصة منهم من يكون عيشهم نبات الأرض وعروقهـا، قال ابن القاسم: لا يجوز للحاكم أن يحكم على أهل البادية إلا بما هم فيه من عيش ،وهو نص من كتاب العدة.

مسألة 12: من أنفق على يتيمة مات أبوها حتى بلغت وتزوجت وطلب منها مـا أنفـق وقالت: هي ما علمت لك كذا وكذا مما ذكرت من أنواع الأعمال، فهل تقاصه أم لا كـذلك الأخ وجميع الأولياء ممن له فضل على صاحبه وبه قال في كتاب الفصول في مختصر التبيين، قالـه سحنون في كتاب الزكاة من المدونة.

مسألة 13: من أنفق على ولده البالغ هل يحاسبه بما أنفق، أشهد على ذلـك أم لا، قـال أشهب: نعم، وبه قال في كتاب الفصول ومثله لابن القاسم في كتاب الزكاة الثاني من المدونـة. ومن أجوبة القرويين سئل عن امرأة فرض لها سنة فلما تمت السنة طلبت أن يشتري لها كسـوة أخرى وأراد الزوج أن يزيد عن ثمن الكسوة التي ليست في السنة الماضية فامتنعت من ذلك لمـن ترى البالية: الجواب عن ذلك: فإن بقي من الكسوة حاله بال وثمن فالقول للزوج(790).

مسألة 14: اختلف في الزوجة، هل تلزمها خدمة بيتها أم لا، قال ابن القاسم: ليس لهـا خدمة بيتها قليل ولا كثير، إذا كان الزوج مليا وكانت من ذوات القدر، وصداقها كـثير(791). فلا خدمة عليها من غزل ونسج وطبخ وكنس وعليه أن يخدمها. وإن كانـت المـرأة ضـعيفة وصداقها ليس في صداقها ما تشري به خادما؛ فليس على الزوج خدمتها فعليها الخدمة الباطنة من عجن وطبخ وكنس وفرش وسقي ماء إذا كان معها فعليها خدمة البيت كلها.

وأما الفقير فلا خدمة عليه وإن كانت ذات شرف وعليها الخدمة الباطنة كلها كما هـي على الدائمة، وكان نساء صدر الأئمة يخدمن أزواجهن. وروى أن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن أسماء كانت تمسك فرسا وأ ا تسير به وتخدمه في مثل هذا، وأن نساء الأنصـار يحملن الماء في القِرب وغير ذلك من الخدمة ومن كتاب الفصول لأبي محمد أن نساء القرى يخدمن

(790) مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي، ورقة: 37، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.
(791) نفسه، ورقة: 37.

أزواجهن. إلا أ ن عن ذلك دخلن.

مسألة 15: وسئل عن امرأة خلعت من زوجها بجميع مالها ثم ادعى الزوج ميراثهـا مـن أبيها، قال: ذلك له إلا أن تكون لهم عادة أن النساء في بلدهم لا يختلعن إلا بما أعطاهن الزوج.

مسألة 16: الإراثة من الغائب تضع بحكم حاكم عند أهل المذهب، وأن أهـل الحكـم عندهم التحديد في المؤقتة في المذهب زمان متوسط فلا تجب ذلك الإراثة إلا عند مضي التحديد. التعمير من الأشياء المفتقرة إلىالحاكم وإنما أردنا ذا على قول من قال: هو إنما وقته ابن القاسم في المدونة.

مسألة 17: إذا قال الوصي: أنفقت على اليتامى من أموالهم وهم صغار في حجره فالقول قول الوصي فيما كان سدادا، وإن جاء بسرف لم يقبل.

وأما إن قال: أنفقت عليهم من مال نفسه لم يصدق إلا ببينة فإن أثبتها فليرجع عليهم أشهد على الرجوع أم لا، إن كان اليتيم مليا حين النفقة، وإلا لم يتبع اليتيم بشيء وإن أفاد بعد ذلـك حالا وبه قال في كتاب تضمين الصناع في كتاب الوصايا في المدونة، فإن كان يليهم غير الوصي مثل العم والأم وغيرهما، وقال: النفقة إلى من يليهم لم يصدق إلا ببينة، وكذلك إن اختلـف في تاريخ موت الأب.

أراد بذلك تكثير النفقة لم يصدق الحاضر إلا ببينة، ومن كتاب منتخب الأحكام، فإذا ثبت إن الوصي أو الحاضن[792] أنفق على اليتيم وقد كان يشتري في الزرع من غيره بالبينة فإنه يرجع على اليتيم بالثمن الذي اشترى به في غلاء أو رخص وإن أنفق الزرع من عنده فاليتيم بالخيار فإن شاء أعطاه الثمن[793]، وإن شاء أعطاه القيمة يوم القيمة، وكذلك الكسوة.

مسألة 18: ومن كتاب طلاق السنة وحيث النفقة لابن على أبيه إن أعسر فإن أيسر الابن وله حرفة سقطت، ومتى أنفق الأب على الابن وكان الابن مليا بإرث أو هبة أو غير ذلك فإنـه يرجع عليه إن شاء، فإن مات الأب هل يرجع عليه الورثة أم لا؟. فالتفصيل أن يكون مال الابن

(792) مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي، ورقة: 38، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.
(793) نفسه، ورقة: 39.

عينا أو عرضا أو غيره، فإن كان عينا فلا يرجع إليه، إلا أن يوصي فإن كان المال غير العين فـلا خلاف إذا كتبه عليه أنه يرجع عليه وإن لم يكتبه هل يرجع عليه أم لا؟ ابن القاسم: لا يرجع عليه والعين بالرجوع. نص عليه كدين صاحب منتخب الأحكام.

مسألة 19: إذا صالحت المرأة مع زوجها على النصف، ثم تدعي الإكراه فعليها البينة وإلا فلها اليمين على الزوج أ ا علمت حين المفاصلة.

مسألة 20: إذا كان للابن مال يستغني به فلا نفقة له على الأب، فإن أنفق عليه أبوه فإنه يرجع عليه بما أنفق، أشهد على ذلك أم لا. قال محمد: ومن زوج ابنته وهي بنحلته فأكل منـها فطلبتها وزعم أنه جهزها بقيمتها، قال: لا يصدق إلا أن يدعي ما يعرف بـه الجهـاز عنـدهم فيحلف. وقال أيضا عن موروث امرأة مع أولاده فقومت التركة وعلم كل واحد ما ينوبه وأنفق الأب على أولاده ثم أراد أن يحاسبهم بذلك، قال ذلك له وإن جهز ابنة وادعى أنه جهزها بما لها عليه فذلك جائز وهو ظاهر المدونة(794)، انتهى.

تلك أهم المسائل المختصرة التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- باختصار شديد، وهي عبـارة عن مسائل مختصرة تدل على صنيع المؤلف ودقته في المسائل المختصرة؛ بحيث لزم أساسا المذهب المالكي ويعزز رأيه بمجموعة آراء الفقهاء المالكية في كل مسألة اختصرها، وسوغ ذلك في شكل مسألة مختصرة مركزة مع طرح الأسئلة في بعض الأحيان، كما أنه يدلي أحيانا بآراء الفقهاء. غير أن ما يلاحظ في هذه المسائل أ ا مسائل مختصرة ومنها اختصار أحد كتب الفقه الذي اختصـر كتاب الذكاة إلى غير ذلك من أنواع المختصرات.

الصنف السادس: اختصار العمليات، المسمى: "أمليات فاسية من شرح العمليات الفاسية"

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصـحبه وسـلم تسليما: الحمد لله الذي ينال من عنده بالعمل حمدا نبلغ به من خير الدنيا والآخرة غاية الأمـل، وبعد، فيقول محمد بن إبراهيم المزذكي الهلالي: لما رأيت شرح الإمام أبي القاسم العميري علـى العمليات الفاسية طويلا بكثرة التسول وتقاصر الهمم عن كثرة المطول قصدت اختصاره لنفسـي

(794) مسائل مختصرة من المدونة لأبي عمران الفاسي، ورقة: 40، رقمه بالخزانة العامة: 1839د.

ولمثلي، و الله أعلم...

إلى أن قال: وسميت هذا الاختصار باختصار شرح الأمليات الفاسية في شرح العمليات الفاسية، يوجد بالخزانة الملكية[795]، وتوجد نسخة أخرى بالخزانة العامة تحت رقم 1089د.

تلك أهم أصناف المختصرات التي توصل إليها البحث، وهناك أصناف أخرى، لا يسع الوقت لذكرها. ولعل ما ذكر فيه الكفاية، لأن الهدف من سرد أصنافها أن نعرف أن المختصرات لم تقتصر فقط على الفقه، بل ظهرت في كل فن من فنون المعرفة.

كما أن على هذه المختصرات تعليقات أثرت الفقه المالكي، وهو ما سنتحدث عنه في الفرع الموالي.

الفرع الثاني: التعليقات على المختصرات

1-تعليق على مختصر محمد بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي، من أهل مصر... له تعاليق على مختصر ابن عبد الحكم الصغير، زاد في اختلاف الفقهاء الأمصار... توفي سنة تسع وأربعين ومائتين (ت.249هـ)[796].

2-تعليق على مختصر أبي جعفر الأبهري[797]: له كتاب تعليق على المختصر الكبير منه... قال عياض: »حدث من مختصر التعليق، وإن وفاته سنة خمس وستين وثلاثمائة (365هـ)«[798].

3-تعليق على مختصر أبي عمران الفاسي موسى بن عيسى... له رحمه الله التعليق على

(795) مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم: 5278 ح ح.

(796) طبقات المالكية، ورقة: 78.

(797) محمد بن عبد الله، ويعرف بالأبهري الصغير وبالوثلى، وزاد القاضي عياض: ويعرف بابن الخصاص (المدارك: 72/7). كنيته: أبو جعفر الأبهري، تفقه بأبي بكر الأبهري، ورحل إلى مصر، وله كتاب في مسائل الخلاف. تفقه عليه خلق كثير، وله تعليق في المختصر الكبير. توفي 365هـ (طبقات الشيرازي ص: 167). (انظر ترجمته في طبقات الفقهاء للشيرازي ص: 167، والديباج: 282/2، وحسن المحاضرة: 54/1، وشجرة النور: 91/1، وترتيب المدارك: 72/7).

(798) ترتيب المدارك: 72/7، شجرة النور ص: 91.

المدونة، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة (429هـ) [799].

4-تعليق على مختصر ابن الحاجب لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن مخلوف، الفقيه المحدث الإمام الحافظ، أخذ عن والده، له تعليق على ابن الحاجب وثلاثة شروح على الشفا، ذكر الشريف التلمساني في خطبته شرحه للشفا أيضا، وله غير ذلك. توفي سنة ثمان وستين وثمانمائة (868هـ) [800].

5-تعليق على بيوع الآجال من مختصر ابن الحاجب لأحمد بن إدريس البجائي، يكنى أبا العباس، كان أحد قطره في حفظ مذهب مالك متفننا في المعارف والعلوم، جمع بين العلم الغزير والدين المتين، وتخرج بين يديه جماعة من فضلاء الأمة كالإمام عبد الرحمن الوغليسي ونظرائه، وكان يطلق عليه فارس السجاد لكثرة صلاته، وكان كثير الصوم والصدقة، أعماله كلها سرا، وكان على طريق السلف الصالح في الاتباع[801]، كثير التواضع، جميل العشرة، صبورا على الاشتغال، حسن التعليم، وكانت وفاته بعد الستين وسبعمائة (760هـ) [802].

6-تعليق عنه في شرح مختصر ابن عبد الحكم لمحمد بن عبد الله القيرواني: كنيته أبو عبد الله، من أصحاب أبي بكر الأبهري، وهو مشهور بالقيرواني[803].

7-تعليق على كتاب ابن المواز لأبي محمد عبد الحق بن عبد العزيز بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، ويعرف بابن الخراط... فله كتاب تعقب فيه على تهذيب البراذعي أشياء أحالها في الاختصار على معناها[804]. وقد سبقت ترجمته.

(799) طبقات المالكية، ورقة: 252.
(800) شجرة النور، ص: 262-263.
(801) الديباج ص: 81.
(802) نفسه، ص: 82.
(803) محمد بن عبد الله القيرواني: كنيته أبو عبد الله، من أصحاب أبي بكر الأبهري، له تعليق في شرح مختصر ابن عبد الحكم، وهو مشهور بالقيرواني. (انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 75/7، وطبقات الشيرازي ص: 167).
(804) الفكر السامي: 61/4.

8-أيو إسحاق التونسي[805]: له شروح حسنة وتعاليق مستعملة متنافس فيها على كتاب ابن المواز وعلى كتاب المدونة[806]

9-أبو الفاضل قاسم بن سعيد العقباني، له مختصر في الفقه المالكي، وله تعليق على فرع ابن الحاجب المتوفى سنة 854هـ[807].

10-محمد بن القاسم القوري اللخمي المكناسي، له تعليق على مختصر الشيخ خليل، توفي سنة 872هـ.

11-أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التونسي، عرف بالتلمساني، له تعليق على فروع ابن الحاجب المتوفى سنة 899هـ[808].

12-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المكي المعروف بالحطاب[809]، له التعليق على مختصر ابن الحاجب[810].

تلك أهم التعاليق على المختصرات، وكلها تدور في فلك الاستدراك على أصحاب المختصرات، وتحمل في طيا ا تنبيهات على الزيادات والنقصان، ويدخل المختصر بتعليقه دائرة المناقشة العلمية الصريحة البناءة؛ بحيث يحدد المؤلف منهجه باستخراج نصوص يقابل ا مسائل مختصره يستعان ا على فهمه وتكون شاهدا على نقله وتعليقه عليها، وهو ما يكون أقرب للفهم

(805) اسمه إبراهيم بن حسن، تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي وطبقتهم، له شروح حسنة وتعاليق مستعملة متنافسة فيها على كتاب ابن المواز على كتاب المدونة. (انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 58/8، ومعالم الإيمان: 177/2، والديباج ص: 86، والفكر السامي: 207/3، وشجرة النور: 108/1).

(806) المدارك: 58/8، ومعالم الإيمان: 77/2، وشجرة النور: 108/1، والديباج ص: 86، والفكر السامي: 207/3.

(807) شجرة النور: 262/1.

(808) شجرة النور: 267/1.

(809) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني المكي، المشهور بالحطاب، من سادات العلماء وسرا م، جامع لفنون العلم، متقن ما شاء كشرحه على مختصر خليل، لم يؤلف على خليل مثله في الجمع والتحصيل، استدرك على خليل وشراحه وابن عرفة وشراح ابن الحاجب وغيرهم. توفي سنة 754هـ. (انظر ترجمته في نيل الابتهاج ص: 337).

(810) أمهات الكتب الفقهية للدكتور فيغو، طبعة دار الكلمة للنشر، ص: 60.

وإيجاز في اللفظ.

ولا يزيد على ما اشتهر إلا لأمر ما، أو يكون مضاهيا له في شهرته. فجل كتب التعاليق لا تتناول مضمون الكتاب، وإنما ينصب التعليق على بعض الإخلالات التي يرى صاحب التعليق ضرورة تناولها لاكتمال الكتاب والمصنف الذي يسلك هذا المنهج والذي ينحو فيه منحى الاختصار على عزو مسائل الأصل ونقل فقهه من أصول المذهب بما يوافقه أو يخالفه من غير تعرض إلى ألفاظه البتة؛ بحيث إن لم يقف على نص المسألة سكت عنه بدون تعليق وهو صنيع لطيف.

وبعد هذه النبذة عن تعاليق المختصرات، ينتقل بنا الحديث إلى شروحها، فماهي إذًا أهـم شروحات المختصرات؟ وكيف أثرت هذه الشروحات المكتبة المالكية؟ وإلى أي حد أسهمت هذه الشروحات في فهم المختصرات؟ تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الثالث: شروح المختصرات

1-شرح أبو بكر بن الجهم بن أحمد بن محمد بن الجهم، المعروف بابن الوراق(811) ألـف كتبا جليلة على مذهب مالك... وشرح المختصر لابن عبد الحكم الصغير، واختصر ابن أبي زيد هذا الكتاب في كتابه المنتخب المستقصى. توفي سنة 333هـ(812). ذكر الخطيب البغدادي أنـه توفي سنة تسعة وعشرين وثلاثمائة (329هـ) كما سبقت إليه الإشارة.

2-شرح المختصرين الكبير والصغير، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبـهري، المتوفى سنة 375هـ. رواه ابن الفرضي إجازة عن شيخه عيسى بن سعيد بن سعدان الكلبي القـرطبي. قال -بعد أن ذكر تحديث شيخه بالكتاب-: كتبنا عنه أخبار ابن مقسم وأجـاز لي جميـع مـا

(811) محمد بن أحمد بن الجهم بن حبيش (ت. 329هـ)، كنيته أبو بكر، يعرف بابن الوراق، روى عنـه أبو بكر الأبـهري، شرح مختصر ابن عبد الحكم الصغير، واختصر هذا الكتاب أبو محمد بـن أبي زيـد في كتاب سماه بـ"المنتخب المستقصى". (انظر ترجمته في الأنساب: 30/4، والمنـتظم: 324/6، والعـبر: 27/2، وسير أعلام النبلاء: 287/15، والديباج: 185/2، والمـدارك: 20/5، وتـاريخ بغـداد: 287/1).

(812) طبقات المالكية، ورقة 155، رقمه بالخزانة العامة 3928د، ترتيب المدارك: 19/5-20، شـجرة النور، ص: 78.

رواه[813].

3-شرح مختصر المزني، لأحمد بن زكرياء بن فارس اللغوي أبو الحسين. كـان إمامـا في رجال خراسان، غلب عليه علم النحو ولسان العرب فشهر به. روى عنه أبو ذر والقاضي أبـو زرعة، فقيه مالكي وله شرح مختصر المزني وكتاب في اللغة، وكان أديبا شاعرا[814]. وذكر أنـه ألف للصاحب بن عباد كتابا سماه الحجر ووجهه للصاحب فقال الصاحب: ردوا الحجـر مـن حيث جاء، ثم قبله... وله رسالة مشهورة حسنة طويلة كتب ا إلى بعض الكتـاب في شـأن الخماسة، ذكرها الثعالبي... توفي سنة تسعين وثلاثمائة 390هـ[815]. انظر طبقات المالكية، ورقة 189، رقمه بالخزانة 3928دخ ع.

4-شرح المختصر، لأبي علي الحسين بن بوشعيب السنجي، عالم خراسان وأول من جمـع بين طريقتي العراق وخراسان شرح المختصر وهو الذي يسميه إمام الحرمين المذهب الكبير. توفي سنة ثلاث وأربعمائة (ت.403هـ) [816].

5-شرح مختصر الشيخ أبي محمد، للقاضي أبي محمد[817] عبد الوهاب بن نصـر المسـمى كتاب الممهد في شرح مختصر الشيخ أبي محمد، صنع منه نحو نصفه. توفي سنة 422هـ[818].

6-شرح مختصر التلقين، لداود بن عمر بن إبراهيم الإسكندراني. توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة (732هـ)، وقيل (733هـ) [819].

(813) الفكر السامي: 143/3، المدارك: 188/6.

(814) الديباج ص: 35.

(815) نفسه، ص: 35.

(816) الفكر السامي: 133/1.

(817) عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن حسن (ت. 422هـ)، كنيته أبو محمد، سمع أبا عبـد الله بن العسكر وأبا حفص بن شاهين وغيرهما. (انظر ترجمته في طبقات الشـيرازي ص: 168، والمنـتظم: 61/8، والبداية والنهاية: 32/12، والديباج: 32/2، وسـير أعـلام النـبلاء: 430/17، والعـبر: 149/3).

(818) المدارك: 220/7-221، طبقات المالكية، ورقة 243.

(819) شجرة النور: 204/1.

7-شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمد بن محمد بن حسن اليحصبي، البروني التلمساني، استقر ببلد الجزائر، فقيه في المذهب... وقد انفرد بمعرفة مختصر ابن الحاجب الفقهي، وله عليه شرح قارب إكماله، وهو باق بالحياة، نفع الله به(820).

8-شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير، قاضي الجماعة بتونس.. شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي شرحا حسنا، وضع عليه القبول؛ فهو أحسن شروحه سماه "تنبيه الطالب لفهم ابن الحاجب"(821) قال ضيف: »ومحنة أصيب بها إسوة بالعلماء قبله، فلم تحضره كتب، حتى أنه ذكر في كتابه أنه لم يقدر على الوقوف على مختصر ابن الجلاب لمراجعة مسألة نسبت إليه حتى وصل في الشرح نحو ثلث الأصل، ثم أكمله إكمالا حسنا، ثم فرج الله عنه وعظم قدره وانتشر ذكره، وانتفع به الناس، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة (749هـ)«(822).

9-الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب، لأبي محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي، يكنى أبا عبد الله، كان فقيها فاضلا محصلا وإماما متفننا في العلوم، واشتغل ببلده وحصل، ثم رحل إلى تونس فأقام بها زمانا ملازما للاشتغال بالعلم، ثم رحل إلى المشرق فتفقه بالإسكندرية بالقاضي ناصر الدين الأبياري تلميذه أبي عمرو بن الحاجب، وهو المأذون له في إصلاح ابن الحاجب الفرعي(823). وكان يحضر عند الشيخ الإمام تقي الدين بن دقيق العيد في إقرائه مختصر ابن الحاجب الفقهي. له تأليف كتاب الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب، واستجازه شيخنا عفيف الدين المصري في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة (731هـ)، وكان حيا في زمن السلطان أبي الحسن المريني إلى تونس، ولم أقف على تاريخ وفاته(824) مطبوع.

10-شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمد بن عبد الرحمن بن عشر البغدادي: له تأليف شرح

(820) الديباج ص: 340.
(821) شجرة النور: 210/1.
(822) الديباج ص: 336-337.
(823) الديباج، ص: 334.
(824) شجرة النور: 207/1-208.

مختصر ابن الحاجب في المذهب، وشرح مختصر ابن الحاجب أيضا في الأصول... وله أجوبـة في اعتراضات لابن الحاجب[825].

11-شرح قطعة من مختصر ابن الحاجب، لمحمد أبي الفتح بن أبي الحسن علي بن أبي العطاء وهب بن السمح مطيع بن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي ثم القوصي المنعوت بـالتقي المعـروف بتقي الدين بن دقيق العيد المالكي الشافعي... ألف.. وشرح قطعة من مختصر الإمام أبي عمرو بن الحاجب في مذهب مالك ،وذكر لي شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق أنه بلغه أن الشيخ تقي الدين وصل في شرح ابن الحاجب إلى كتاب الحج والذي وقع لي منه إلى آخر التيمم في مجلد وأظنه بلغ إلى كتاب الصلاة... ولد سنة خمس وعشرين وستمائة (625هـ)، وتوفي سنة اثنين وسـبعمائة (702هـ) [826].

يضيف الحجوي في كتابه: وهو أبو الفتح محمد بن علي بن وهـب القشـيري المصـري المشهور بتقي الدين دقيق العيد المالكي الشافعي،وصفه السبكي بأنه المجتهد المطلـق، قـال: ولم يختلف الشيوخ أنه المبعوث على رأس السبعمائة، تفرد بالمشاركة في العلوم والرسـوخ في علـم الحديث والأصول العربية.

رحل للحجاز والشام وسمع من كثير وألف تآليف مهمة لشرح العمدة وكتاب الإلمـام في أحاديث الأحكام وشرحه شرحا عظيما لم يكمل وشرح مختصر ابن الحاجب في الفقه لم يكمل، وهو أول من افتض بكارته وغيرها. وهو شيخ المالكية وله مزية في إزالة النعرة بـين المـذاهب؛ حيث كان يخشى على مذهب مالك والشافعي معـا جـزاه الله خـير الجـزاء وتـوفي سـنة 702هـ [827].

12-شرح مختصر أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي نسبة إلى ربيعة الفرس بن نزار بن سعد بن عدنان، إمام عالم، فاضل متفنن في علوم شتى[828]. وله تآليف عديدة، منها: شرح ابـن

---

(825) الديباج ص: 333.

(826) نفسه، ص: 324-325، شجرة النور ص: 189.

(827) الفكر السامي: 70/4.

(828) الديباج ص: 82.

الحاجب الفقهي في ثمانية أسفار كبار، وكان قد شرحه شرحا مطولا، ثم تركه فلم يكمله لطوله، وعلى مختصر ابن الحاجب الأصلي شرحان، وله شرح على كافية ابن الحاجب في العربية لم يكمله، وله تآليف مستقلة على الأشكال الأربعة التي في مختصر ابن الحاجب الأصلي، سماه "رفع الإشـكال عما في المختصر من الأشكال". توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة (795هـ) (829).

13-شرح مختصر لمحمد بن جعفر البصري المعروف بالخفاف. له مسائل الخلاف، وشرح مختصر ابن عبد الحكم الكبير(830).

14-شرح مختصر لأبي عبد الله الواسطي.. وقد ألف في مسائل الخلاف، وشرح مختصر أبي الصعب الزهري... (831).

15-أبو الروح عيسى بن مسعود المنكلاتي الزواوي، الفقيه الإمام المتفنن في كـثير مـن العلوم... العمدة.. حفظ مختصر ابن الحاجب في ثلاثة أشهر ونصف، شرح مختصر ابن الحاجـب الفرعي، بلغ فيه الصيدفي سبع مجلدات... مولده سنة 664هـ، وتوفي سنة ثلاثة عشر وسبعمائة (713هـ) (832).

16-شرح مختصر لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم المدني... شرح مختصر التفريع لابن الجلاب، سماه "كفاية الطالب". مولده سنة 693هـ، وتوفي سنة 769هـ (833).

17-شرح مختصر أبي زيد عبد الرحمن السوسي، لمحمد بن محمد الميولي (ت.1136هـ)، خطه مغربي م29×5.21، قياسه: 149-س 26، رقمه 1833(834).

18-شرح مختصر السنوسي، للحسن بن محمد السراج. يوجد بزاوية تنغملت بني ملال(835).

---

(829) نفسه، ص: 83.

(830) المدارك: 201/6.

(831) نفسه: 201/6.

(832) شجرة النور: 219/1، الديباج: 182-183.

(833) شجرة النور: 203/1.

(834) فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية، تونس: 167/2.

(835) لائحة المخطوطات بزاوية تنعملت بني ملال ص: 32.

19-حاشية محمد بن حسين اللقاني، خطه مغربي، م.14/18، قياسها: 90.س24.917 [836].

20-شرح اختصار المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، لمؤلفه الزقاق، رقمه:568ك شرحه الشيخ أحمد بن علي المنجور، المتوفى سنة 995هـ. أوله: الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبده. عدد الصفحات 52 في مجموع من ص 1 إلى 52، مقياسه: 21/27، مسطرته 25، الخط مغربي وسط، أوراقه متآكلة. انظر سلوة الأنفاس: 60/3 [837].

21-شرح مختصر الأخضري، أوله: واعلم أن الماء على أربعة أقسام، طاهر مطهر بلا كراهة وطاهر مطهر بكراهة وطاهر عنه مطهر. آخره: كمل الشرح المبارك على مختصر الشيخ سيدي الصغير الأخضري، نفعنا الله ببركاته على يد الفقير إلى الله محمد بن محمد ابن عطية.. كان الله له وأبقاه وجعل الجنة متقلبة ومثواه. وكان الفراغ منه يوم الأربعاء عند الزوال في أواخر شهر... أوله: أقسام الطهارة، وآخره: كتاب الصيام. مختصر طويل، خطه مغربي مقروء.

22-نسخة أخرى: أوله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله بارئ النسم وباعث الرسل بالهدى ودين الحق إلى الأمم، وأشكره على ما أسدى من النعم وعلى ما دفع عنا تبارك وتعالى من النقم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى العرب والعجم شهادة أحد من كتمها يوم يجمع الله الأمم.

أما بعد، فقد سألني بعض الإخوان -أبان الله لنا ولهم معالم التحقيق وسلك بنا و م أوضح طريق- مختصرا محتويا على كثير من فروض الأعيان، فأحببت إلى ذلك طالبا من الله الإعانة على ذلك فأقول بالله التوفيق.

آخره: يقول العبد الفقير إلى الله تعالى صغير بن ابن عامر الأخضري، قد انتهى ما قصدت اختصاره من بعض فروض الأعيان وربنا المسؤول أن يجعله خالصا لوجهه والحمد لله رب العالمين

(836) فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية تونس: 177/1.
(837) الفهرس الموجز لمخطوطات علال الفاسي: 113/3.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما[838].

وصف المخطوط: يقع المختصر الفقهي للأخضري في (30) ورقة من حجم كبير، معدل السطر في الورقة (25) سطرا يتضمن الطهارة والغسل والوضوء وأوقات الصلاة والصلاة والزكاة والصوم والحج، يكتب العناوين بالأحمر، خطه جميل مغربي، يوجد ضمن مجموع يوجد بالخزانة الحسنية، رقم 1180[839].

23-حاشية على مختصر حلولو، يوجد بخزانة ابن يوسف مراكش تحت رقم 280.

24-شرح المختصر لمحمد بن أحمد الجنان الفاسي، يوجد بخزانة ابن يوسف مراكش رقم 293[840].

25-شرح التهذيب لأبي الحسن الصغير علي بن عبد الحق الزرويلي، الشهير بالصغير مكبرا ومصغرا، له التقييد على شرح تهذيب المدونة للبراذعي، توفي سنة 719هـ[841].

26-شرح ابن الحاجب لمحمد بن إبراهيم التتائي المتوفى بعد سنة 740هـ، له شرح ابن الحاجب[842].

27-شرح ابن الحاجب لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله التلمساني، المتوفى سنة 743هـ، له شرح ابن الحاجب الفرعي[843].

28-حاشية ابن الحاجب لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقري المتوفى سنة 756هـ، له حاشية على مختصر ابن الحاجب الفرعي، قال عنها ابن مخلوف: »حاشية بديعة على مختصر ابن الحاجب الفرعي«[844].

(838) مختصر الأخضري، ورقة: 30، رقمه بالخزانة الحسنية 11820.
(839) نفسه، ورقة
(840) لائحة المخطوطات بخزانة ابن يوسف، ص: 3-4، طبعة وزارة الأوقاف.
(841) شجرة النور، ص: 215، درة الحجال: 439/2.
(842) توشيح الديباج، ص: 81.
(843) شجرة النور ص: 219، الحلل السندسية: 810/1.
(844) شجرة النور: 232/1.

29-شرح مختصر ابن الحاجب لخليل بن إسحاق بن موسى ضياء الدين الجندي المتوفى 767هـ، له مختصر في الفقه المالكي، وله التوضيح شرح به مختصر ابن الحاجب(845).

30-أبو زكرياء يحيى بن موسى الرهوني المتوفى سنة 775هـ، له شرح مختصر ابن الحاجب(846).

31-أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب المتوفى سنة 781هـ، له شرح على فروع ابن الحاجب سماه "إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب"(847).

32-ابن فرحون أبو الوفاء برهان الدين المتوفى سنة 799هـ، له شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي سماه "كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب(848) طبع.

33-أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عوض الزبيري الإسكندري المتوفى سنة 801هـ، له شرح الأصلي ابن الحاجب الفقهي(849)، وله تعليق على ابن الحاجب.

34- برام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عوض بن عمرو، له شرح مختصر خليل (كبير- متوسط- صغير)، توفي سنة 805(850).

35-أبو عبد الله محمد بن علي، عرف بابن علاق الغرناطي المتوفى سنة 806هـ، له شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي في عدة أسفار(851).

36-محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة 814هـ، له شرح ابن الحاجب سماه "الأداء الواجب في اصطلاح ابن الحاجب"(852).

37-الأَقْفَهسِي عبد الإله بن مقداد بن إسماعيل المتوفى سنة 823هـ، له شرح مختصر

(845) الديباج ص: 115-116، شجرة النور ص: 219.
(846) الموسوعة المغربية: 69/1.
(847) شجرة النور: 236/1، الموسوعة المغربية: 69/1.
(848) كشف الظنون: 1625/2، هدية العارفين: 18/1، إيضاح المكنون: 368/2.
(849) شجرة النور: 224/1.
(850) نفسه: 227/1، الفكر السامي: 249/2.
(851) شجرة النور: 247/1، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 341/5، توشيح الديباج ص: 210.
(852) شجرة النور: 240/1، توشيح الديباج ص: 209.

خليل. انتهت إليه الرئاسة المالكية بمصر(853).

38-القاضي جمال الدين أبو الحسن يوسف بن خالد السيوطي البساطي المتوفى سنة 829هـ. له شرح مختصر خليل(854).

39-أبو القاسم بن عيسى الشهير بابن ناجي المتوفى سنة 834هـ، له شرح التهذيب للبراذعي(855).

40-أبو عبد الله أحمد بن البساطي الطائي المتوفى سنة 842هـ، له شرح ابن الحاجب الفرعي، لم يكمله(856).

41-محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني، يعرف بابن مروزي، المتوفي سنة 843هـ. له شرح مختصر خليل وشرح فروع ابن الحاجب(857).

42-محمد بن عمار المتوفى سنة 844هـ، له شرح مختصر ابن الحاجب، وهو شرح مختصر كتب منه إلى باب النكاح وقطعه من آخره(858).

43-أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغرادي التلمساني المعروف بابن زاغو المتوفى سنة 845هـ، له شرخ مختصر خليل من الأقضية إلى آخر الكتاب(859). قال ابن مخلوف: »له شرح عظيم على ابن الحاجب الفرعي في غاية الحسن والاستيفاء والجمع، مع التحقيق والبحث، في ألفاظ المتن إفرادا وتركيبا، مما يدل على سعة علمه وقوة إدراكه وفهمه، وجودة نظره، وإمامته في العلوم«(860).

44-أبو حفص عمر بن الشيخ محمد القلشاني المتوفى سنة 847هـ. له شرح ابن الحاجب

(853) شجرة النور: 240/1.
(854) نفسه: 241/1.
(855) نفسه: 244/1، النجوم الزاهرة: 309/1.
(856) شجرة النور: 241/1، شذرات: 245/7.
(857) تاريخ الأدب العربي: 2/84-331 و331/5، شذرات الذهب: 279/6.
(858) توشيح الديباج ص: 214.
(859) شجرة النور: 254/1، الديباج ص: 118.
(860) شجرة النور: 245/1-246.

الفرعي[861]، جمع فيه ما ذكره ابن عبد السلام والمشدالي وابن راشد وابن هـارون وخليـل في شروحهم على المختصر. ويضيف إلى ذلك في كلام غيرهم من علماء المذهب[862].

45-أبو القاسم محمد بن محمد بن سراج الغرناطي المتوفى سنة 848هـ، له شرح مختصر خليل، اعتمده المواق[863].

46-محمد بن محمد بن إسماعيل المغربي الغرناطي المتوفى سنة 853هـ، له مختصر من شرح ابن مرزوق للشيخ خليل[864].

47-أبو إسحاق القسطنتي إبراهيم بن فايدة بن موسى بن هلال المتوفى سنة 857هـ، له تسهيل السبيل في شرح مختضر الشيخ خليل[865].

48-أبو القاسم محمد بن محمد بن علي النويري المتوفى سنة 857هـ، له بغية الراغـب شرح به مختصر ابن الحاجب الفرعي[866]. قال عنه ابن مخلوف: »وشرح مختصر ابـن الحاجـب الفرعي سماه: بغية الراغب، وعلى أصله، لكنهما في المسودة«[867].

49-أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المتوفى سنة 863هـ، له شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي في سبعة أسفار[868].

50-أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي المتوفى سنة 866هـ، له اختصـار البيان لابن رشد وقيمه على مسائل ابن الحاجب. واختصر أبحاث ابن عرفة التي في مختصره المتعلقة

(861) نفسه: 245/1، الحلل السندسية: 652/1.
(862) أمهات الكتب الفقهية، للدكتور أبو الزنبير عبد السلام أحمد فيغو، 51، طبعة دار الكلمـة للنشـر والتوزيع، مصر المنصورة، طبعة 1997.
(863) الفكر السامي: 259/4.
(864) شجرة النور: 248/1.
(865) نفسه: 262/1.
(866) نفسه: 243/1، توشيح الديباج ص: 221.
(867) شجرة النور: 243/1.
(868) نيل الابتهاج ص: 116-118، رحلة القلصادي ص: 16، شجرة النور: 258/1.

بكلام ابن شاس وابن الحاجب وشرحه مع زيادة[869]. قال عنه التنبكتي: »(...) ذو وجاهة عند صاحب تونس، كمل تعليقله الوانوغي على البراذعي، واستدرك ما صرح فيه ابن عرفة في مختصره بعدم وجوده«[870].

51-أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى العقدي الزنديوي التونسي المتوفى سنة 874هـ[871]، له شرح مختصر خليل.

52-أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة 875هـ، أو 876هـ. شرح ابن الحاجب الفرعي في جزءين[872].

53-برهان الدين الدفري إبراهيم بن محمد بن أحمد المقري المتوفى سنة 877هـ، شرح مختصر ابن الحاجب[873].

54-عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي المكناسي الميموني المتوفى سنة 886هـ، له تقاييد على المختصر[874].

55-نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الشهير بالسنهوري المتوفى سنة 889هـ، له شرح مختصر خليل (لم يكمله) [875].

56-القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي المتوفى سنة 891هـ، له شرح مختصر خليل[876].

57-أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التريكي التونسي المتوفى سنة 894هـ، شرح مختصر

(869) توشيح الديباج ص: 160.
(870) نيل الابتهاج، ص: 538-539.
(871) شجرة النور: 259/1.
(872) نفسه: 264/1، توشيح الديباج ص: 120.
(873) شجرة النور: 257/1، توشيح الديباج ص: 49.
(874) جذوة الاقتباس ص: 270.
(875) شجرة النور: 258/1.
(876) نفسه: 261/1، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 266/2.

ابن الحاجب الفرعي[877].

58-أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق اليزليطي، عرف بحلولو القروي المتوفى سنة 895هـ، شرح مختصر خليل (كبير وصغير) [878].

59-المواق محمد بن يوسف بن أبي القاسم المتوفى سنة 897هـ، سماه التاج والإكليل لمختصر الشيخ خليل[879].

60-زروق أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى المتوفى سنة 899هـ، شرح مختصر الشيخ خليل[880].

61-أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي المتوفى سنة 910هـ، شرح مختصر خليل[881].

62-القلتادي داود بن علي بن محمد القلتاوي المتوفى سنة 902هـ، له شرح مختصر ابن الحاجب وشرح مختصر خليل[882].

63-محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني المتوفى سنة 909هـ، شرح مختصر خليل سماه المغني. شرح بيوع الآجال لابن الحاجب سماها "افهام الأنجال"[883].

64-علي بن قاسم محمد التجيبي الشهير بالزقاق المتوفى سينة 912هـ، له تقييد على المختصر الخليلي[884].

65-الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد التلمساني، المتوفى سنة

(877) شجرة النور: 260/1.
(878) نفسه: 259/1.
(879) نفسه: 261/1-262، الفكر السامي: 263/2، نيل الابتهاج ص: 345.
(880) شجرة النور: 267/1.
(881) نفسه: 268/1، ملحق بروكلمان ص: 348.
(882) شجرة النور: 258/1، نيل الابتهاج امش الديباج ص: 116-117.
(883) الأعلام: 216/6، الإعلام للمراكشي: 125/4.
(884) شجرة النور: 274/1.

914هـ. له شرح مختصر ابن الحاجب، وتعليق على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار(885).

66-أبو الحسين علي بن ميمون الصنهاجي المتوفى سنة 917هـ، له مدرج الراغب في شرح ابن الحاجب(886).

67-جلال الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن قاسم، المتوفى سنة 920هـ. له شرح قطعة على المختصر، قدر العبادات(887).

68-أبو العباس أحمد بن علي الزقاق المتوفى سينة 931هـ، له شرح بعض ألفاظ خليل(888).

69-نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن خلف المتوفى سينة 939هـ، له شرح مختصر خليل(889).

تلك بعض الشروح التي توصل إليها البحث، وهي شروح ظهرت في وقت معين،وخاصة في القرن الخامس الهجري وما يليه. ولعل ما يلفت النظر في هذه الشروح أ ا تنصب أساسا على المختصرات من القرن السادس الهجري؛ حيث رأينا عددا غير قليل من شروح مختصر ابن الحاجب. واستمر الحال على ذلك إلى بزوغ فجر القرن السابع الهجري؛ حيث ظهر مختصر خليل، فسرق الأضواء بدوره، وأخذت الشروح تقتصر على هذا المختصر الذي استمال جل الشراح ونال عناية فائقة؛ »فهو أجمع كتاب في الفقه المالكي مع الاختصار.. ولا مرية في ذلك؛ ففيه خلاصة ابن الحاجب مع جمعه لما تركه مما احتوت عليه الكتب الأمهات... كتاب صغر حجمه، وكثر علمه، وجمع فأوعى، وفاق أضرابه جنسا ونوعا«(890).

ولا أريد أن أسبق الأحداث، لأنه سيأتي الحديث عنه، وإنما أريد أن أتساءل: ما هي

(885) نيل الابتهاج ص: 135-136، شجرة النور: 274/1.
(886) طبقات الحضيكي: 320/2، الأعلام: 27/5.
(887) شجرة النور: 270/1.
(888) نفسه: 274/1.
(889) نفسه: 272/1.
(890) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، سنة 1419هـ، ص: 41.

المؤلفات التي ظهرت في زوائد المختصرات؟ وإلى أي حد أسهم العلماء في إثراء المذهب المالكي بهذا النوع من المختصرات؟

سؤالان سيجيب عنهما الفرع الموالي.

الفرع الرابع: زوائد المختصرات

لاشك أن العناية بالمختصرات كان الشغل الشاغل لدى الفقهاء والعلماء؛ حيث انكب عمل هؤلاء في دراسة كل شاذة وفاذّة عن المختصرات. إلا أن دراستهم لم تصل بعد إلى ما توصلت إليه بعض الدراسات العلمية التي تنصب أساسا على تنوير الرأي العام في الجوانب المهمة في المختصرات.

وسيبقى موضوع زوائد المختصرات من المواضيع التي لم تحظ بعناية كبيرة لدى الفقهاء على الرغم من مجهودات في الاختصار والشرح والتعليق عليها. إلا أن إبراز زوائد المختصرات ودراستها دراسة علمية يبقى من المواضيع التي تحتاج إلى تكثيف الجهود وإبراز جوانب مهمة من ذلك وخاصة أننا نجد بعض المختصرات تضم زوائد مختلفة، ولكن نجهل كل شيء عن هذه الزوائد؛ ذلك أن المؤلف نفسه أحيانا قد لا يوضح ما زاده في المختصر، يضاف إلى هذا شرحه المصادر التاريخية التي لا تفيد الباحث عن تفاصيل عن الزائد في المختصر مما يشكل عقبة في طريقه لإعطاء تفاصيل مدققة عن المختصر وما زاد فيه.

وقلما نجد الحديث عن الزوائد الفقهية في المختصرات، بل تكتفي كتب التراجم وكتب الفقه بذكرها دون تفصيل في الموضوع لأسباب، أهمها التقليد في النقل وعدم البحث عن الحقيقة، على أي كيفما كانت الأسباب والمسببات فإن أهم أصحاب الزوائد في المختصرات التي توقف عليها البحث هم كما يأتي:

1-محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي... له تواليف في مختصر ابن عبد الحكم الصغير، زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار. توفي سنة تسع وأربعين ومائتين (249هـ)

[891]، وله كتاب في التاريخ وفي الطبقات وفي رجال الموطإ... [892].

2-محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين... له كتاب زاد فيه على المختصر الصغير لأبيه زاد فيه خلاف الشافعي وأبي حنيفة، واختصار كتاب أشهب.. توفي سنة 268هـ [893].

3-بكر بن العلاء القشيري أبو الفضل، بصري، خرج عنها واحد، فأدرك بها رئاسة عظيمة، أثنى عليه غير واحد. ألف كتبا جليلة، اختصر كتاب القاضي إسماعيل وزاد عليه، وله كتاب الرد على المزني، وكتاب الأشربة رد على الطحاوي، وكتاب أصول الفقه، وكتاب القياس، وكتاب من مسائل الخلاف، وكتاب الرد على القدرية وغيرها. توفي سنة 344هـ [894].

4-أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد الهواري، قاضي فاس وإمامها، الإمام الزاهد الذي يضرب به المثل بورعه وعدله، أخذ عن ابن أبي زيد القيرواني وأخرج زيادات مختصرة على المدونة وكان شديدا في أحكامه، أقام حدود القتل فما دونه. ومن ورعه، لم يثبت أنه عامل أحدا بفاس، بل كان القمح يأتيه من بلده هوارة والإدام يشترى له من مكناسة وامرأته تغزل ثيابه ولم يوجد في تركته سوى حصير الصلاة وإناء الوضوء ومصحف التلاوة، وفي الأنيس أنه توفي سنة إحدى وأربعمائة (ت.401هـ) رحمه الله. وإني لأعده من المجددين على رأس المائة بقطره[895].

5-أبو عبد الله بن فرج ابن الطلاع... أخرج زوائد أبي محمد في المختصر،ولد سنة اثنين وأربعمائة (ت.402هـ) [896].

6-أبو عبد الله محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع: ألف وأخرج زوائد أبي محمد في

(891) ترتيب المدارك: 180/4-181.
(892) طبقات المالكية ص: 78، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.
(893) نفسه ص: 89.
(894) الفكر السامي: 132/3، طبقات المالكية ص: 206، ترتيب المدارك: 270/5.
(895) الفكر السامي: 146/3.
(896) شجرة النور ص: 123، ترتيب المدارك: 180/8-181.

المختصر، توفي سنة 497هـ، مولده سنة 404هـ[897].

تلك أهم زوائد المختصرات التي توقف عليها البحث؛ فهي كلها لا تخرج عن إطار المختصرات، لأنها لا تحمل تفاصيل مدققة باستثناء زوائد مختصر محمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذي ذكر أنه زاد على مختصر والده خلاف الشافعي وأبي حنيفة، أما بقية الزوائد فلم تستطع أن تميز ما زاده أصحابها.

وعلى أي فإن هذه الزوائد تعتبر ثروة فقهية أخرى من الثروات الفقهية التي تزخر بها كتب المذهب، إلا أنها تحتاج إلى بحث مدقق لدراستها دراسة علمية تثري المكتبات المالكية،إلا أن العائق الكبير لذلك أن جل المختصرات وزوائدها مازالت مفقودة تبقى تلوكها ألسنة المصادر والمراجع دون أن تظهر إلى الوجود.

الفرع الخامس: ظاهرة اختصار شراح المختصرات والحواشي في الفقه المالكي

ومما تجدر الإشارة إليه، ونحن نتحدث عن ظاهرة التدوين لدى المتأخرين، أن المالكية لم تعرف كتبهم الفقهية الحواشي على الشروح إلا في العصور المتأخرة، فقد ذكر الجبروني في تاريخه أن أول من خدم تلك الكتب بالحواشي هو الشيخ علي العدوي المالكي سنة 1189هـ؛ فقد ألف كثيرا منها على كتب المالكية، منها حاشية ابن تركي، وحاشية علي الزرقاني... وحاشية على شرح أبي الحسن على الرسالة، وحاشية على الخرشي، وحاشية أخرى في شرح الزرقاني على المختصر[898].

والحق أن الشيخ العدوي مسبوق في هذا العمل؛ فقد سبقه في التأليف الشيخ محمد بن غازي (ت.919هـ) بحاشية سماها "شفاء الغليل في حل فقه خليل"، والشيخ أحمد بابا التنبكتي (ت.1032هـ) بحاشية سماها متن الجليل على خليل، والشيخ مصطفى الرماضي (ت.1136هـ) بحاشية في شرح التتائي على المختصر[899].

(897) طبقات المالكية، ورقة: 285.

(898) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن الجبرتي: 477/1.

(899) الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي مصطلحاته وأسبابه، رسالة دبلوم الدراسات العليا في دار الحديث الحسنية، إعداد عبد العزيز بنصالح، تحت إشراف: عمر الجيدي، ص: 97.

وعلى أي فإن جل المراجع التاريخية ذكرت أن هذه الظاهرة لم يعرفها الفقه المـالكي إلا في القرن الثاني عشر الهجري مع اختلاف في ذلك، إلا أن الهدف الأساس في ذلـك إثـارة هـذه الظاهرة، وخاصة ظاهرة اختصار الشراح بعضها بعضا، سيما ونحن في معالجة ظاهرة المختصرات، مما حتم علينا إبراز هذه الظاهرة في اختصار الشراح، وقد وقف البحث على بعض المصنفات التي تتدرج في هذا الصدد، وهي كالآتي:

1-اختصار شرح المختصر الصغير لابن عبد الحكم لابن أبي زيد القيرواني المتـوفى سـنة 386هـ[900]. ستأتي ترجمته.

2-إبراهيم بن خلف القيسي، عرف بابن نشأ اختصر شرح الشهاب لابـن الوحشـي، والعقد لابن عبد ربه. أخذ عن الصدفي وغالب بن عطية وأبي الحسن الميافش وأبي محمد بن السيد وابن سبعين. كان من أهل الفقه والأدب والتاريخ. له نظم ونثر، وكان حيا سنة خمسة وخمسين وخمسمائة (ت.555هـ) صح من صلة ابن الزبير زاد ابن الحضرمي في فهرسته، توفي في حدود السبعين وخمسمائة (570هـ)[901].

3-أبو العيش عمار بن سعيدان فاق في عصره على الأقران وساد الأعيان فلا يدانيـه دان واحد الدهر في معرفة العلوم وحسن التقرير سيما الفقه فإنه حامل لوائه ومسائله خـبير، كـان فصيح العبارة مليح الهيئة والشارة... له تآليف، منها اختصار شرح ابن نـاجي علـى المدونـة اختصارا بارعا ودعي لقضاء القيروان وامتنع. توفي سنة 1304هـ[902].

إلى جانب اختصار الشروح، فقد برزت ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، ويتعلـق الأمر بظاهرة اختصار الحواشي، وهي ظاهرة طفت على السطح في عصور متأخرة، ولعل أبا عبد الله محمد بن المدني.. العلامة الجامع لكثير من الفنون القدوة[903] الفهامة الكـبير الصـيت. لـه تآليف، منها اختصار حاشية الرهوني على المختصر وحاشية على شرح بنـيس علـى فـرائض

(900) ترتيب المدارك: 20/5.
(901) نيل الابتهاج ص: 35.
(902) شجرة النور: 413/1.
(903) نفسه: 429/1-430.

المختصر... توفي سنة 1302هـ[904] أول من اعتنى بظاهرة اختصار الحواشي. إلا أن منهم من يرى أن ظاهرة الحواشي ظهرت متأخرة بالمقارنة مع المختصرات، غير أنها لم تعرف نشاطا بالحجم الذي ظهرت به المختصرات.

إلا أن الرأي الذي أرى أن الصواب بجانبه أن هذه الظاهرة ظهرت في القرن السادس وما يليه، وعرفت نشاطا مكثفا في القرن الثاني عشر وما يليه، وخاصة في ميدان انكباب المؤلفين على اختصار الشروح واختصار المتون والمنظومات وغيرها، على أن بعض الفقهاء يرى أن الفقه المالكي لم يعرف اختصار الحواشي واختصار الشروح في عصور متأخرة جدا بالمقارنة مع المذاهب الأخرى.

على أي كيفما كانت الأسباب والمسببات في تأخير هذه الظاهرة في المذهب المالكي فإنها أضافت إلى الفقه المالكي سلسلة أخرى من الدراسات الفقهية، والتي أثرت الفقه المالكي بالرغم من أنها لم تسلم من نقد الفقهاء والمختصين الذين يرون أن اقتحام هذه الظاهرة في صفوف المختصرات أساء إلى الفقه، وهذه المختصرات بشكل عام ألفها فقهاء من مختلف الأقطار.

وبعد استعراضنا ما يمكن استعراضه من المختصرات وزوائدها، وظاهرة اختصار الشراح والحواشي في الفقه المالكي، لنا أن نتساءل: ما هي جهود المغاربة والأندلسيين في مختصرات الفقه المالكي؟ ما هو الدور الكبير الذي قام به الأندلسيون في اختصار المدونة؟ وما هو أثر ذلك وانتشاره على الغرب الإسلامي؟

تلك أسئلة سيجيب عنها المبحث الموالي.

(904) نفسه: 1/430.

المبحث الثالث
جهود المغاربة والأندلسيين في مختصرات الفقه المالكي

تمهيد

إن الحديث عن جهود المغاربة والأندلسيين في المختصرات الفقهية يستلزم أساسا أن أشير إلى أن علماء المغرب اعتنوا بالمدونة عناية ما عليها من مزيد، حتى قالوا إن أهل "ذغوغ" الذين انتشروا في المغرب كان يحفظ المدونة منهم عن ظهر قلب ستة آلاف وسبعمائة وستون رجلا، وخمسمائة من النساء، وذكر القاضي عياض والتنبكتي وغيرهم عددا من حفاظها، ومنهم الشيخ ابن إسحاق بن يعمور الغماري والفقيه أبو الحسن ابن عشرين أملاها من حفظه، حتى إنهم لما وجدوا نسخة قوبلت عليها النسخة التي أملاها من حفظه لم يجدوا بينهما اختلافا إلا واوا وفاء.

كما أن الفقيه عبد الله بن عيسى التادلي كتب المدونة من حفظه لما أحرقها الموحدون، والفقيه علي بن عبد الله المتيوي الغماري عرض المدونة في يوم واحد من حفظه، وقد شرحها عدد كبير من الفقهاء المغاربة أوصل عددهم الدكتور محمد يسف في موضوع نشر بمجلة دعوة الحق[905] تحت عنوان "التواصل العلمي بين جامعة القرويين والجامعة الزيتونية بتونس إلى اثني عشر رجلا، إلا أنه لم يذكر من العلماء المغاربة الذين اختصروها. في حين نجد عددا هائلا من الفقهاء الأندلسيين الذين أفرغوا جهدهم في اختصارها والتعليق عليها، ولعل الحديث سيكشف عن ذلك لاحقا.

وإذا كان الأمر كذلك، فما هي جهود المغاربة في المختصرات الفقهية المالكية؟

ذلك ما سيتحفنا عنه الفرع الموالي.

(905) مجلة دعوة الحق، العدد: 327، السنة الثامنة والثلاثون، 1417هـ/1997، ص: 103.

الفرع الأول: جهود المغاربة في المختصرات الفقهية

إن الحديث عن جهود المغاربة في المختصرات يرتبط أساسا بذكر المسار التاريخي الذي عرفه المذهب المالكي؛إذ لا يمكن الحديث عن المغرب بمعزل عن الجهات الأخرى مع العلم أن مصدرهم واحد، وإمامهم ومؤلفا م واحدة، يقول الدكتور حسن العبادي في هذا الصدد: »ولا غرو أن تصبح المدونة بم لة رفيعة عند جميع فقهاء المذهب؛ حيث يعبرون عنها بالأم لكتب المذهب؛ فقد تداولتها -على الأقل- أفكار أربعة من كبار العلماء ا تهدين، وهم: الإمام مالك، وأسد بن الفرات، وابن القاسم، وسحنون بن سعيد. كل هؤلاء شاركوا فيها بصفة أو بأخرى.

ولم يلبث أن ظهرت كتب أخرى على منوالها في الغرب الإسلامي، فظهر في الأندلس كتاب الواضحة لأبي مروان عبد الملك بن حبيب (ت.238هـ). وألف أبو عبد الله محمد العتبي (ت.255هـ) تلميذ ابن حبيب كتاب العتبية، المستخرجة، جمع فيها كل ما تقدم، فلقيت إقبالا كبيرا عند أهل الأندلس.

وخلال القرن الرابع ظهر الإمام مالك الصغير، وهو الاسم الذي يطلق على ذلك العالم الكبير أبي عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت.386هـ) فقام بجمع ما تقدم: المدونة والواضحة والمستخرجة في كتابه النوادر. وأضاف إليه ما كتب عن تلك الأمهات من التعاليق فجاء كتابه جامعا لما في الأصول والفروع، كما فعل الشيء نفسه أبو سعيد البراذعي في كتاب التهذيب.

وفي أوائل القرن السادس الهجري شرح أبو الوليد ابن رشد (ت.520هـ) المستخرجة أو العتبية وسمى شرحه البيان[906] والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، واستمسك أهل الغرب الإسلامي ذه الأمهات يدرسو ا ويشرحو ا ويعلقون عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد لخص ابن خلدون كل ذلك؛ حيث قال في مقدمته: »تميزت للمذهب المالكي ثلاث طرق إحداها للقرويين وكبيرهم سحنون عن ابن القاسم، والأخرى للقرطبيين وكبيرهم ابن حبيب عن مالك ومطرف وابن الماجشون وأصبغ، والثالثة للعراقيين، وقد امتزجت هذه الطرق

(906) وقد طبع هذا الكتاب بعناية الدكتور محمد حجي سنة 1408هـ/1988م.

وتلخصت كلها في مختصر ابن الحاجب جامع الأمهات والمختصر الفرعي.

وطريقته -حسب قول ابن خلدون- تمتاز بذكر فقه الباب في مسائله المتفرقة وبذكر الأقوال في كل مسألة على تعدادها فجاء كالبرنامج. ولما ظهر بالمغرب آخر المائة السابعة عكف عليه كثير من طلبة المغرب... ثم قال: »وطلبة المغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه...«(907) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وقد شرحه جماعة وبالاستقراء مما ذكر، يتضح جليا أن جهود المغاربة في المختصرات كان متواضعا لأسباب، أهمها:

إن منهجية الدراسات الفقهية تأخر كثيرا لدى المغاربة بالمقارنة مع القيروان والأندلس والشرق لعقم منهجيتهم التي لاحظ ابن خلدون استيلاء الحفظ على ملكة الفهم والحوار لديهم؛ فقد نبغ فيهم طبقات من الفقهاء الكبار في كل عصر من العصور السالفة.

ومن خلال اهتمام هؤلاء الفقهاء بدراسة الفقه ومسايرة تطوره ووضع الشروح والتعاليق والهوامش على أمهات كتبه التي أشرنا إلى بعضها سابقا اهتموا كذلك بظاهر الحياة والوقائع اليومية للمواطنين قصد إيجاد الحلول المناسبة لها باذلين أقصى الجهود في ميدان تطبيق القواعد الفقهية في إطار المذهب، وبذلك أمكن للفقه أن يساير الأحداث والنوازل التي تتزايد باستمرار مع تزايد العمران وتطور الزمان والمكان.

وتتبعوا بتحر ونزاهة كل ما استجد من مجريات الأحداث في الشؤون الدينية والاجتماعية ففضوا المشكلات، وحلوا العويصات مبينين بذلك سعة الشريعة لاستيعاب المستجدات، باحثين عن أقرب السبل للوصول إلى المصلحة العامة التي تناسب الوسط المغربي، فنتج عن ذلك ظهور فقه يبحث عن المشاكل الطارئة في المجتمع«(908).

وباستقراء ما سبق يتضح جليا أن جهود المغاربة جهود متواضعة في المختصرات الفقهية

(907) فقه النوازل في سوس، للدكتور الحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة بأكادير، رسالة أطروحة جامعية، ص: 49-51.

(908) نفسه، ص: 51.

لأسباب أهمها أن الجهود المبذولة في هذا الصدد في الغرب الإسلامي تنسب كلها إلى الأقطار الثلاثة: المغرب والأندلس والقيروان، على اعتبار أن القطر الأندلسي جزء لا يتجزأ من المغرب.

ولعل ما عرفت المدونة من اختصارات متنوعة من قبل الفقهاء والأندلسيين والقرويين وغيرهما جهود مشتركة من الصعب بمكان عزل كل قطر على حدة والتحدث بمجهوداته، وإن كان ابن خلدون -كما سبق- وصفهم بالحفظ دون الفهم، غير أن ذلك يحتاج إلى دليل؛ فقد ظهرت منهم ثلة من فطاحل الفقهاء اهتموا اهتماما كبيرا بالفقه بصفة عامة، والمختصرات بصفة خاصة، وخير دليل على ذلك أ م انكبوا على دراسة مختصرات ابن الحاجب منذ دخوله إلى المغرب. كما أسوق هنا بعض الفقهاء المغاربة الذين لهم مختصرات فقهية، وهم على التوالي:

1-إبراهيم بن جعفر اللواتي في عصر المرابطين: هو الفقيه المشاور، أبو إسحاق المعروف بابن الفاسي، من أهل سبتة، اخذ عن شيوخ بلده، ولزم الفقيه أبا الأصبغ بن سهل وكتب له في قضائه بطنجة وغرناطة...، وكان بصيرا بالشروط والوثائق، بل لم يكن في عصره من هو أقوم عليها منه... [909]... وألف ابن أبي زمنين فنحا فيه أحسن منحى. وكانت وفاته في 8 جمادى الأولى عام 513هـ [910].

2-أبو القاسم الجزيري من فقهاء عصر الموحدين وهو: علي يـن يحـيى بـن القاسم الصنهاجي، يكنى أبا القاسم وأبا الحسن، أصله من بلاد الريف ونزل الجزيرة الخضراء فنسب إليها، كان فقيها متمكنا يشتغل بالتدريس وعقد الشروط، ثم ولي قضاء الجزيرة وكان متواضعا كثير الأوراد صاحب علم وعمل وله في الشروط مختصر مفيد جدا سماه بالمقصد المحمود في تلخيص العقود، كثُر استعمال الناس له لجودته ودلالته على معرفته، قال ابن الأبار: وهو من مصادر تحفة الحكام لابن عاصم، كما صرح بذلك في خطبتها، حيث يقول:

فمنه المقيد والمقرب والمقْصِد المحمود والمنتخب

(909) النبوغ المغربي في الأدب العربي، لكنون: 86/1.

(910) نفسه: 87/1.

وتوفي في الجزيرة في شهر ربيع الأول سنة 585هـ، وهو ابن 60 سنة[911].

الفرع الثاني: جهود الأندلسيين في اختصار المدونة

يأتي كتاب المدونة في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الموطإ، لذلك نـال مـن العنايـة والإطراء والتقدير ما لم تنله بقية كتب المالكية.

»...ولهذا اختار المغاربة مذهب المدونة وتمسكوا بما ورد فيها من مسائل فقهية حتى أصبح المشهور في اصطلاح المغاربة يطلق على مذهب المدونة: قال ابن فرحون: تقرر بما ذكرناه أن قول ابن القاسم هو المشهور في المذهب إذا كان في المدونة، والمشهور في اصطلاح المغاربة هو مذهب المدونة، والعراقيون كثيرا ما يخالفون المغاربة في تعيين المشهور«[912].

وفصل أبو الحسن الطنجي القول في المشهور في المدونة فقال: قول مالك في المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها، وقول ابن القاسم أولى من قول غيره لأنه أعلم بمذهب مالك –رحمـه الله- وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم في غيرها، وذلك لصحتها[913] كما تمت الإشـارة إلى ذلك.

ولما كانت المدونة بهذه المرتبة عكف علماء الأندلس على دراستها وحفظهـا وشـرحها واختصارها فلا يرقى الفقيه عندهم إلى منزلة الفقهاء المشاورين المعتمدة أقوالهم وآراؤهم. إلا إذا درس المدونة وحفظها، بل أكثر من هذا فقد اشترط ولاة الأندلس لتولية القاضي أن يكون حافظا للمدونة، مستظهرا لها[914]، على أن العلماء منعوا على الفقيه لبس القلنسوة والصعود إلى المنبر إذا لم يكن حافظا للمدونة[915].

---

(911) نفسه: 146/1.

(912) تبصرة الحكام: 50/1.

(913) نفسه: 50/1.

(914) الديباج ص: 15-16، بتصرف.

(915) أسنى المسالك ص: 96، والمدرسة المالكية بالأندلس إلى نهاية القرن الثالث الهجري، رسـالة دبلـوم

وتظهر مكانة المدونة من عناية علماء الأندلس ا في كثرة الطلبة الذين توجهوا نحو إفريقية قصد الالتقاء بالإمام سحنون وسماع المدونة وروايتها عنه مباشرة، حتى إنه اجتمع بمدينة الـبيرة وحدها ثمانية من رواة سحنون في وقت واحد، ويظهر أن علاقة الأندلسيين بالمدونة كانت في وقت مبكر؛ فقد التقى الفقيه عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتيل بالإمام سحنون وسمع منه الأسدية قبل تكوينها، ويعد عثمان بن أيوب بن أبي الصلت المتوفى سنة 246هـ أول من أدخل المدونة إلى الأندلس وذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-272هـ).

ومنذ ذلك الحين اهتم علماء الأندلس بالمدونة فاشتغلوا بتهذيبها واختصارها وتسهيلها وجعلها في متناول جميع المهتمين بفقه السادة المالكية. ومن أشهر الفقهاء الذين اشتغلوا بالمدونة في هذه الحقبة بالأندلس -وقد مر الحديث عن أغلبهم في مبحث سابق، ولا بأس أن نعيدهم على اعتبار ما قدموه لخدمة المدونة والمذهب المالكي والأندلس-، وهم:

1-إبراهيم بن عنجس بن إسباط الكلاعي الزيادي، من أهل وشقة، اختصر المدونة في عشرة أجزاء وسهلها(916).

2-إبراهيم بن يحيى بن برون، من أهل طليطلة(917)، اهتم بالمدونة واختصرها قال في المدارك: وذكر أن له اختصارا للمدونة وأنه كان يملي على كاتبه من نوعين مختلفين(918).

3-فضل بن سلمة بن حريز، كان من أوقف الناس على الروايات وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك، فكان حافظا للفقه على مذهب مالك، بعيد الصيت فيه، شهد له بذلك كبار الأئمة وعلى رأسهم الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري، الذي أثنى عليه بقوله: »كان من أعلم الناس بمذهب مالك«(919). وله عدة مصنفات في الفقه على مذهب مالك، وله كتاب جمع فيه

الدراسات العليا بكلية الآداب: 388/2، وتاريخ ابن الفرضي: 37/1، والديباج: 277/1.

(916) المدارك: 471/4، الديباج ص: 91.

(917) المدارك: 460/4.

(918) نفسه: 460/4.

(919) الديباج ص: 219.

مسائل المدونة[920]، وكتاب اختصر فيه المدونة[921].

4-محمد بن عبد الله بن عيشون، كان عالما متقدما في مذهب مالك، اختصر المدونة إلا كتاب المختلطة منها[922][923].

5-حمديس بن إبراهيم اللخمي (ت.299هـ)، قال عياض: »له في الفقه كتاب مشهور في اختصار مسائل المدونة، رواه عنه مؤمل بن يحيى والناس[924].

6-مختصر المدونة للجبلي محمد بن أحمد أبو عبد الله (ت.310هـ) قال عياض: »له مختصر حسن للمدونة«[925].

7-ابن مساعد محمد بن رباح أبو عبد الله، (ت.358هـ) الأندلسي، قال عياض: »وله في المدونة اختصار، كان مشهورا بطليطلة يدرس لها أهلها«[926].

8-النحوي محمد بن عبد الملك، أبو عبد الله الخولاني (ت.364هـ) الأندلسي، قال عياض: »وله في المدونة اختصار مشهور«[927].

9-أبو قاسم بن الطحان إسماعيل بن إسحاق (ت.384هـ) الأندلسي، قال عياض: »وله في المدونة اختصار المدونة« [928].

10-ابن السليم محمد بن إسحاق أبو بكر (ت.367هـ) الأندلسي، اختصر كتاب المدونة، قال عياض: »له كتاب اختصار المدونة« [929].

---

(920) نفسه ص: 219.

(921) المدارك: 5/221-222.

(922) المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري: نشأة وخصائص، إعداد: مصطفى الهروس، تحت إشراف الدكتور فاروق حمادة، كلية الآداب، دبلوم الدراسات العليا: 2/390.

(923) نفسه: 2/390.

(924) المدارك: 4/384.

(925) نفسه: 5/183-184.

(926) نفسه: 6/177.

(927) نفسه: 7/20.

(928) نفسه: 6/298.

(929) نفسه: 6/280-289.

11-ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله، أبو عبد الله (ت.399هـ) الأندلسي، قال الخولاني: »وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن لكتاب "المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها في نكت منها ليس في مختصرا ا مثله باتفاق"«(930)، كما قال ابن مخلوف: »قال: ابن سهل: هو أفضل مختصرات المدونة وأقر ا ألفاظ ومعاني لها«(931) كما تم الإشارة إلى ذلك.

12-ابن مالك أبو مروان عبيد الله بن محمد (ت.460هـ) الأندلسي، قال عياض: »ورسخ في مذهب مالك فاستظهر أم كتبه المدونة، ونبل في تصريفها، وله فيها مختصر حسن مفضل، قال ابن سهل: لم يكن عند ابن مالك من الكتب إلا فقه فيها معاني النحاس ومختصره في المدونة«(932) تمت الإشارة إليه في مختصرات المدونة.

13-وللباجي كذلك كتاب المهذب في اختصار المدونة (ت.474هـ)، قال عياض: »وهو اختصار حسن وكتاب مختصر المختصر في مسائل المدونة«(933). وألف الباجي المهذب في اختصار المدونة، قال الفاكهاني في الفجر المنير، قال المازري: قال شيخنا اللخمي: اختصر المدونة نحو اثنين وثلاثين اختصارا ليس فيها أحسن من المهذب للباجي، قال: يريد في مواجهة ألفاظ المدونة وإلا فمختصر أبي محمد ابن أبي زيد لا يلحق أحدها، وألف أيضا اختلافات الموطآت وكتاب شرح المدونة ومختصر المختصر في مسائل المدونة(934).

14-اختصار المدونة لعمار بن مسلم أبي حفص اللخمي الأندلسي، درس المدونة وألف اختصار المدونة فزاد على اختصار الباجي زوائد، ولكنه لم يأخذ عنه(935).

---

(930) شجرة النور: 101/1.
(931) المدارك: 183/7.
(932) المدارك: 136/8-137.
(933) نفسه: 137/8، و207/8.
(934) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة 275، رقمه بالخزانة الحسنية 3928د.
(935) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح مشكلات المدونة، لأبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي، تقديم وتحقيق: علي ميهوبي، تحت إشراف الدكتور أحمد الريسوني، رسالة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب، الرباط: 62/1.

15-خلف بن يوسف بن هلال البلنسي المعروف بالبريلي، مفتي بلنسية في وقته ومن أهل العلم والجلالة ، له كتاب في شرح المدونة واختصار سماه التقريب، استعمله الطلبة في المناظرة وانتفعوا به، عول فيه على نقل ابن أبي زمنين في لفظ المدونة، وأخذ عليه أوهاما في النقل.

وذكر أنه لما أكمل خلف كتابه دخلت منه نسخة صقلية، وعبد الحق ببلده قرأه ونظر إلى أقواله، واستحسنه وأراد شراءه فلم يتيسر له ثمنه فباع حوائج من دراه واشتراه فغلا الكتاب وتنافس فيه الناس عند ذلك، وكان أبو الوليد هشام بن أحمد يقول: من أراد أن يكون فقيها فعليه بكتاب البريلي، روى عن أبي عمر بن الملودي وابن العطار والأصيلي، وكان مقدما في علم الوثائق. توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعين وأربعمائة (ت.444 أو 443هـ)، حدث عنه أبو داود المقري المؤيد[936].

أولئك أهم العلماء الأندلسيون الذين لهم عناية قصوى بالمدونة، وقد تساءل عدد غير قليل من الفقهاء عن هذا الكم الهائل من الفقهاء الأندلسيين الذين اختصروا المدونة، وقد أثار هذا الاهتمام تساؤلات عند الفقهاء العراقيين الذين يرون أنه لم يحظ أي كتاب من كتب أمهات المالكية بما حظيت به المدونة عند هؤلاء.

وأعتقد أن الجواب مر في مطلع هذا الفرع، غير أن الذي يجب ألا يحيد عن أذهاننا أن علماء المالكية العراقيين لم تكن لهم عناية بالمدونة إلا في عهود متأخرة، وخاصة في عهد القاضي عبد الوهاب الذي اختصر كتاب الشيخ أبي محمد بن أبي زيد، والسبب في ذلك أنهم اشتغلوا بمختصر ابن عبد الحكم وقدموه على المدونة، والله أعلم.

هذا عن جهود الأندلسيين في اختصار المدونة، فما هي أسباب انتشار ظاهرة المختصرات في الغرب الإسلامي؟ وما هو أثر ذلك على الفقه المالكي؟ تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الثالث: أسباب انتشار هذه الظاهرة في الغرب الإسلامي

إن الحديث عن ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي وفي الغرب الإسلامي تحديدا، لم تكن

(936) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة 260، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.

ظاهرة يختص ا قطر دون آخر؛ فهي ظهرت في جل الأقطار الإسلامية منذ فجر القرن الثالـث، إلا أن اللافت للنظر في الغرب الإسلامي أن أبناء هذه الربوع اهتموا كثيرا برصد هذه الظـاهرة؛ حيث نجد أهم المؤلفات الفقهية التي ظهرت في الغرب الإسلامي تعرضت للاختصـار، ويرجـع السبب في ذلك إلى أن أرض الأندلس كان محطة لتلاقي الثقافات الإسلامية، ولم يكن فتح المسلمين للأندلس فتحا لأرض، وإنما كان فتحا في العقيدة؛ فقد انتشرت القيم والمبادئ الإسـلامية في تلـك البلاد، ودخل الناس في دين الله أفواجا ،ولذا فقد كان أول عمل يقوم به المسلمون في البلاد المفتوحة هو بناء المسجد كما فعل عقبة بن نافع في إفريقية حين بنى القيروان فكان أول شيء خطـه فيهـا الجامع(937)، وأول شيء أقامه موسى بن نصير مسجد الجزيرة الخضراء في الأندلس(938).

ولم يكن المسجد مكانا للصلاة فحسب، إذ كان يمتلئ بحلق التعليم، بل كان جامعة، ولا تزال مساجـد في إفريقية. وكذلك كان الأمر في الأندلس، فليس لأهل الأندلس -كما يقول المقـري- مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المسـاجد(939). ثم انتشـرت الكتـب وأنشئت الجامعات في المدن الكبرى في الأندلس فكانت منارة العلم في أوربا كلها زمنا طويلا(940).

وحين دخل الإسلام تلك البلاد دخلت معه العلوم الإسلامية بعد أن تجاوز بعضـها أدوار النشأة في المشرق العربي؛ فقد استفاد الأندلسيون من مدارس الفقه في المشرق، كما استفادوا من كتب الفقه، وقد حدث اتصال وارتحال بين علماء التفسير في المشـرق والمغـرب والأنـدلس، فرحلت طائفة من المغرب إلى الأندلس، كما رحل علماء من الأندلس إلى المشـرق، وحـتى لا يحدث خلط بين هؤلاء وهؤلاء، فإنا قد اعتبرنا من رجال المدرسة من اتصف بثلاث صفات:

1-أن تكون ولادته في الأندلس.

2-أن ينشأ فيها فلا يرحل في صغره.

(937) معالم الإيمان: 10/1.

(938) نفسه: 73/1.

(939) نفح الطيب للمقري: 220/1-221، طبعة دار صادر، بيروت.

(940) منهج مدرسة الأندلس في التفسير صفاته وخصائصه، للدكتور فهد عبد الرحمن، طبع على نفقة خادم الحرمين، ص: 7-8، بتصرف.

3-أن يكون تعليمه الأولي على أرض الأندلس.

ولا يهمنا بعد ذلك أن يرحل من الأندلس بعد أن اصطبغ بصبغتها وتأثر بعلمائها والتزم منهجها(941)، وكان مذهب الأوزاعي -رحمه الله تعالى- هو المذهب السائد في الأندلس بعد الفتح، وأول من أدخله صعصعة بن سلام الأندلسي، وهو من أصحاب الأوزاعي(942). وقيل: إنه دمشقي قدم مصر، وإنما نسب للأندلس لاستقراره فيها، ولعل هذا هو الصحيح؛ فقد كان مذهب الأوزاعي منتشرا في الشام، وكان الأوزاعي في مصر.

ثم دخل المذهب المالكي الأندلس على مذهب الأوزاعي، وكان أول من أدخله زياد بن شبطون، ولما تولي هشام بن عبد الرحمن(943) الخلافة، كان شديد الإعجاب بالإمام مالك –رحمه الله تعالى- حمل الناس على اتباعه(944)، وكان لا يولي قاضيا في الأندلس إلا بمشورة يحيى بن يحيى الليثي، وكان لا يولي إلا المالكيين. ولذا قال ابن حزم: »مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما تولى القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه، ومذهب مالك عندنا في الأندلس فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء، وكان لا يولى قاض في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره. ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه(945).

والتزم رجال المدرسة الأندلسية المذهب المالكي وإبرازهم لآرائه، وتأييدهم لأقواله أو حتى الاقتصار عليها دون التعرض كثيرا للمذاهب الأخرى عند بعضهم، فشأ م في هذا شأن علماء المذاهب الأخرى ولا يعيبهم هذا فقد عاشوا في بيئة التزمت على المذهب المالكي وتبنيه، ودرسه علماؤها وتلقوه عن مشايخهم ولم يجدوا فيه ما يوجب الإعراض عنه ليس عن تقليد محض، وإنما بعد

(941) منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، ص: 8.
(942) نفسه، ص: 27.
(943) نفسه، ص: 27.
(944) الحلل السندسية، لشكيب أرسلان: 255/1.
(945) نفح الطيب، للمقري: 10/2، بغية الملتمس للضبي، ص: 511.

علم ومع هذا فقد كان لهم حتى ابن العربي -ميل وتأييد للمذاهب الأخرى(946).

وإذا كان رجال المدرسة الأندلسية قد بلغوا شأوا في الفقه وتمكنوا منه، واعتنوا به عناية كبيرة، فإن هذا ولاشك أدى م إلى عرض آراء المذاهب الفقهية الأخرى واستقصاء أقوال العلماء وبسط الأدلة وتوجيهها ومناقشتها والترجيح بينها. وعند استقراء هذه المباحث عند رجال المدرسة وموقفهم من آراء المذاهب الأخرى يظهر(947) أن لهم تأثيرا واضحا في انتشار ظاهرة المختصرات الفقهية؛ ذلك أ م اقتصروا على المؤلفات المحلية وفحصوها فحصا دقيقا، واهتموا ا اهتماما كبيرا؛ حيث أضحت المؤلفات الأندلسية أكثر تعرضا للاختصار من قبل علماء هذا القطر، وخير دليل على ذلك ما تعرضت له المدونة والموازية وغيرهما من الكتب الأندلسية التي اختصرت اختصارا واسعا فكان ذلك سببا واسعا لانتشار هذه الظاهرة في الأندلس.

واعتقد أن أسباب انتشار هذه الظاهرة في الأندلس هو المكانة المرموقة التي تحظى به المدونة سيما وأننا رأينا ما تعرضت له من اختصار هائل كان ذلك سببا مباشرا في اشتغال الفقهاء الأندلسيين بمنتوجا م المحلية، وأعطوا لذلك عناية فائقة استقطبت أنظار الفقهاء الأخرى، وكان لهذا الاختصار المزدهر في الأندلس أثر بالغ في الثقافة الأندلسية؛ حيث عرف اهتماما كبيرا من قبل الفقهاء والمختصين فأضحى الغرب الإسلامي قبلة لكل هواة الاختصار، ويشهد لهم التاريخ أن مختصرا م من أجل المختصرات، وقد أشاد عياض وغيره ذه المختصرات ويكفيهم فخرا أنه لم يكن أي قطر من الأقطار التي انتشر فيها المذهب المالكي يضاهيهم في المختصرات، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو أثر ذلك على النشاط الثقافي؟

الفرع الرابع:

التأثير المشرقي على المختصرات في المغرب وأثرها على الغرب الإسلامي

يعتبر التأثير المشرقي من أهم الأمور الأساسة التي صاحبت المختصرات المشرقية، علما أن جميع المختصرات أتت من الشرق وعلى رأسها مختصر ابن الحاجب الذي أدخل إلى المغرب في

(946) منهج مدرسة الأندلسية في التفسير، ص: 31.
(947) نفسه، ص: 32.

القرن السادس الهجري كما تذكر بعض المصادر التاريخية، يقول الأستاذ محمد المنوني -رحمه الله- في كتابه ورقات عن حضارة المرينيين: »وقد تميز عملهم في هذا العصر المريني الأول بتشبث غالبيتهم بالأصول الفقهية "المدونة الكبرى" و تهذيب البراذعي والرسالة القيروانية ومشتقات ذلك، بينما كان اعتماد المختصرات الجديدة لا يزال محدودا[948] وننتقل -الآن إلى النقطة التالية من ظاهرة التأثير المشرقي الثقافي في الفترة التي تعرفها، ويظهر ذلك من خلال المناهج التعليمية بعد ظهور بعض المؤلفات المختصرة التي بدأت ترد على المغرب من المشرق، وكانت هذه ذات منهاج خاص في تأليفها وتدريسها؛ حيث تعبيرا ا تضرب الرقم القياسي في الإيجاز إلى حد الغموض أحيانا.

وهذا يتطلب من المدرس أن يبذل جهدا في حل ألغازها قد يصل غموض هذه المختصرات إلى أن يصعب فهم بعض تعابيرها على المؤلف نفسه ومن هذا ما يرويه ناصر الدين المشذالي عن أستاذه ابن الحاجب في شأن مختصره الفقهي: »لما كنت مشتغلا بوضع كتابي هذا، كنت أجمع الأمهات، ثم أجمع الأمهات، ثُم أجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز... ثم أضعه في هذا الكتاب حتى كمل ثم إني أحتاج في فهم بعض ما وضعته فيه إلى فكر وتأمل ألغازها والاشتغال بالمناقشات اللفظية قبل الوصول إلى الموضوع المطروح[949].

وقد وصل إلى المغرب في هذا العصر -عصر المرينيين- مختصرا ابن الحاجب الاثنان: الفقهي والأصلي (أصول الفقه) وكان الذي أتى بهذا الأخير إلى فاس: هو أبو الربيع سليمان اللجائي فاضطلع بتدريسه وأخذه الناس عنه وهو من تلامذة القرافي ومن أساتذة المختصر الفقهي الحاجبي أبو الحسن علي الصياد وغيرها، وكان على قيد الحياة بعد عام (720هـ/1320م) وذكر الأستاذ المنوني أن ابن القاضي في كتابه درة الحجال قال:

»والغالب أن علي الصياد هذا هو المترجم عند ابن حجر في الدرر الكامنة: 3/80-81 باسم علي بن عتيق بن عبد الرحمن بن علي الفاسي المعروف بابن الصياد، كما استطرد ذكره

(948) ورقات عن حضارة المرينيين، للأستاذ محمد المنوني، ص: 293.
(949) جذوة الاقتباس للحميدي: 1/297.

الصفدي بمناسبة درس ألقاه في مدينة صفد سنة (ت.726هـ). وهكذا صار للمختصرين الجديدين شبه مدرسة بفاس وغيرها فتحظى بتأييد بعض الأساتذة والطلاب وفيهم عدد من فقهاء المصامدة. ومن نصراء الاختصار بمدينة مراكش عالمها أبو العباس أحمد ابن البناء الآتى الذكر، كأنه انتقد عليه مسلكه الإيجازي في أوضاعه كما تمت الإشارة إلى ذلك.

وهذا عالم ثان من مدينة مراكش عبد الحكيم بن علي بن عبد الملك المتوفى عام 723هـ/1323م، وقد جاء في ترجمته أنه كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين... ومن أساتذته ناصر الدين المشدالي(950) الذي أتى إلى المغرب بالمختصر الفقهي لابن الحاجب، وصار داعية لدراسته. غير أن أنصار المختصرات المتاخرة كانوا –في هذه الفترة- لا يزالون في مجموعة صغيرة بينما الأغلبية من الدارسين أساتذة وطلاب يتمسكون باستخدام المؤلفات البسيطة والمختصرات الواضحة. وبذلك فإن هذه الميزة الثانية لا تزال في مرحلة البداية مما يعد من حسنات هذا العصر وسيضمحل أثره من بعده(951).

تلك أهم الآثار البسيطة والفعالة التي أحدثتها المختصرات في المغرب، وهو أثر لم يجد بعد طريقة إلى غزو جميع المؤلفات المغربية، وذلك لأسباب أذكر منها: أن تأخير دخول المختصرات إلى الغرب الإسلامي وإلى المغرب بصفة خاصة، سبب مباشر جعل الأوساط الثقافية لا تقبل على هذه المختصرات المشرقية، فضلا عما يميزها من تعقيد وألغاز؛ فهم يقرأو ا قراءة جيدة، وخاصة مختصر ابن الحاجب الذي عرف إقبالا كبيرا منذ دخوله إلى المغرب. إلا أن الفقهاء لم يحاولوا أن يأتوا بمثله ولم ينسج أحد على منواله. وإذا كان الأمر كذلك في المغرب، فما هو أثر ذلك على الغرب الإسلامي؟

أعتقد أن الأمر يختلف كثيرا في الغرب الإسلامي؛ ذلك أنه منذ أن اختار علماء الأندلس وأمراؤها مذهب مالك وقدموه على غيره من المذاهب وحكامها ملتزمون بفقهه في القضاء والفتيا. غير أن الباحث في هذا الميدان يلاحظ خروج أئمة الأندلس عن مذهب مالك في بعض

(950) ورقات حضارة المرينيين، للأستاذ المنوني، ص: 246.
(951) نفسه، ص: 246.

المسائل الفقهية استقلالا وأخذهم برأي غيره من الأئمة المجتهدين من غير تلفيق ولا تتبع للرخص حتى أصبحت هذه المخالفات عرفا متبعا ببلاد الأندلس ودرج عليها علماء المغرب، وهي ما اصطلح على تسميتها بعمل أهل قرطبة، وفي هذا دليل على مدى تفتح فقهاء الأندلس على غيرهم من المذاهب وعدم الجمود في إطار المذهب ونبذ التعصب(952).

كما أن للمالكية تفصيلا في انتقال من مذهب إلى مذهب؛ فهم يميزون بين العامي وغيره، فمنعوا العامي من الخروج عن المذهب والعدول عن المشهور،وما رجحه شيوخ المذهب وعدوا ذلك من قلة الدين، ونقل ذلك الونشريسي عن الشيخ ابن أبي زيد وحجة الإسلام الغزالي والمازري، فقال: »ونص –أي المازري- على أن العدول عن المشهور وما رجحه شيوخ المذهب المالكي من ضعف العلم وقلة الدين، وهذا هو الحق والتحقيق، ومن سلك سبيلا غير ذلك في القضاء والفتيا فقد احتج هواه وسلك في بيانات الطريق؛ فالعمل بالراجح متعين عند كل عالم متمكن، وإذا اطلع المقلد على خلاف الراجح، ولا يفتى لغيره إلا لضرورة فادحة واستلزام مصلحة راجحة(953).

أما بالنسبة لغير العامي الذي يعتقد رجحان ما خالف فيه مذهبه، فهو جائز عندهم، وإلى هذا أشار الشيخ الورديغي عند تفصيله الكلام عن مسألة الانتقال من مذهب إلى آخر بقوله: »اعلم -أيدني الله وإياك- بروح منه أن الانتقال من مذهب إلى آخر جائز في سائر الأمصار وفيما تقدم من الأعصار، إلا فيما نقل في بعض الأقطار. وحكمه الجواز ولا قائل بمنعه إلا جاهل أو متعصب«(954).

وبرغم أهمية المدونة ومكانتها المتميزة بين أمهات كتب الفقه المالكي، باعتبارها نقلت عن أفقه الناس بمذهب مالك وأمنهم عليه، ورغم الثقة التي نالها ابن القاسم عند المغاربة حتى أصبح قول المدونة هو المشهور في اصطلاح المغاربة، فإن مالكية خرجوا عن مذهب المدونة واستقلوا عن

(952) البحر المحيط: 325/6.
(953) المعيار المعرب: 46/12.
(954) سعد الشموس والأقمار، ص: 259.

رأي ابن القاسم في عدة مسائل فقهية واختاروا أقوال غيره من كبار الأئمة المعتمـدة أقـوالهم، وأصبحت هذه المخالفات هي المعتبرة و ا جرى القضاء والفتيا بالأندلس.

ولأهميتها العلمية تتبعها العلماء بالجمع والإحصاء ودونوها في كتبهم، ويأتي أبـو الوليـد هشام بن هشام[955] في مقدمتهم؛ فقد جمع المسائل التي خالف فيها أهـل الأنـدلس رأي ابـن القاسم فأوصلها إلى ثمان عشرة مسألة، قال في المفيد بعدما ذكر المسائل التي خرج فيهـا فقهـاء الأندلس عن رأي الإمام مالك: »وخالفوا مذهب ابن القاسم في ثمان عشرة مسألة«[956].

من خلال ما سبق، يتضح أن الغرب الإسلامي لم يتأثر بالمختصرات المشرقية؛ ذلك أنه يعتبر مهد المختصرات الفقهية المالكية فلم يستعن هؤلاء بالمختصرات المشرقية فبقي القطر الأندلسي بمميزاته وخصوصياته وفقهاؤه غير آ ين بما ألف في المختصرات الفقهية في الأقطار الأخـرى. وأعتقـد أن اشتغالهم بالمختصرات المحلية حال دون الحيلولة على الاطلاع بما اختصره غيرهم.

إلى هنا تنتهي أجوبة أسئلة الفرع الرابع، وهذان سؤالان آخران يجيب الحديث عنهما الآتي، وهما: ما هو أثر ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي؟ وما هي بعض المؤلفات التي تعكـس هـذه الظاهرة؟ سؤالان سيعالجهما الباب الموالي.

الباب الثالث

أثر ظاهرة المختصرات في الفقه المالكي

دراسة بعض المختصرات نموذجا

توطئة

(955) هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي الغرناطي، كان إماما فقيها، تولى القضـاء والفتـوى ببلده، له مؤلفات، منها كتاب المفيد للحكام، الكتاب مازال مخطوطا بمكتبة عبد الله كنون، تـوفي سـنة 530هـ. (انظر الديباج: 348/2، شجرة النور ص: 132).

(956) المدرسة المالكية الأندلسية إلى اية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، ص: 306.

عرف الفقه المالكي تغيرات جذرية أحدثتها التطورات الثقافية التي عرفها المجتمع الإسـلامي في جميع النواحي، ويتصدر هذه التغيرات الجانب الثقافي الذي عرف توسعا كبيرا في جميع العلوم الإنسانية وعلى رأسها الفقه بصفة عامة، والفقه المالكي بصفة خاصة؛ حيث أسهمت إلى حد كـبير في إبـراز مجموعة من المؤلفات التي ظهرت في الفقه المالكي، وخاصة منها المختصرات الكثيرة التي أحدثت توسعا كبيرا في أفق تفكير الفقهاء، وشغلت الكثيرين منهم، محاولين إيجاد شرح أو تفكيك لغز أو رمز أو غير ذلك من الإشارات الكبيرة التي حلت بالمختصرات.

وأمام هذه الظاهرة انصرف اهتمام هذا التوجه الجديد في الفقه المالكي إلى إحداث أثر كبير في الفقه؛ حيث مر بقنوات كبيرة أفرز من خلالها بعض المختصرات التي استطاعت أن تنفلت من سهام النقاد ومن ثم فهي رائدة في ميدان الاختصار وعلى رأس هذه المختصرات مختصر ابـن أبي زيد القيرواني، و تهذيب المدونة للبراذعي، ومختصر ابن الحاجب، ومختصـر خليـل وغيرهـا مـن المختصرات التي أحدثت أثرا كبيرا في الميدان الفقهي؛ حيث استطاعت هذه المختصرات أن تصـوغ الفقه المالكي في صيغ جديدة بعيدة كل البعد عن التعقيدات، والتطويل والإقحام للعبـارات الـتي يستحيل فهم المقصود منها.

كما أن حجم المؤلفات وصعوبة فهم مرادها حال دون الوصول إلى الهـدف المنشـود في الفقه، وأمام هذه الوضعية برزت مختصرات مهمة أحدثت أثرا كبيرا أسهم في إثراء الحركة الفقهية إلى جانب المهتمين الذين انفتحوا واستغلوا هذه المختصرات؛ حيث انصب الاهتمام لدى الفقهاء والمهتمين بوضع شروحات وحواشي وزوائد وغيرها من الوسائل التي أنعشت الفقه وأكسبته حلة جديدة تتمثل في ظهور أصناف كبيرة من المؤلفات كلها تهدف إلى إثراء الحركة الفقهية في المجال الاختصاري، وخاصة في المنظومات الفقهية.

فقد ظهرت منظومات مختصرة بحيث إن جميع منظومات فقهائنا لا تخرج عن المذهب غالبا، وقلما تحكي الخلاف العالي في المسائل، وقد تحكي الخلاف داخل المذهب، وعمدة الجميع المـألوف من كتب الفقه المالكي كالرسالة وشروحها، وخلاصة خليل وشروحها. وسوف نتنـاول هـذه الظاهرة؛ نعني ظاهرة المختصرات في المنظومات الفقهية في هذا الباب.

كما ظل الفقه المالكي في مقدمة الاهتمامات ولاسيما بعد أن عرف عدة مختصرات جعلته يمر بمراحل من المختصرات جلها أحدثت أثرا كبيرا، وخاصة في المختصرات مما جعل الإقبال عليها يعرف تصاعدا كبيرا، وخاصة في المختصرات التي استطاعت أن تفرض وجودهـا في السـاحة الفقهية، نظرا لما لها من أهمية قصوى في الجانب الفقهي؛ حيث تعتبر برنامجا ملخصـا للمـذهب بصيغ مفهومة لا تستدعي التفكير الكبير في جل عبارته، مما حدا بالفقهاء للاهتمام ـا، وعلـى رأسها مختصر ابن أبي زيد، و ذيب المدونة للبراذعي، ومختصر ابن الحاجب، ومختصر خليل، وهي مختصرات سنتناولها بشيء من التفصيل في حينه.

وهنا نتساءل: ما هو أثر هذه المختصرات على الفقه المالكي؟ ثم إلى أي حد أسهمت هذه المختصرات في لفت الأنظار إليها؟ ثم ما هي عناية الفقهاء ذه المختصرات؟ وأخـيرا مـا هـي الانتقادات التي وجهت لهذه المختصرات؟

تلك أسئلة سيعالجها هذا الباب من خلال أربعة فصول:

الفصل الأول: ظهور تعقيدات في الفقه المالكي.

الفصل الثاني: دراسة بعض المختصرات والتعريف بأصحا ا.

الفصل الثالث: التحولات الفقهية في المختصرات الفقهية المالكية.

الفصل الرابع: أثر التحولات في المختصرات المالكية.

وتحت كل فصل من هذه الفصول مباحث، وفي ضمنها هذه عدة فروع.

الفصل الأول

ظهور تعقيدات في الفقه المالكي

تمهيد

يعتبر المذهب المالكي من أهم المذاهب الفقهية، وأوسعها انتشارا، وأكبرها فروعا. غـير أن بعض التعقيدات دخلت عليه بسبب بعض الفقهاء المتأخرين الذين أسهموا إلى حد كبير في تعقيد عدد كبير من فروعه مما شكل عرقلة في طريق من أراد أن يتعمق في فروعه وأصـوله، وخاصـة أولئك الذين لم يتزودوا بما يكفيهم من المعلومات الأساسة في فهم هذه الفـروع وتحليلـها ممـا جعلهم يبحثون عن البديل، وهذا البديل سوف يظهر جليا فيما بعد عن طريق ظهور منظومـات فقهية مختصرة تلت المختصرات الفقهية التي ظهرت في وقت مبكر، ولذا فـالأهم أن نعـرف أن الفقه المالكي عندما دخل طور التعقيدات في الفروع، عرف تحولا كبيرا في تحريـك عجلتـه إلى الأمام.

غير أن الوسائل التي وظفت في هذا الجانب لم تكن فعالة إلى حد ما، بل أدت إلى ظهـور تعقيدات أكبر بكثير مما كانت عليه الوضعية في الفقه المالكي، وهو ما يدعو إلى طـرح الأسـئلة الآتية:

إلى أي حد عرف الفقه المالكي جمودا في فروعه؟ ثم ما هي التعقيدات الـتي ظهـرت في الهوامش والحواشي؟ ثم إلى أي حد أسهم ظهور المنظومات الفقهية المختصرة في حل تعقيـدات الفقه المالكي؟ وأخيرا ما هو أثر هذه المنظومات الفقهية المختصرة على الفقه المالكي؟

تلك أسئلة ستجيب عنها المباحث اللاحقة.

المبحث الأول

التعقيدات في كتب الفروع

الفرع الأول: الجمود في كتب الفروع

قد عاب كثير من العلماء هذا الجمود في الفقه على أصحابه وشنعوا عليهم أيما تشنيع، يقول أبو سليمان الخطابي في معالم السنن (ت.388هـ): »رأيت أهل العلم قد انقسموا إلى فرقتين: أصحاب الحديث وأصحاب الفقه، وكل فرقة محتاجة إلى ما عند الأخرى وعلى ما بينهما من التداني؛ فهما متصارمتان، فأهل الأثر وعمدهم الرواية لا يتفهمون المعاني ولا يستخرجون ركازها، ويتهمون الفقهاء بمخالفة السنن، ولا يعلمون أنهم قاصرون عن مبلغ العلم بالسنن وآثمون بسوء القال، وأهل الفقه أكثرهم لا يعرجون إلا على أقل القليل من الحديث ولا يكادون يميزون سقيمه من صحيحه ولا يعبأون أن يحتجوا بالسقيم إذا وافق آراءهم، وقد اصطلحوا على قبول الضعيف والمنقطع إذا اشتهر عندهم من غير تثبت فيه[(957)]، فكان ذلك ضلة في الرأي وغبنا فيه ولو حكى عنهم عن أئمة مذاهبهم قول لتتبثوا فنجد أصحاب مالك لا يعتمدون إلا على رواية ابن القاسم وأشهب وأضرا بهما، ورواية غيرهما لا طائلة تحتها«[(958)].

وقال الدكتور حسن العبادي نقلا عن ابن عبد البر: »واعلم -رحمك الله- أن العلم في زمننا، أي القرن الخامس الهجري هذا وفي بلدنا هذا، قد حاد أهله عن طريق سلفهم؛ فطائفة تروي الحديث وتسمعه قد رضيت بالدؤوب في جمع ما لا تفهم، فجمعوا الغث والسمين، والحق والكذب في كتاب واحد، وربما في ورقة واحدة قد شغلوا أنفسهم بالاستكثار عن التدبر والاعتبار غاية أحدهم معرفة الكتب الغريبة والاسم الغريب والحديث المنكر. وطائفة أخرى هي

(957) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: معتصم البشير، تحت إشراف الدكتور الحسن العبادي، كلية الشريعة، أكادير، ص: 60.
(958) نفسه، ص: 61.

في الجهل كتلك أو أشد، لم يعنوا بحفظ سنة ولا الوقوف على معانيها، ولا بأصل من القرآن، ولا اعتنوا بكتاب الله فحفظوا ت يله، ولا عرفوا ما للعلماء في تأويله، ولا وقفوا على أحكامـه، ولا تفقهوا في حلاله وحرامه، قد طرحوا علم السنن والآثار وضربوا عنها فلم يعرفوا الإجمـاع مـن الاختلاف إلى كلام كثير قيم في ذم التقليد والجمود«(959).

وقد حاول الأمير العلوي الفقيه الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله استصـلاح هـذا الوضع الذي يزري بالفقه الإسلامي، والعودة بالناس إلى الأصول، فقها وعملا وأخلاقا، ولكـن العادة إذا استحكمت وضربت بجذورها في النفوس كان كل جهـاد لاقتلاعهـا ضـربا مـن المستحيل(960) كما سبقت الإشارة إليه في هذا البحث.

يقول أبو علي سند بن عنان في شرحه على مدونة سحنون المعروفة بالأم -بعد الكلام علي وجوب أخذ الأحكام من الأصول الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس- ما نصه: »وأمـا الاقتصار على محض التقليد فلا يرضى به رجل رشيد، ولسنا نقول إنه حرام على كل فرد، بـل نوجب معرفة الدليل وأقاويل الرجال، ونوجب على العامي تقليد العالم، وإنما نقول نفس المقلـد ليس على بصيرة ولا يتصف من العلم بحقيقة أنه ليس التقليد بطريق إلى العلم بوفاق أهل الآفاق«.

ومعلوم أن العلم هو معرفة العلوم على ما هي عليها، ونقول للمقلد إذا اختلفت الأقاويـل من أين تعلم صحة قول من قلدته دون غيره أو صحة قولة على قولة أخرى، ولا يبدي كلاما في قول إلا انعكس عليه في نقيضه ولاسيما إذا عرض له على قولة أخرى لإمام مذهبه الذي قلـده، وقولة تخالفها لبعض أئمة أصحابه وتتبع الكليات، ولا يبقى له محصول قال: أما التقليد فهو قبول قول الغير بلا حجة، فمن أين يحصل به علم وهو في نفسه بدعة محدثة«(961).

يقول ابن العربي في هذا الصدد: »وتعاطت المبتدعة منصب الفقهاء، وتعلقت أطماع الجهال به فنالوه بفساد الزمان ونفوذ، وعلا فيه نبي الله الصادق صلى الله عليه وسلم: »اتخذ الناس رؤساء

(959) الملك المصلح للدكتور الحسن العبادي، ص: 38.
(960) نفسه، ص: 40.
(961) دليل السالك إلى موطإ الإمام مالك للشنقيطي، ص: 158.

جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[962]، وبقيت الحال هكذا فماتت العلوم إلا عند آحاد الناس، واستمرت القرون على موت العلم وظهور الجهل، وذلك بقدرة الله وجعل الخلف يتبع السلف، حتى آلت الحال ألا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه«[963].

وهكذا عرف الفقه المالكي جمودا في الفروع أسهم في تقهقره، ولو لفترة وجيزة، مما انعكس سلبا على وضعيته العامة.

الفرع الثاني: التعقيد في الهوامش والحواشي

مما لا شك فيه أن الفقه المالكي كان قائما على الأصول المعتبرة كالموطإ وما إليه من المؤلفات القديمة التي كانت تستمد من الكتاب والسنة وما إليها من الأصول المعتبرة عند العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، غير أنه لما كثرت فيه الأقاويل: »في المسألة سبعون صورة أو أكثر أو أقل فتحترق دماغك في استخراجها«، وأصبح الدليل هو: قال في المسألة فلان كذا، وقال فيها فلان كذا. وهكذا دخله الاختصار المخل، أو التطويل الممل بسرد الأقاويل وتعديد الصور، وكثر فيه التأليف، وأخذت صيحات العلماء تدوي في كل جهة محذرين عما ستؤول إليه أوضاع الفقه. وأول من أطلق التحذير المذكور محمد[964] بن إبراهيم العبدري التلمساني نزيل فاس ودفينها (ت.757هـ)؛ حيث قال: »إنما أفسد العلم كثرة التواليف وإنما أذهبه بنيان المدارس؛ ذلك أن التأليف نسخ الرحلة، والبناء يجذب الطلبة إلى ما يترتب فيه من الحريات«[965].

وكما أفسد الفقه بصفة عامة الاشتغال بالفروع وترك الأصول، وأفسده أيضا التعصب للمذهب، فضلا عن الجدل بين علماء المذاهب، لا بقصد إظهار الحق ثم اتباعه، بل للاستطالة

(962) الحديث: »إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى لم يبق عالما اتخذ الناس...«. رواه عبد الله بن عمرو بن العاص. وأخرجه البخاري: 174/1، ومسلم رقم الحديث: 2673، والترمذي رقم الحديث: 2652، وغيرهم، وقد جمع طرق هذا الحديث الإمام الطوسي. (انظر مفتاح السنة لمحمد بن عبد العزيز الخذلي، ص: 31).

(963) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: البشير معتصم، ص: 63.

(964) انظر ترجمته في شجرة النور، ص: 221.

(965) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: البشير معتصم، ص: 64.

والحظوة عند الحكام وقد بسط حالهم الغزالي (ت.505هـ) في الإحياء وبين فيه آفة الجدل والمناظرة[966].

وقال الأوزاعي (ت.157هـ): إذا أراد الله بقوم سوءا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وعن الجدل نشأ علم الخلافيات. وقد بين أيضا الغزالي آفاته والرزايا التي تنشأ عن الانشغال به[967].

إلى جانب ما ذكر فقد عرف الفقه المالكي آفات أخرى تمثلت في الانشغال بالطرر والحواشي حتى قيل: »من اشتغل بالحواشي ما حوى شيئا«، وترك النظر والاجتهاد والاكتفاء بالتقليد، وقد أطلق هذه الصيحة الفقيه القيرواني سعيد بن الحداد (ت.330هـ)؛ حيث قال إن الذي أدخل كثيرا من الناس في التقليد نقص العقول ودناءة الهمم، ثم ازداد القصور فاقتصروا على النقل عمن تقدم فقط، وانصرفت هممهم لشرح كتب المتقدمين وتفهمها. وأفسد الفقه بل العلوم كلها؛ إذ صاروا قراء كتب لا محصلي علوم، ثم في الأخير قصروا عن الشروح واقتصروا على التحشية والقشور[968].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الخلل في الفقه المالكي كان بظهور مختصر خليل، لكن جل الباحثين الموضوعيين والمنصفين للحق يرون أن الخلل الذي أصاب الفقه المالكي كان قديما؛ فقد قال الشاطبي وابن خلدون إن ابن شاس وابن بشر وابن الحاجب أفسدوا الفقه، أي بالاختصار والتعمية والجمود، فأتى خليل فأجهز عليه، لكن في الحقيقة أن الذي أجهز عليه هم الذين جعلوا خلاصة خليل ديوان دراسة للمبتدئين والمتوسطين وهو لا يصلح ولم يقل جعلته لتعليم المبتدئين فلا لوم عليه[969].

وكانت المدونة قبل هذا التاريخ تحتل الصدارة في حلقات التدريس من غير منافس، سوى الواضحة والعتبية في الأندلس حتى جاء التهذيب، وهذا اختصار للمدونة، وفيه ضيق العبارة وتعقيد الأسلوب، وفصلت فيه المسائل عن أدلتها... وبقيت المدونة مصدرا احتياطيا، حتى جاء

(966) الفكر السامي: 524/2، بتصرف.
(967) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: البشير معتصم، ص: 65.
(968) الفكر السامي: 286/4، بتصرف.
(969) الفكر السامي: 189/4، بتصرف.

مختصر ابن الحاجب فزحزحه عن أريكته وحل محله في حلقات الدرس، وما هي في الحقيقـة إلا اختصار للتهذيب، وتناوله كثير بالشرح والتوضيح.

وهكذا يظهر جليا زحف المختصرات على الأخضر واليابس، وأحدثت بذلك أثرا بالغا في تعقيد الهوامش والحواشي، يقول الحجوي في هذا الصدد: »زادت العقول فترة الهمـم ركـودا وتخدرت الأفكار بشدة الاختصار، والإكثار من الفروع والصور النادرة، وبـالغ في الاختصـار بعضهم كخليل حتى عد كتابه من الألغاز...« (970).

وقد أدى هذا التعقيد والجمود إلى تصنيف الفقه المالكي إلى ثلاثة أنواع:

الأول: فقه المالكية الأصلي المذكور في الموطإ والمدونة.

الثاني: فقه العمليات، وهو ما حكم به القضاة مقلدين لقول ضعيف ومخـالفين للـراجح والمشهور لأمر اقتضاه.

الثالث: فقه الأوامر المولوية والظهائر السلطانية والمدونات، وهو ما سبب في ا ام واضـح صدر من بعض الفقهاء أن الفقه المالكي عرف بالجمود على الأقاويل ا ردة، لكن ذلك ليس على عمومه؛ فقد ض كثير من الفحول قديما وحديثا للرجوع بأقوال فقهاء المالكية إلى أصولها.

فهذا سحنون وثق مسائل المدونة، وفعل مثله أبو بكر الأ ري بالرسالة في كتابه "مسـلك الدلالة في مسند الرسالة" وعلى جها سار كثير من فطاحل العلماء كابن عبد البر وأبي الوليـد الباجي وابن العربي وأبي الحسن الطليطلي والإمام المازري والشيخ أبي جعفر بـن رزق القـرطبي وتلميذه ابن رشد وأمثالهم ربطوا حاضر الفقه الإسلامي بماضيه الزاهر(971) إلى غير ذلـك مـن الأطروحات التي تنفي أن يكون الفقه المالكي قد عرف جمودا واضحا، بل عـرف مختصـرات شغلت الفقهاء وفجروا في ذلك طاقتهم وقريحتهم متجندين لسرد أقوال الفقهاء في المسألة؛ بحيث نجد في بعض المنظومات المختصرة قولا واحدا، مما جعل المؤيدين لها يفضلو ا على غيرها.

وعن هذه المنظومات وأثرها في الفقه المالكي سيتحدث الفرع الموالي.

(970) نفسه: 457/4، بتصرف.

(971) المنظومات الفقهية، ص: 68.

الفرع الثالث: انتشار نظم الفروع تسهيلا لحفظها

يعتبر النظم في الفقه المالكي من المسائل التي جنح إليها الفقهاء في عصور متأخرة، وخاصة لما قصرت همم أهل العلم والمتعلمين عن استيعاب المطولات، ووقع الميل إلى هذه الملخصـات أو الخلاصات لأمر أراده الله، لجأ العلماء إلى نظم هذه الخلاصات تيسيرا لحفظها وضبطا لمسـائلها. ومن المعلوم أن النظم في جميع العلوم لم يدفع إليه، إلا أنه أيسر حفظا وأسهل استحضارا. قـال النابغة الشنقيطي في هذا الصدد:

وإنمـــا رغبــــت في النظــــام ... لأنـــه أحظـــى لـــدى المـــرام

وهو الذي تصغي لـه العقـول ... وسبق مـن حصـله مسـلول

ويقول أبو زيد عبد الرحمن التونسي المتوفى سنة 712هـ:

واطلب علـى مسـائل الفقيـه ... ابـن جماعـة الرضـى النبيـه

فإنـــه بـــذل فيهـــا جهـــدا ... ونصـــح الأمـــة فيـــه قصـــدا

ثم اســتخرت الله في النظـــام ... لأنـــه ســـهل علـــى الأنـــام

وإنما يحسن المنظوم إذا استوعب معاني المنثور ولم يخل بالمقصود، أما إذا اشـتد الاختصـار والإدغام واضطرت القافية الناظم إلى الحذف أو الاختزال أو الأخذ بالرأي الضـعيف، مسـايرة للوزن واستسلاما للقافية، فهو جناية على الفقه الإسلامي.

قال أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغتي:

فالاختصار كان صعب الفهـم ... على العقـول سـيما بـالنظم

وقد راج نظم العلوم في العصور المتأخرة في كل فن، في الحديث والقرآن والفقه والتفسـير وغيرها[972].

ولقد عرف الفقه بصفة عامة هذه المنظومات الفقهية المختصرة، وأول من نظم في الفقـه الحنفي هو نظم الجامع الصغير في فقه الحنفية لأبي حفص عمر بن محمـد النسـفي[973]، مفـتي

(972) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: البشير معتصم، ص: 70.

(973) انظر ترجمته في الفكر السامي: 180/2.

النقليين وأحد الأئمة المشهورين (ت.537هـ). وهذا الكتاب المنظوم هو لمحمد بـن الحسـن الشيباني (ت.189هـ) أحد تلامذة أبي حنيفة النا ين المشهورين، وكتبه معتمدة عند الآحناف. وأما في المذهب الشيعي الإسماعيلي فلعل قصيدة فقهية مشهورة تسمى "المنتخبة" تأتي في مقدمـة الفقه الشيعي في النظم الفقهية للقاضي أبي حنيفـة النعمـان بـن محمـد المغـربي الفـاطمي (ت.351هـ) [974].

أما في المذهب الشافعي فهناك نظم غير قليلة، أهمها منطومة من بحر الرجـز للشـيخ أبي العباس أحمد بن رسلان سماها "صفوة الزبد" شرحها العلامة أحمد بن حجازي الفشني في كتـاب سماه "مواهب الصمد في حل ألفاظ الصمد" والمنظومة تحتوي على ألف بيت وتستوعب أبـواب الفقه، كلها من عبادات ومعاملات وأنكحة وجنايات[975]، وغير ذلك.

أما المذهب الحنبلي فإن المنطومة الفقهية المختصرة فيه قليلة لا داعي للخوض فيها، كمـا تجدر الإشارة إلى أن العلوم الأخرى لم تسلم من هذه المنطومات المختصرة كالتفسير والصـرف والنحو وغيرها. وهذه المنطومات بدورها شغلت الفقهاء والباحثين والمهتمين بصفة عامة بالعمل على فك رموزها، وقد وصفها بعضهم بوباء آخر يمخر جسم الفقه، فضلا عن ظاهرة المختصرات الفقهية، في حين يرى بعضهم الآخر أن هذه المنظومات المختصرة أسهمت إلى حد كبير في إثراء الفقه بصفة عامة، والفقه المالكي بصفة خاصة.

(974) المنظومات الفقهية، ص: 71.
(975) نفسه، ص: 71.

المبحث الثاني

المنظومات الفقهية المختصرة في الفقه المالكي

تمهيد

بقي الفقه المالكي منذ دخل المغرب قويا عصيا لقي الأعاصير حين كان قائما على الأصول المعتبرة في المذهب كالموطإ وما إليه من المؤلفات القديمة التي كانت تستمد من الكتاب والسنة وما إليها من الأصول المعتبرة عند العلماء في مشارق الأرض ومغار ا.

ولما كثرت الأقاويل ودخل الاختصار المخل، أو التطويل الممل بسرد الأقاويـل وتعديـد الصور، واشتغل الفقهاء بالطرر والحواشي، وترك النظر والاجتهاد والاكتفاء. بالتقليد كما تمـت الإشارة إلى ذلك.

إلى جانب ما ذكر فقد قصرت الهمم وانتشر نظم الفروع تسهيلا لحفظها، وقصرت همـم أهل العلم والمتعلمين عن استيعاب المطولات، ووقع الميل إلى هذه الملخصات أو الخلاصات لأمـر أراده الله، لجأ العلماء إلى نظم هذه الخلاصات تيسيرا لحفظها وضبطا لمسائلها. ومن المعلـوم أن النظم في جميع العلوم لم يدفع إليه، إلا أنه أيسر حفظا وأسهل استحضارا[976].

وسأذكر في هذا الفصل بعض المنظومات الفقهية المختصرة، مع العلم أن هذه المنظومـات الفقهية المختصرة لم تظهر بوادرها إلا في القرن السابع الهجري عكس ما ذهب إليه بعضهم، الذي رأى أ ا ظهرت قبل ذلك بشيء قليل، لكن الصحيح -حسب ما ذهب إليـه جـل الفقهـاء والباحثين- أن هذه الظاهرة، المختصرات في المنظومات الفقهية بدأت في القرن السابع الهجـري وتفجرت ينابيعها في القرون الموالية، يعني القرن التاسع والعاشر وما بعدهما، وهو طرح لـه مـا يعززه بالنظر إلى الإطار الزماني الذي ظهرت فيها هذه المنظومات المختصرة، وهي علـى سـبيل

(976) المنظومات الفقهية، مرجع سابق، ص: 69.

الذكر لا الحصر:

تحفة ابن عاصم- منظومـة العمـل المطلـق لمحمـد بـن أبي القاسـم السجلماسـي (ت.1241هـ- نظم مقدمة ابن رشد- منظومة العمل الفاسي لأبي زيد عبد الرحمن الفاسـي (ت.1096هـ)- منظومة ابن عاشر بن مالك عبد الواحد بن أحمد بن عاشر (ت.104هـ)- رجزية اليوسي أبي علي نور الدين الحسن بن مسعود (ت.1111هـ).

إلى غيرها من المنظومات المختصرة في الفقه المالكي، وهي كلها ظهرت في وقـت كـان الجسم الفقهي تنخره ظاهرة المختصرات، فبرزت هذه الظاهرة باعتبارها وباء ثانيا يمخر بدوره ما تبقى في الجسم الفقهي حسب ما يراه بعضهم. ولن أطيل الحديث في هذا الموضوع، لأن الإطـار المكاني والزماني للبحث لا يسمح بذلك، غير أن حتمية التنبيه على هذه الظاهرة التي ظهرت منذ القرن السابع تقتضي أن لا نغفل هذا الجانب ولو بإشارة سريعة.

لذا، لن نتحدث عن جل المنظومات المذكورة إلا بقدر ما تدعو إليه الضرورة قصد تنـوير البحث.

الفرع الأول:

أصناف المنظومات الموضوعة في الفقه المالكي خلال القرن السابع وما بعده

1-تحفة ابن عاصم في القضاء ومسائل الشهادات والضمان والوكالة ومـا يتعلـق بـها، والصلح وما يتعلق به، والنكاح، والطلاق، والكراء، والجوائح، إلى غير ما ذكره الناظم في أبياته، وهي رجزية تقع في ألف وسبعمائة إلا بيتا (1699).

أمثلة، منها:

1-في باب القضاء:

منفـذ بالشـرع للأحكـام — لـه نيابـة عـن الإمـام
واستحسنت في حقـه الجزالـةْ — وشـرطه التكليـف والعدالـةْ
ويستحب العلم فيـه والـورع — مع كونه الأصول للفقـه جمـع

2-في باب الشهود:

وشـاهد صـفته المرعيـه | عدالـة تـيقظ حريـةْ
والعدل مـن يجتنـب الكبـائرا | ويتقـي في الغالـب الصـغائرا
ومـا أبـيح وهـو في العيـان | يقـدح في مـروءة الإنسـان

3-باب النكاح:

وباعتبـار النـاكح النكـاح | واجب أو منـدوب أو مبـاح
والمهـر والصـيغة والزوجـان | ثم الـولي جملـة الأركـان
وفي الدخول الحـتم للإشـهاد | وهـو مكمـل للانعقـاد

وهكذا يستمر الشيخ العلامة في نظم أبواب وفصول تحفته نظما سلسا وافيـا بالمقاصـد والأغراض، شرحت هذه المنظومة عدة شروحات؛ فقد شرحها ابن الناظم، وشـرحها التسـولي واختصرها في نظم رجزي.

المنظومة المتوسطية- نظم مقدمة ابن رشد، وهو نظم يشمل على سبعمائة وعشـرين بيتـا (720) بيتا من بحر الرجز، استوعب العبادات كلها من أيمان وشرائطه وطهارة وما ا تكـون، وغسل، وما يتعلق به، وصلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وختم بأحكام الذكاة، وهذا النظم السهل أربى على نظم ابن عاشر عددا، وفوائد وتفصيلات، ولا تخلو بعض أبياته من سوء الوزن وهـو لعبد الرحمن الرفعي(977).

يقول في مقدمة هذا النظم المختصر:

ومطلق المـاء معـا يـا قـاري | وهو الطهور راكـد أوجـاري
وقلـل المـاء، وخلـل اليـدين | ويشمل المنـدوب سـنة بـدين
والماء مـا زاد علـى الكفايـة | فبدعـة بـادت بـه الروايـة
والماء ما مـات مـن الخشـاش | فيـه كعقـرب وكالفـراش

(977) أبو زيد عبد الرحمن السنوسي الرفعي نسبة إلى رفعة قرية من قرى فاس، كان حيا سنة 853هـ. (فهرس خزانة القرويين: 319/1).

لا يكـره الوضـوء قـبل بـه   وما عليل حرج في شـربه[978]

إلى آخر ما أورده الناظم في هذا النظم المختصر، ومن هنا تجـدر الإشـارة إلى أن هـذه المنظومات الفقهية المختصرة متأخرة، غير أن بركان هذه المنظومات لم تتفجر مياهه العذبة إلا في القرون الموالية للقرن السابع.

كما تجب الإشارة إلى أن هذه المنظومة الفقهية لم تخل بدورها من الألغاز الفقهية وإن كان بعض العلماء يرى أن الاشتغال ا غير مفيد، لكن يرى آخرون أ ا تصقل الأفكار وتدرب على حل المحصلات وفك العقد[979].

كما أن هناك منظومات فقهية سوسية تفوق الآلاف المؤلفة لعل المقام لا يتسع لـذكرها، وقد أسهم هؤلاء الفقهاء المحليون في حل عدد كبير من المسائل الواقعة في مجـتمعهم المحلـي، إلى درجة أ م صنفوا بلهجا م المحلية وشرحوا الشيخ خليل بما يفيد لهجات السكان المحلية.

والشيء نفسه يذكر في عدد كبير من المنظومات الصحراوية الـتي واكبـت الأحـداث، ونظمت مجموعة من القوافي في الفقه المالكي، غير أن ا ال لا يتسع لبسط هذه المنظومات الفقهية المختصرة لطولها، وفضلت أن أعطي نظرة موجزة عن هذه المنظومات وهو ما يتضـمنه الفـرع الموالي.

إذاً، ما هي مميزات هذه المنظومات المختصرة؟ وإلى أي حد أسهمت هذه المنظومـات في الفقه المالكي؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفرع الموالي.

الفرع الثاني: مميزات هذه المنظومات الفقهية المختصرة

إن مميزات هذه المنظومات الفقهية يغلب عليها من الناحية الشكلية الطابع الرجزي غالبـا، فجلها من هذا البحر، وقد قيل: "الرجز حمار الشعراء"، ولعل سهولته ويسره وسرعة حفظ مـا جاء على وزنه هو الذي دفع الفقهاء النظام إلى ركوبه وإيثاره على ما سواه. فضلا عن أن جميـع

(978) المنظومات الفقهية المختصرة، ص: 82.
(979) نفسه، ص: 275.

منظومات فقهائنا لا تخرج عن المذهب غالبا(980).

إلى جانب هذا، فقد عرفت اللغة في هذه المنظومات تعثرات وأخطاء؛ بحيث تغيرت لغـة الفقهاء في منظوما م كلغة أهل الحديث ليست سليمة دائما، بل قد تتخللها أخطاء شتى لغة ونحوا وتصريفا، مثال ذلك، مخرق الثوب –بتخفيف الراء- وإنما هو بتثقيلها، والنافسة وإنما هي النفساء، والتحميم وإنما هو الاستحمام، والتحميم بدل الغسل، أو ما أشبهه، والدعوى بـدل الـدعاء، والرباط بدل الربط الذي هو جمع، ومنهم من لا يرى بأسا في استعمال الكلمات العامية.

ولعل مما يشفع لهم أن الغاية هي تقرير الأحكام الشرعية وتيسير إيصالها إلى عامة المسلمين مما يلزم معه ألا تكون اللغة رقيقة الحواشي ولا منقحة مهذبة دائما، وقد استدرك الناس أو النقاد على فحول الشعراء، فكيف بمن دو م ومن ليست مهنته القريض وإنما يتكلفه.

غير أن هذه المنظومات الفقهية المختصرة تعتبر توثيقا لعلم المتقدمين وإحيـاء لكنـوز(981) مصنفا م التي أصبحت اليوم لا ينفض عليها الغبار إلا المتخصصون، وهم قليل.

إذن هذه المنظومات لو لم يكن من فضلها إلا أ ا تحفظ لنا ذلك التراث الفقهي، وتوثق ما في بطون تلك المصنفات لكفاها شرفا وفخرا، وإن كان بعض النظام يوغل في الإيجاز والاختصار إلى درجة أنه يتعذر فهم منظومته والإلمام بفقهها إلا إذا رجعت إلى الأصول التي اعتمدها النـاظم واغترف منها، ولكن هذا قليل أيضا؛إذ الغالب على هذه المنظومات يسر المعنى وسـهولة إدراك مقصود الناظم، ولعل من حسنات بعض نظامنا أ م يحيلون على المراجع التي استقوا منـها فقـه منظوما م، بل يسمون أحيانا الفقهاء الذين رجحوا القول أو الأقوال التي ذكروها في منظوما م وقد يبلغ بعضهم ا د الفقهي وسعة الاطلاع وكسر طوق التقليد والجمود إلى درجة الاعتمـاد على صحاح الآثار، وترك أقوال الفقهاء جانبا، وقد يتسع الإدراك ويعظم الاطلاع، فيذكر الناظم درجة الدليل المعتبر، ولكن هذا نادر أيضا، فالسمة الغالبة على الجميع الاعتماد على أقوال الفقهاء

(980) المنظومات الفقهية، رسالة دبلوم الدراسات العليا، إعداد: البشير معتصم، ص: 276.
(981) نفسه، ص: 277.

وحكاياتها من غير ترجيح ولا تعديل[982].

إلى جانب هذه المواصفات فقد لعبت هذه المنظومات دورا أساسا في خدمة الفقه المالكي؛ حيث قررت المقصود وبسطت أقوال الفقهاء بأسلوب مختصر مبسط قافيته حملت كثيرا من الراجح في المذهب المالكي.

وقد أسهمت هذه المنظومات في وضع تصور فقهي سهل حفظها على المهتمين بواسطة هذه المنظومات المختصرة؛ حيث لم يترك أصحابها بدعة في الدين ولا ضلالة في العقيدة أو في العبادة أو في العمل أو السلوك إلا سددوا إليها سهاما قاتلة، وأعلنوا الحرب عليها لا يبالون بموجبها كائنا من كان، عالما أو جاهلا، أميرا أو حقيرا، أعلنوا الحرب على ضلالة الاحتكام إلى الأعراف والعادات، وترك شرع الله وسنة رسوله عليه السلام، وشنعوا على أمراء السوء أيما تشنيع على علماء السوء الذين همهم جمع حطام الدنيا ومسايرة من يتحصل لهم ذلك منهم في أهوائهم وضلالهم[983].

الفرع الثالث: أثر هذه المنظومات على الفقه المالكي

مما لا شك فيه أن هذه المنظومات أحدثت أثرا كبيرا في الفقه المالكي؛ حيث يصعب أحيانا في تلمس أثر هذه المنظومات في الفقه المالكي، وخاصة إن هذه المنظومات المذكورة تختلف اختلافا كبيرا فيما بينها، وتمتاز كل منظومة بخصوصية المنطقة التي تنتمي إليها؛ فمثلا منظومات الجهة الشمالية تمتاز بعدم الشمول والاستيعاب وطوالها، إما في القضاء وشؤونه، وإما فيما جرت به الأعمال، فيكون فيها إقرار ما جرت به الأعمال والأعراف، فقد غلب الناس على أمرهم، وشاعت فيهم بدع عجزوا عن تغييرها، كما تمتاز هذه المنظومات بقلة الاجتهاد والاستقلال بالرأي، والاغتراف من كتب الحديث، وعدم الإحالة على المراجع وحكاية الأقوال من غير ترجيح[984].

(982) المنظومات الفقهية في المذهب المالكي، ص: 279.

(983) نفسه، ص: 278.

(984) المنظومات الفقهية في المذهب المالكي، ص: 280.

كما ظهرت منظومات أخرى تسمى المنظومات الصحراوية، فلا يميزها إلا أ ا تكثر فيهـا المنظومات المستوعبة لجميع أبواب الفقه، ولعل السبب أن القوم عرب أقحاح ورثوا عن أصـولهم القدرة الفائقة على القريض، ومع ذلك فلا تخلو من ألفاظ عامية أو حسانية، وقد تجدها أخطاء لا تحتملها اللغة ولا النحو ولا التصريف، وخاصة عند المتأخرين... (985).

إلى جانب هذا، هناك منظومات سوسية تنقسم إلى قسمين: صنف بالسوسـية، وصـنف بالعربية، وأهم ما يميز هذه المنظومات: قلة الاستيعاب، وأهم منظومات هذه الفئة نظـم خليـل للطاهر الإفراني،ونظم الجشتيمي لما ليس في المختصر ولا في فقه ابن عاصم، ونظم الإكـراري في الفوائد المختلفة، ونظم سيدي محمد أمسعود المعذري في الفوائد أيضا، ومـا نظـم في المـواعظ والزواجـر وهو كثير، وكله في غاية الأهمية.

هذا وإن النظم في الفوائد لهو من أجل ما نظمـه الناظمـون، لأنه يوقفك على ذخـائر فقهية قد لا تجدها في المطولات، وعلى مسائل دقيقـة في الفقه قـد لا يهـتم ـا النـاظمون المرغوبون الذين يحرصون على حكاية الراجح، أو ما به الفتوى، أو جرت به الأعمال واقتضـته مقتضيات أخرى في المذهب(986).

إلى غير ذلك من المسائل الأساسة التي أثار ا هذه المنظومات، لذا فلابد من الإشارة إلى أن الأثر الكبير الذي أحدثته هذه المنظومات في الفقه المالكي، وخاصة في بداية القرن السابع؛ حيث ظهرت هذه المنظومات بأسلوب مختصر وأقوال راجحة لا تخوض في الأقوال الفقهية، بل تسـعى إلى الاستشهاد بقول واحد راجح في النظم، مما فتح أمام المشتغلين بالفقه بعدم الخوض على تحقيق آراء فقهية في المسألة وهو ما حملته هذه المنظومات الفقهية؛ حيث تكتفي بإيراد قول واحـد في الفقه وهو ما انضاف إلى محنة أخرى لدى الفقهاء؛ حيث مازال الفقهاء يبحثون عن إيجاد حـل لمشكل المختصر.

فإذا بظاهرة المنظومات الفقهية المختصرة تنضاف إلى سلسلة من العقبات التي تطرأ في جسم

(985) نفسه، ص: 281.

(986) نفسه، ص: 282.

الفقه بصفة عامة، والفقه المالكي، بصفة خاصة. غير أن هذه المنظومات لم تظهـر إلا في قـرون متأخرة جدا، ورغم ذلك فقد أحدثت أثرا كبيرا في الفقه المالكي؛ حيث يقتصر الفقهـاء علـى القول الوارد في المنظومة، مما صرف جل المشتغلين بالفقه المالكي إلى الاهتمام بالبحث العميق في المسائل الفقهية التي مازالت تنظر التحقيق فيها وإزالة الغموض عنها.

كما تجدر الإشارة إلى أن المختصرات أيضا نالت حظها في المنظومات الفقهية، وإن كانت السابقة إلى الوجود، غير أ ا تسربت إلى المنظومات الفقهية في القرن السابع ثم عرفـت توسـعا واضحا في القرون الموالية؛ حيث ظهرت ظاهرة المختصرات في المنظومات الفقهية، بل اكتسحت الجوانب الثقافية المغربية وأضحت كل منطقة بمنظومات فقهية مختصرة تتضمن أقوالا فقهية وأعرافا إقليمية طغت عليها أقوال راجحة في المذهب المالكي وينقصها التأصيل الفقهي، مما له أثر بالغ في الفقه المالكي، الذي كان المعروف عنه اعتماده على المنابع الصافية، فإذا به يخـتلط بـالأعراف والعادات القبائلية وغيرها. غير أن الذي تجب الإشارة إليه هو أن هذا التأثير نال من الفقه المالكي جزءا كبيرا.

المبحث الثالث
مختصر ابن الحاجب ودوره في الفقه المالكي

تمهيد

إن الحديث عن مختصر ابن الحاجب يستدعي أساسا أن نرجع إلى الوراء رابطين بذلك مـا خلفه ابن شاس الذي يعتبر مصدرا رئيسا في المادة العلمية التي تحدث عنها ابن الحاجـب، وقـد ناقش الفقهاء والباحثون طريقة التعامل لابن الحاجب مع كتاب الجواهر لابن شاس، واختلـف المؤرخون والباحثون حول تأثير ابن الحاجب بكتاب ابن شاس؛ فهناك من يرى أنه قلده في المادة العلمية وطريقة التعامل معها، في حين رأى بعضهم أنه لم يقلده في شيء وأنه اشـتغل بطريقتـه

وتعامله مع المادة العلمية.

وكيفما كانت الأسباب والمسببات فإن ابن الحاجب يعتبر من أهم فطاحل علماء المالكية الذين أرسوا قواعد مذهب الإمام مالك؛ حيث بذل مجهودات مكثفة في إثراء الخزانة المالكية، وخير دليل على ذلك مؤلفاته التي تبقى شاهدة على ذلك؛ حيث عرفت إقبالا كثيرا لدى فقهاء المالكية خاصة، وفقهاء المذاهب الأخرى بصفة عامة، فضلا عما أحدثت هذه المؤلفات من أثر بالغ في تحريك دواليب الخزانة المالكية وخاصة مختصره الذي لفت أنظار الفقهاء وأولوه عناية فائقة؛ حيث استقطب عددا هائلا من الشراح.

ولا أريد أن أسبق الأحداث، لأن ذلك سيأتي الحديث عنه في حينه بقدر ما أريد أن أتساءل: من هو ابن الحاجب؟ وإلى أي حد استطاع مختصره أن يؤثر في الفقه المالكي؟

الفرع الأول: التعريف بابن الحاجب(987) ومختصره

أ- اسمه ولقبه

هو أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوفي(988) ثم المصري، الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب بجمال الدين، كان والده حاجبا للأمير عز الدين موسى الصلاحي فعرف به،

(987) انظر ترجمته في وفيات الأعيان: 248/3، والديباج ص: 189، وطبقات القراء: 648/2، وغاية النهاية: 508/1، والبداية والنهاية: 176/13، وبغية الوعاة ص: 323، والفكر السامي: 231/2، وحسن المحاضرة: 210/1، وهدية العارفين: 654/1، وشجرة النور: 167/1، وشذرات الذهب: 234/5، والأعلام: 374/4.

(988) بضم الدال المهملة، وهي مما استدركه اللباب لابن الأثير عن السمعاني في الأنساب: 509/2. وقد ضبطت هذه الكلمة عند ياقوت الحموي بفتح الدال كما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء: 265/23.

وكان كرديا[989]، الفقيه المالكي النحوي الأصولي، وذكره الشيخ العلامة شهاب الدين ابـن أبي شامة الدمشقي في كتابه[990] فقال: »كان ركنا من أركان الدين في العلم وفي العلوم الأصـولية وتحقيق علم العربية، متفننا في مذهب مالك بن أنس، وكان ثقة حجة، متواضعا منصفا، محبا للعلم وأهله« [991]

ب- مولده

ولد ابن الحاجب سنة سبعين وخمسمائة (570هـ) على الأرجح بأسنال -بفـتح الهمـز وسكون السين المهملة وفتح النون وبعدها ألف- وهي بليدة صغيرة من الأعماد العربية بالصـعيد الأعلى، كان أبوه جنديا من أصل كردي لم نظفر بشيء من أسرته وتربيته فيما اطلعنا عليه مـن المصادر، إلا أننا عرفنا أنه انتقل إلى القاهرة صغيرا[992].

ج- طلبه للعلم

اشتغل أبو عمرو المذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب الإمـام مالك رضي الله عنه، ثم بالعربية والقراءات، وبرع في علومه وأتقنها غاية الإتقـان، قـال ابـن خلكان: »ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية وهب الخلق على الاشتغال عليـه، والتزم لهم الدروس وتبحر في الفنون«[993].

د- شيوخه

أخذ بعض القراءات عن الشاطبي وسمع منه "التيسير" وقرأ بطرق المنهج علـى الشـهاب الغزيوي (ت.599هـ)، وتلا بالسماع على أبي الجود (ت.605هـ)، وسمـع أبـا القاسـم البوصيري وإسماعيل بن ياسين و اء الدين القاسم ابن عساكر وفاطمة بنت سعد الخير وطائفـة،

(989) مختصر ابن الحاجب، ورقة ب، مخطوط الخزانة العامة، رقمه: 887د.
(990) نفسه، ورقة ب.
(991) نفسه، ورقة ب.
(992) بغية الوعاة: 134/2، طبقات القراء: 516/2.
(993) وفيات الأعيان لابن خلكان: 248/3-249.

وتفقه على أبي المنصور الأبياري[994]، يلقب بشمس الدين من أئمة الأعلام، الفقيه الأصولي، رحل إليه الناس وتفقه به جماعة منهم ابن الحاجب[995]، وكان عليه اعتماده، توفي سنة 616هـ. كما أخذ عنه أكابر العلماء، منهم ابن الحاجب، قرأ عليه الشفاء. توفي بصعيد مصر سنة 656هـ[996] وآخرون.

هـ - تلاميذه

حدث عنه المنذري (ت.353هـ) والدمياطي (ت.708هـ) وأبو محمد الجزائري وأبو إسحاق الفاضلي وأبو علي بن الخلال وأبو الحسن بن البقال وجماعة، وتلا عنه بالسمع الشيخ الموفق ابن أبي العلاء، وأخذ عنه العربية جماعة منهم شيخنا رضى الدين السرطني ونجم الدين الباهلي، كما ذكر المقريزي[997]، وممن روى عنه ياقوت الحموي فقال: حدثني عثمان بن عمرو النحوي المالكي، حدثنا علي بن المفضل، حدثنا[998].

و- مكانته العلمية

يعتبر ابن الحاجب من فقهاء المالكية الذين تبوأوا مكانة علمية متميزة في الفقه المالكي، يقول الذهبي في ترجمته... ومن أذكياء العالم رأسا في العربية وعلم النظر (...). تخرج به الأصحاب وسارت بمصنفاته الركبان، وخالف النحاة في مسائل دقيقة، وأورد عليهم إشكالات مفحمة.

ويقول عنه في شذراته: وأورد عليهم النحاة إشكالات والتزامات تتعذر الإجابة عنها، وكان من أحسن الناس خلقا[999].

وإنصافا للرجل افتتح الذهبي رحمه الله ترجمته بعبارة جامعة رثى فيها علومه فقال عنه: »الشيخ الإمام المقرئ الأصولي الفقيه النحوي، جمال الأئمة والملة والدين أبو عمرو«.

---

(994) نفسه: 248/3.

(995) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب لابن فرحون: مقدمة المحقق، ص: 8.

(996) نفسه، ص: 9.

(997) الخطط الكبرى للمقريزي: 572/1.

(998) سير أعلام النبلاء: 264/23.

(999) سير أعلام النبلاء: 269/23.

وكفى أبو الفتح غيره وأشفى حينما ترجم له بعبارة: »هو فقيه مفت مناظر، مبرز في عدة علوم، متبحر مع دين وورع وتواضع واحتمال واطراح للتكلف«(1000).

ز- آثاره

صنف ابن الحاجب –رحمه الله- مختصرا في مذهبه ومقدمة وجيزة في النحو سماها "الكافية" وأخرى مثلها في التصريف سماها "الشافية" وشرح المقدمتين، وصنف في أصول الفقه، واختصر كتاب الآمدي الإحكام في أصول الفقه، قال الإمام أبو حامد الغزالي: »أما كتاب الآمدي الإحكام في أصول الأحكام، وكذلك اختصره الإمام أبو عمر عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب (ت.646هـ) في كتاب سماه "منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل« (1001).

ومن تصانيفه أيضا –كما ذكر الزركلي- المقصد الجليل قصيدة في العروض، والأمالي النحوية، والإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، والأمالي المعلقة عن ابن الحاجب في الكلام على مواضع من الكتاب العزيز على المقدمة وعلى المفصل وعلى مسائل وقعت في القاهرة وعلى أبيات من شعر المتنبي« (1002).

يقول ابن فرحون في كتابه كشف النقاب عن ابن الحاجب: »... ترك ابن الحاجب -بعد رحيله- مؤلفات في علوم، وقد رزق السعد في تصانيفه فشرقت وغربت، واعتني بشرحها، وانتفع الناس ا«(1003).

وهذه أهمها:

1-الكافية في النحو، وهي مقدمة صغيرة جامعة مفيدة، طبعت مرات، مفردة ومع

(1000) نفسه: 266/23.
(1001) مقدمة المنخول من تعليقات الأصول، ص: 10.
(1002) الأعلام للزركلي: 211/4.
(1003) كشف النقاب الحاجب: مقدمة المحقق، ص: 21.

شروحها، وقد شرحها ابن الحاجب نفسه، وأول طبعة للكافية في رومة[1004]، وقد اختصـرت ونظمت وممن نظمها المؤلف نفسه...« [1005].

2-الشافية، وهي مقدمة في التصريف مفيدة، نظمها وشرحها الكثيرون، وقـد نظمهـا وشرحها مؤلفها... « [1006].

3-الأمالي، أملاها في دمشق على بعض الآيات القرآنية والأبيات الشعرية، ومواضع مـن المفصل، وبعض المسائل النادرة، والخلافات النحوية[1007].

4-المقصد الجليل في علم الخليل، وهي قصيدة لامية في العروض شرحها كثير من النـاس وطبعها مع ترجمة ألمانية فريتاغ في برن سنة 1830م[1008].

5-القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة، وهي منظومة في المؤنثات السـماعية، ذكـر منـها الخوانساري بعض الأبيات، وقد طبعت أكثر من مرة[1009].

6-رسالة في العشر، وهي في استعمال لفظة وعشرة مع الصفتين "أول وآخر"[1010].

7-إلى ابنه المفضل [1011] شرح المفصل، وقد سماه الإيضاح[1012].

8-شرح إيضاح أبي علي الفارس، سماه المكتفي للمبتدئ[1013].

9-شرح المقدمة الجزولية[1014].

(1004) دائرة المعارف الإسلامية: 804/1.

(1005) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 309/5-321، كشف الظنون: 1370/2، هدية العـارفين: 655/1.

(1006) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 321-332، كشـف الظنـون: 1370/2-1376، طبعـة فرنسية.

(1007) تاريخ الأدب العربي: 333/5، دار المعارف الإسلامية: 804/1.

(1008) تاريخ الأدب العربي: 332/5، دار المعارف الإسلامية: 804/1.

(1009) تاريخ الأدب العربي: 334/5، ابن الحاجب النحوي ص: 109-110.

(1010) تاريخ الأدب العربي: 334/5.

(1011) الأعلام: 211/4، كشف الظنون: 1774/2.

(1012) كشف الظنون: 214/1، هدية العارفين: 655/1.

(1013) تاريخ الأدب العربي: 342/5-350، كشف الظنون: 1427/2.

(1014) هدية العارفين: 655/1، كشف الظنون: 1427/2.

10-شرح كتاب سيبويه[1015].

11-جمال العرب في أدب العرب، شرح به مقدمة الزمخشري الأدبية، ذكره أيضا حـاجي خليفة[1016].

12-إعراب بعض آيات من القرآن[1017].

13-العقيدة، وهي المعروفة بعقيدة ابن الحاجب[1018].

14-معجم الشيوخ[1019].

15-السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، وهو كتاب في[1020] أصول الفقه، وقـد طبع بمطبعة السعادة سنة 1326هـ[1021].

16-مختصر المنتهى، وهو اختصار للكتاب السابق، وقد اشتهر بمختصر ابن الحاجب الأصلي، تمييزا له عن مختصره الفرعي المذكور آنفا، وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات مع بعض شروحه[1022]. وذكر بروكلمان[1023] أن ابن الحاجب اختصر المنتهى في كتاب آخر هو "عيون الأدلة".

17-جامع الأمهات، وهو مختصره الفقهي، ألفه في فروع الفقه المالكي، ويعرف بالمختصـر الفرعي، وقد صنفه على طريقة ابن شاس[1024] الذي سار على ج الغزالي[1025] في وجيزه في الفقه الشافعي[1026]، وقد مدح هذا المختصر جماعة، وانتقده آخرون، وا مه بعضهم بأنه كان سـببا في

(1015) كشف الظنون: 593/1، هدية العارفين: 655/1.
(1016) تاريخ الأدب العربي: 341/5، كشف الظنون: 593/1.
(1017) نفسه: 341/5، هدية العارفين: 655/1.
(1018) كشف الظنون: 1735/2، هدية العارفين: 655/1.
(1019) كشف النقاب الحاجب في مصطلح ابن الحاجب ص: 23.
(1020) تاريخ الأدب العربي: 334/5.
(1021) نفسه: 335/5.
(1022) نفسه: 335/5.
(1023) نفسه: 335/3.
(1024) انظر ترجمته في الديباج ص: 141، وشجرة النور: 165/1، والفكر السامي: 230/2.
(1025) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى: 191/6-389، والوافي بالوفيات: 274/1.
(1026) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب: مقدمة المحقق، ص: 24.

التنافس في الاختصار وفساد التعليم[1027]. وسيتم الحديث عن هذا الكتاب لاحقا.

ح-مكانته عند الحكام والعلماء

استمر ابن الحاجب في دمشق مدرسا، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، كما هو شأن كثير من العلماء. ولا بأس أن نورد هنا هذه القصة التي تدل على تمسكه بالحق وعدم هيبته الحكام، وملخصها أن الملك الأشرف صاحب دمشق قد أحاطت به شرذمة من الحشوية فلقنوه مذهبهم فيما يتعلق بالقرآن وأشربوه كراهية الأشاعرة[1028]. وكان الملك الأشرف قد طلب مقابلة سلطان العلماء العز بن عبد السلام وهو يأبى فانتهزت هذه الجماعة المذكورة الفرصة، وقالت للملك: إن عبد السلام أشعري يخطئُ من يقول بالحرف والصوت ويبدعه، وإن من جملة اعتقاده أن الخبز لا يشبع والماء لا يروى.. إلخ

فلم يصدقهم السلطان، فاحتال هؤلاء القوم في استصدار فتوى من الشيخ ليشاهدها السلطان عيانا، فكان لهم ما أرادوا، ووصلت هذه الفتوى إلى الملك عند الإفطار في أحد أيام شهر رمضان، وعند عامة الفقهاء، فلما تكلم السلطان في حق ابن عبد السلام وعقيدته، وأظهر غيظه وتوعده، لم يستطع أحد في ذلك المجلس الرد، وما زاد أشجعهم على أن قال للسلطان: السلطان أولى بالعفو والصفح مع أنهم يشاطرون ابن عبد السلام فتواه. فانبرى ابن الحاجب لهذه القضية عندما سمع بها ومضى إلى القضاء والعلماء والأعيان الذين حضروا تلك الليلة عند السلطان، وشدد عليهم النكير، ووعظهم وذكرهم بالله وبوظيفتهم، ومازال بهم إلى أن كتبوا فتوى موافقة لما قال ابن عبد السلام، وبينوا أن سكوتهم تلك الليلة إنما كان بسبب غضب السلطان، ووقعوا فتواهم.

ورغم أن السلطان لم يلتفت إلى هذه الفتوى الموافقة لابن عبد السلام -كبير الثقات- إلا أنها تدل على شيئين:

أولهما: ما كان عليه ابن الحاجب من نصرة للحق وأهله وشجاعة في مواقف يقل فيها الشجعان.

(1027) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب: مقدمة المحقق، ص: 25.
(1028) نفسه، ص: 16.

ثانيهما: أنه كان مسموع الكلمة بين العلماء وعظيم المكانة عندهم، وكان ابن الحاجب علما مبرزا في علوم شتى.

ولا نريد أن نجلب كل ما[1029] وصفه به مترجموه، ولكن نكتفي بما أورده بعضهم، قال السيوطي في هذا الصدد: »وكان فقيها مناظرا مفتيا، مبرزا في عدة علوم، متبحرا، ثقة دينا، ورعا متواضعا، مطرحا للتكلف...« [1030].

وكان من أذكى الأمة قريحة، وكان ثقة حجة، متواضعا عفيفا، كثير الحياء منصفا محبا للعلم وأهله، ناشرا له، محتملا للأذى، صبورا على البلوى« [1031].

وقال ابن خلكان -وهو عصريه- أيضا: »وكان من أحسن خلق الله ذهنا، وجاءني مرارا بسبب أداء شهادات، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة، فأجاب أبلغ إجابة بسكوت كثير وتثبت تام، ومن جملة ما سألته عن مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم: إن أكلت إن شربت فأنتِ طالق، لم تعين تقديم الشرب على الأكل بسبب وقوع الطلاق حتى لو قال: لو أكلت ثم شربت لا تطلق؟«[1032].

من خلال ما سبق، يتضح جليا أن مؤلفات ابن الحاجب عرفت إقبالا منقطع النظير عند العلماء وغيرهم، وخاصة مختصره المشهور الذي يعتبر برنامجا وجيزا لأقوال الفقهاء المالكية؛ حيث نسجه المؤلف بأسلوب مبسط دون حشو ولا إطناب مما أكسبه إقبالا كبيرا لدى الفقهاء؛ حيث اعتنوا به عناية قصوى تتجلى في الشروح المؤلفة في ذلك. كما رأينا موقف ابن الحاجب في مناصرة الحق وإنصاف العلماء، والذود عن حياض الفقه وأهله مما جعله يتبوأ مكانة مرموقة عند الفقهاء، لكونه ثقة حجة متواضعا، عفيفا كثير الحياء، منصفا ومحبا للعلم وأهله.

ط- وفاته

جل المصادر التي ترجمت لابن الحاجب لم تذكر تاريخ مغادرته مصر على وجه التحديد،

(1029) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب لابن فرحون، ص: 18.
(1030) بغية الوعاة للسيوطي: 134/2.
(1031) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب لابن فرحون، ص: 18.
(1032) وفيات الأعيان لابن خلكان: 250/3.

إلا أ ا في أواخر عمره؛ حيث لم تطل إقامته بالإسكندرية؛ إذ توفي ضحى يوم الخميس السـادس والعشرين من شهر شوال سنة 646هـ [1033].

قال أبو شامة: أخبرني صهره الكمال بن أحمد بن سليمان أنه دفن خارج الإسـكندرية في المقبرة التي بين المنارة قرب قبر الشيخ ابن أبي شامة رحمه الله.

وهكذا انتهت حياة رجل كانت حافلة مليئة بالنشاط في خدمة الشريعة الإسلامية واللغـة العربية[1034].

الفرع الثاني: مختصره الفقهي

مما يلاحظ على مختصر ابن الحاجب أنه تأثر كثيرا بكتاب الجواهر لابن شاس[1035]، وابن شاس بدوره تأثر بالوجيز للإمام الغزالي، وهذا الثالوث الفقهي المتميز لابد من ذكر نبذة مختصرة عنه، ولاسيما طريقة الاختصار عند ابن شاس الذي حاذى بكتابه الجواهر الوجيز للغزالي، وكان الإمام الغزالي رحمه الله ألف كتابين فقهيين مطولين: البسيط والوسيط، وألـف هـذا الكتـاب المختصر الموسوم بالوجيز. وأفادنا في مقدمته أنه أودعه زبدة الفقه بعد أن محص جملته، وضمنه ما انتقاه من صفوة تفاصيل الشرع وعمدته، وأدمج جميع مسائلها -بأصولها وفروعها بألفاظ محررة لطيفة- في أوراق معدودة خفيفة)، وعبأ فيها الفروع الشوارد تحت معاقد [1036] القواعد، فجاء الكتاب محرزا جزل النظم، بديع الترتيب، حسن الترصيع والتهذيب، حاويا لقواعـد المـذهب

(1033) وفيات الأعيان لابن خلكان، ص: 21.

(1034) نفسه، ص: 21.

(1035) هو عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمد بن شاس الجذامي السـعدي، كنيته أبو محمد، ولقبه جلال الدين. له مؤلفات أهمها: عقد الجواهر الثمينة (الديباج: 443/1). توفي سنة 616هـ. يعتبر من ألمع العلماء الذين أنجبهم القطر المصري في القرنين السادس والسابع (عقد الجـواهر الثمينة: مقدمة المحقق: 17/1). (انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان: 61/3، وسير أعلام النبلاء للذهبي: 99/22، والبداية والنهاية لابن كثير: 86/3، والديباج المـذهب لابـن فرحـون: 443/3، وكشف الظنون لحاجي خليفة: 6/3، وشذرات الذهب لابن العماد: 69/5، وهدية العارفين للبغدادي: 459/1، وشجرة النور: 165/1، والفكر السامي للحجوي: 230/2).

(1036) عقد الجواهر الثمينة: مقدمة التحقيق لأبي الأجفان وعبد الحفيظ منصور: 35/1.

الشافعي مع الفروع الغريبة[1037].

وكانت محاذاة ابن شاس في الجواهر لهذه الجوانب التي برزت في الوجيز الذي عبر ابن شاس عن إعجابه بطريقته في مقدمة جواهره. وأشار المترجمون لابن شاس إلى هذه المحاذاة وإلى اعتنائـه بالترتيب وتنظيم المسائل، ولاحظ الذهبي أنه »جود كتابه ونقحه«[1038]، وذلك ما جعله يتميـز عن الكتب التي كانت سائدة قبله لدى المالكية، وكانت تدور حول أمهـات معينـة تتناولهـا بالتهذيب والاختصار والتعقيب والشرح.

وهذه الكتب مشحونة بالثروة الفقهية المالكية وبمسائل الخلاف بين أعلام المـذهب مـن ا تهدين المقيدين المنتسبين، وبروايات الأقوال المأثورة عن إمام المذهب مالك بن أنـس. وقـد كانت المعين الذي يستمد منه ابن شاس علمه وفقهه، مع تدخل وسبر وتنقيح و ذيب وبيـان؛ فهو يقارن بين الروايات عن مالك مؤسس المذهب، ويرد ظاهر رواية ما إلى رواية أخرى أو إلى المذهب في بعض الأمهات كالموطإ والمدونة.

ونقوله عن علماء المذهب للآثار التي زخر ا كتابه تدلك على مدى تحـريهم في ضـبط الأقوال والروايات ونسبتها وتمييزهم لما أُثِر عن الإمام مالك، مما ليس فيه نص[1039] وهو متـأثر بطريقتهم في ذلك، باذل جهدا في النقد والترجيح بين الأقوال وتفسير الروايـات إذا احتملـت معاني، أو تباينت آراء السابقين فيها، وهو يكتفي من الأقوال بالمشهور، وينبه على شهرته.

كما يهتم بشرح الغريب من العبارات وبيان المعاني الاصطلاحية لها، وإن لم يلتزم ذلك في كل المواطن التي تقتضي ذلك.

وكثيرا ما يحصر مسائل بإرجاعها إلى أصلها وبيان القاعدة الفقهية التي انبنت عليها، وقـد يفضي ذا التقعيد إلى الاستطراد بذكر النظائر التي تعتبر نوعا من القواعد الفقهية؛ إذ فيها ربـط مجموعة من الفروع برباط واحد وذلك ما ييسر استيعاب الفروع التي ذكرها في كتابه.

(1037) الوجيز للغزالي: 3/1.
(1038) مقدمة محققي عقد الجواهر لأبي الأجفان وعبد الحفيظ منصور: 36/1.
(1039) نفسه: 36/1.

وابن شاس لا يقتصر على إيراد الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة، بل ينبه على معان معتبرة وقواعد لم يتم الإجماع عليها، وأمور راعاها الفقهاء السالفون، وكانت أصلا لاختلافهم في الأحكام، وهو في ذلك يسلك طريقة أبي الوليد ابن رشد الحفيد الأندلسي في بداية المجتهد، وهو من معاصريه، إلا أن الأخير يوسع مجال عرض الخلاف، مع ذكر أسبابه؛ إذ يورد خلاف الفقهاء خارج المذهب المالكي، بينما يركز ابن شاس على اختلاف أصحاب مالك ولا يخرج عن نطاق المذهب إلا نادرا، ويكون هذا الخروج تارة بإشارة لا يتعين معها صاحب القول المخالف للمذهب المالكي(1040)، ويكون تارة أخرى بتعيين صاحب القول. وكما يورد ابن شاس في الغالب سبب الخلاف في حكم المسألة، فإنه يرد ما ينجم عن ذلك أو عن اختلاف الروايات مما يسميه بالثمرة.

وتظهر براعة ابن شاس في التبويب والتنقيح والتفصيل، وهو يتفنن في ذلك حسبما تقتضيه مباحث كل كتاب فقهي؛ حيث يقسمه إلى أبواب ذات عناوين تحت كل منها ما يناسبها من فصول وفروع تضم مسائل الباب وقواعده وصوره المفترضة إذا اقتضى الأمر ذلك(1041).

أما الاختصار فهو سمة واضحة في الجواهر، وقد حاول المؤلف الاقتصاد في العبارات وتضمينها كثيرا من المعاني والأحكام دون إخلال بالمقصود. من هنا كانت الدقة في التعبير وتجنب التكرار وربط المسائل الجزئية بقواعدها الفقهية والإحالة على المواطن السابقة مما له صلة بالموضوع المطروق، والعدول عن الاستدلال في أغلب المسائل مع(1042) الحرص على تمييز القول المأثور عن صاحبه عن التخريج وعلى تعليل الحكم أحيانا والإشارة إلى المقصود الشرعي منه(1043).

أهمية الجواهر

إن ما أشرنا إليه من مميزات هذا الكتاب التي تتجلى خاصة في الجمع للمسائل المستبحرة من

(1040) مقدمة عقد الجواهر الثمينة لأبي الأجفان وعبد الحفيظ منصور: 37/1.

(1041) نفسه: 38/1.

(1042) نفسه: 38/1.

(1043) نفسه: 40/1.

أبواب الفقه في مجالات العبادات والمعاملات، مع حسن التنظيم والربط بالقواعد والمزج بأسلوب الخلاف، ومع العناية بالمباني والأسلوب وسلامة التعبير ودقته.

ومميزات هذا الكتاب جعلت أقلام بعض الأعلام تسجل الإشادة به وتنوه بمحاسنه(1044).

ومن هؤلاء ابن خلكان الذي يقول عنه: «كتاب نفيس أبدع فيه»(1045). ويرى أن «فيه دلالة على غزارة فضله»(1046)، مؤلفه يبرر عكوف المالكية بمصر عليه بما امتاز به من الحسن وكثرة الفوائد(1047)، ومنهم ابن كثير الذي يذكر أنه من أكثر الكتب فوائدا في الفروع(1048)، ومنهم محمد بن الحسن الحجوي الذي نوه به قائلا: «كتاب جليل فصيح العبارة... من أحسن ما صنفه المالكية»(1049). أما الشيخ محمد بن مخلوف فيقول: «دل على غزارة علم وفضل وفهم»(1050).

تأثره بوجيز الغزالي

ومع هذه الأهمية للكتاب، ومع شهادات بعض العلماء المنوهة بفوائده، فإن نوعا من التحرز بدا من بعض المتضلعين في الفقه المالكي إزاءه، وذلك نتيجة ما لوحظ من دخول المسائل جارية على المذهب الشافعي فيه ونقلها من وجيز الغزالي... (1051).

ونظرا لتأثر أبي عمرو وعثمان بن الحاجب المتوفى سنة 647هـ في مختصره الفقهي بجواهر ابن شاس... فإن الحذر والتحرز انسحبا على مختصره أيضا. ولاتباع ابن الحاجب في هذه المسائل لابن شاس كان بعض شيوخنا يرون قراءة الجلاب دونه...

(1044) مقدمة عقد الجواهر الثمينة لأبي الأجفان وعبد الحفيظ منصور: 42/1.
(1045) وفيات الأعيان: 61/3.
(1046) نفسه: 61/3.
(1047) نفسه: 61/3.
(1048) البداية والنهاية: 186/13.
(1049) الفكر السامي: 270/4-271.
(1050) شجرة النور: 165/1.
(1051) الجواهر: مقدمة المحققين: 43/1.

والمقصود بالجلاب التفريع لابن القاسم عبيد الله بن الجلاب(1052) البصري المتوفى سنة 378هـ، وهو مختصر في المذهب المالكي كان رائجا متداولا، وضعت عليه شروح... والجواهر أكثر توسعا وبسطا منه، كما يمتاز عليه في مجال التقعيد والتأصيل والإشارة إلى دواعي الخلاف في مجال الترتيب والتنظيم... (1053).

أسلوب الاختصار في الجواهر: وظاهرة الاختصار في الجواهر لم تصل به إلى درجة الإخلال والتقعيد، فلم تتأكد حاجته إلى الشرح والبيان، وما علمنا بشرح موضوع عليه، وأن ظهوره بعد أن ظهرت في ساحة التأليف الفقهي مطولات ومختصرات ليدخل بالتصنيف المالكي مرحلة جديدة يكون فيها الكتاب جامعا للأبواب متضمنا للآثار والأقوال مستقلا بذاته لا يدور حول محور كتاب آخر ولا يبلغ به الاختصار أن يكون متنا للحفظ ولا يعيبه تكرار أو توسع واستطراد مملان(1054).

لقد تواصلت حركة العطاء الفقهي في مجال التأليف في المذهب المالكي وتنوعت المصنفات في بسطها وإيجازها، واختلفت أساليبها، مع حرص مؤلفيها على صحة النقل وسلامة الأحكام والتنقيح والجودة، ومهما اختلفت مستويات القراء فإنهم يجدون في المصنفات الكثيرة بغيتهم المنشودة، ويتفقهون في دين الله بقراءتها.

وهكذا لم تؤثر النصيحة السالفة للشاطبي وبعض شيوخه بالاقتصار على كتب الأقدمين، ولو أثرت لما رأينا الحركة الفقهية لهذا النشاط المعطاء في المذهب المالكي وهذه المصنفات الذائعة النائلة للإقبال الواسع.

ولعل تلك النصيحة متجهة إلى المنتهين من العلماء حتى لا يميلوا إلى كتب شأنها أقل من

(1052) أبو القاسم بن الجلاب: واسمه عبد الله بن الحسن، كنيته أبو القاسم بن الجلاب، بصري، تفقه بالأبياري، ولازمه طوال حياته، أخذ عنه القاضي أبو محمد بن نصر وغيره، وله كتاب في مسائل الخلاف، وكتاب التفريع (وهو مطبوع) في المذهب مشهور. (انظر ترجمته في طبقات الشيرازي ص: 168، وسير أعلام النبلاء: 383/16، والعبر: 10/3، وشذرات الذهب: 93/3، وهدية العارفين: 447/1، وترتيب المدارك: 76/7.

(1053) الجواهر: مقدمة المحققين: 43/1.

(1054) نفسه: 45/1.

شأن الأمهات التي تحتل الصدارة في المصنفات المالكية وتمثل خير معين وأثرى مصدر..«[1055].

ويمكننا أن نلاحظ أن الأثر البارز للجواهر قد تجلى في مناهج بعض المصنفات الفقهية وفي اعتماد المفتين لأحكامه وفي نقل بعض المؤلفين عنه.

فالمصنف الفقهي الذي اقتفى صاحبه أثر الجواهر، وذاع في أوساط المالكية أنه تابع له هـو المختصر الفقهي لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، هذا المختصر الذي حظي باهتمام كثير من علماء المدرسة المالكية دراسة وشرحا[1056] وتعليقا وتعقيبا، وكان أحد المختصرات التي ظهرت على يد ابن الحاجب في فنون علمية مختلفة...

ولم يكن ابن الحاجب معترفا بحقيقة اختصاره للجواهر، بل كان يدعي أن ابن شاس هـو الذي اختصر كتابه، ولكن العالم أبا عبد الله محمد بن علي بن قطرال الأنصاري المراكشي المتوفى سنة 710هـ، رد عليه في ذلك مع إنصافه ببيان ميزاته في تصنيف مختصره، يتضح ذلـك مـن الوجادة التي أفادنا ا أبو زيد بن الإمام التلمساني المتوفى سنة 743هـ، وهي: »أنه ذكر عند أبي عبد الله بن قطرال المراكشي أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال: ذكر هذا لأبي عمرو حـين فرغ منه، فقال: بل ابن شاس، اختصر كتابي، قال ابن قطرال، وهو أعلم بصناعة التأليف من ابن شاس، والإنصاف أنه لا يخرج عنه وعن ابن بشير إلا في الشيء اليسير، فهما أصلاه ومعتمـداه، ولا شك أن له زيادات وتصرفات تنبئ عن رسوخ قدمه[1057] وبعد مداه[1058].

فقد أكد ابن قطرال أن الجواهر أصل للمختصر الفرعي الذي وضعه ابن الحاجب، ويبـدو أن هذا هو الصواب، لأن وفاة ابن الحاجب كانت بعد وفاة ابن شاس بثلاثين سنة، ولأن أسلوب الاختصار والاقتصاد في التعبير، يتجلى أكثر في مختصر ابن الحاجب[1059]. وقد أصـبح معروفـا لدى المترجمين وبعض الفقهاء أن ابن الحاجب تابع لابن شاس، في مختصره لجواهره، قـال ابـن

(1055) نفسه: 45/1.
(1056) أزهار الرياض للمقري: 24/5، نفح الطيب: 221/5.
(1057) مقدمة المحققين لعقد الجواهر: 45/1.
(1058) أزهار الرياض: 24/5، نفح الطيب: 221/5.
(1059) مقدمة ابن خلدون ص: 532، بتصرف.

مخلوف عن الجواهر: »منها اختصر ابن الحاجب كتابه«[1060].

وجاء في سياق بعض فتاوي أبي العباس الونشريسي المتوفى سنة 914هـ قوله: »عبارة ابن الحاجب ومتبوعه جلال الدين بن شاس تقتضي وجود القولين في مسألة التروي...« [1061].

وقد لاحظ شيخنا العلامة محمد الفاضل بن عاشور أن مصر لمع ا في القرن السابع أعلام -طال باعهم في تحرير المذهب المالكي واختصـاره: ابن شاس ثم ابـن الحاجـب ثم القـرافي ثم خليل-؛ فهو يعتبر ابن شاس رائد منهج الاختصار المحكم الذي سبق ظهوره على يد الغـزالي في المذهب الشافعي[1062]. وهناك جانب آخر من التأثير الذي ظهر في بعض مصنفات المالكية، وهو جانب التقعيد والتخريج والتأصيل وبيان الحكم والمقاصد والأسرار الشرعية.

فقد رأينا هذا الجانب كان مما أعطى للجواهر أهمية[1063]. ولاحظ شهاب الدين القـرافي هذا الجانب لدى ابن شاس ورآه يسيرا، فرام التوسع فيه عند تصنيفه الذخيرة معربا عـن أهميتـه بقوله: »إن الفقه، وإن جل إذا كان مبددا، تفرقت حكمته وقلت طلاوته، وضعفت عند النفوس طلبته، ولذا رتبت الأحكام مخرجة على قواعد الشرع مبنية على مآخذها، ضت الهمم حينئـذ لاقتباسه وأعجبت غاية الإعجاب بتقمص لباسها«[1064].

هذا الجانب تجلى إذاً في ذخيرة القرافي كما تجلى بعد ذلك لدى تلميذه التونسي أبي عبد الله محمد بن راشد القفصي، الذي عبر في مقدمة كتابه "الفائق" عن سلوكه هـذا المنـهج، فقـال: »نحوت فيه منحى المتأخرين في الحصر وضبط القواعد وتخريج الفروع عليها، لينفع بذلك المدرس والمفتي والقاضي والموثق...« [1065].

وقد جاء ابن الحاجب في قريب من عصر ابن شاس فوضع هو الآخر مختصرا في الفقه عرف بالمختصر الفقهي سماه جامع الأمهات؛ فقد أصبح معروفا لدى الفقهاء والمترجمين أن ابن الحاجب

(1060) شجرة النور: 165/1.
(1061) المعيار المعرب: 190/7.
(1062) مقدمة محققَي عقد الجواهر: 48/1.
(1063) نفسه: 48/1.
(1064) الذخيرة: 34/1.
(1065) مقدمة محققَي الجواهر: 49/1.

تابع لابن شاس وعالة عليه، ومدين له بكثير من الفضل في هذا الكتاب.

قال ابن كثير: »ومختصره في الفقه من أحسن المختصرات، انتظم فيه فوائد ابن شاس«[(1066)].

وفي المعيار ما يفيد أن ابن الحاجب تابع لابن شاس في العبارة السابقة.

وقال ابن حجر في سياق حديثه عن الجواهر: »(...) ومنها اختصر ابن الحاجب كتابه الجواهر«[(1067)].

ويشير إلى الأمر نفسه فقيه المالكية في عصره محمد ابن عرفة في سياق الموازنة بين كتاب ابن الحاجب والتفريع لابن الجلاب قائلا: »ولاتباع ابن الحاجب في هذه المسائل ابن شاس كان بعض شيوخنا يرون قراءة الجلاب دونه...« [(1068)].

وقال ابن مخلوف في الشجرة: »ألف ابن شاس الجواهر الثمينة... دل على غزارة علم وفضل اختصره ابن الحاجب...« [(1069)].

ومثل هذه العبارات يعترضني بكثرة في التوضيح، ورأيت ما يشبهها أيضا في شرح ابن عبد السلام، ومن أمثلته في التوضيح قوله في الضمان: »وذلك يرجح أن المصنف قصد أن الصيغة ركن، لأن الغالب أنه يتبعه«، وقوله في كتاب الرهن: »ولم يجعل ابن يونس الإمضاء فيما يخشى فساده متفقا عليه، وتبع المصنف ابن شاس فإنه حكى الأربعة الأقوال التي ذكرها المصنف وتصورها من كلام المصنفين« [(1070)].

فهذه النصوص تفيد في مجملها ما لابن شاس من تأثير كبير في كتاب ابن الحاجب رحمه الله[(1071)]، غير أن ابن الحاجب رحمه الله ينفي عن نفسه هذه التهمة، ولم يعترف بفكرة النقل

(1066) البداية والنهاية: 186/13، طبعة دار الفكر.

(1067) المعيار: 190/9.

(1068) طبقات المالكية ص: 346، الجواهر: 44/1.

(1069) شجرة النور، ص: 165.

(1070) التوضيح: كتاب الرهن.

(1071) للدكتور عمر الجيدي رأي آخر، وهو أن ابن الحاجب إنما تأثر في مختصره بتهذيب البراذعي، فمنه اختصره فقال: وظل التهذيب محافظا على مكانته لا يزاحم إلى أن جاء مختصر ابن الحاجب فزحزحه من

والاختصار من ابن شاس يوما، بل هو يرد التهمة نفسها على ابن شاس ويقول: »إن ابن شـاس هو الذي اختصر كتابه جاء في أزهار الرياض: »ذكر عند عبد الله بن قطرال المراكشي[1072] أن ابن الحاجب اختصر الجواهر فقال: ذكر هذا أبو عمرو حين فرغ منه فقال: بل ابن شاس اختصر كتابي، قال ابن قطرال: وهو أعلم بصناعة التاليف من ابن شاس، والإنصاف أنه لا يخـرج عنـه وعن ابن بشير إلا في النزر اليسير فهما أصلاه ومعتمداه، ولاشك أن له زيادات وتصرفات تنبـئ عن رسوخ قدمه وبعد مداه...«[1073].

والحقيقة أنه لا مناص من الإفصاح عنها وقد صار كل من الكتابين مطبوعا الآن، وأمكننا الاطلاع على مضامينهما وفحواهما بيسر وسهولة، أن هناك تقاربا مضـمونيا وشـكليا بـين مادتيهما؛ فمن حيث الشكل، فقد حضر ابن الحاجب لنفسه الترتيب الفقهي الموضوعي الذي في الجواهر دونما حياد عنه من مبتدإ الكتاب إلى منتهاه، وهو الترتيب الفقهي المتـداول في المـذهب المالكي بدءا بالمياه وانتهاء بكتاب الجامع، مرورا بالصلاة والزكاة والحـج والأنكحـة والبيـوع والتبرعات والوصايا[1074].

أما من حيث المضمون فيظهر التشابه في العبارة واضحا بين المصنفين، وكـذا في حـدود الفقرات والفواصل وقد نجحنا في تصوير بعض النماذج من الكتابين تغلب على عبارتهما المحاكاة والتقليد مع اختصار في الأسلوب واقتضاب العبارة الذي يظهر عند ابن الحاجب. وللوقوف على ذلك ننقل نماذج من كلام المؤلفين.

1- جامع الأمهات

للجعالة ركنان: المتعاقدان- أهلية العمل والاستئجار، ولايشترط في المجعول له التعـيين ولا

مكانه، وما هو في الحقيقة إلا اختصار للتهذيب. (انظر مباحث في المذهب المالكي بـالمغرب، ص: 97). وهو رأي قال به الحجوي في الفكر السامي أيضا: 457/4.

(1072) انظر ترجمته في الأعلام: 334/4، والدرر الكامنة: 202/4، والعقـد الـثمين: 207/2 رقـم الترجمة: 326).

(1073) نفح الطيب: 221/5، أزهار الرياض: 25/5.

(1074) كتاب البيوع في التوضيح: 17/1، رسالة دبلوم الدراسات العليا، تحقيق: السافري محمـد، كليـة الشريعة، أكادير، تحت إشراف الدكتور محمد جميل.

العلم بالجهالة؛ فلو قال من رد عبدي الآبق فله دينار فمن أحضره استحقه، علم بالجعل أو لم يعلم، تكلف طلبه أو لم يتكلف، وعليه نفقته، فلو أحضر قبل القول وعادته التكسب بذلك فله أجر مثله بقدر تعبه وإن شاء ربه تركه له ولا شيء له».

2-الجواهر

والنظر في أحكامها وأركانها، وأما الأركان، فأربعة: الأول والثاني المتعاقدان، ولا يشترط المعول به التعيين لمصلحة العقد، بل لو قال الجاعل من رد عبدي الآبق أو جملي الشارد فله كذا فمن أحضر ذلك بعد أن جعل ربه فيه الجعل فله الجعل، علم فيه أو لم يعلم، تكلف طلب هذه الأشياء أو لم يتكلفها».

1-جامع الأمهات

»واعلم أن الخير كله في تقوى الله سبحانه واعتزال شرور الناس، و»من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه«(1075)، وينبغي للعاقل ألا يرى إلا ساعيا إلا في تحصيل حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه، فكيف به مع ذلك إن كان مؤمنا عالما بما أعد الله له من عقاب على الطاعة والمعصية، ومن جالس عالما فلينظر إليه بعين الإجلال ولينصت عند المقال فإن راجعه تفهمها راجعه تفهما لا تعنتا، ولا يعارضه في جواب سائل سأله فإنه يلبس ذلك على المسائل ويزري بالمسؤول«.

2-الجواهر الثمينة

واعلم أن جماع الخير كله في تقوى الله عز وجل، واعتزال شرور الناس، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقد قيل عن العاقل ما لا ينبغي أن يرى إلا ساعيا في تحصيل حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه، فكيف به مع ذلك إن كان مؤمنا عالما بما أعده الله له من ثوابه وعقابه على

(1075) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، حديث رقم 3966. والترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، من طريق علي بن الحسين، بلفظ: »إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه«. حديث رقم 2240. كما أخرجه في كتاب الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم 2239، من حديث أبي هريرة، وقال: هذا حديث غريب. وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، حديث رقم 3966. وأحمد في مسنده: مسند أهل البيت، من حديث الحسين بن علي، بلفظ: »إن من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه«، تحت رقم: 1642.

الطاعة والمعصية[1076].

من خلال المعطيات السابقة التي جمعناها عن الكتابين فإننا نميل إلى القول بأن ابن الحاجب هو الذي اختصر ابن شاس، وأن كتابه هذا ما هو إلا صورة مصغرة عن الجواهر الثمينة، وهـذا الأمر يزداد تأكيدا إذا علمنا أن هناك تفاوتا في تواريخ وفاة العالمين، فإن ابن شاس تـوفي سـنة 610هـ عند من يجعلون تاريخ وفاته في هذه السنة[1077].

وأما ابن الحاجب؛ فقد كانت وفاته في سنة 646هـ[1078]، فيكون بين تـاريخ وفـاة الرجلين أكثر من خمس وثلاثين سنة وهو عصر تعيش فيه أجيال وتموت أخرى، وهو ما يرجح أن جامع الأمهات نسخة مختصرة عن ابن شاس.

الفرع الثالث: نسخ مختصر ابن الحاجب

لهذا الكتاب نسخ عديدة توصلنا إلى أماكن وجود بعضها وبعضها الآخر ما يـزال طـي الكتمان، ومن مخطوطاته:

1- نسخة خطية بالخزانة الصبيحية، ناقصة أولها المياه[1079].

2- نسخة أخرى بفاس بخط مغربي واضح، رقمها 407[1080].

3- نسخة أخرى بالخزانة الحسنية رقم 11669، تامة، بخط مغربي واضح جيد وجميـل، كتبت قبل سنة 934هـ كما يظهر في ورقة الشراء. رؤوس مسائلها بالأسود الواضح، والمورد المكتبة الزيدانية.

(1076) مقدمة محقق كتاب البيوع من كتاب التوضيح: 18/1.

(1077) اختلف في تاريخ وفاته، ففي الديباج وحسن المحاضرة وابن مخلوف: توفي سنة 610هـ، بينما يرى ابن كثير في البداية وابن قنفذ في الوفيات والمنذري في التكملة أن وفاته سنة 616هـ.

(1078) راجع حياته في الفصل المخصص لذلك.

(1079) فهرس الخزانة الصبيحية للدكتور محمد حجي، طبعة منشورات معهد المخطوطـات العربيـة، ص: 198.

(1080) فهرس خزانة القرويين: 391/1.

4-نسخة أخرى بخزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 804 تنقصها أوراق من أولهـا، كتبـت سـنة 942هـ.

5-نسخة أخرى بخزانة ابن يوسف أيضا، أولها المياه،كتبت سنة 960هـ، مـن تحبـيس زيدان على المكتبة.

6-نسخة أخرى بالخزانة الطاهرية بإيفران ناحية كلمـيم، كتبـت بخـط جيـد واضـح مشكل[1081].

7-نسخة أخرى بالخزانة التغرغرتية، كتبت بخط مغربي واضح رقيق سنة 845هـ.

8-أخرى رقم 26.

9-نسخة أخرى مبتور أولها بالجامع الكبير بتازة، رقم 337[1082].

10-نسخة أخرى في سـفر واحـد ضـخم بـالقرويين، يبتـدئ بالميـاه وينتـهي بالمناسخات[1083].

11-نسخة أخرى أولها المياه، توجد بتنغملت[1084] إقليم أزيلال.

12-نسخة أخرى بمكتبة الأسد بدمشق[1085].

13-مختصر ابن الحاجب الفقهي أوله: المياه أقسام المطلق طهور. آخـره: كمـل جميـع الدواوين والحمد لله رب العالمين على ما أنعم به وهدى الله، الحمد لله وحده وصـلى الله علـى محمد نبي الرحمة وهادي الأمة... [1086]، وذلك في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة عام تسـعة عشر وسبعمائة (719هـ) ضحى يوم الاثنين على يد العبد الفقير إلى رحمه مولاه العلي الكـبير

(1081) مقدمة كتاب البيوع من كتاب التوضيح: 20/1.

(1082) فهرس الجامع الكبير بالخزانة الحسنية رقم 3743.

(1083) فهرس خزانة القرويين: 391/1.

(1084) فهرس تنغملت، مرقون بالخزانة العامة، وقد آلت هذه الخزانة مؤخرا إلى رصيد الخزانـة الحسـنية بالرباط.

(1085) انظر جامع الأمهات، ص: 10.

(1086) مختصر ابن الحاجب: الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 887د.

الراجي عفوه وغفرانه.. عمر بن عثمان الكعباش.. تاب الله عليه وبصره بعيوب نفسه...[1087].

وصف المخطوط: يتكون هذا المخطوط من حوالي (115)، ورقة من حجم متوسط، خطه جميل مغربي أخذ في التآكل، عليه بتر في كثير من أوراقه، يكتب الناسخ بعض العناوين بـالأحمر، معدل السطر في الورقة 29 سطرا، يتضمن هذا المخطوط أولا أقسام المياه، ثم يلي ذلك الوضـوء ونواقضه، ثم الغسل، ثم التيمم، المسح على الخفين، الحيض والنفاس، ثم باب الأذان، باب الصلاة، ثم صلاة الجماعة، ثم الجمع، صلاة الخوف، صلاة العيدين، صلاة الكسوف، صلاة الاستسـقاء، صلاة التطوع، ثم الجنائز، ثم الزكاة، مصرف الزكاة، زكاة الفطر، ثم الحج، ثم الذبائح الأضحية، ثم الأيمان والنذور، ثم الجهاد، ثم المقاتل، ثم النكاح، ثم الطلاق، ثم الإيلاء، ثم الظهار، اللعـان، ثم الرضاع، ثم النفقات، الحضانة، ثم البيوع، الرهن، الضمان، التفليس، الحوالة، الشركة، الوكالـة، الإقرار، الاستحقاق، الوديعة، العارية، الشفعة، القسمة، القراض، المساقاة، المزارعـة، الإجـارة، الجعالة، إحياء الموات، الوقف، اللقطة، اللقيط، الأقضية، الشهادات، الدعوى، الجواب، الـيمين، النكول، البينة، الديات، القسامة، الجنايات، العدة، الوصايا، الفرائض، الجامع[1088]. وقد اطلعت عليه.

14-نسخة أخرى من المختصر الفرعي لابن الحاجب بقسم المخطوطات بالرباط، رقمـه 286د. أوله: ... فيه حذف في الأول والأخير، والورقة الأولى من هذا المخطوط يتحدث فيـه عن نفقة الولد على أبويه، وفي الورقـة الأخيرة يتحـدث فيه عن الفرائض مما يوحـي أن البتر كثير سواء في الأول أو في الأخير، يقع المخطوط في 160 ورقة من حجم متوسط، ويضم الكتب الآتية:كتاب البيوع، كتاب الوصايا والفرائض فقط.

وصف المخطوط: معدل السطر في الورقة 18 سطرا، خطه مغربي جميل، يكتـب بعـض العناوين بالأحمر[1089]. وقد ذكرت هذه النسخة في فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامـة

(1087) نفسه: الورقة الأخيرة.

(1088) نفسه.

(1089) المختصر الفرعي لابن الحاجب، رقمه بالخزانة العامة: 286د.

قائلا: »المختصر الفرعي في الفقه المالكي تأليف أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المعـروف بابن الحاجب المذكور مقدما، الجزء الثاني مبتور الطرفين، ورقاته 160، مسـطرته 15«[1090]. اطلعت عليه بقسم المخطوطات بالرباط.

15-جامع الأمهات، انظر المختصر في الفروع لابن الحاجب، المختصر في الفروع جـامع الأمهات، للشيخ عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبي عمرو جمال الدين ابن الحاجب المالكي المصري (و.570-ت.646هـ/1174-1249م) انظـر كشـف الظنـون (1625/2- بروكلمان:373/1، ملحقة 538/1- الأعلام: 211/4).

بأوله بتر مقداره سطر، وأول الموجود في كتاب الطهارة قوله: »وهو الباقي على خلقتـه ويلحق به المتغير غالبا بما لا يبعد عنه كالتراب والزرنيخ الجاري وهو عليها والطحلب..«.

وآخره مبتور، وآخر الباقي منه في الكلام على أحكام زواج الأمة قوله: »وقال اللخمـي: الصواب لا خيار لها، ويسقط خيارها بقولها وتمكينها وما في معناه إن كانت عالمة بـالعتق تخـير اتفاقا والجهالة بالحكم المشهور سقوطه، وقال ابن القصار أنما سقطه مالك بالمدينة؛ حيث اشـتهر ولم يخف على أمة، وأما إذا أمكن جهلها فلا، إذا أعتقت واختارت وتزوجت وقد مر وثبت أنـه عتق قبل اختيارها...«.

نسخة بقلم مغربي واضح من خطوط القرن السابع الهجري تقديرا وبأولها فهرست مختصر بأبواب الكتاب.

انتهى الكتاب بأول الكلام على باب الوكالة وبورقة من أثناء الكلام على أحكـام زواج الأمة، وكان في بعض الأوراق خلط وفي بعض الأبواب بتر ونقص، وعلى حسب الفهرست الذي هو مثبت بأول الكتاب، يتضح أن المبتور من النسخة شيء كثير حوالي ثلاثين بابا، وآخـر مـا في الفهرست هو كتاب الجـامع. 138ق-23س-14×20سـم شسـتر بيـبتي 4476، الـرقم

(1090) فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة: 48/1.

1978[1091].

16-نسخة أخرى من مختصر ابن الحاجب رقمها بالخزانة العامة 688-ك) أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

قال الشيخ الإمام العلامة الفهام العلامة الحبر، واحد عصره وفريد دهره عمدة الفضلاء وأوحد العقلاء... النبلاء جمال الدين ابن عمرو المالكي المعروف بابن الحاجب رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

أوله: المياه أقسام، المطلق طهور وهو الباقي على خلقته، ويلحق به المتغير ا لا ينفك عنه غالبا... [1092]، يتكون هذا المختصر من 394 ورقة بخط مغربي مقروء، تكتب العناوين بالأحمر، يتكون هذا المختصر من الأبواب الآتية:

المياه، المسح على الخفين، الحيض، الأوقات، الأذان، شروط الصلاة وفرائضها وسنن فضائلها، صلاة الجماعة، الإمامة، الاستخلاف، القصر، الجمع، الجمعة، صلاة الخوف، صلاة العيدين، صلاة الكسوف، صلاة الاستسقاء، صلاة التطوع، الجماعة، الجنائز، الزكوات الواجبة، المعدن والركاز والحرث، مصرف الزكاة، الإخراج، صدقة الفطر، الصيام، الحج، الذبائح، العقيقة، الأيمان والنذور، الجهاد، الأموال، النكاح، العتق، الصداق، القسم، النشوز، اللعان، العدة، الرضاع، الحضانة، البيوع، النقود، المطعومات، بيوع الآجال، الضمان، الجوائح، السلم، الحوالة، الشركة، الاستحقاق، الوديعة، الغصب، الشفعة، الفرائض، المساقاة، الجعالة، إحياء الموات، الهبة، اللقطة، اللقيط، الشهادات، الدعوى والجواب، اليمين والنكول والبينة، موجبات الجراح، الديات، الجنايات، موجبات التعزير، عتق القرابة، الولاء، التدبير، الكتابة، الوصايا، الفرائض، الجامع.

آخره: ... والله تعالى المسؤول أن يوفقنا للإقبال على امتثال مأموراته والإحجام عن ارتكاب محظوراته، ويلهمنا لما يقربنا من أجره وثوابه ويباعدنا من سخطه وعقابه، وصلى الله على

(1091) فهرس المخطوطات المصورة: 224/1.
(1092) مختصر ابن الحاجب: الورقة 1، رقمه: 688ك.

محمد وآله. ولنختم الكتب بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم الحمد لله رب العالمين[1093] على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه وغفرانه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد رفيع الرحمن المدعو يوسف، التازي الدار، الصنهاجي الأصل.

فرغ منه عشية يوم الثلاثاء شهر رمضان المعظم من عام واحد وألف سنة 1001هـ وصلى الله على مولانا محمد وآله[1094].

17-مختصر ابن الحاجب للمؤلف عثمان بن عمرو بن أبي بكر بن الحاجب الكردي المصري، المتوفى سنة 646هـ/1249م.

أول المخطوط: المياه أقسام: المطلق طهور.

آخره: ناقص ينتهي في أثناء كتاب الطلاق بقوله: .. والخلع كالطلاق... إن تمسكه حتى تطهر، ثم ...

وعدد أوراقه: 117 (232 ص: 17س. نوع الخط مغربي مدموج غليظ ملون بعضه مجدول، القياس: 20×13.5، الرقم 212[1095].

18-مختصر ابن الحاجب، رقمه 839 ك.خ.ع.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وآله. قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحد جمال الدين أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المالكي الشهير بابن الحاجب رحمه الله.

المياه أقسام: المطلق طهور، وهو الباقي على خلقته، ويلحق به على المتغير بما لا ينفك عنه غالبا كالتراب والزرنيخ الجاري هو عليهما أو الطحلب والمكث والمتغير با اورة... ويتضمن هذا الجزء -يعني الجزء الأول- الكتب الآتية، بل الأبواب الآتية: الوضوء، نواقض الوضوء، الغسل، المسح على الخفين، الحيض والنفاس، الأوقات، أوقات المنع، الأذان، سنة الإمامة، الصلاة شروطها، فرائضها، سنن فضائلها، صلاة الجماعة، المسبوق، الاستخلاف، القصر، الجمع،

(1093) مختصر ابن الحاجب: ورقة 391، رقمه بالخزانة العامة: 688ك.

(1094) نفسه: الورقة 391.

(1095) فهرسة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ص: 199.

الجمعة، صلاة الخوف، صلاة العيد، صلاة الكسوف، الاستسقاء، صلاة التطوع، سجود التلاوة، الجنائز، الزكاة، مصرف الزكاة، الصيام، الاعتكاف، الحج، الصيد، الذبائح، الأضحية، الأيمـان والنذور، الجهاد، الأموال، النكاح، الرق، العتق، الصداق، نكاح الشـغار، نكـاح التفـويض، التسليم، القسم والنشوز، الطلاق، التفويض، الرجعة، الإيلاء، الظهار، اللعان، العدة، الرضـاع، النفقات، الحضانة.

ثم يليه الجزء الثاني: يبتدئ بكتاب البيوع، بيوع الآجال، الرهن، الضمان، التفليس، الصلح، الحوالة، الشركة، الوكالة، الاستلحاق، الوديعة، الشفعة، القراض، المساقاة، المزارعة، الإجـارة، الجعالة، إحياء الموات، الوقف، الهبة، اللقطة، اللقيط، الأقضية، الشهادات، الـدعوى والجـواب، اليمين والنكول والبينة، موجبات الجراح، الديات، القسامة، العتق، الوصايا، الفـرائض، كتـاب الجامع(1096).

وصف المخطوط: يتكون هذا المخطوط من 439 ورقة، بخط مغربي مقروء ونسخة منـه توجد بجزئين الأول والثاني، يحمل رقم 839 ك.خ.ع، ونسخة أخرى تضم الجزء الأول، يحمـل أيضا 839 ك.خ.ع(1097) اطلعت عليه.

19-مختصر ابن الحاجب، رقمه 516.ق. أوله: كتاب اختصار مذهب الأئمـة وفخـر علماء الأمة، قدوة المتقين العالم العلامة أبي عمرو عثمان بن عمر ابن أبي بكر المالكي، عرف بابن الحاجب، تغمده الله وإيانا من رحمته.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم: المياه أقسام: المطلق وهو الباقي على خلقته... (1098).

آخره: كمل بحمد الله وعونه، وكان الفراغ من كتبه قبيل العصر يوم الاثنين المبارك(1099).

وصف المخطوط: يكتب كتب الفقه ويجعل عنوان الباب بالأحمر بدون ذكر الباب خاليـا

(1096) مختصر ابن الحاجب الفقهي: 1/1، رقمه بالخزانة العامة: 839ك.
(1097) نفسه: الورقة الأولى.
(1098) نفسه: الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 516ق.
(1099) نفسه: الورقة الأولى.

من تاريخ النسخ واسم الناسخ، خطه جميل ومقروء، يكتب بالأحمر بعض العناوين. يتضمن هـذا المخطوط تسعة وستين كتابا.

أوله: كتاب الطهارة. وآخره: كتاب القراض. ويضم 368 ورقة من حجم كبير، رقمـه بالخزانة العامة 516 ق.خ.ع[1100]. اطلعت عليه بقسم الوثائق بالرباط.

20-نسخة أخرى من مختصر ابن الحاجب: حذف أولها، ويتكون من 184 ورقة، خطه جميل، لم يذكر فيه تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ، رقمه بالخزانة العامة 1937.ك.خ.ع، غـير مرقمة، أوله باب الشهيد. آخره: كتاب الفرائض، حذف أوله.. لا ينقل عن الفقهاء ولا ينسـب إليهم أقوالا فقهية... [1101] اطلعت عليه.

21-المختصر الفرعي لابن الحاجب، رقمه بالخزانة العامة 2374.د، لأبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة (ت.646هـ)، يتكون هذا الكتاب من الجزء الثاني والأخير.

أوله: المياه أقسام، وآخره: المناسخات، يتكون من 321 ورقة بخط مقروء، إلا أنه بدأ فيه التآكل، مليئ بالطرر والشروح والهوامش بخط رقيق يصعب قراءته.. [1102]. اطلعت عليه بقسم الوثائق بالرباط.

22-نسخة أخرى لابن الحاجب بالخزانة الحسنية، رقمها 11669. خ.ح.

أوله: اختصار مذهب الأئمة وفخر علماء الأمة... قدوة المتقين ووارث رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم...

أوله: المياه أقسام..

آخره: تم الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام التامة المباركة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ملك لعبيد الله غريب الـدار،

(1100) مختصر ابن الحاجب، رقمه بالخزانة العامة: 516ق.
(1101) مختصر ابن الحاجب، رقمه بالخزانة الحسنية: 1937ك.
(1102) نفسه، رقمه بالخزانة الحسنية: 2374د.

المنقطع المذنب، الراجي إلى رحمة مولاه، بفضله جل جلاله يحيى الصوفي به، عرف ابن إبراهيم بن يوسف من قبيلة بوزكري نفع الله ببركتهم وبركة أمثالهم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الصادق البليغ الأمين النصيح وأهله وصحبه وأزواجه وذرياته وسلم تسليما... [(1103)].

وصف المخطوط: هذه النسخة غير مرقمة، تكتب العناوين بالأحمر والأسود (السمخ)، خالية من الهوامش والحواشي، معدل الأسطر في الورقة 25 سطرا، خطه مغربي مقروء، بدأ في التآكل، لم يشر فيه إلى تاريخ النسخ ولا الناسخ، يقع في حوالي 148 ورقة من حجم كبير[(1104)].

23-مختصر ابن الحاجب، رقمه بالخزانة الحسنية 11898.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، هذا مختصر الجواهر لأبي بكر عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب رحمه الله تعالى ورضي عنه، قال الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحجة المجتهد المحجة أبو عمرو بن الحاجب قدس الله روحه ونور ضريحه: بسم الله الرحمن الرحيم المياه أقسام: المطلق طهور وهي الباقي على خلقته، ويلحق به المتغير... [(1105)].

آخره وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ثم الجامع بحمد الله من جميع الديوان مختصر الجواهر الثمينة... وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجميعن[(1106)].

وصف المخطوط: يتكون هذا المختصر من 324 ورقة، يكتب عناوينه بالأحمر والأزرق، وبه بعض الحواشي والشروح، معدل الأسطر في الورقة حوالي 15 سطرا، يوجد بالخزانة الحسنية تحت رقم 11898[(1107)].

(1103) مختصر ابن الحاجب: الورقة الأخيرة، رقمه بالخزانة الحسنية: 11669.

(1104) مختصر ابن الحاجب، رقمه بالخزانة الحسنية: 11669.

(1105) مختصر ابن الحاجب، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة الحسنية: 11898.

(1106) نفسه.

(1107) نفسه.

24-مختصر ابن الحاجب، يوجد بالمسجد الأعظم بتازة تحت رقم 337 مبتور[1108].

25-كتاب ابن الحاجب الجزء الثالث، يوجد بزاوية تنغملت بإقليم بني مـلال تحـت رقـم 32[1109].

26-مختصر ابن الحاجب، يوجد ضمن مجموع يتكون من 96 ورقـة، أولـه: كتـاب الوضوء. وآخره: كتاب الفرائض، رقمه:

27-الجزء الأخير من ابن الحاجب يوجد بخزانة ابن يوسف بمراكش، تحت رقم 580[1110].

28-مختصر ابن الحاجب الفرعي، ناقص أوله[1111].

29-نسخة أخرى بالخزانة الحسنية رقم 11669، خطه مغربي واضح جيد وجميل، كتـب قبل سنة 934 كما يظهر في ورقة الشراء رؤوس مسائلها بالأسـود الواضـح والمـورد بالملكيـة الزيدانية[1112].

30-نسخة أخرى بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم 804، تنقصه أوراق من أوله، كتـب سنة 942هـ.

31-نسخة أخرى بالخزانة نفسها، كتبت سنة 960، من تحبيس زيدان[1113].

32-المختصر الجواهر أو اللوامع بين الأمهات، كذا جاء في الكتاب. له أيضا ناقص البداية كتب سنة 968هـ.

33-نسخة من الجزء الثاني بمكناس رقم 197.

34-نسخة أخرى مبتورة أولها رقم 337- تازة.

35-مختصر ابن الحاجب من فقه مالك، سفر واحد ضخم بالقرويين، يبتدئ بالمياه وينتهي

(1108) فهرس مخطوطات المسجد الأعظم بتازة، ص: 13.
(1109) لائحة مخطوطات زاوية تنعملت، طبعة وزارة الأوقاف، ص: 3.
(1110) لائحة مخطوطات خزانة ابن يوسف، طبعة وزارة الأوقاف.
(1111) فهرس الخزانة الصبيحية، ص: 197.
(1112) الخزانة الحسنية رقم 1669.
(1113) فهرس خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 804.

بالمناسخات؛ فهو من النسخة الكاملة(1114).

الفرع الرابع: مكانة ابن الحاجب في الفقه المالكي

يعتبر أبو عمرو بن أبي بكر بن يونس الدوني الأصل، الأسناي المولد، الكردي من أهم الفقهاء المالكيين الذين برعوا في جل العلوم، وخاصة علوم العربية والفقه والأصول؛ فقد وصفه العلامة شهاب الدين ابن أبي شامة الدمشقي في كتابه(1115) فقال: »كان ركنا من أركان الدين في العلم..« (1116). وفي العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية متقنا لمذهب مالك بن أنس، وكان ثقة حجة متواضعا منصفا محبا للعلم وأهله.. (1117) وله مكانة خاصة في الفقه المالكي؛ حيث استطاع أن يلخص مجموعة من آراء المذهب بأسلوب مختصر مبسط يهربه العقول دون حشو ولا إطناب، قال ابن مخلوف: وهو مختصر غريب في صنعه، بديع في فنه غاية في الإيجاز، يضاهي الألغاز، ويحسن إيراده يحاكي الإعجاز(1118).

وقد بالغ ابن دقيق العيد في مدح هذا الكتاب في أول شرحه وقال: »والده علي بن محمد بن فرحون، قال لي القاضي فخر الدين المصري: كان شيخنا كمال الدين بن الزملاقلاني يقول: ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب وكفى بهذه الشهادة فخرا... وقد اعتنى العلماء شرقا وغربا بشرح هذا الكتاب وقال شارحه قاضي الجماعة ابن عبد السلام كتاب ابن الحاجب احتوى على أكثر مشكلات المدونة(1119).

وتظهر مكانة ابن الحاجب في مختصره الفقهي الذي جمع فيه ما يتعلق بفروع فقه المالكية، وبذلك يعد من أحسن المختصرات في المذهب المالكي، نسخ ما تقدمه، وشغل دورا مهما، وأقبل

(1114) فهرس خزانة القرويين: 391/1.
(1115) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة: 354.
(1116) مختصر ابن الحاجب: ورقة ب، رقمه بالخزانة العامة: 516ك.
(1117) نفسه.
(1118) شجرة النور، ص: 167.
(1119) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة: 354، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.

عليه الناس شرقا وغربا، حفظا وشرحا، إلى أن ظهر مختصر خليل، وأثنوا عليه ثناء جما، منهم ناصر الدين المشدالي البجائي[1120]، أول من أدخله للمغرب ورغبهم فيه[1121].

وقد بالغ الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[1122] في مدح هذا الكتاب فقال: هذا كتاب أتى بعجب العجاب ودعا قصي الإجادة فكان ا اب ،وراض عصي المراد، فأزال شماسته وانجاب، وأبدى ما حققه أن يبالغ في استحسانه، وتشكر نفحات خاطره ونفثات لسانه كأنه رحمه الله تيسرت له البلاغة فتفيأ ظلها الظليل وتفجرت له ينابيع الحكمة فكان خاصره ببطن المسيل وقرب المرمى فحقق العمل الثقيل، وقام بوظيفة الإيجاز فناداه لسان الإنصاف ما على المحسنين من سبيل«[1123].

قال ابن كثير: مختصره في الفقه من أحسن المختصرات، انتظم فيه فوائد ابن شاس فكا صغير الحجم، كثير المسائل، لكنه لاختصار طبارقه وكثرة مسائله كان في بعضها كالألغاز، كما أن له مصطلحات لابد من الإلمام ا لفهم الكتاب، لهذا نرى من جاء بعده لشرحه وفك رموزه وإيضاح لغته ومشكله[1124].

ولعل مكانة ابن الحاجب في الفقه المالكي ظهرت جليا في مؤلفاته، وخاصة كتابه الجامع، والذي برع فيه براعة الأبطال؛ حيث استمال جل أنظار الحذاق واشتغل الناس به شرقا وغربا، وهو أوحد من ختمت به المائة السادسة للهجرة، والذي توالت عليه الشروح والاختصار والتعليق، وهذا لا يخفى على أحد.

وما دمنا نرى أن ابن الحاجب هو العلامة المتبحر، إمام المحققين، وفارس الإتقان والتدقيق.

(1120) هو أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي، الشيخ الفاضل، ولد سنة 631هـ، وتوفي 731هـ. (انظر ترجمته في بغية الوعاة: 301/2، وشجرة النور: 216/1).

(1121) الفكر السامي: 276/4.

(1122) هو أبو الفتح محمد بن أبي الحسن علي بن أبي العطاء المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد المالكي الشافعي، ولد سنة 625هـ، وتوفي سنة 702هـ. (انظر ترجمته في الديباج المذهب: 318/2، وطبقات الحفاظ ص: 516).

(1123) الديباج ص: 188-191.

(1124) البداية والنهاية: 186/13.

وكان مختصره غريبا في صنعه، بديعا في فنه غاية في الإيجاز يضاهي الألغاز ويحسن، إيراده يحاكي الإعجاز، اعتنى بشأنه العلماء الأعلام في سائر الأقطار(1125)، فإنه مع ذلك يعتبر قمة في الاختصار.

وكل ذلك أكسب لابن الحاجب مكانة يضاهي ا الفقهاء الكبار؛ حيث استوسع في الرواية وكتب العلم على أزيد من شيخ، وألف تآليف مفيدة أثرت في الفقه المالكي، حيث تفقه على مذهب مالك، وكان على اهتداء في تلك المسالك، استوطن مصر ثم الشام، ثم رحل إلى مصر فاستوطنها وهو في ذلك على حال عدالة وفي منصب جلالة، وصنف التصانيف المفيدة منها كتاب جامع الأمهات في الفقه، وقد بالغ الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في مدح هذا الكتاب في أول شرحه له، وكان قد شرع في شرحه على طريقة حسنة من البسط والإيضاح والبعد والتنقيح وخلاف المذاهب واللغة العربية والأصول، لو تم هذا الشرح بلغ به المالكية غاية المأمول(1126).

وقد وصف بعض العلماء المتأخرين كتابه جامع الأمهات بأنه وسيلة لفهم المدونة، بل لإقرائها، ولنستمع إلى ما يقوله الشيخ أبو يوسف الزواوي: قال رحمه فيما نقله عنه ابن فرحون: من حصل كتاب ابن الحاجب هذا -يعني كتاب جامع الأمهات- وفهمه فإنه يقرئ به المدونة، قال: وكذلك عادني أنا أقرئ به المدونة إلى آخر كلامه.. (1127).

وما شهد إلا ما حقق... ومن خير هذا الكتاب طرقه؛ فقد اعتنى العلماء شرقا وغربا... وقد رأيت بثغر الإسكندرية المحروسة جزءا فيه من أول المياه أقسام إلى كتاب الطلاق وعلى ظهره مكتوب بخط الإمام أبي عمر بن الحاجب، قرأ عليه الشيخ الفقيه الإمام العالم القاضي دلال عز الدين أبو محمد عبد المنعم بن علي بن ظافر بن مبادر اللخمي الخطابي وفقه الله جميع الجزء وأنا أمسك بالأصل وقد أذنت له أن يقرئه وغيره من كتب الفقه لما أعلمه من فضله وفطنته وفهمه(1128).

(1125) شجرة النور، ص: 167.
(1126) مختصر ابن الحاجب، ورقة ب، رقمه بالخزانة العامة: 688ك.
(1127) كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، ص: 44.
(1128) مختصر ابن الحاجب، ورقة ب، رقمه بالخزانة العامة: 688ك.

والله أسأل أن ينفع به المسلمين، ويجعله من العلماء الصالحين وكتب عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي أبو عمرو بن الحاجب في شهر رجب سنة ست وأربعين وستمائة، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد. انتهى، وتصانيفه مشهورة.

وكتب بخط يده الفانية أحمد بن يحيى بن الحسين الشريف عام إحدى وسـبعين وسـتمائة (691هـ)[1129].

(1129) نفسه، ورقة ب.

الفرع الخامس: عناية العلماء بمختصر ابن الحاجب

منذ ظهور مختصر ابن الحاجب، بذل العلماء مجهودات متنوعة قصد تقريـب الكتـاب إلى العامة والخاصة، وكان ابن الحاجب جمع الأمهات في مختصر سهل التناول، صغير الحجم، كـثير المسائل، لكنه لاختصار عبارته وكثرة مسائله كان في بعضها كالألغاز. كما أن فيه مصـطلحات لابد من الإلمام ا لفهم الكتاب. لذا نرى من جاء بعده شرحه وفك رمـوزه، وأوضـح لغتـه ومشكله، وها نحن ذاكرون بعض من شرح هذا المختصر أو شيئا منه.

أ- شروحه

1- شرح ابن دقيق العيد أبي الفتح محمد بن علي القشيري، المتوفى سنة 702هـ، وهـو شرح على طريقة حسنة من البسط والإيضاح والتنقيح وخلاف المذهب واللغة العربية والأصـول لم يكمله؛ حيث وصل فيه إلى باب الصلاة أو الحج، وقد اعتمد على هذا الشرح من جاء بعده، ذكره ابن مخلوف وغيره[1130].

2- شرح ابن راشد القفصي شارح ابن الحاجب محمد بن عبد الله بن راشد الإمام الفاضل المتفنن، وهو المأذون في إصلاح ابن الحاجب الفرعي. وكان يحضر عند ابن دقيق العيد في قـراءة مختصر ابن الحاجب الفرعي، وأخذ عن شمس الدين الأصبهاني، وحج ثمانية وسـبعين وسـبعمائة (778هـ). تصانيفه الجليلة منها: الشهاب الثاقب في شرح ابن الحاجب.

قال ابن مخلوف: قال ابن عرفة: حضرت جنازته فقدر أن جلس الفقيه ابن الحبـاب[1131] بالجبانة، مستندا إلى حائط جبانة أخرى، وكان بالأخرى مستندا إلى ذلـك الحـائط الشـيخان القاضي ابن عبد السلام والمفتي ابن هارون، فأخذ ابن الحباب في الثناء على ابن راشد، وذكر من فضله وعلمه ما دعاه الحال. إلى أن قال: ويكفي من فضله أول من شرح جامع الأمهات لابـن

(1130) طبقات الشافعية الكبرى: 6/2-3، شجرة النور ص: 189..

(1131) محمد بن يحيى بن عمر بن الحباب: كان بارعا في الفقه أصولا وفروعا، له مع ابـن عبـد السـلام مناظرات، وعنه أخذ ابن عرفة الجدل والمنطق والنحو، واستعان برأيه في مختصره، عرف بـه البلـوي في الرحلة فكان مما قال: واحد الزمان، وفريد البيان والتبيان، والعديم النظراء والإقراء المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان... (انظر ترجمته في شجرة النور، ص: 209).

الحاجب، ثم جاء هؤلاء السراق، وأشار إلى الجالسين خلفه، فعمد كل واحد منـهما إلى وضـع شرح عليه، وأخذ من كلامه ما لولاه ما علم أين يمر ولا يجيء، انتهى[1132].

ذكر هذا الشرح ابن فرحون وابن مخلوف وغيرهما[1133].

يقول صاحب معجم المؤلفين محمد بن عبد الله بن راشد البكري أبو عبد الله، فقيه وأديب عارف بالعربية، مشارك في علمهم، ولد بقفصة وتعلم ا، وأقام بتـونس زمانـا، ثم رحـل إلى المشرق، وحج وقدم القاهرة والاسكندرية، وتولى القضاء ببلده، وعزل وتـوفي بتـونس. مـن تصانيفه: الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي للمذهب في ضبط قواعد المذهب، ثم النظم البديع في اختصار التفريع، ثم لباب اللباب في بيان ما تضمنته أبـواب مـن الأركـان والشروط والأسباب والرتبة السنية في علم العربية[1134].

3-شرح ابن عبد السلام، المتوفى سنة 749هـ، المسمى تنبيه الطالب لفهم كـلام ابـن الحاجب. قال صاحب الديباج إنه أحسن شروح المختصر، ذكره ابن فرحون وابن مخلوف[1135].

4-شرح خليل بن إسحاق الجندي، المتوفى سنة 767هـ، المسمى التوضـيح، وسـيأتي الحديث عن هذا الشرح وأماكنه[1136] إن شاء الله.

5-شرح ابن هارون[1137] الكناني، المتوفى سنة 750هـ، ذكره ابن مخلوف فقـال: لـه

(1132) شجرة النور لمحمد بن مخلوف: 267/1.

(1133) طبقات المالكية، ورقة: 386، الديباج لابن فرحون ص: 334-335، وشجرة النور: 207/1.

(1134) معجم المؤلفين: 213/10-214. وانظر ترجمته في الفكر السامي: 231/2، ونيل الابتهاج ص: 235.

(1135) كشف النقاب الحاجب ص: 40، شجرة النور: 211/1.

(1136) شجرة النور: 223/1.

(1137) ابن هارون: شارح ابن الحاجب، هو أبو عبد الله محمد بن هارون التونسـي، العلامـة، قاضـي الأنكحة، أخذ عن فقهاء تونس، ثم رحل إلى المشرق ولقي الأعلام ، وحج ثم رجع إلى تونس، شرح ابن الحاجب الأصلي والفرعي والمعالم الفقهية. وشرح التهذيب في الشفا، واختصره. وشرح الحاصل، واختصر الوثائق المطلبية. ولد سنة ثمانين وستمائة (680هـ). توفي سنة 750هـ. (انظر ترجمتـه في طبقـات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة: 395، رقمه بالخزانة العامة: 3928، وشجرة النور ص: 207).

شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي، ومختصره الفرعي[1138].

6-شرح محمد بن سعيد بن عثمان الصنهاجي الزموري، المتوفى في العشرة التاسعة بعد السبعمائة (710هـ)، سماه معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب[1139].

7-شرح لأبي زكرياء يحيى بن موسى الرهوني، المتوفى سنة 775هـ[1140].

8-شرح أحمد بن يحيى الونشريسي، المتوفى سنة 924هـ[1141].

9-شرح عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، المتوفى سنة 955هـ، في أربعة أجزاء، ذكر هذا الشرح ابن فرحون والحجوي وغيرهما[1142].

10-شرح محمد بن مرزوق الخطيب، المتوفى سنة 781هـ، سماه إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب، ذكر هذا الشرح ابن مخلوف وغيره[1143].

11-شرح محمد بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي، المتوفى سنة 814هـ، سماه الأداء الواجب في اصطلاح ابن الحاجب[1144].

12-شرح داود بن علي الفلتاوي، المتوفى سنة 902هـ، ذكره التنبكتي وغيره[1145].

13-شرح عبد الرحمن الثعالبي، المتوفى سنة 876هـ، ذكره ابن فرحون وابن مخلوف وغيرهما[1146].

14-شرح محمد بن إبراهيم التتائي، المتوفى سنة 740هـ[1147].

(1138) شجرة النور: 210/1.

(1139) جذوة الاقتباس: 238/1، الفكر السامي: 288/2.

(1140) كشف النقاب لابن الحاجب ص: 41.

(1141) نفسه، ص: 41.

(1142) نيل الابتهاج ص: 288، الفكر السامي: 213/2.

(1143) شجرة النور: 236/1، الموسوعة المغربية: 69/1.

(1144) توشيح الديباج ص: 209.

(1145) نيل الابتهاج ص: 176-177.

(1146) نفسه، ص: 257، الفكر السامي: 307/2.

(1147) توشيح الديباج ص: 209.

15-شرح محمد بن عمار، المتوفى سنة 844هـ، وهو شرح مختصر، كتب منه إلى باب النكاح وقطعة من آخره[1148].

16-شرح محمد بن أبي القاسم المشدالي، المتوفى حوالي سنة 864هـ، ذكره ابن مخلوف[1149].

17-شرح عيسى بن مسعود الزواوي[1150]، المتوفى سنة 743هـ، ذكره ابن مخلوف وابن فرحون[1151].

18-شرح قاسم العقباني، المتوفى سنة 884هـ، وهو شرح لقطعة ابن الحاجب[1152].

19-شرح ابن أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام التلمساني، المتوفى سنة 743هـ[1153].

20-شرح أحمد القلشاني، المتوفى سنة 863هـ[1154].

21-شرح عمر القلشاني، المتوفى سنة 848هـ، جمع فيه ما ذكره ابن عبد السلام المشدالي وابن راشد وابن هارون وخليل في شروحهم على المختصر، ويضيف إلى ذلك من كلام غيرهم من علماء المذهب[1155]، ذكر هذا الشرح ابن فرحون وابن مخلوف وغيرهما[1156].

22-شرح أبي إسحاق إبراهيم الصفاقسي، المتوفى سنة 743هـ، ذكره ابن مخلوف

(1148) نفسه، ص: 41.

(1149) شجرة النور: 263/1.

(1150) الزواوي عيسى بن مسعود ابن الروح الغيري، كان فقيها مفتيا في العلوم، تفقه ببجاية على يد يوسف الزواوي، وشرح ابن الحاجب الفرعي، ووصل فيه إلى كتاب الصيد في سبع مجلدات. واختصر جامع ابن يونس، وشرح المدونة. يحكى أنه حفظ ابن الحاجب الفرعي في مدة ثلاثة أشهر ونصف. انتهت إليه رياسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية. ولد سنة 664، وتوفي سنة 743هـ. (طبقات المالكية لمؤلف مجهول: ورقة 392، رقمه بالخزانة العامة: 3928د).

(1151) شجرة النور: 219/1، والديباج ص: 182-183.

(1152) كشف النقاب ص: 41.

(1153) الفكر السامي: 283/2.

(1154) كشف النقاب ص: 41.

(1155) نفسه، ص: 41.

(1156) نيل الابتهاج ص: 305، وشجرة النور: 245/1.

وغيره[1157].

23-شرح محمد بن حسن المالقي[1158]، المتوفى سنة 771هـ[1159].

24-شرح النويري لمحمد بن محمد بن علي بن محمد أبو القاسم، المتوفى سنة 857هـ، سماه بغية الراغب، ذكره ابن فرحون وغيره[1160].

25-شرح أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد سنة 842هـ.

26-المقصد الواجب في اصطلاح ابن الحاجب لابن الرئيس.

27-شرح إبراهيم بن محمد الدفري، المتوفى سنة 877هـ[1161].

28-شرح إبراهيم بن فرحون[1162]، سماه تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات، وقد ورد عند ابن القاضي باسم تسهيل الطالب في شرح ابن الحاجب، وقد لخص في هذا الكتاب لباب شروحه لتقي الدين بن دقيق العيد وابن راشد وخليل والمشدالي والصفاقصي وغيرها[1163].

29-شرح أبي عبد الله محمد بن يحيى الباهي، عرف بابن السفر البجائي الشيخ الإمام العالم المحقق المدرس، له إملاء عجيب على مختصر ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 743هـ، وقيل 744هـ[1164].

(1157) شجرة النور: 209/1.

(1158) محمد بن الحسن بن محمد المالقي: نزيل دمشق، قال ابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: كان من أئمة المالكية وشيوخ العربية، حسن التعليم، متواضعا، شرح السهيلي، وشرع في مختصر ابن الحاجب الفرعي، وانتفع به الطلبة. توفي سنة 771هـ. (طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة 418، رقمه بالخزانة العامة: 3928د).

(1159) كشف النقاب، ص: 41.

(1160) نيل الابتهاج ص: 532.

(1161) كشف النقاب الحاجب، ص: 42.

(1162) ابن فرحون: صاحب الديباج، من مصنفاته مقدمة شرحه على ابن الحاجب، احتوت على فوائد، وأشار عليه بإفرادها عن الشرح، ينتفع به الطلبة، وسماها كشف النقاب عن مصطلح ابن الحاجب، وسمى شرحه تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات، وهو شرح جليل مفيد استغنى به عن جميع شروح ابن الحاجب. توفي 797هـ. (طبقات المالكية، ورقة: 434، رقمه بالخزانة العامة: 3928د).

(1163) كشف النقاب الحاجب، ص: 42.

(1164) شجرة النور: 219/1.

30-شرح محمد بن عبد الرحمن بن عسكر القاضي شمس الدين أبو عبـد الله البغـدادي، الإمام العلامة المتفنن في العلوم، الفهامة القائم بلواء مذهب الإمام مالك بالعراق... له تـآليف، منها: شرح إرشاد والده، وشرح مختصر ابـن الحاجـب الأصـلي والفرعـي، تـوفي سـنة 762هـ[1165].

31-شرح أحمد بن إدريس الجادي أبو العباس... جمع بين العلم والدين، وكان على طريقة السلف الصالح، أخذ عن جماعة، قال ابن فرحون: وصل وحج واجتمعت به في مكة فرأيته رجـلا مهيبا عالما وقورا، وله تعليق على بيوع الآجال من ابن الحاجب. كانت وفاته بعد الستين وسـبعمائة 760هـ ولم أتحقق من تاريخ وفاته. انتهى، قلت: وله شرح كامل على ابن الحاجب...[1166].

32-شرح أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي[1167] شارح ابن الحاجـب: الشـيخ شهاب الدين أحمد بن محمد ابن علي بن هلال الربعي نسبة إلى ربيعة... الإسكندري، قال ابـن فرحون: إمام عالم متفنن في علوم شتى، فاضل في الفقه والأصلين... [1168].

وله تواليف، منها: شرح ابن الحاجب الفقهي في ثمانية أسفار كبار، وكان قد شرحه شرحا مطولا، ثم تركه ولم يكمله لطوله، وله على مختصر ابن الحاجب الأصلي شرحان وشـرح علـى كافية ابن الحاجب النحوية... وتأليف مستقل على الأشكال كالأربعة في أول ابـن الحاجـب الأصلي سماه رفع الإشكال عما في المختصر من الأشكال، توفي سنة خمس وتسـعين وسـبعمائة 795هـ[1169].

33-شرح محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الزموري... له تأليف لشـرح

(1165) نفسه: 222/1.

(1166) طبقات المالكية، ورقة: 417.

(1167) قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن عمر بن هلال الربعي، نسبة إلى ربيعة بن نزار، الإمـام العـالم العامل، النظار في علوم شتى، العمدة الفقيه القدوة. له تآليف منها: شرح ابن الحاجب الفرعي في ثمانيـة أسفار، وشرحان على مختصره الأصلي. توفي سنة 795هـ. (شجرة النور: 223/1-224).

(1168) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة 430، رقمه بالخزانة العامة: 3829د، الديباج ص: 82.

(1169) نفسه، ورقة: 430.

فرعي ابن الحاجب، سماه معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب(1170).

34-شرح أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام... له تأليف شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي(1171).

35-شرح مختصر ابن الحاجب لبدر الدين بن يحيى القرافي (ت.1008هـ) (1172).

36-شرح مختصر ابن الحاجب لسعيد الكرامي السملالي(1173).

37-كتاب معتمد الناجب في إيضاح مبهمة ابن الحاجب، حبس على الزاوية الناصرية، رقمه بالخزانة العامة 1090د، يوجد منه المجلد الرابع بالخزانة العامة بالرباط، يبدأ هذا المجلد بالقسمة، قال في بدايته قوله: القسمة ثلاث... وختم هذا الجزء بالميراث، وقال الناسخ في آخر هذا الجزء: وقد أتينا بحمد الله تعالى على ما قيدنا على سبيل الاختصار على كتاب الشيخ الإمام أبي بكر عثمان بن عثمان بابن أبي بكر المعروف بابن الحاجب، واقتصرنا فيه على تقدير كلامه وسط ألفاظه ومعانيه بحمد الله وقوته جعل الله تعالى ذلك خالصا لوجهه الكريم ونفعنا به ونفع به جميع من اعتنى به ورحمنا وجميع المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

كمل السفر الرابع من كتاب معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب على يد الفقير المدني الراجي رحمة ربه علي بن سعد السجتي ثم اليوسفي نسبا اللهم ارحم كاتبه وقارئه ومن قال آمين يا رب العالمين.

خط هذا الجزء خط مقروء، معدل السطر في الورقة 29 سطرا، حجم الورقة متوسط غير

(1170) نيل الابتهاج، ص: 271، جذوة الاقتباس: 238/1، معلمة الفقه المالكي ص: 166.

(1171) برنامج المجاري (ت. 862هـ)، تحقيق: محمد أبي الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص: 131-132.

(1172) كتاب الإبانة في صحة إسقاط ما لم يجب من الحضانة، ليحيى بن أحمد الكردي، مكتبة الغرب الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1414هـ، ص: 17.

(1173) المغرب عبر التاريخ، لإبراهيم حركات، طبعة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء: 228/2.

مرقمة، يقع في 241 ورقة(1174).

38-مجموعة كراريس من مدرج الراغب لإيضاح ابن الحاجب، لأبي علي الحسين بن داود المرابطي النسب، رقمه 662(1175).

39-مدارج الراغب على مختصر ابن الحاجب، توجد نسخة منه في خزانة ابـن يوسـف حسبما أفادني ا الدكتور الحسن العبادي أستاذ بكلية الشريعة.

40-أ) توضيح خليل: التعريف بالتوضيح

يعتبر التوضيح لخليل بن إسحاق (ت.776هـ) من أهم الشروح التي اعتمد عليها النـاس لمختصر ابن الحاجب، يقول السبكي: »اعتمد عليه الناس بل وأئمة المغرب من أصحاب ابن عرفة وغيرهم مع حفظهم المذهب«(1176).

غير أن هذا الشرح لم يحظ بعد بالدراسة والتحقيق، وإن كانت بعض البحـوث الجامعيـة تسعى جادة إلى إخراج هذا الشرح إلى الوجود وذلك بتحقيق بعض نسخها كما فعلـت كليـة الشريعة بأكادير حيث تم تحقيق كتاب البيوع من التوضيح(1177). كما تم تحقيق كتاب الأقضـية والشهادات من كتاب التوضيح أيضا في جامعة القرويين(1178). وكيفما كانت الأحـوال فـإن التوضيح يعتبر من أغلى وأنفس الشروح التي شرحت مختصر ابن الحاجب، ومن أهـم الكتـب المعتمدة في شرح ابن الحاجب الفرعي ومن أكثرها تداولا:

الشهاب الثاقب لمحمد بن عبد الله بن راشد القفصي الذي مر تعريفه، وتنبيه الطالب لفهـم كلام ابن الحاجب لمحمد بن عبد السلام الهواري، ويعتبر شرحه أتقن الشـروح وأوفاهـا(1179)،

(1174) معتمد الناخب في مبهمات ابن الحاجب، رقمه بالخزانة العامة: 1090د.

(1175) نفسه، ص: 39.

(1176) نيل الابتهاج، ص: 168-173.

(1177) إعداد محمد السافري، تحت إشراف الدكتور محمد جميل، كلية الشريعة.

(1178) إعداد عبد الله الزوين، تحت إشراف الدكتور حدو مزيان بناصر، كلية الشريعة، جامعة القـرويين بفاس.

(1179) الفكر السامي: 286/4.

اعتمد شرحه خليل بن إسحاق وبنى على ترجيحاته في شرحه الذي سماه التوضيح[1180]، فضلا عن التوضيح الذي دار حوله الحديث السابق.

إذاً هذا الثالوث من الشروح تعتبر قمة معتمدة في شرح ابن الحاجب، كما يعتمد على غيرها من الشروح، إلا أنه بظهور مختصر خليل سحب البساط تحت هذا الشرح وغيره، وهجره الناس.

فما هي نسخ التوضيح؟ وأين توجد؟

ب) نسخ التوضيح

1-النسخة ذات الرقم 698 ق.خ.ع

أولها: بسم الله السفر الأول من التوضيح ملك لله تعالى بيد محمد الحنفي بن علي بن يوسف الناصر، كان الله له آمين. ص: المياه أقسام، لكن آخره النكاح.

آخره: كمل السفر الأول من كتاب التوضيح يوم الأربعاء عام 976هـ، على يد محمد بن عبد السلام بن أبي القاسم بن موسى بن داود بن يحيى بن زكرياء بن عيش الله بن عبد الجبار بن الوليد بن رشد الأمين ... [1181] الفكري ثم....[1182] تقع هذه النسخة في 664 ورقة من حجم كبير، معدل الأسطر في الورقة 39 سطرا في الورقة بخط مغربي رقيق، يكتب الناسخ: ص للدلالة على كلام المصنف، ثم يضع علامة: ش علامة على شرحه، يكتب بعض العناوين بالأحمر والأسود.

2-التوضيح رقم 698 ق.خ.ع و260 ج نسخة واحدة؛ حيث بدأت الأولى والثانية بأقسام المياه، وينتهيان بالنكاح. وعليه فإن أرقام (698 ق و260 ج.خ.ع نسخة واحدة من السفر الأول من التوضيح[1183].

أول هذه النسخة، قال الشيخ الإمام القائم العامل الصالح... ص المياه أقسام ش: الماء اسم

(1180) الديباج ص: 334، الفكر السامي، ص: 241-243.

(1181) بتر في المخطوط.

(1182) بتر في المخطوط.

(1183) التوضيح، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 698ق.

جنس يقع على القليل والكثير آخر هذا الجزء، والنكاح يقع في 368 ورقة، من حجم متوسط، معدل السطر في الورقة 27 سطرا بخط مغربي مقروء، يكتب المؤلف عناوينه بالأحمر وكذا كلام المؤلف بعلامة ص، وعلامة كلامه بـ ش يعني شرح بالأحمر تمييزا لكلام غيره، ويكتب العناوين بالخط الأحمر، وقد كتبت هذه النسخة كاملة من المياه إلى النكاح[1184].

3-نسخة أخرى لأبي الضياء خليل بن إسحاق الجندي.

الجزء الأول: قال الشيخ الفاضل المتحقق شهاب الدين الفقيه الصالح خليل بن إسحاق بـن يعقوب المالكي. ص: المياه أقسام. ش: الماء جنس يقع على القليل والكبير.

آخـره: وإلا كان نقضا لختم أبي بكر، وهو بأصل....[1185] السفر الأول من التوضيح: خطه غير واضح، فرغ منه في شعبان سنة 991هـ في سنة 29×21×أ[1186].

4-الجزء الثاني من التوضيح: أوله: موضوع الزكاة، وآخره: كمل الجزء الثـاني: نسـخة الحين بن ييدر السملالي لصاحبه محمد بن أبي القاسم بن الغازي، خطه مغربي مقروء نسبيا سـنة 993هـ، قياسه 30×22×4[1187].

5-نسخة أخرى ذات الرقم 1368 د، وهو شرح على مختصر ابن الحاجب، تـأليف أبي الضياء خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، المتوفى في 13 ربيـع الأول سـنة 767هـ/1366م السفر الثاني منه فقط. أوله: النكاح ش: حقيقته التداخل... بـه ورقـات 455، سطوره 29، مقياسه 290/90، مكتوب بخط مغربي (أورده بروكلمان في ملحقـه ص 338)[1188].

6-نسخة أخرى من الجزء الثالث.

أوله: ... الحجر ص، الحجر: أسبابه الصبا والجنون والتبذير...

(1184) التوضيح، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 260ج.

(1185) بتر في المخطوط.

(1186) الخزانة الأزرايفية، عمالة تزنيت.

(1187) الخزانة نفسها، الورقة الأولى.

(1188) فهرس المخطوطات العربية، القسم الثاني: 270/1.

نسخة عبد الله بن إبراهيم بن يعز بن أبي القاسم السملالي لمحمد بن أبي القاسم بن غازي، بخط مغربي متقارب السطور، بالأسود والأحمر في شعبان سنة 993هـــ، متآكــل، قياســها 30×22[1189].

7-نسخة أخرى مبتور الأخير: أولها: الحجر: أسبابه الصبا والجنون... خطها مغربي مقروء واضح، قياسها 30×22×5[1190].

8-نسخة أخرى من التوضيح: أولها: النكاح ش: حقيقته التــداخل، فقــال: تناكحــت الأشجار إذا دخل بعضها في بعض..

آخرها: والمشهور أنه لا يستلحق غير الأب وقال أشهب يضم استحقاق... خطها مغــربي مقروء، متقاربة الأسطر، قياسها 21×16[1191].

9-نسخة أخرى:

أولها: النكاح نسخها عيسى بن أبي بكر بن إبراهيم الرسوكي لصاحبه أحمد بــن محمــد التملي، بخط مقروء واضح في 9 جمادى الأولى سنة 948هـ[1192].

10-نسخة أخرى ضمن مجموع، قياسه 30×22[1193].

11-نسخة أخرى ذات الرقم 1249 ق.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم (...)[1194] قال الشيخ الإمام العالم العلم القدوة خليل بــن إسحاق، المعروف بابن الجندي المصري المالكي، قدس الله روحه ويرد صبره وأفاض علينــا مــن بركاته...[1195].

آخره: كمل جميع الديوان والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على ســيدنا محمــد

(1189) الخزانة المسعودية، ماسة، الورقة الأولى.
(1190) نفسه.
(1191) نفسه.
(1192) مخطوطات العلوم الشرعية بخزائن سوس، ص: 101.
(1193) الخزانة المسعودية بماسة، تقع على بعد 30 كلم في ضواحي أكادير.
(1194) بتر في المخطوط.
(1195) التوضيح، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 1249ق.

ومولانا محمد خاتم النبيئين وسيد المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين، على يد العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد وفقه الله تعالى وأعانه، وذلك بمدينة تلمسان، حرسها الله تعالى بتاريخ أوائل شوال عام ستين وتسعمائة (960هـ) عرفنا الله خيره وخير ما بعده من النبيئين تجاه سيدنا ومولانا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إني أسألك من الله الذي خضعت له السماوات فهو الواحد الباري مهما تصفحت استغفر لكاتبه، لعل كاتبه ينجو من النار، انتهى[1196]. تتكون هذه النسخة من 821 ورقة من حجم كبير متوسط السطر في الورقة 44 سطرا بخط رقيق...

12-نسخة أخرى رقم 900.ق أولها: الحمد لله وحده، يقول كاتبه عبيد الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن، كان الله له بلطفه وحسن عونه فوات نسخ هذا السفر المبارك الأول من التوضيح في اليوم السابع من جمادى الآخرة عام ثمانية وتسعين وتسعمائة 998هـ. فنسأل الله الإعانة عليه وحسن يسره للخير، وهو على ما شاء قدير نعم المولى ونعم النصير وحسبنا الله المولى ونعم النصير.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

السفر الأول من التوضيح شرح الشيخ الجليل الإمام الأصل وفي المودات خليل لمختصر ابن الحاجب المسمى جامع الأمهات: ص: المياه أقسام، ش: آخره النكاح، ص: النكاح... قال الناسخ: تم السفر الأول من التوضيح، تأليف الشيخ الجليل الإمام خليل يبين فيه ألفاظ ابن الحاجب، وكان ذلك في أول شوال عام 999هـ، كتبه العبد الفقير إلى الله الراجي من مالكه غفران ذنوبه الحسن بن محمد الجرماضي لقبا غفر الله له ولوالديه وللمسلمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين[1197]، يتكون هذا الجزء من 420 ورقة، معدل السطر في الورقة 42 سطرا، خطه مغربي رقيق، يكتب المؤلف علامة ص بالأحمر

(1196) نفسه، الورقة: 821.
(1197) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 1235.

وعلامة س بالأسود، يكتب العناوين بالأحمر[1198].

23-نسخة أخرى عدد 1235 ج.خ.ع

مبتور الأول وآخره كتاب الفرائض غير مرقمة، خطه رقيق في أوراقه كبيرة، معدل السطر في الورقة 33 سطرا في الورقة دون ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ، يقع في 235 ورقة، مبتـور الأول، وأعتقد أنه يتحدث عن النكاح[1199].

24-نسخة أخرى 502.ق.خ.ع

تتضمن هذه النسخة كتاب البيوع ويقع في 522 ورقة من حجم كبير، معدل السـطر في الورقة 41 سطرا، .مبتور الأول. خطه مغربي رقيق، تتضمن هذه النسـخة كتـاب البيـوع في التوضيح إلى منتهاه ثم على شرح نظم مقدمة الإمام ابن فرحون في اصطلاح ابن الحاجب للشيخ القاسم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله الزموري رحم الله الجميع آمين[1200].

25-نسخة أخرى ذات الرقم 813.ق.ج:1

أوله: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليما، الجزء الأول من التوضيح، وفيه ثلاثة عشر كتابا: كتاب الطهارة، الصلاة، الجنائز، الزكاة، الصيام والاعتكاف، الحج، الصيد والعقيقة، الأيمان والنذور، الجهاد. وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا[1201].

26-نسخة أخرى ذات الرقم 813.ق.ج: 2

قال الناسخ في أول السفر الثاني من التوضيح للشيخ خليل بن إسحاق المـالكي مالـك الله تعالى بيد أحمد بن محمد بن ناصر كان الله له آمين عفا الله عنه، فهرست هذا الدفتر على الترتيب تقريبا للمطالعة: النكاح، نكاح الزوجين، الصداق، التفويض، الوليمة، النشوز، الطلاق، تقويض الرجعة، الإيلاء، الظهار، اللعان، العدة، الاستبراء، التداخل، الإحدد، الرضاع، النفقات، الحضانة،

(1198) نفسه.

(1199) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 502ق.

(1200) التوضيح: 20/1، رقمه بالخزانة الحسنية: 900ق.

(1201) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 813ق، الجزء الأول، الورقة الأولى.

البيوع، الربويات، بيوع الآجال، بيع العينة، الخيار، المرابحة، السلم المقترض، التفليس، الصلح، الضمان، الشركة.

قال الناسخ: الحمد لله ما في هذا الكتاب من الرموز تقريبا للمطالعة من السفر الأول من هذا الشرح ما نصه الإشارة في هذا الكتاب بما صورته الراء "ر" لابن راشد وبما صورته "ع" لابن عبد السلام، وبما صورته "هـ" لابن هارون. وإذا ظهر لي شيء أشرت إليه بما صورته الخاء "خ"[(1202)].

قال في أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ص: النكاح، ش. آخره: ص: الوكالة.

كمل بحمد الله وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا مولانا محمد... [(1203)]

27-نسخة أخرى ذات الرقم 842 ج. ج: 2

أوله: ص: النكاح، ش: حقيقته التداخل... [(1204)].

آخره: ص: الحجر أسبابه: الصبا والجنون والتبذير والرق والفلس والمرض والنكاح في الزوجة.

تم السفر الثاني من كتاب التوضيح على ابن الحاجب الراجي عند ربه غفران ذنوبه وذنوب والديه وللمسلمين والمسلمات آمين. وكان الفراغ منه عند طلوع الشمس يوم الأحد ثمانية وعشرين صفر 20 سنة 944 هـ[(1205)]. يحتوي هذا الشرح على 234 ورقة، معدل السطر في الورقة 39 سطرا، من حجم كبير، خطه مغربي رقيق، يكتب الناسخ عناوينه بالأحمر والأسود، يضع كلام المؤلف بالأحمر، ويضع علامة ص علامة لكلام المؤلف، ويضع كلمة ش علامة على شرحه. وقع البتر في اسم الناسخ.

28-نسخة أخرى ذات الرقم 1368 د.خ.ع

(1202) نفسه.

(1203) نفسه: 2، الورقة 211.

(1204) المصدر نفسه: 2، الورقة الأولى.

(1205) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 813ق.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما ص: النكاح س.

آخره: كمل السفر الثاني من التوضيح على يد المذنب الراجي عند مولاه العفو والمغفرة إبراهيم بن محمد بن مسعود البعقيلي، وكان الفراغ منه يوم الأول صفر عام 976هـ، اللهم اغفر لكاتبه... وناظره ولوالديهم والمدعو لهم بالمغفرة والرحمة، ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله والرضى عن الصحابة الأولين، والحمد لله رب العالمين(1206).

يحتوي هذا الجزء، وأعتقد أنه الجزء الثاني، بل على نسخة غير مرقمة بحجم كبير، معدل الأسطر في الورقة 29 سطرا، بخط مغربي رقيق، يكتب الناسخ كلام المؤلف كلمة ص، وكلمة ش علامة على الشرح.

29-نسخة أخرى رقم 1167.ق ج: 2

أوله: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. الجزء الثاني من التوضيح وفيه سبعة عشر كتابا: الصيد، الذبائح، الأضحية، العقيقة، الأيمان والنذور، الجهاد، النكاح، الطلاق، التفويض، الرجعة، الإيلاء، الظهار، اللعان، العدة، الرضاع، النفقة، الحضانة وهو آخرها، يليه الجزء الثالث من كتاب البيوع.

30-نسخة أخرى رقم 1167.ق.ج: 3

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

آخره: ص: كتاب البيوع كمل بحمد الله وحسن عونه، وكان الفراغ منه يوم الخميس من تسعة وعشرين من ذي الحجة على يد العبد المذنب الراجي عفو الله إبراهيم بن عبد الله الجزولي غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين عام 962هـ. (1207)

هذه النسخة غير مرقمة، كتبت بخط مغربي رقيق، معدل السطر في الورقة 30 سطرا.

31-نسخة أخرى رقم 824.ق.ج: 4

أوله: الحمد لله وحده وصلى الله تعالى على من لا نبيء بعده، الجزء الرابع من التوضيح،

(1206) نفسه، رقمه بالخزانة العامة: 1368د.

(1207) التوضيح، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة العامة: 1167ق.

وفيه اثنان وثلاثون كتابا. أوله: الوكالة. وآخره: المناسخات، يتضمن مائتين واثنين وثمانين ورقة 282 من حجم كبير، معدل السطر في الورقة 33 سطرا، بخط مغربي رقيق مع كتابة علامة ص بالأحمر وكلمة ش بالأحمر أيضا تمييزا لكلام الشارح والمصنف.

آخره: أنجز الكتاب المبارك بحمد المولى وتوفيقه الجميل وفضله الجزيل، والصلاة والسـلام على السيد المولى رسول الله صلى الله عليه وسلم(1208)، الذي أظهر المولى على يديه المعجـزات الباهرات الخوارق للعادات... صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادات الكرماء صلاة وتسليما تشفي القلب العليل من كل ذنب اقترفه وخالق السيل(1209).

لم نذكر فيه تسمية الناسخ ولا تاريخ النسخ.

32-نسخة أخرى رقم 774 ك.ج: 2

أوله: الحمد لله، هذا ا لمد من التوضيح، وفيه من النكاح إلى الحج للشيخ خليل شرح بـه مختصر ابن الحاجب.

أوله: النكاح، بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصـحبه وسـلم تسليما.

ص: النكاح، ش: التداخل، يقال: تناكحت الأشجار إذا دخل بعضها في بعض.

آخره: وقع فيه بتر.

وصف المخطوط: خطه مغربي مقروء، يكتب كلام المصنف ويضع عليه علامة ص بالأحمر، معدل السطر 31 سطرا، في الورقة نسخة غير مرقمة لا تحتوي على تـاريخ النسـخ ولا اسـم الناسخ(1210).

33-نسخة أخرى رقم 503.ق

أوله: السفر الثالث من التوضيح، ويتضمن الكتب الآتية: الوكالة، الإقرار، الاسـتلحاق،

(1208) نفسه، الورقة الأولى، رقمه بالخزانة الحسنية: 824ق.
(1209) نفسه، الورقة: 282.
(1210) التوضيح، رقمه 774 ق، الورقة الأولى.

الوديعة، العارية، الغصب، الاستحقاق، الشفعة، القسمة، القرض، المساقاة، المزارعة، الإجـارة، الجعل، إحياء الموات، الوقف، الهبات، اللقطة، القضاء الشهادات، الدماء، الجنايات، الردة، الزنى، القذف، السرقة، الحرابة، الضمان، العتق، القربى بالقرابة، الـولاء، الكتابـة، أمهـات الأولاد، الوصايا، الفرائض. ملك الله تعالى بيد أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له آمين.

أوله الوكالة نيابة... [1211].

آخره: تم بحمد الله السفر الثالث من التوضيح للشيخ خليل على ابن الحاجب رحمـه الله... وكان الفراغ من نسخه في ربيع النبوي دون ذكر السنة. تقع هذه النسخة في 583 ورقة، مـن حجم كبير، معدل السطر في الورقة 39 سطرا في الورقة؛ فهي نفسـها في 824 ق و503 ق، نسخة واحدة يبتدئ بالوكالة وينتهي بكتاب الفرائض[1212].

34-نسخة أخرى رقم 810.ق

مبتور الأول، نسخة غير مرقمة، خطه مغربي مقروء، بأوراق كبيرة الحجم، معدل السطر في الورقة 32 سطرا في الورقة. آخر هذا الجزء: المناسخات.

يقول الناسخ: كمل بحمد الله على يد الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه، وكان الفـراغ منه يوم الجمعة عند الزوال في شهر جمادى الثانية عام 964هـ، وكتبه بلقاسم بن محمد بن يس تاب الله عليه، ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوبة والرحمة والحمد لله رب العالمين[1213].

35-نسخة أخرى رقم 887 د

أوله: المياه أقسام، المطلق طهور، والباقي على خلقته، ويلحق به المتغير بما لا ينقل عنه غالبا كالتراب...

وآخره: الجامع، يقول في آخره: كمل بجميع الديوان والحمد لله رب العالمين على ما أنعـم به... وذلك في الحادي والعشرين لجمادى الآخر عام تسعة عشر وسبعمائة 719هـ، يـوم

(1211) نفسه، رقمه: 503ق، الورقة الأولى.

(1212) نفسه، الورقة الأولى.

(1213) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 810ق، الورقة الأخيرة.

الاثنين على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه العلي الكبير الراجي عفوه وغفرانه عمر بن عثمان بن الكعياش الحفربي... [(1214)].

يحتوي هذا الشرح على 116 ورقة من حجم كبير، معدل السطر في الورقة 29 سطرا، بخط مغربي رقيق، بدأ في التآكل، يكتب العناوين بالأحمر وكذا بعض أسماء الفقهاء الذين يرد ذكرهم في الشرح، لم يذكر الشارح.

36-نسخة أخرى رقم 685 ق

السفر الثالث من كتاب التوضيح على ابن الحاجب، معتنيا بالشرح، تأليف الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين خليل بن إسحاق بن يعقوب المالكي المصري الشهير بابن الجندي رحمه الله تعالى ورضي عنه وجعله في فسيح جناته ونفع به آمين.

بدأ المؤلف هذا السفر بقوله: »الحجر أسبابه، الصبا والجنون والتبذير والرق والفلس والمرض والنكاح في الزوجة«.

ش: هو مصدر حجر يحجر -بفتح الجيم وكسره-، وحقيقته لغة: المنع، وشرعا: منع المالك التصرف في ماله لمصلحة نفسه أو غيره... [(1215)].

آخره: أصول مسائل الفرائض سبعة إلى أن قال: انقضى وانكمل ونجز بحمد الله وحسنه وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا صلى الله عليه وسلم، هذا الكتاب عند صلاة الظهر من يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة عام إحدى وستين وتسعمائة (961هـ) غفر الله لنا ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين على يد المذنب الراجي عفو مولاه وغفران ذنوبه ووالدينا جميعا، وكتب لصاحبه في الله محمد بن محمد المرابط يعز بن يعقوب الشرفي لقبا، البعقيلي نسبا، لطف الله به في الدار آمين إنه سميع مجيب[(1216)].

يتكون هذا المخطوط من 438 ورقة من حجم كبير، معدل السطر في الورقة 45 سطرا،

(1214) التوضيح، رقمه بالخزانة العامة: 887ق، الورقة الأخيرة.
(1215) نفسه: 2/3، رقمه بالخزانة العامة: 685ق.
(1216) التوضيح: 438/3، رقمه بالخزانة العامة: 685ق.

يكتب الشارح كلام المؤلف بالأحمر ويضع علامة ص تمييزا لكلام المؤلف، خطه مقروء.

37-نسخة أخرى رقم 11235 ج: 2 خ.ج

أوله: كتاب الرضاع، عليه رطوبة، أخذ من بدايته إلى ايته في التآكل بدون ترقيم، خطه مقروء، يكتب كلام المصنف بالأحمر، وشرحه أيضا بالأحمر، معدل السطر في الورقة 40 سطرا، ويكتب الأعلام بالأحمر والأسود، وكذا العناوين.

آخره: كتاب الفرائض(1217).

38-نسخة أخرى من التوضيح

لضياء الدين خليل ين إسحاق المالكي (ت.776هـ)، كتب بخط يعود للقرن 10هـ، قياسه 359 29 س.

وهو شرح لمختصر ابن الحاجب، نسخة ورقتها الأولى متآكلة، عليها آثار بلل ورطوبة، كتب بالمدادين الأسود والأحمر(1218). ألف خليل التوضيح وأقبل على نشر العلم، فنفع الله به المسلمين. ألف شرحا على ابن الحاجب حسنا، وضع الله عليه القبول وعكف الناس على تحصيله ومطالعته، سماه التوضيح... (1219).

39-نسخة أخرى رقم 9841 ج: 2 خ.ح

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، ص: النكاح، ش: حقيقته التداخل، يقال: تناكحت الأشجار إذا دخل بعضها في بعض إلى أن قال: في آخرها هذا الجزء. كمل السفر الثاني من التوضيح بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، بخط يد الفقير الراجي رحمة مولاه وغفرانه محمد بن سعيد الماجري لطف الله به، وكتب نسخة للطالب يزيد المصمودي بأجرة قدرها أربعة أواق ولا غير، والله ولي المومنين، إنه قريب مجيب. ابن عبد المنعم السجيني. بدأ المخطوط بالنكاح وختمه بالحجر والوصايا، نسخة غير

(1217) نفسه، رقمه بالخزانة الحسنية: 11235ج.

(1218) فهرس مخطوطات مكة المكرمة، ص: 143.

(1219) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، الورقة: 415، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.

مرقمة، خطه مغربي مقروء، معدل السطر في الورقة 40 سطرا[1220].

40-نسخة أخرى

لعثمان بن عمر بن الحاجب (ت.1242هـ)، ناسخه أحمد بن الطاهر السليماني، خطه مغربي، م: 12/25، قياسه: 134/س 20[1221]، رقمه .99

41-متن التوضيح: لعثمان بن عمر بن الحاجب، خطه مغربي، م: 29×205، قياسه 148 س 24، رقمه: 3504.

[...] له عنوان مضاف من الفهرس لعدم وجود العنوان الأصلي [...] مخطوط مبتور الأول أو الأخير أو كليهما معا[1222].

42-نسخة أخرى من التوضيح لشرح مختصر ابن الحاجب (مبتور الآخر) لخليل بن إسحاق الجندي، خطه مغربي، م27.5×21، قياسه 255-س 35، رقمه 3468[1223].

43-نسخة أخرى من التوضيح لشرح مختصر ابن الحاجب لخليل بن إسحاق الجندي، ناسخه محمد بن المسعود القشطولي، خطه مغربي، م: 28×21، قياسه: 237-س 33، ج: 1، رقمه 811[1224].

44-نسخة أخرى من التوضيح لشرح مختصر ابن الحاجب لخليل، خطه مغربي، م: 15×28-205×28-5-9×29، قياسه: 199+157+242 س 28-33-37، ج: 1-2-3، رقمه 1807[1225].

45-نسخة أخرى من التوضيح لشرح مختصر ابن الحاجب، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي،

(1220) التوضيح، رقمه بالخزانة الحسنية: 9841ح.

(1221) فهرس المخطوطات الوطنية بتونس: 20/1.

(1222) نفسه: 10/4.

(1223) نفسه: 94/4.

(1224) نفسه: 463/2.

(1225) نفسه: 162/2.

خطه مغربي، م: 5/21 ق- 20/س21 (1552) [1226].

46-نسخة أخرى من التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (مبتور الآخر) لمحمد بن حسن المالقي، خطه مغربي، م: 30×20ق 261 س38، رقمه 3230[1227].

47-نسخة أخرى من التوضيح لشرح مختصر ابن الحاجب لخليل بن إسحاق الجندي المالكي، خطه مغربي، م: 34×22، قياسه: 248 س، 27 الجزء الأخير، ناسخه: محمد بن عطاء الله الغمري 997هـ، رقمه 5975[1228].

48-نسخة أخرى رقم 536 و530 و269، خزانة ابن يوسف مراكش[1229].

49-نسخة أخرى رقم 1012، خزانة تمكروت الناصرية[1230].

50-نسخة أخرى، وهي الجزء الأخير من ابن الحاجب، توجد بخزانة ابن يوسف مراكش تحت رقم 580[1231].

ج-حواشي ابن الحاجب

1-حاشية اللقاني على توضيح الشيخ خليل، أوله: النكاح، رقمه بالخزانة الملكية 8992.

أوله: النكاح، قال الشارح: وانضوى لعله بالضاد، في الصحاح: ضويت إليه -بالفتح- إلخ. وآخره: كتاب الشركة وبتمامه الجزء الثاني من حاشية إمام ناصر الدين اللقاني رحمه الله، يتلوه الجزء الثالث كتاب الوكالة إن شاء الله. كتبه بيده الفانية لنفسه عبيد الله تعالى... محمد بن محمد بن مختار عفر الله له ولوالديه بتاريخ مكمل جمادى الأولى عام 610 وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

(1226) فهرس المخطوطات الوطنية بتونس: 153/2.
(1227) نفسه: 48/3.
(1228) فهرس دار الكتب التونسية: 217/6.
(1229) لائحة المخطوطات الموجودة بخزانة ابن يوسف مراكش، ص: 2، سلسلة التراث المخطوط، عدد: 3، 1973، طبعة وزارة الأوقاف.
(1230) فهرس الخزانة الناصرية بتمكروت، ص: 25، طبعة وزارة الأوقاف.
(1231) لائحة المخطوطات لابن يوسف، ص: 7، طبعة وزارة الأوقاف.

وصف المخطوط: يحتوي هذا المخطوط على تسع وثلاثين ورقة 39، من حجم كبير، معدل السطر في الورقة 42 سطرا، كتب بخط أسود مع كتابة. قال الشارح: بخط غليظ وكذلك يكتب مثل ذلك قوله: ... إلخ، خطه مغربي مقروء، وقع عليه بتر في الأوراق الأخيرة(1232).

2-نسخة أخرى لناصر الدين [...] اللفكاني.

أوله: ... فجمعت تلك الحواشي الغريبة والدرر العجيبة...

آخره: ... هذا ما عنى بجمعه الشيخ [...] المالكي على متن مختصر ابن الحاجب وشرحه للشيخ خليل، كذا(1233) مبتور، يوجد في غلاف جيد، قياسه: 24×18×4.

3-حاشية على مختصر ابن الحاجب: في الفروع الفقهية، المؤلف غير مذكور، أول الموجود منها يريد بأن ظاهر الروايات وأقوالهم، كل تغيير بحال عدد الصفحات 446، مقياسه 16/120، مسطرته 25، تاريخ النسخ ربيع الثاني عام 981هـ، الناسخ محمد بن عاشور الزرقاني السلمي، خطه مغربي وسط، يوجد ناضر المخطوط ما يأتي، كمل اختصار الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن بلقاسم محمد ثم كلمة المقابلة بقدر الطاقة على يد مالكه أبي النور بن محمد البرجي، رقمه 295 ع علال(1234).

د-التعليقات على مختصر ابن الحاجب

1-تعليق على مختصر ابن الحاجب لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، رقمه 728 و.خ.ح.

وصف المخطوط: أخذت الرطوبة في هذا المخطوط مأخذا كثيرا، وأخذ في التآكل جدا. خطه مغربي مقروء، عليه ثقب كثيرة في أوراقه من أوله إلى آخره، وفيه حذف في أوله، يكتب الناسخ كلام

(1232) حاشية التوضيح، رقمه بالخزانة الحسنية: 8992ج.

(1233) الخزانة المسعودية، ماسة. (انظر بحث البوهالي ومن معه، ص: 105)، بحث لنيل الإجازة تحت عنوان: مخطوطات العلوم الشرعية بخزائن سوس، إعداد: محمد بن الطالب، مسعودي الحامدي، البوهالي العربي، تحت إشراف: حسن الباز.

(1234) الفهرس الموجز لمخطوطات علال الفاسي، لعبد الرحمن بن العربي الحرش: 97/3، طبعة الدار البيضاء، 1996.

المؤلف بكلمة قوله بالأحمر ويكتب رموز الفقهاء بالأحرف وتدخله بـ"قلت" بالأحمر، معدل السطر في الورقة 35 سطرا دون ترقيم ،وعليه بعض التعليقات على الهامش.

يقول الناسخ في آخره: ووافقه تاريخه أوائل نصف عام ستة وثلاثين وثمانمائة (836هـ) والصلاة والتسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العـالمين، كتبه لنفسه إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المنوسي لطف الله به[1235].

2-تعليق محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب، المتوفى سنة 953هـ، على مختصر ابـن الحاجب[1236].

3-أحمد بن إدريس أبو العباس، جمع بين العلم والدين، وكان على طريقة السلف الصالح، أخذ عن جماعة، قال ابن فرحون: رجل حج واجتمعت به في مكة فرأيته رجلا مهيبا عالما وقورا، له تعليق على بيوع الآجال من ابن الحاجب[1237]. كانـت وفاتـه بعـد السـتين وسـبعمائة (760هـ)، ولم أتحقق من تاريخ وفاته، قلت: وله شرح كامل على ابن الحاجب[1238].

4-القاضي بدر الدين محمد بن يحيى القرافي، لقبه بدر الدين، جده لأمه القاضي محمد بـن عبد الكريم الدميري الشيخ العلامة المتصف بالفضائل الفهامة، واحد دهره ورئـيس العلمـاء في عصره...

له تآليف، منها: شرح على المختصر وحاشية على القاموس وتعليق على ابن الحاجب وذيل على الديباج، فيه نيف وثلاثمائة شخص وفهرسة، وشرح الموطأ وشرح التهذيب وغير ذلـك... توفي سنة 1008هـ[1239].

(1235) تعليق على مختصر ابن الحاجب للثعالبي، رقمه بالخزانة الحسنية: 9728.
(1236) كشف النقاب الحاجب، ص: 41.
(1237) طبقات المالكية لمؤلف مجهول، ورقة 447، رقمه بالخزانة العامة: 3928د.
(1238) نفسه، ورقة: 447.
(1239) انظر بقية ترجمته في شجرة النور، ص: 288.

الفرع السادس: دراسة نموذجين من مختصر ابن الحاجب

بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب

النموذج الأول: من المياه

قال الفقيه الإمام العلامة جمال الدين مفتي المسلمين أبو عمرو عثمان بن عمر، ابن أبي بكر، المشهور بابن الحاجب الكردي المالكي رحمه الله تعالى بمنه وكرمه وفضله:

المياه أقسام: المطلق طهور، وهو الباقي على خلقته[1240]. ويلحق به المتغير[1241] بما لا ينفك عنه غالبا كالتراب والزرنيخ الجاري هو عليهما، والطحلب والمكث، والمتغير بمجاورة أو بالدهن كذلك، ومثله التراب المطروح على المشهور، وفي الملح[1242] ثالثها: الفرق بين[1243] المعدني والمسخن بالنار والمشمس[1244] لغيره.

الثاني: ما خولط ولم يتغير، فالكثير طهور باتفاق والقليل بطاهر: مثله. ووقع لابن القابسي[1245] غير طهور في كيفية[1246] تقدير موافق صفة الماء مخالفا نظر[1247]. والمستعمل في الحدث طهور، وكره للخلاف، وقال: لا خير فيه، وقال في مثل حياض الدواب: لا بأس

(1240) اختلفت عبارات الأصحاب في تعريف المطلق، هل هو الباقي على أصل خلقته ولم يخالطه شيء، ومن ثم يكون أخص من الطهور، وهذه طريقة ابن شاس وابن الحاجب؟ أم هو الذي لم يتغير أحد أوصافه بما لا ينفك عنه غالبا مما ليس بقراره إلا متولد عنه، أي المطلق مرادف للطهور، وهذه طريقة عبد الوهاب وابن عسكر. (انظر مواهب الجليل للحطاب: 45/1).

(1241) إذا تغير الماء بشيء طرح فيه، كان المطروح من جنس ما هو من قرار الماء كالتراب، فالمشهور أن ذلك أسبابه الطهورية. (مواهب الجليل: 57/1).

(1242) الملح اختلف العلماء هل سلب الطهورية للماء على ثلاثة أقوال، رجح ابن يونس أنه يسلبه. (مواهب الجليل: 58/1).

(1243) جامع الأمهات لابن الحاجب، حققه وعلق عليه أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، ص: 30.

(1244) المعنى أن الماء المشمس هو المسخن بالشمس لا يكره استعماله في الطهارة. (مواهب الجليل: 79/1).

(1245) ابن القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بأبي الحسن، توفي 403هـ. (الديباج، ص: 199).

(1246) في نسخة الخزانة الحسنية: في تقدير.

(1247) ما ظهر القول به إن حصل الشك في المخالط: هل سلب الطهورية لو كان باقيا في أوصافه. (انظر مواهب الجليل: 66/1).

به[1248]، أصبغ غير طهور وقيل مشكوك فيتوضأ به ويتيمم لصلاة واحدة، والقليـل بنجاسـة مكروه[1249]. وقيل نجس وفيها في مثل جباض الدواب أفسدها.

وقال ابن القاسم: يتيمم ويتركه، فإن توضأ به وصلى أعاد في الوقت، فحمل على النجاسة للتيمم وعلى الكراهة للوقت وعلم التناقض. وقيل: مشكوك فيه فيتوضأ بـه ثم يتـيمم لصـلاة واحدة. وقيل: يتيمم ثم يتوضأ[1250] لصلاتين فهو أحدث بعد فعلهما لصلاة واحدة على القولين. والجاري كالكثير إذا كان ا موع كثيرا، والجارية لا انفكاك لها[1251].

الثالث: ما خولط فتغير لونه أو طعمه أو ريحه فحكمه كمتغير... [1252].

من خلال ما سبق، يتضح أن كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب يتضمن مجموعـة مـن الأقوال الفقهية المالكية، ويحتاج الباحث لدراسة نموذج من هذا الكتاب إلى وسائل تساعده على ذلك.

ولندخل أغوار مضامين النصوص السابقة لابد من ج طريقة واضحة وهي كما يأتي:

1- مضمون النص

من خلال ما سبق، نرى أن ابن الحاجب تضمن كتابه في أقسام المياه وتحدث عن أنـواع الشوائب التي تطرأ على المياه، وأورد نماذج مختلفة تقع على المياه الجارية، وحاول أن يبين الوجـه الشرعي في ذلك؛ حيث قسم الشوائب التي قد تطرأ على المياه إلى أقسام ثلاثة، فصل كل نـوع من أنواع ذلك.

وبذلك تظهر مكانة الرجل في الفقه المالكي؛ حيث تضمن هذا النمـوذج مسـألة الميـاه واستفاض القول في ذلك؛ فكل من أمعن النظر في ذلك سيلاحظ أن ابن الحاجب يلتصق بالنص،

(1248) الماء المستعمل طهور، ولكن يكره استعماله مع غيره، هذا هو المشهور في المذهب. (المواق: الإكليـل: 66/1).

(1249) هذا هو المشهور في المذهب.

(1250) جامع الأمهات، ص: 31.

(1251) انظر مواهب الجليل للحطاب: 72/1-73.

(1252) جامع الأمهات، ص: 32.

ولا يبالغ في الأقوال الفقهية؛ فهو يستدل بأقوال كبار الفقهاء المالكية كابن القاسـم وأشـهب وأصبغ وغيرهم، ويلاحظ في النص السابق أنه يأتي بالمشهور والراجح، ولا يسـتدل بـالأقوال الضعيفة. وكثيرا ما يستعمل التضعيف في المسألة الخلافية في الفقه؛ بحيث لا يحسم القول في ذلك.

وعلى أي فإن من أستقرأ النصوص التي ذكرها في المياه فسيخرج بتصور مقنع عما ذكـره المؤلف؛ بحيث ذكر أنواعا كثيرة من المتغيرات التي تطرأ حدثا متغيرا في الماء. كما فصل القول في المياه التي تتعرض للنجاسة مفضلا كتب ذلك إن لم يوجد غيره أو استعمال التيمم بدل ذلـك في الحالات التي ذكرها هناك.

2- أسلوب النص

يعتبر ابن الحاجب من الفقهاء المالكية الذين لهم إلمام بليغ باللغة العربية، وانعكس ذلك على جميع مؤلفاته، ويتضح ذلك جليا في النص السابق؛ حيث يتميز بأسلوب سلس معبر عما في نفسه دون تكلف أو تنميق أو حشو أو إطناب، وأسلوبه متبع في النص السابق؛ بحيث يتبـع المسـألة بالشرح المفصل دون تعقيد في بعض العبارات ودون مجانبة الألفاظ الصعبة والتراكيب المعقـدة؛ فهو ينهمك في الشرح ولا يمل القارئ بتتبع شرحه إلى النهاية.

وأما من حيث التراكيب والتعابير، فأهم ما يميز النص السابق السهولة وتبسـيط العبـارة، وعرض المسائل الفقهية بأسلوب لطيف يتميز بمصطلحاته المشهورة. وفي هذا الإطار لا يمكـن أن يفهم من لم يطلع على مصطلحات ابن الحاجب في كتبه، يقول ابن فرحون في هذا الصدد: »إذا ذكر المؤلف المشهور فمراده المشهور من القولين أو الأقوال كقوله في باب الحيض وأكثره خمسة عشر على المشهور، ثم ذكر مقابل المشهور أربعة أقوال فمراده بالمشهور منها كقولـه في المسـح على الخفين ولا تحديد على المشهور...« [1253].

قد يكون في المسألة قولان مشهور وغيره، فيذكر المؤلف منها غير المشهور ويسكت عـن المشهور... [1254].

(1253) كشف النقاب الحاجب، ص: 76.
(1254) نفسه، ص: 77-78.

قد يشهر المؤلف غير المشهور لقوله في الزكاة "وعلى الإخراج مشهورها"... قد يصـدر المؤلف بظاهر المدونة ثم يذكر مذهب العراقيين فيوهم بذلك أن ظاهر المدونة الذي صدر به هـو المشهور وليس كذلك...« [1255].

من قاعدة المؤلف أنه إذا أطلق في المسألة قولين لابن القاسم وأشهب، ثم قال: وعلى المشـهور فالمشهور منها قول ابن القاسم، وهذا غالب اصطلاحه، فلا يحتاج فيه إلى استشهاد...

ومن قاعدته أيضا أنه إذا كان في المسألة قولان لابن القاسم وأشهب، وقول ابن القاسم في المدونة فإنه يقدمه على قول أشهب... [1256].

3- طريقة ابن الحاجب في الاختصار

صنف ابن الحاجب التصانيف المفيدة[1257] البالغة غاية التحقيق والإجادة[1258] »رزقـت كتبه القبول التام لجزالتها وحسنها«[1259]؛ فكل تصانيفه في ـاية الحسن والإفادة[1260]، ويقصد ـذه التسمية "الجامع بين الأمهات" أن الأمهات الفقهية مثل المدونة ومختصرا ـا وغير ذلك مـن الكتب المؤلفة في الفقه المالكي قد جمعها في مختصره، ويعرف الكتاب بالمختصر الفرعي[1261] وهو المختصر الذائع الصيت الشهير الذي نسخ ما تقدمه، وشغل دورا مهما، وأقبل عليه الناس شـرقا وغربا، حفظا وشرحا... [1262].

قال مؤلفه عن الكتاب: لما كنت مشغولا بوضع كتابي هذا، كنت أجمع الأمهات، ثم أجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز، ثم أضعه في هذا الكتاب حـتى كمـل...[1263]

(1255) كشف النقاب الحاجب، ص: 79.
(1256) نفسه، ص: 84.
(1257) الديباج ص: 115-116.
(1258) شجرة النور، ص: 167.
(1259) سير أعلام النبلاء: 266/23.
(1260) الديباج ص: 188-192.
(1261) شجرة النور، ص: 167.
(1262) الفكر السامي: 270/4.
(1263) الإفادات والإشادات، ص: 163-164.

واختصره من ستين ديوانا وفيه ست وستون ألف مسألة[1264] (60000) لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب« [1265].

وطريقة ابن الحاجب في الاختصار مدحها غاية المدح بعض المتقدمين، وخاصة ابن دقيق العيد الذي بالغ في مدح هذا الكتاب في أول شرحه له، وكان قد شرع في شرحه على طريقة حسنة من البسط والإيضاح والتنقيح، وخلاف المذهب واللغة والعربية والأصول، فلو تم هذا الشرح لبلغ به المالكية غاية المأمول، ومما ذكره في مدح هذا الكتاب حسب ما أورده ابن فرحون: »هذا كتاب أتى بعجب العجاب، ودعا قصي الإجادة، فكان ا ـاب، وراض عصي المراد فأزال شماسته وانجاب، وأبدى ما حقه أن يبالغ في استحسانه، وتشكر نفحات خاطره ونفثات لسانه، فإنه رحمه الله تعالى تيسرت له البلاغة، فتفيأ ظلها الظليل، وتفجرت له ينابيع الحكمة فكان خاطره ببطن المسيل وقرب المرمى، فخفف الحمل الثقيل، وقام بوظيفة الإيجاز، فناداه لسان الإنصاف ما على المحسنين من سبيل«[1266].

وأرى أن النص نقله عن ابن دقيق العيد كما تمت الإشارة إلى ذلك. وفي تصوري إن الكتاب يعتبر قمة بالغة في الاختصار، بحيث ضم قواعد المذهب بأسلوب مختصر مهذب لطيف، لا إطناب فيه ولا تعقيد، ولا أي شيء من هذا القبيل.

ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة، عكف عليه الكثير من طلبة المغرب، وخصوصا بجاية... وانتشر بقطر بجاية... ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءاته ويتدارسونه... [1267]. وليس... صحيحا أن الذي أدى إلى تنافس الناس في المختصر

(1264) شجرة النور، ص: 167، توشيح الديباج، ص: 149.

(1265) المقدمة لابن خلدون، ص: 245.

(1266) الديباج، ص: 190.

(1267) مقدمة ابن خلدون، ص: 245.

توجد بالمختصر منه عدة نسخ خطية في المكتبات العامة، منها: دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 17791، ورقم 1529. والخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 4730 و8078 و9949 و10737. ويقوم بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ فرج شعبنا لنيل دكتوراه الحلقة الثالثة في الفقه والسياسة الشرعية بكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين بتونس. كما توجد نسخ أخرى في خزانة القرويين. (فهرس مخطوطات

الحاجبي هو مجرد اختصاره وإنما وجود أسباب أخرى، منها: طريقته في التأليف المحبوكة بأسلوب منطقي في تقرير المسألة وجمعه الأمهات جمعا صحيحا.. «[1268].

النموذج الثاني من مختصر ابن الحاجب في كتاب الطلاق، رقمه 887 د.خ.ع

قال المصنف رحمه الله: الطلاق على ضربين بعوض من الزوجة أو غيرها ويسمى خلعا وحكمه البينونة؛ فلو وقع النص على رجعته ببذل فبائن على المشهور، وعكسه لفظ الخلع من غير بذل ثالثها ثلاث، وفيها سئل عن المطلق طلاق الخلع أواحدة بائنة، أو رجعية أم البتة فقال: بل البتة لأنه بائن ولا يكون بائنا إلا بخلع أو الإنصاف فيها فيمن طلق وأعطى أكثر الرواة رجعية، ولو أعطته مالا في العدة على ألا رجعة فقال مالك: أراه خلعا بطلقة بائنة. وقال أشهب له: الرجعة ويرد مالها، وقال ابن وهب تبين بالأولى.

وشروط الموجِب: أن يكون زوجا مسلما مكلفا أو وليا لصغر وغيره زائدة فيه، بخلاف السفيه البالغ ولو كان أبا. وبخلاف السيد في العبد على المشهور فيها. وفي خلع السفيه قولان، وخلع والمريض نافذ.

القابل: شرطه أهلية التزام المال، فيلزم في الأجنبي والمال عليه، فإن وكلته فلوكيل الشراء ولا يلزم في الأمة والسفيه والصغير، ويقع الطلاق ويرد المال[1269]، ولا يضمنه السيد بمجرد الإذن، وقال ابن القاسم: في الصغيرة يبني بما ينفذ إن كان يصالح به مثلها، وصلح الأب عن المجبرة بالصداق كله نافذ بخلاف الموصى على المشهور، وعن السفيه قولان وصلح المريضة لا يمضي إلا على قدر ميراثه؛ ففي تغيير يوم الموت أو يوم الخلع قولان، وفائدته الرجوع له وعليه، ولا يتوارثان، وقيل: يمضي مطلقا، وقيل: فيها خلع المثل؛ فلو خالعته لظلمه أو ضرره، فلها

القرويين: 391/1 و239/3).

(1268) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 112.

وقد نقل ابن دقيق العيد أنه احتوى على أربعين ألف مسألة. (الديباج ص: 324).

وجاء في الفكر السامي (398/2): وجاء فيه أن ابن الحاجب اختصر في جامع الأمهات التهذيب للبراذعي. وقد تقدم ما يراه بعض العلماء من أن جامع الأمهات مختصر لعقد الجواهر الثمينة لابن شاس.

(1269) مختصر ابن الحاجب، ورقة 49، رقمه بالخزانة العامة: 887.

استرجاعه، وينفذ الطلاق وتقبل شهادة السماع، وإن شهد واحدا وامرأتان بالضـرر حلفـت واسترجعت، لأنه على مال، ويجوز أن تعطيه على إمساكها أو يعطيه على الأثرة ولا إثم عليه بعد رضاها بشيء أو بغير شيء.

المُعوض: شرطه: ملكية الزوج، فلا يصح خلع البائنة والمرتدة، وشبهها بخلاف الرجعية.

المعوض: شرطه أن يكون متمولا، ويغتفر الغرر والجهالة كعبد آبق أو غير موصـوف، أو معين غائب، أو نفقة حمل إن كان، أو جنين على مشهورها بخلاف الصداق، ولا يجـوز بحـرام كخمر وشبهه اتفاقا... وكذلك على أن تخرج من المسكن أو على أن تسلفه، أو تعجل له دينـا مطلقا، أو يعجل لها ما لا يجب قبوله، وأما لو عجل ما يجب قبوله فقد طلق وأعطى، وكـذلك على أن تؤخر دينا.

وخرج اللخمي خلع المثل من خلع المريضة، ولو خالعها على حلال وحرام سقط الحـرام، ولو خالعها بمال إلى أجل مجهول كان حالا، ولو خالعها على عبد. ويزيدها ألف درهـم جـاز بخلاف النكاح، فإن كان مساويا للألف أو أقل فكما لو خالعها مجانا أو ضالع وأعطى؛ فإن كان ألفا ردت الزيادة وكان له نصفه.

وقال محمد: وكان له منه ما أراد على الأقل بتقويمه بعد وجدانه، وإلا فلا شيء له، ولـو خالعها على ما في يدها فوجدت فارغا أو كالفراغ؛ ففي لزوم الطلاق قولان.

فلو وجد فيها متمول لزمه، ولو خالعها على عبد فاستحق لزمه ويرجع بقيمته، فإن لم تكن لها فيه شبهة ففي لزوم الطلاق فيرجع بقيمته قولان، ولو خالعها على دراهم إرثه إياها فوجـدها زيوفا فله البدل كالبيع.

وإن خالعها على أن لا تسكن لها فإن أراد كراء المسكن وهو لغيره لزم، وإن كان له وسمـى الكراء لزم، وإن كان على أن تخرج لم يلزم، ولو خالعها على أن يكون الولد غيره لزم، إلا أن يكون في موضع يخاف عليه، ولو خالعها على أن ترضع ولده وتنفق عليه حولين وتحضنه صح، فإن أضاف إليه نفقة مدة أخرى عليه أوعلى نفسه سقطت وقال المخزومي: لا تسقط، وصوب.

وعلى المشهور لو ماتت الأم قبله ففي مالها، فلو مات الطفل فقولان، فإن عجـزت عليـه

ويتبعها، ولو خالعها على أن تسقط حضانتها، فالمشهور تسقط، إلا أن يخاف عليه وتنفق إليه أو إلى غيره كما لو أسقطته. وقيل: لا تسقط بناء على أنه حق لها أو للولد ونفقة الآبق والشارد على الزوج ما لم يشترطه، وفي نفقة ثمرة لم يبد صلاحها قولان.

ولو تبين فساد النكاح إجماعا رد ما أخذه، وفي المختلف فيه قولان، فإن تبين به عيب خيار رد ما أخذه على المشهور ومضى الخلع، ولو قال خالعها بمائة فنقص، لم يقع طلاق، ولو قالته فزاد وقع، والزيادة على الوكيل.

ولو[1270] قال خالعها فنقص عن المثل حلف أنه أراد خلع المثل، وإذا تنازعا في أصل العوض حلفت وبانت بقوله.

وقال عبد الملك: يتحالفان وتعود زوجة، وفي جنسه وقدره حلفت وبانت، ولو تنازعا في وقت موت غائب خولع عليه، فإن ثبت أنه بعده فلا عهدة، بخلاف البيع، ولو ثبت موت الآبق قبله بلا عهدة لأنه عليه دخل، إلا أن تكون علمت فعليها قيمته.

الصيغة: وهو كالبيع في الإيجاب والقبول، إلا أن يقع معلقا منهما، فلا يحتاج إلى القبول ناجزا، أو ليس له الرجوع مثل: متى أعطيتني ألفا فأنت طالق، أو متى طلقتني فلكِ ألف، ومثل: إن أعطيتني ألفا خالعتكِ إن فهم الالتزام لزم، وإن فهم الوعد ودخلت في شيء بسببه فقولان.

ولو قال: إن أعطيتني ما أخالعكِ به لم يلزم بالتافه ويلزم بالمثل على الأصح، ولو قال: إن أعطيتني عبدا لزم بمسمى عبد، ولو قال: إن أعطيتني مهد الثوب المروزي فإذا هو مروي، لزم ولو قال: إن خالعتكِ فأنتِ طالق ثلاثا ثم خالعها فالمنصوص يرد ما أخذه، وأجزأه اللخمي على الشاذ إن بعتك فأنت حر وتبين ثلاثا، فإن لم يقيد فطلقتان، وأجزأه اللخمي على الخلاف فيمن اتبع الخلع طلاقا.

ولو قال: طلقت ثلاثا على ألف فقالت: قبلت واحدة على ثلاثة لم يقع، ولو قبلت واحدة بألف وقعت، ولو قالت: طلقني ثلاثا على ألف فقال طلقتكِ واحدة أو بالعكس وقع واستحق ذلك على المنصوص فيهما، لأن مقصودها حصل، وإذا أقر بالطلاق واختلفا فيما وقع به الخلع أو

(1270) مختصر ابن الحاجب الفقهي، ورقة: 50، رقمه بالخزانة العامة: 807ق.

في وقوعه مجانا فالقول قولها مع يمينها(1271).

والطلاق السني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه واحدة أو هي غير معتدة على المشـهور، والبدعي خلافه؛ فلا بدعة في الصغيرة واليائسة والمستحاضة غير المميزة إلا في العدد. وفي المميـزة قولان.

وعلل الحيض لتطويل العدة، وقيل: غير معلل، وعلى المشهور يجوز طلاق غير المدخول ا والحامل في حيضتها والخلع كالطلاق، وقيل: لا، لأنه برضاها فيتخرج عليه جواز طلاقها برضاها ومنعه في اختلاع الأجنبي ،وإذا وقع في حيض أو نفاس ابتداء أو حنثا، أجبر على الرجعـة مـا بقـي من العـدة شـيء، وقال أشهـب ما لم تطهر من الثانية، فإن أبى أجبـره الحـاكم بالأدب، فإن أبى ارتجـع الحاكـم عليـه وله وصفـها بذلك على الأصح، كما يتوارثان بعـد مدة العـدة.

والمستحب أن يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، فإن طلـق في الطهـر الأول أو في طهـر جامع فيه أو قبل أن تغتسل من الحيض أو ما يقوم مقامه لم يجبر والقول قولها أ ا حائض، ولا تكشف، وإذا قال للحائض: أنت طالق للسنة، طلقت مكا ا ولا يجـبر لأ ـا طلقـت في الحيض...

أركان الطلاق: أهل ومحل وقصد

ولفظ الأهل: مسلم مكلف، فلا ينفذ طلاق الكافرة إن أسلمت وكانت موقوفة ولا الصبي ولا ا نون، بخلاف السكران. وقال الباجي: المطبق به كـا نون اتفاقـا إلا في الصـلاة(1272). وطلاق المريض وإقراره به كالصحيح في أحكامه(1273).

من خلال ما سبق، يتضح أن النموذج الأول من كتاب المطبوع من جامع الأمهات لابـن الحاجب والنموذج الثاني من كتاب المخطوط المذكور سابقا لا يختلفان. ويبدو أن الاختصار عند

(1271) نفسه.

(1272) مختصر ابن الحاجب الفقهي، ورقة: 50، رقمه بالخزانة العامة: 807ق.

(1273) نفسه، ورقة: 50.

ابن الحاجب سلك منهجا خاصا به وهو الإيجاز وعدم إيراد الألغاز الفقهية، فضلا عن البساطة والسهولة في الأسلوب، ولم يبلغ الاختصار مبلغه بظهور مختصره.

وأعتقد أن مختصره هذا يأتي في المقدمة، بحيث لم يلاحظ عليه العلماء التعقيد والركاكة في الأسلوب، بل كل من قرأ كتبه يشهد له بتضلعه في العلوم الشرعية، ولعل خير شاهد على ذلك النموذجان اللذان سقناهما لهذا الغرض، ليعلم أن الاختصار لا يلج بابه كل من هب وذب، بل لابد لمن يحسن السباحة فيه لأنه بحر لا ساحل له؛ فكل من لا يحسن السباحة فإنه يتعرض للأمواج القاذفة به إلى ساحله، لذا لا غرابة أن نجد حسن الصناعة عند ابن الحاجب فالرجل عالم بارع متفنن في اللغة العربية لا يستعمل الكلمة إلا في موضعها، وقد أ ر علماء اللغة بأسلوبه الرنان؛ فكل ما قلت في الرجل لا أدعي أنني استوفيته حقه، ولعل كتبه شاهدة على ذلك..

وإذا كان الأمر كذلك في القرن السادس الهجري، ما هي أوضاع المختصرات في القرن السابع الهجري؟ وما هي أثر التحولات التي عرفتها المختصرات الفقهية في ظل ظهور عدد غير قليل من المختصرات السابقة؟ وأخيرا ما هي المميزات التي طرأت على هذه المختصرات؟

تلك أسئلة سيجيب عنها الفصل الموالي.

الفصل الثالث

أثر التحولات في المختصرات الفقهية المالكية

تمهيد

لا يخفى على أحد أن التحولات التي طرأت على الفقه المالكي، وخاصة منذ القرن السابع أحدثت أثرا كبيرا في المؤلفات الفقهية المالكية؛ ذلك أن أثر هذه المختصرات كبير على الفقه المالكي؛ حيث اتسم هذا الاختصار بالتنقيح والتنظيم والتهذيب، وأحدث ذلك عند علماء المالكية منهجا اختصاريا اتبعوه في مختصراتهم في القرن السابع الهجري، وهو رد الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير[1274]، وبلفظ آخر أكثر دقة اختصر الكلام، إذا أتى بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير إخلال بالمعنى[1275].

وهو منهج اتبعه علماء المالكية في مختصراتهم في هذا الدور، إلا أن بعضهم بالغ في الاختصار حتى أصبح الكتاب يضم مادة علمية واسعة في كلمات وتعبيرات موجزة جدا تصل أحيانا إلى مستوى الإلغاز مما يحتاج إلى شرح وحاشية؛ فكتاب جامع الأمهات لابن الحاجب إيجاز لمادة علمية واسعة لا تقل عن المادة المستوعبة في كتاب عقد الجواهر الثمينة لابن شاس، خاصة إذا سلمنا بما يراه البعض من أن جامع الأمهات لابن الحاجب اختصار لكتاب عقد الجواهر، وهو أمر لا يعترف به ابن الحاجب[1276] كما مر بنا.

وإذا كان لهذا الدور أثر كبير على المختصرات فإن الدور الذي يليه بلغ فيه تأثير المختصرات ذروته، يقول الشيخ الخضري رحمه الله في هذا الصدد: »لم يكن الاختصار بدعة من بدع هذا الدور، بل كان موجودا في الدور الرابع.

فإن تلاميذ الأئمة قد اختصروا كلامهم ونحوا في هذا الاختصار نحو حذف ما لا تكثر الحاجة إليه من المسائل وترتيب ما أملاه الأئمة غير مرتب، وسار على أثرهم في ذلك فطاحل العلماء. أما في أواخر هذا الدور فإن الاختصار اتجه إلى وجهة غريبة وهي الاجتهاد في جمع الكثير من المسائل في القليل من الألفاظ، ولما كانت السليقة العربية ضعيفة تحول الكلام إلى ما يشبه الألغاز«[1277].

(1274) مواهب الجليل: 24/1.
(1275) الخرشي على مختصر خليل: 34/1.
(1276) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، عدد: 41، ص: 21.
(1277) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 269.

ويستفاد من هذا النص أن سبب تحول الكلام إلى ما يشبه الألغاز هـو السـليقة العربيـة الضعيفة، وهو ما كان من بين الأسباب التي أسهمت في ظهور المختصرات، فضلا عن تأثير ذلك في الساحة الثقافية، ولاسيما عندما بلغ الاختصار أوجه بظهور مختصر خليل، والذي اختصر فيـه كتاب ابن الحاجب.

»وتوالت على مختصر خليل الشروح والحواشي، بل والمختصرات حتى أضحت مؤلفـات الفقه النظري لا تكاد تتجاوز هذه الدائرة مما حذا ببعض العلماء المؤرخين للفقـه الإسـلامي إلى اعتبار هذا المنهج من أسباب هرم الفقه المالكي«[1278].

قد لا يتجاوز الباحث الصواب أن تبني الرأي القائل بأن هذه التآليف نمط من أنماط التقنين؛ ذلك أ ا مختصرات محررة على طريقة الاكتفاء بأقوال تثبت من الراجحة المشهورة، وأقوال تلغى، وهي التي ضعفها النظر في الدور الماضي باعتبار أسانيدها واعتبار مداركها، أو باعتبار قلة وفائها بالمصلحة التي تستدعيها مقتضيات الأحوال، وهو النهج الذي يطلق عليه فضيلة الشيخ ابن عاشور تقنينا[1279].

وما دمنا بصدد تأثير المختصرات على الفقه المالكي وما عرفته من تحولات وتغيرات جذرية من قبل الشيخ خليل، فإنه ليس من العدالة أن ننسى أحد فطاحل علماء المالكية الذين تجسد فيهم أثر هذا الاختصار، ويتعلق الأمر بابن عرفة[1280]، الذي ألف تآليف عجيبة ومصنفات غريبـة، منها تأليفه الفقهي لم يسبق به في تحقيقه و ذيبه وجمعه، وأبحاثه الرشيقة وحدوده الدقيقة، وما فيه من معجزات أبحاثه المبتكرة، وفوائده التي هي في كل أوراقه منشرة[1281]، أفاد فيه وأبدع[1282]، جمع فيه ما لم يجمع في غيره، أقبل الناس على تحصيله شرقا وغربا، ما وضع في الإسـلام مثلـه،

(1278) الفكر السامي: 2/398-404.
(1279) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 21.
(1280) سبقت ترجمته.
(1281) شرح حدود ابن عرفة لمحمد الرصاع: 1/63.
(1282) شجرة النور، ص: 227.

لضبطه فيه المذهب، مسائل وأقوالا مع الزيادة المكملة، والتنبيه على المواضيع المشكلة، وتعريف الحقائق الشرعية[1283]، المحرر الإتقان شغل دورا مهما بعد ظهور، درسه بنفسه في بلده وفي المشرق لما حج، وطريقته فيه معروفة... إلا أنه اختصر كثيرا وسلك فيه اصطلاحا خاصا به، لاسيما في نصفه الأول، صعب على الناس فهمه... ولذلك بسط عبارته في نصفه الأخير نوعا ما« [1284].

ضم المختصر »فروع المذهب موشحا بالمناقشات النفيسة لابن الحاجب وشرحه لشيخه ابن عبد السلام، بنقول أهل المذهب مصدرا جميع الأبواب بالحدود البديعة التي يقف فحول العلماء عند دقائقها...« [1285].

والمبرز من فقهاء الزمان من يفك رموزها ويفهم إشاراتها، وهي في غاية الضبط والإحكام[1286]، معينة على تحصيل الفرعيات، محصلة لحقائق الفقهيات، لأن رسومه قواعد مذهبية كليات[1287]. ومن ثم، كانت حدوده هي المعتمدة في أوائل الكتب الفقهية في الأكثر الغالب، لما ظهر من تحريرها وانطباقها على الباب جمعا ومنعا...«[1288].

»فمختصره... من أكبر الموسوعات في الفقه المالكي... عمدة من أراد التوسع... لأنه لم يشذ عنه إلا ما يخرج عن الطاقة البشرية...« [1289].

كانت طريقة ابن عرفة في تدريس القصد إلى توحيد المسائل، وابتكار النظائر والأبحاث...

وعلى هذا المنهج صار في خدمة الفقه، وخرج بالفقه عن نطاق الالتزام الذي ضرب عليه بمتابعة طريقة مختصر ابن الحاجب ثم مختصر خليل الذي طلع من مصر في حياة ابن عرفة، فكانت

(1283) أزهار الرياض: 34/3.
(1284) الفكر السامي: 286/4.
(1285) توشيح الديباج، ص: 253.
(1286) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 52.
(1287) شرح حدود ابن عرفة، ص: 60.
(1288) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 52.
(1289) المجلة نفسها، ص: 52.

طريقة ابن عرفة الفقهية جمع الأنظار ومقارنتها والاستخلاص منها على أسلوب الدراسة العلمية المؤسسة على المنطق والأصول المشاركة في استخدام عامة الأدوات الثقافية.

وقد أخرج على هذه الطريقة تأليفه العجيب المختصر الفقهي الذي ألفه في اثني عشر عاما... وبحث فيه الأنظار المهجورة والأقوال المتروكة منذ القرن السادس ووضعها مع الأقوال المصطلح بين الفقهاء على الأخذ ا، تشهيرا وترجيحا واختيارا، على بساط واحد من النقد والتحقيق والمقارنة والاستدلال والكشف عما ارتبطت به تلك الأقوال من اعتبارات باقية أو زائلة، وما ارتبط به اختيارها، وتشهيرها من اعتبار لظروف واقعية أو أعمال لأصول نظرية قد يكون وجه ذلك الاختيار قائما ومقبولا، وقد يكون زائلا ومحل نظر، وذلك معنى تحقيق المناط زيادة على ما امتاز به هذا المختصر من حسن سبك المسائل، ومتانة جمعها وبراعة تفريعها وتقنينها.

ومن مزية ضبط الحقائق الشرعية بالتعريف والتحديد بما كان فيه ابن عرفة نسيج وحده بحيث إن الصناعة التأليفية ومنهج الدراسة قد بلغا في الفقه ذرو ما ولاسيما في تعاريف الأبواب والحقائق وتمييز مواهب العقود، وهو ما أصلح فيه ابن عرفة عمدة على الإطلاق عند أهل المشارق والمغارب، فما من تأليف كلي أو بحث فقهي في القرون السابقة وما بعدهما يأخذ في سبط باب من أبواب الفقه ألا وهو معتمد قبل كل شيء على إيراد تعريف ابن عرفة لتلك الحقيقة... (1290).

من خلال سردنا للأثر في النموذجين السابقين، وهما مختصر خليل ومختصر ابن عرفة، يتبين أن الأثر واضح تمام الوضوح في الأول من حيث الاختصار الصائر في بعض الأحيان إلى الألغاز والتعقيد كأنه لم يؤلف إلا لفئة معينة ذات الثقافة العالية، وحتى هذه الفئة وجدت صعوبات شتى في فك ألغازها. في حين ظهر الأثر في الثاني من حيث خروج الفقه إلى الإطار النظري مع براعة تفريعها وتفنينها.

ومن خلال هذه الصورة تبين لنا أن المختصرات، ابتداء من القرن السابع وما يليه، عرفت

(1290) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 53.

تحولا كبيرا في جميع محتوياتها، غير أن الفقه لم يخرج عن الإطار المعهود، بحيث ظلت الكتب المعتمدة هي هي، وفي مقدمتها الأمهات والدواوين، وتظل أساس المذهب وجوهر تطور آرائه واجتهاداته؛ فالمصادر الكبرى لكبار شيوخ المذهب في المشرق والمغرب هي التي تعتمد في الدرس والفتوى إلى أوائل هذا القرن ينسب إلى الإمام أبي عبد الله محمد القصار في الحث على التمسك بالكتب المعتبرة في وقته قوله: »توضأ بالرسالة وصلى بالجلاب وصام بالتلقين، وزكى بابن الحاجب وحج بخليل واقض بالمدونة« [1291].

فالفقه المالكي من لدن الإمام إلى ما بعد عصره بقرون حتى القرن الثامن الذي ألف فيه خليل مختصره... لم يخرج عن مبادئه، وهي من مبادئ فقه مالك وإن كان مما جاء به خليل خلافا لما يذهب إليه البعض من أن وجهه قد تغير، وكما لم يتغير في القرن السابع، فكذلك ما بعده إلى القرون الموالية؛ حيث ضعفت العناية بالفقه...

وإنما قصارى ما وقع هو إثراؤه وجمعه بصورة تلم ما وزع في الأمهات ببسط... فكان عمل المتأخرين هو لم المتفرق والتنسيق بين مسائله[1292]، ثم »توسع علماء المالكية المتأخرين في الأخذ بمبدإ ما جرى به العمل، بل إن العمل أصبح مصدرا رسميا للقضاء، لذلك نرى المغاربة أكثروا منه وأقبلوا عليه وتنافسوا في الأخذ به حتى كان ذلك سبب انتشاره وتنوعه«[1293].

»...وكان لتطبيق قاعدة ما يجري به العمل دور إيجابي في تطور آراء المذهب وترجيحاته مراعاة لمصلحة عامة، وخاصة معايشة لحاجة المجتمعات المختلفة وأعرافها والفروق الاجتماعية بينها.

على أن التوسع في تطبيق هذه القاعدة، وبخاصة العمل المحلي، كان له تأثير سلبي على وحدة تطبيق المذهب واستقرار آرائه، وأوجد تباينا ملحوظا في ترجيحاته التي كانت تختلف باختلاف المدن أحيانا، ناهيك عن الأقاليم، هذا الجانب السلبي وغيره حذا ببعض العلماء إلى

(1291) ندوة الإمام مالك: 172/2.

(1292) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 130.

(1293) العرف والعمل في المذهب المالكي، للدكتور عمر الجيدي، ص: 371.

الوقوف موقف الناقد من تطبيق المبدإ، ويرى أنه كان من موجبات هرم الفقه[1294].

إلا أنه بالرغم من بعض السقطات التي بدت في هذا اللون من التشريع، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه والمعارضة التي لقيها الفقهاء المسترسلون مع العمل من لدن بعضهم الآخر، فإن هذا اللون من التشريع الذي اهتدى إليه الفقهاء هو عمل جليل ومجهود في ميدان التشريع كبير؛ إذ برهن الفقهاء بذلك على أنهم قادرون على مجابهة المستجدات والمشكلات الواقعة أو المتوقعة، وأعطوا بذلك الحلول للنوازل والقضايا التي لم يرد فيها نص صريح أو ضمني، وأثبتوا بذلك أنهم قادرون على ملاحقة التطور البشري والتغيير الزماني. كما دللوا على أن الفقه المالكي قابل دائما للتطور لمرونته، وقوة قابليته للاستمرار والبقاء واستيعابه لكل ما يجد على ساحة المعاملات...»[1295].

يكاد أكثر ما ألف بعد مختصر خليل، إن لم يكن شرحا له، أو حاشية عليه، أو اختصارا، لا يخرج عنه إلا في القليل مما تتطلبه قواعد المذهب الترجيحية، ويمليه المنهج الذي اتبعه خليل في مختصره وهو منهج دقيق في تحرير المعتمد للفتوى، دقة تتسم بالتواضع والورع والحرص على التأكد مما يرجحه، ولذا ترك الباب مفتوحا لمن يأتي بعده من العلماء ليدلوا بدلوهم، ويضربوا بسهمهم في تحقيق الراجح المعتمد من الأقوال في مذهب مالك في ضوء القواعد والضوابط التي حررها علماء المالكية، وحرصوا على متابعة تطبيقها وعلى رأسها قاعدة ما يجري به العمل.

وعموما، فإن التأثير الفقهي ظهر بتأثر مؤلفات العلماء المصريين بترجيحات وآراء علماء المغرب، وظهر ذلك الأثر واضحا في كتاب الشرح الكبير للدسوقي؛ حيث اعتمد فيه على آراء العلماء المصريين وتحريراتهم، كالعدوي والأمير جنبا إلى جنب، مع آراء وتحريرات الشيخ البناني على حاشية الزرقاني مازجا بذلك بين المنهجين المصري والمغربي اللذين سلكهما علماء المالكية في تحريرهم لكتب الأجاهرة، وصار على منهجه الصاوي في كتابه بلغة السالك[1296].

(1294) الفكر السامي: 4/196-205، بتصرف.
(1295) العرف والعمل في المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 419.
(1296) مقدمة الشرح الكبير للدسوقي وبلغة السالك لأحمد الصاوي.

في حين ظهر تأثر علماء المغرب بالاتجاهات المصرية الترجيحية، باعتماد كتب الدردير والدسوقي، يقول الشيخ ابن عاشور: »ورغم الإقبال عليها -مؤلفات علماء المالكية المصريين- مثل الشيخ محمد الدسوقي الذي عظمت شهرة دروسه وأسانيده وكتبه، واعتمدت حواشيه، ولاسيما حاشيته على الشرح الدرديري على المختصر الخليلي الذي اعتمدها فقهاء الزيتونة في الدروس والفتاوي والأحكام، وعلقوا عليها، وجاذبوا مؤلفها بحوثه ونقوله، وتحقيقاته...«[1297].

إلى غير ذلك من الأثر الذي أحدثته المختصرات في الكتب الفقهية، والذي انتشر أثرها لا على الصعيدين المغربي والمصري، بل فقد أحدث أثرا كبيرا في المؤلفات المالكية؛ حيث بلغ الأثر ذروته.

وهكذا يمكن القول بأن الاختصار وأثره قد تجاوز حده المعقول خلال عصر ابن الحاجب والشيخ خليل ومن جاء بعدهما، وأصبح الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك ما قصده المختصر، ووقع تضارب في الآراء، واختلاف وجهات نظر الفقهاء كل بحسب ما تيسر له من فهم مراد المختصر، فكان عصر الشروح والحواشي، وضاع بذلك القصد الذي لأجله حدث الاختصار[1298]، وهو جمع الأسفار في سفر واحد، وتقريب المسافة، وتخفيف المشاق، وتكثير العلم وتقليل الزمن، فانعكس الأمر؛ إذ كثرت المشاق في فتح الأغلاق، وضاع الزمن من غير ثمن كما قال الحجوي[1299].

ولا أريد أن أبرز في هذا الاتجاه ما أبرزه البحث في إيجابيات وسلبيات المختصر بقدر ما أهدف إلى إبراز أن أثر هذه المختصرات كان سببا من أسباب ركود الفقه المالكي ولو لمدة ليست بالقصيرة، ولاسيما عندما انساق أصحاب الشروح والحواشي وراء المختصرات

(1297) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 132.
(1298) مباحث في الفقه المالكي، ص: 88-89.
(1299) الفكر السامي: 459/4.

فتوقفت عجلة الفقه عن السير إلى الإمام.

الفصل الرابع

أثر التحولات في المختصرات الفقهية المالكية

تمهيد

لا يخفى على أحد أن التحولات التي طرأت على الفقه المالكي، وخاصة منذ القرن السابع أحدثت أثرا كبيرا في المؤلفات الفقهية المالكية؛ ذلك أن أثر هذه المختصرات كبير علـى الفقـه المالكي؛ حيث اتسم هذا الاختصار بالتنقيح والتنظيم والتهذيب، وأحدث ذلك عند علماء المالكية منهجا اختصاريا اتبعوه في مختصرا م في القرن السابع الهجري، وهو رد الكثير إلى القليـل، وفي القليل معنى الكثير(1300)، وبلفظ آخر أكثر دقة اختصر الكلام، إذا أتى بالمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة من غير إخلال بالمعنى(1301).

وهو منهج اتبعه علماء المالكية في مختصرا م في هـذا الـدور، إلا أن بعضـهم بـالغ في الاختصار حتى أصبح الكتاب يضم مادة علمية واسعة في كلمات وتعبيرات موجزة جدا تصـل أحيانا إلى مستوى الإلغاز مما يحتاج إلى شرح وحاشية؛ فكتاب جامع الأمهات لابن الحاجب إيجاز لمادة علمية واسعة لا تقل عن المادة المستوعبة في كتاب عقد الجواهر الثمينة لابن شاس، خاصة إذا سلمنا بما يراه البعض من أن جامع الأمهات لابن الحاجب اختصار لكتاب عقد الجواهر، وهو أمر

(1300) مواهب الجليل: 24/1.
(1301) الخرشي على مختصر خليل: 34/1.

لا يعترف به ابن الحاجب[1302] كما مر بنا.

وإذا كان لهذا الدور أثر كبير على المختصرات فإن الدور الذي يليه بلغ فيـه تـأثير المختصرات ذروته، يقول الشيخ الخضري رحمه الله في هذا الصدد: »... لم يكن الاختصار بدعة من بدع هذا الدور، بل كان موجودا في الدور الرابع.

فإن تلاميذ الأئمة قد اختصروا كلامهم ونحوا في هذا الاختصار نحو حذف مـا لا تكثـر الحاجة إليه من المسائل وترتيب ما أملاه الأئمة غير مرتب، وسار على أثرهم في ذلـك فطاحـل العلماء. أما في أواخر هذا الدور فإن الاختصار اتجه إلى وجهة غريبة وهي الاجتهاد في جمع الكثير من المسائل في القليل من الألفاظ، ولما كانت السليقة العربية ضعيفة تحول الكلام إلى مـا يشـبه الألغاز...«[1303].

ويستفاد من هذا النص أن سبب تحول الكلام إلى ما يشبه الألغاز هـو السـليقة العربيـة الضعيفة، وهو ما كان من بين الأسباب التي أسهمت في ظهور المختصرات، فضلا عن تأثير ذلك في الساحة الثقافية، ولاسيما عندما بلغ الاختصار أوجه بظهور مختصر خليل، والذي اختصر فيـه كتاب ابن الحاجب.

»...وتوالت على مختصر خليل الشروح والحواشي، بل والمختصرات حتى أضحت مؤلفات الفقه النظري لا تكاد تتجاوز هذه الدائرة مما حذا ببعض العلماء المؤرخين للفقـه الإسـلامي إلى اعتبار هذا المنهج من أسباب هرم الفقه المالكي..« [1304].

قد لا يتجاوز الباحث الصواب أن تبني الرأي القائل بأن هذه التآليف نمط من أنماط التقنين؛ ذلك أ ا مختصرات محررة على طريقة الاكتفاء بأقوال تثبت من الراجحة المشهورة، وأقوال تلغى، وهي التي ضعفها النظر في الدور الماضي باعتبار أسانيدها واعتبار مداركها، أو باعتبار قلة وفائها بالمصلحة التي تستدعيها مقتضيات الأحوال، وهو النهج الذي يطلق عليه فضيلة الشيخ ابن عاشور

(1302) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، عدد: 41، ص: 21.

(1303) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري، ص: 269.

(1304) الفكر السامي: 2/398-404.

تقنينا..« [1305].

وما دمنا بصدد تأثير المختصرات على الفقه المالكي وما عرفته من تحولات وتغيرات جذرية من قبل الشيخ خليل، فإنه ليس من العدالة أن ننسى أحد فطاحل علماء المالكية الذين تجسد فيهم أثر هذا الاختصار، ويتعلق الأمر بابن عرفة[1306]، الذي ألف تآليف عجيبة ومصنفات غريبـة، منها تأليفه الفقهي لم يسبق به في تحقيقه و تذييه وجمعه، وأبحاثه الرشيقة وحدوده الدقيقة، وما فيه من معجزات أبحاثه المبتكرة، وفوائده التي هي في كل أوراقه منشرة[1307]، أفاد فيه وأبدع[1308]، جمع فيه ما لم يجمع في غيره، أقبل الناس على تحصيله شرقا وغربا، ما وضع في الإسـلام مثلـه، لضبطه فيه المذهب، مسائل وأقوالا مع الزيادة المكملة، والتنبيه على المواضيع المشكلة، وتعريـف الحقائق الشرعية[1309]، المحرر الإتقان شغل دورا مهما بعد ظهور، درسه بنفسـه في بلـده وفي المشرق لما حج، وطريقته فيه معروفة... إلا أنه اختصر كثيرا وسلك فيه اصطلاحا خاصـا بـه، لاسيما في نصفه الأول، صعب على الناس فهمه... ولذلك بسط عبارته في نصفه الأخير نوعـا ما...« [1310].

ضم المختصر »فروع المذهب موشحا بالمناقشات النفيسة لابن الحاجب وشرحه لشيخه ابن عبد السلام، بنقول أهل المذهب مصدرا جميع الأبواب بالحدود البديعة التي يقف فحول العلمـاء عند دقائقها...« [1311].

والمبرز من فقهاء الزمان من يفك رموزها ويفهـم إشـارا ا، وهـي في غايـة الضـبط

(1305) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 21.
(1306) سبقت ترجمته.
(1307) شرح حدود ابن عرفة لمحمد الرصاع: 63/1.
(1308) شجرة النور، ص: 227.
(1309) أزهار الرياض: 34/3.
(1310) الفكر السامي: 286/4.
(1311) توشيح الديباج، ص: 253.

والإحكام[1312]، معينة على تحصيل الفرعيات، محصلة لحقائق الفقهيات، لأن رسـومه قواعـد مذهبية كليات..[1313]. ومن ثم، كانت حدوده هي المعتمدة في أوائل الكتب الفقهية في الأكثـر الغالب، لما ظهر من تحريرها وانطباقها على الباب جمعا ومنعا...«[1314].

فمختصره... من أكبر الموسوعات في الفقه المالكي... عمدة من أراد التوسع... لأنـه لم يشذ عنه إلا ما يخرج عن الطاقة البشرية...« [1315].

كانت طريقة ابن عرفة في تدريس القصد إلى توحيد المسائل، وابتكار النظائر والأبحاث...

وعلى هذا المنهج صار في خدمة الفقه، وخرج بالفقه عن نطاق الالتزام الذي ضرب عليـه بمتابعة طريقة مختصر ابن الحاجب ثم مختصر خليل الذي طلع من مصر في حياة ابن عرفة، فكانت طريقة ابن عرفة الفقهية جمع الأنظار ومقارنتها والاستخلاص منها على أسلوب الدراسة العلميـة المؤسسة على المنطق والأصول المشاركة في استخدام عامة الأدوات الثقافية.

وقد أخرج على هذه الطريقة تأليفه العجيب المختصر الفقهي الذي ألفـه في اثـني عشـر عاما... وبحث فيه الأنظار المهجورة والأقوال المتروكة منذ القرن السادس ووضعها مع الأقـوال المصطلح بين الفقهاء على الأخذ ا، تشهيرا وترجيحا واختيارا، على بساط واحد مـن النقـد والتحقيق والمقارنة والاستدلال والكشف عما ارتبطت به تلك الأقوال من اعتبـارات باقيـة أو زائلة، وما ارتبط به اختيارها، وتشهيرها من اعتبار لظروف واقعية أو أعمال لأصول نظرية قـد يكون وجه ذلك الاختيار قائما ومقبولا، وقد يكون زائلا ومحل نظر، وذلك معنى تحقيق المنـاط زيادة على ما امتاز به هذا المختصر من حسن سبك المسائل، ومتانة جمعهـا وبراعـة تفريعهـا وتقنينها.

ومن مزية ضبط الحقائق الشرعية بالتعريف والتحديد بما كان فيه ابن عرفة نسيج وحـده بحيث إن الصناعة التأليفية ومنهج الدراسة قد بلغا في الفقه ذرو ما ولاسيما في تعاريف الأبواب

(1312) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 52.

(1313) شرح حدود ابن عرفة، ص: 60.

(1314) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 52.

(1315) ا لمة نفسها، ص: 52.

والحقائق وتمييز مواهب العقود، وهو ما أصلح فيه ابن عرفة عمدة على الإطلاق عند أهل المشارق والمغارب، فما من تأليف كلي أو بحث فقهي في القرون السابقة وما بعدهما يأخذ في سبط بـاب من أبواب الفقه ألا وهو معتمد قبل كل شيء على إيراد تعريف ابن عرفـة لتلـك الحقيقـة... [1316].

من خلال سردنا للأثر في النموذجين السابقين، وهما مختصر خليل ومختصر ابن عرفة، يتبين أن الأثر واضح تمام الوضوح في الأول من حيث الاختصار الصائر في بعض الأحيان إلى الألغـاز والتعقيد كأنه لم يؤلف إلا لفئة معينة ذات الثقافة العالية، وحتى هذه الفئة وجدت صعوبات شتى في فك ألغازها. في حين ظهر الأثر في الثاني من حيث خروج الفقه إلى الإطار النظري مع براءـة تفريعها وتفنينها.

ومن خلال هذه الصورة تبين لنا أن المختصرات، ابتداء من القرن السابع وما يليه، عرفـت تحولا كبيرا في جميع محتويا ا، غير أن الفقه لم يخرج عن الإطار المعهود، بحيث ظلـت الكتـب المعتمدة هي هي، وفي مقدمتها الأمهات والدواوين، وتظل أساس المذهب وجوهر تطور آرائـه واجتهاداته؛ فالمصادر الكبرى لكبار شيوخ المذهب في المشرق والمغرب هي التي تعتمد في الدرس والفتوى إلى أوائل هذا القرن ينسب إلى الإمام أبي عبد الله محمد القصار في الحث على التمسـك بالكتب المعتبرة في وقته قوله: »توضأ بالرسالة وصلى بالجلاب وصام بـالتلقين، وزكـى بـابن الحاجب وحج بخليل واقض بالمدونة« [1317].

فالفقه المالكي من لدن الإمام إلى ما بعد عصره بقرون حتى القرن الثامن الذي ألـف فيـه خليل مختصره... لم يخرج عن مبادئه، وهي من مبادئ فقه مالك وإن كان مما جاء بـه خليـل خلافا لما يذهب إليه البعض من أن وجهه قد تغير، وكما لم يتغير في القرن السابع، فكذلك مـا بعده إلى القرون الموالية؛ حيث ضعفت العناية بالفقه...

وإنما قصارى ما وقع هو إثراؤه وجمعه بصورة تلم ما وزع في الأمهات ببسط... فكـان

(1316) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 53.
(1317) ندوة الإمام مالك: 172/2.

عمل المتأخرين هو لم المتفرق والتنسيق بين مسائله... [1318]، ثم «توسع علماء المالكية المتأخرين في الأخذ بمبدإ ما جرى به العمل، بل إن العمل أصبح مصدرا رسميا للقضاء، لذلك نرى المغاربة أكثروا منه وأقبلوا عليه وتنافسوا في الأخذ به حتى كان ذلك سبب انتشاره وتنوعه»[1319].

«...وكان لتطبيق قاعدة ما يجري به العمل دور إيجابي في تطور آراء المذهب وترجيحاته مراعاة لمصلحة عامة، وخاصة معايشة لحاجة المجتمعات المختلفة وأعرافها والفروق الاجتماعية بينها.

على أن التوسع في تطبيق هذه القاعدة، وبخاصة العمل المحلي، كان له تأثير سلبي على وحدة تطبيق المذهب واستقرار آرائه، وأوجد تباينا ملحوظا في ترجيحاته التي كانت تختلف باختلاف المدن أحيانا، ناهيك عن الأقاليم، هذا الجانب السلبي وغيره حذا ببعض العلماء إلى الوقوف موقف الناقد من تطبيق المبدإ، ويرى أنه كان من موجبات هرم الفقه[1320].

إلا أنه بالرغم من بعض السقطات التي بدت في هذا اللون من التشريع، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه والمعارضة التي لقيها الفقهاء المسترسلون مع العمل من لدن بعضهم الآخر، فإن هذا اللون من التشريع الذي اهتدى إليه الفقهاء هو عمل جليل ومجهود في ميدان التشريع كبير؛ إذ برهن الفقهاء بذلك على أنهم قادرون على مجابهة المستجدات والمشكلات الواقعة أو المتوقعة، وأعطوا بذلك الحلول للنوازل والقضايا التي لم يرد فيها نص صريح أو ضمني، وأثبتوا بذلك أنهم قادرون على ملاحقة التطور البشري والتغيير الزماني. كما دللوا على أن الفقه المالكي قابل دائما للتطور لمرونته، وقوة قابليته للاستمرار والبقاء واستيعابه لكل ما يجد على ساحة المعاملات...»[1321].

يكاد أكثر ما ألف بعد مختصر خليل، إن لم يكن شرحا له، أو حاشية عليه، أو اختصارا، لا يخرج عنه إلا في القليل مما تتطلبه قواعد المذهب الترجيحية، ويمليه المنهج الذي اتبعه خليل في

(1318) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 130.
(1319) العرف والعمل في المذهب المالكي، للدكتور عمر الجيدي، ص: 371.
(1320) الفكر السامي: 4/196-205، بتصرف.
(1321) العرف والعمل في المذهب المالكي للدكتور عمر الجيدي، ص: 419.

مختصره وهو منهج دقيق في تحرير المعتمد للفتوى، دقة تتسم بالتواضع والورع والحرص على التأكد مما يرجحه، ولذا ترك الباب مفتوحا لمن يأتي بعده من العلماء ليدلوا بدلوهم، ويضربوا بسهمهم في تحقيق الراجح المعتمد من الأقوال في مذهب مالك في ضوء القواعد والضوابط التي حررها علماء المالكية، وحرصوا على متابعة تطبيقها وعلى رأسها قاعدة ما يجري به العمل.

وعموما، فإن التأثير الفقهي ظهر بتأثر مؤلفات العلماء المصريين بترجيحات وآراء علماء المغرب، وظهر ذلك الأثر واضحا في كتاب الشرح الكبير للدسوقي؛ حيث اعتمد فيه على آراء العلماء المصريين وتحريراتهم، كالعدوي والأمير جنبا إلى جنب، مع آراء وتحريرات الشيخ البناني على حاشية الزرقاني مازجا بذلك بين المنهجين المصري والمغربي اللذين سلكهما علماء المالكية في تحريرهم لكتب الأجاهرة، وصار على منهجه الصاوي في كتابه بلغة السالك(1322).

في حين ظهر تأثر علماء المغرب بالاتجاهات المصرية الترجيحية، باعتماد كتب الدردير والدسوقي، يقول الشيخ ابن عاشور: »ورغم الإقبال عليها -مؤلفات علماء المالكية المصريين- مثل الشيخ محمد الدسوقي الذي عظمت شهرة دروسه وأسانيده وكتبه، واعتمدت حواشيه، ولاسيما حاشيته على الشرح الدرديري على المختصر الخليلي الذي اعتمدها فقهاء الزيتونة في الدروس والفتاوي والأحكام، وعلقوا عليها، وجاذبوا مؤلفها بحوثه ونقوله، وتحقيقاته...«(1323).

إلى غير ذلك من الأثر الذي أحدثته المختصرات في الكتب الفقهية، والذي انتشر أثرها لا على الصعيدين المغربي والمصري، بل فقد أحدث أثرا كبيرا في المؤلفات المالكية؛ حيث بلغ الأثر ذروته.

وهكذا يمكن القول بأن الاختصار وأثره قد تجاوز حده المعقول خلال عصر ابن الحاجب والشيخ خليل ومن جاء بعدهما، وأصبح الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك ما قصده المختصر، ووقع تضارب في الآراء، واختلاف وجهات نظر الفقهاء كل بحسب ما تيسر له من فهم مراد المختصر، فكان عصر الشروح والحواشي، وضاع بذلك القصد الذي لأجله حدث

(1322) مقدمة الشرح الكبير للدسوقي وبلغة السالك لأحمد الصاوي.

(1323) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 41، ص: 132.

الاختصار[1324]، وهو جمع الأسفار في سفر واحد، وتقريب المسافة، وتخفيف المشاق، وتكثير العلم وتقليل الزمن، فانعكس الأمر؛ إذ كثرت المشاق في فتح الأغلاق، وضاع الزمن من غير ثمن كما قال الحجوي[1325].

ولا أريد أن أبرز في هذا الاتجاه ما أبرزه البحث في إيجابيات وسلبيات المختصر بقدر ما أهدف إلى إبراز أن أثر هذه المختصرات كان سببا من أسباب ركود الفقه المالكي ولمدة ليست بالقصيرة، ولاسيما عندما انساق أصحاب الشروح والحواشي وراء المختصرات فتوقفت عجلة الفقه عن السير إلى الإمام.

الخاتمة

يعتبر المذهب المالكي من أهم المذاهب الفقهية الإسلامية التي أسهمت إلى حد كبير في إثراء الساحة الفقهية الإسلامية، غير أن هناك جوانب عديدة تحتاج إلى بحث علمي موضوعي ينير الجوانب المضيئة في الفقه المالكي، من ذلك المختصرات الفقهية المالكية التي قيل عنها الكثير، وتعرضت هذه الظاهرة للانتقادات اللاذعة من قبل الفقهاء وغيرهم، غير أن المنصف لابد أن يتريث في إصدار الحكم عن مثل هذه المسائل الشائكة، وهو أمر تحريت أن لا أميل إلى أي قول فيه إلا بعد التحريات والبحث عن الحقيقة، وهي نتائج تتضمنها هذه الخاتمة.

لذا، فلابد أن أتطرق إلى بعض الحقائق والنتائج التي توصل إليها البحث في خضم هذه الظاهرة، وتتجلى النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

أولا: إيجابيات المختصرات

(1324) مباحث في الفقه المالكي، ص: 88-89.

(1325) الفكر السامي: 4/459.

لابد لمن يبحث عن الإنصاف والعدالة أن ينصف هؤلاء المختصرين الذين قاموا بمجهودات جبارة في المختصرات، وقد حاولت الاحتكاك بالمؤلفات المختصرة، وخاصة مختصر ابن الحاجب ومختصر ابن أبي زيد القيرواني و تهذيب المدونة للبراذعي، فلفت نظري أن هؤلاء خدموا التـراث الفقهي الإسلامي خدمة جليلة كما فعل ابن الحاجب في مختصره، فهو مختصر جامع مانع، أسلوبه واضح، لا يجد القارئ عنتا في قراءته، فهو فقه المالكية بأسلوب مبسط مختصر، لا توجـد فيـه الكلمات الغامضة ولا الألغاز المقفلة، ولا غير ذلك، فهي حقيقة توصل إليها البحث.

في حين نجد بعض الهنات في مختصر ابن أبي زيد القيرواني وبعض الخلط والأخطاء اللغوية، ورغم ما قيل فيه فهو مختصر أسهم في إثراء الفقه المالكي.

ثانيا: سلبيات المختصرات

إن من تتبع حركة المختصرات سيلاحظ أنها مرت بمراحل متعددة، وهو تحول اعترف بـه كل متتبع لحركة الفقه المالكي، إذ من الضروري أن ينعكس ذلك على المختصرات، ولاسيما أن حركة المختصرات عرفت قفزة نوعية يراها بعضهم تحولا سلبيا في المختصرات، ولاسيما عنـدما ظهرت مختصرات تحمل في طياتها ألغازا واختصارا مخلا، وقد ربط بعضهم ظهور هذه الظاهرة منذ القرن الهجري السابع بظهور مختصر خليل.

غير أن الحقيقة أن مختصر خليل خدم خدمة جليلة الفقه المالكي، بدليل أن المؤلف نفسـه أشار في مقدمته إلى أنه ألف هذا الكتاب استجابة لأولئك الذين طلبوا منه أن يؤلـف المشـهور والراجح في المذهب المالكي، لذا فلابد من فهم جيد للمراحل التي قطعتها المختصـرات منـذ أن ظهرت في القرن الهجري الثالث إلى أن عرفت تحولا كبيرا في القرن السابع، وقد أفاض البحث في ذلك.

ثالثا: إخراج المختصرات من الجزئيات إلى الكليات

إن من بين النتائج التي توصل إليها البحث إخراج عدد كثير من جزئيات المختصـرات إلى مباحث ومطالب بعدما كانت في السابق جزئيات ينقلها الخلف عن السلف دون بذل جهـد في

توسيع معانيها، وأسوق هنا أمثلة لتقريب المقصود، فمثلا كثيرا ما نجد عند المختصرين كلمة حشد معان كثيرة في كلام قليل، في تعريف المختصرات؛ أو نجد مثلا جمع ما هو متفرق، أو تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ، أو مختصرا كله ألغاز، إلى غير ذلك من الكلمات والعبارات التي ترد في هذا الصدد.

ولعل من نتائج هذا البحث المتواضع أنه فرع هذه الجزئيات وتوسع فيها جهد مستطاع الباحث، ليفتح بذلك بابا على مصراعيه للدارسين والباحثين المهتمين الذين ربما قد يتوسعوا في ذلك أكثر مما هو عليه، خاصة وأن العناية والرعاية بالتراث الذي هو ميراث الأجيال وروح السلف من أوجب الواجبات على من أتى بعدهم من الخلف.

فالتراث هو تجربة للأمة على طول تاريخها، وثمرة احتكاكات ممارسات رجالها في مختلف الميادين الثقافية والعلمية، ويعتبر تيارا متدفقا مستمرا بين أجيال الأمة يربط بعضها ببعض ويشد بعضها بعضا، فهو نتيجة جهاد طويل في ميدان العلم والفكر على مدى التاريخ البشري، يربط بين سلفه وخلفه، وينقل للناشئ وللأجيال القادمة ثمرات قرائح أجدادهم السالفين من الفقه المالكي ومختصراته، ومن التراث الإسلامي بصفة عامة المحفوظ والمخبوء في رفوف الخزائن الوفيرة المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد.

ولهذا فإن إحياء هذا التراث مهمة واجبة على كل جيل من الأجيال من أجل إكمال تجربة أسلافهم والحفاظ على استمرارها وبقائها، وتحقيق دورهم في حماية مستقبلهم وجعله مستقبلا زاهرا في العلم والأدب والفقه الإسلامي الصحيح.

هذا وإن أهم ما ينبغي الاعتناء به من ذلك التراث البحث عن مختلف المخطوطات التي مازالت مبعثرة مستورة في دهاليز المدارس الإسلامية العتيقة حتى يقدر لها أن ترى النور، وتبرز للوجود حتى تتم الاستفادة منها، ولعل ما قيل في المختصرات ينطبق على غيرها من كتب الفقه المالكي التي ما زالت في حاجة إلى بحث دقيق وعميق، وأرجو أن أكون بهذا البحث المتواضع قد أعطيت صورة تقريبية عن المختصرات الفقهية المالكية.

وأود في هذه الخاتمة أن أركز أساسا على أنه لابد من الضوابط اللازمة والموضوعية في

التعامل مع التراث، سواء منه المختصرات أو غيرها لكي نجتنب قراءة المعنى قبل قـراءة الألفـاظ، وقبل فهم دلالتها اللغوية في عصرها. بل يجب فهم اللفظ فهما صحيحا قبل استخلاص المعنى، ثم يستخلص المعنى من ذات النص، ولا نسقط عليه فهما تأثرنا به من نصوص أخرى للفقيه نفسه أو من شروح أخرى له.

وإذا سلكنا هذا المنهج فإنه ربما يسهل علينا مراد المختصرات والمختصرين، لأن المنـهج لا يتعارض مع ضرورة وضع المختصر في إطاره الزماني والمكاني، كما يجب ألا ننظـر إلى ظـاهرة الشروح بنظرة سلبية تشير إلى ركود العقل المسلم، بل كانت في معظمها فرصة لإثـراء الفكـر ولرفع مستوى الحوار.

فالشارحون ما كانوا دعاة لآراء أصحاب المتون، بل كثيرا ما رفضوا لهم أقوالا وحاوروهم حولها، ولعل مختصر خليل يأتي في مقدمة ما ذكرت، إذ لولا الشروح والحواشي ما فهم الفقهـاء منه شيئا، كما أن المصطلحات الفقهية في المختصرات قامت بدور أساسي في فهم المختصـرات، لأنه لما كانت المصطلحات تعبيرا لفظيا مختصرا في المفاهيم التي تحشد وراءهـا، فقـد اختلفـت ألفاظها من عصر إلى آخر، حتى ولو كانت تعبر عن المفاهيم نفسـها، أو عن مفاهيم قريبة منها، وقد أدى هذا الاختلاف إلى عزوف كثير من الباحثيـن عن الرجوع إلى كتب تراثية لم يعثروا في فهارسهـا على المصطلحات التي اعتادوها، ظنـا منهم أ ا خالية مما يهمهـم الاطـلاع عليـه ودراستـه، وكانـت المصطلحات الفقهيـة عنـد المختصريـن لم تعـرف اختـلافا كبيـرا، إلا أ ـا أساسية لفهم كل مختصر على حدة.

إن التحليل المنهجي يوضح تدرج مفهوم المختصرات بأصنافها المذكورة في البحـث، ولعل هذا التحليل يحمل في ذاته منهجا في الفهم وإدراك خصائص المختصرات. إذًا فالقضية أكبر من تحديد يتبع في الفقه، وأكثر من التحدث بلغة عصرية في موضـوعات قديمـة، أو افتعال التحديث لتفسيرات تاريخية سابقة مقيدة بعصر المختصرات، أو محاولة التوفيق لذلك. فإن أولى البدايات لإحداث التغيير والنقلة النوعيـة في محتويـات المختصـرات وفي كـل الاتجاهات إنما تبدأ بإعادة قراء ا وفهمها ضمن متاحات الواقع المعاصر دون هدم ما بنـاه

السابقون الأولون في شرح المختصرات، تلك بعض النتائج التي تبدو ضرورية في هذه الخاتمة.

وأخيرا، أشكر فضيلة الدكتور السعيد بوركبة المشرف على هذا البحث، وجميع من قدموا لي المساعدات حتى أصبح هذا البحث في صورته الحالية.

1-فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	الصفحة
1-﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ الآية	15
2-﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ الآية	42-17
3-﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ الآية	33
4-﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ الآية	37
5-﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ الآية	54
6-﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ الآية	139
7-﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه...﴾ الآية	314
8-﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم...﴾ الآية	321
9-﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ الآية	321
10-﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية	392
11-﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ الآية	392

2-فهرس الأحاديث النبوية

لائحة الخطإ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ما ساعدني	من ساعدني	2	13
ناقشني	فناقشني	3	9

ازجي له خالص	اجزل له خالص	3	12
شيخه	تلميذه	6	18
(إضافة في النقطة الثانية)	هذا الاتجاه؟ باستثناء ما كتبه احد الباحثين السعوديين، ويتعلق الأمر بالأستاذ خالد بن عبد الله تحت عنوان: "المدخل إلى دراسة المختصرات"، وعدد صفحات هذه الدراسة أربعون صفحة كما اطلعت على ذلك من خلال شبكة الإنترنيت.	7	10
بالبحث	بالحديث	8	6
مطالب	فروع	8	12
عرفت المختصرات	عرفتها المختصرات	8	16
عناية العلماء بالمختصرة	عناية العلماء بمختصره	9	السطر الأخير
فروع	فروعا	10	5
فيما قلده في المختصر	فيمن قلده في مختصره	10	9
والأقوال ملزمة	ولأقوال ملزمة	12	13
وغيرها	وغيرها	14	8
التشريع	التشريع الإسلامي	14	الهامش 2
الهرواس	الهروس	15	الهامش 1
الدكتور حمادة	الدكتور فاروق حمادة	15	الهامش 1
وكان	»وكان	16	ما قبل الأخير
إلا أن	إلى إن	17	4
وينتصف القرن الرابع	إلى منتصف القرن الرابع	22	3
170ه	170هـ	22	الهامش 3
مختلطة	مغلظة	20	11
الراعية	الرعاية	24	9
تذكر	تذكرة	24	8
وزيادة	وزياد	24	الهامش 4 السطر 3
ولتجنب	وتجنب	25	2

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
امام المذهب	إمام المذهب	29	6
من اقتنى كلبا إلا كلبا صائدا	إلا كلب صيد أو ماشية	29	9

الملك	الملوك	30	7
فينشئ	فإنشاء	31	11
الخضروات	الخضراوات	32	4
بن العربي	ابن العربي	32	4
بن الماجشون	ابن الماجشون	32	5
بن العربي	ابن العربي	32	10
العشور	العشر	32	11
وتحديد النظر	وتجديد	32	12
على سبيل الإيجاز	على سبيل ا از	34	9
الثابت قطعيتها	الثابتة قطعيتها	34	14
مسائل معرفية تؤهله	مسائل معرفية تجعل الفقيه مؤهلا	35	13
تغيير ما كان	بتغيير ما كان	35	الثالث قبل الأخير
تغر	تتغير	36	14
لا يؤول	لئلا يؤول	36	18
اوائيهم	اوائلهم	36	18
يحلمون	يحملون	37	الثالث قبل الأخير
الفترة	الفقرة	38	5
طرو	طروء	38	الأخير
رتبه	رتبة	39	12
العبد من	البعد عن	44	14
ومن نتائج ذل	ومن نتائج ذلك	46	3
ولم يبن	ولم يبق	46	12
فيروات	القيروان	46	الهامش 5
الكتب	لكتب	47	16
قيود	قبول	48	1
وهو الذي	هو الذي	49	18
طبعة صادر الكتاب العربي	دار صادر للكتاب	49	الهامش 1
بن رشد	ابن رشد	52	1
نب بكر	بن بكر	53	الهامش 3

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
النجدي	الجندي	53	الهامش 5

البعض	بعضهم	57	1
تاريخ التشريع للحصري	تاريخ التشريع الإسلامي للخضري	58	الهامش 1
بينه للناس في الدورين	ويبينه للناس، وفي الدورين	58	2
كان إمامام	كان إماما	58	الهامش 3
بن عبد الكافي	ابن عبد الكافي	58	الهامش 5
إذا	إذًا	60	2 قبل الأخير
سيجيب	ستجيب	61	6
الانتفاء	الانتقاء	65	الهامش 1
في وقت خلق القرآن	في زمان القول بخلق القرآن	67	1
واصلوا	وأصلوا	67	6
سريح	سريج	67	9
للمذهبي	للمذهب	67	2 قبل الأخير
الكثيرون	كثيرون	69	8
المعرف	المعروف	69	12
وعدم ..... (حذف سطر)	(تتمة) وعدم استطاعته مواجهة مذهبين الشافعي والمالكي ولو في عقر داره	71	الأخير
جعل	جعلت	72	2 قبل الأخير
يقولون أن	يقولون إن	73	18
البعض	بعض الباحثين	74	6
وخصوصا أن	خصوصا وأن	79	12
المفتي	للمفتي	79	13
وكتب علي ابن القاسم	وكتب على ابن القاسم	81	6
العتيقي	العتقي	81	الهامش 4
لا تعد كثيرة	لا تعد كثرة	85	17
فكما قطع	فكلما قطع	85	21
تلغي	تلغى	86	6
دور التطور والتطور	دور التطور: والتطور	86	16
الجعل السني	الجعل السنوي	91	17
فلم ترك الأول للآخر	فلم يترك الأول للآخر شيئا	93	5
اختصاصية، فغير مستبعد	اختصاصية؛ فغير مستبعد (جواب: ولكن إذا أحرز .....).	93	6

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
عليهم الأمر	عليه الأمر	93	12
البعض	بعضهم	96	5
للكثير	لكثير	97	4
بن	ابن	97	15
يبدءون	يبدأون	97	15
التشريع الإسلامي	الشريعة الإسلامية	97	الهامش 3
سحنون	سحنونا	98	16
الأخرى	اخرى	99	7
عن	عند	99	8
فكما	فكلما	99	8
البعض	بعض العلماء	100	11
جدا إلا في	جدا في	101	15
ابن	بن	104	الهامش 7
بأ ا	ا ا	105	4
الفقه الإسلامي والفقه	الفقه الإسلامي بصفة عامة، والفقه	105	10
حفاظ	الحفاظ	108	الهامش 1
ترجمة أحمد بن المعدل	تحذف لأ ا سبقت في الهامش 6	108	الهامش 10
الدعوى	الدعوة	112	الهامش 5
لاسيما أن	لاسيما وأن	115	13
والى	والي	119	2
حديج	خديج	119	الهامش 3
وهو	وهم	121	12
عطت	غطت	122	11
الشيء الذي	مما	124	7
يذكر	تذكر	126	الهامش 1
وعشرون	وعشرين	127	4
كتاب	كتابه	127	السطر 2 قبل الأخير
على ما فيها. تأليفه	تحذف النقطة	127	آخر الصفحة
الدارسية	الدراسية	129	2
ويخلص	ويلخص	130	7

وحلفائه	وخلفائه	132	7

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
فيه	فيها	133	السطر 2 قبل الأخير
ترجمته في ص: من هذا البحث	ترجمته في ص: 126 من هذا البحث	134	الهامش 7
مرويان	قيروانيان	134	الهامش 5
يجرنا أن	يجرنا إلى أن	136	3
ما هي	ما هو	136	4
إفراد	إفرادا	137	6
ادعى	ادعى	138	9
المعتمد من	المعتمدين	138	18
قوى	قوي	138	20
قوى	قوي	139	6
سنن	سنين	140	5
عشر سنين	عشرِ (بدون كلمة سنين)	140	7
قوله وفرقوا معطوف على اضربوا	**قوله: "وفرقوا" معطوف على: "اضربوا"**	140	10-9
ما ذهب إليه القليل صوابا وحقا لقوة دليله وما قاله به الكثير خطا وباطلا	ما ذهب إليه قليل صوابا وحقا لقوة دليله وما قال به كثير خطأ وباطل	141	17
عليه	يحذف	141	السطر الأخير
يفضى	يقضى	142	4
انه	لأنه	142	13
لا يستطيع ان يؤصل المسـالة، ومع هذا فقد أسهمت المـدارس المالكية في تطوير الكتب الفقهية، ولا أن يقعد لها قاعد ا.	لا يستطيع ان يؤصل المسالة، ولا ان يقعد لها قاعد ا، ومـع هـذا فقـد أسهمت المدارس المالكية في تطـوير الكتب الفقهية.	142	قبل الأخير والأخير
من ناحية أخرى شرف تـأثير المدرسة المصرية فتأثرت تأثيرا	من ناحية أخرى كان تأثير المدرسة المصرية تأثيرا	143	13
الحيلة	الحَلَبة	145	5
طرق	بطرق	145	7

تلميذه	تلاميذه	145	12
التذهيب	التهذيب	145	16
الأحمدي	الأحمدية	146	الهامش 2
وضد الإطناب	وضده الإطناب	152	14
معجم المحيط: 820/2	معجم المحيط: مادة لخص	153	الهامش 3

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المرجع نفسه: 979/2	المرجع نفسه: مادة هذب	153	الهامش 4
تتمثل	تمثل	155	16
وفيه ثماني عشر ألف	وفيه ثماني عشرة ألف	157	11
ووقع هذا الانحلال لم يعد	ووقع الانحلال، فلم يعد	159	5
الوصول إلى مبتغاها	الوصول إلى مبتغاه	160	3
محي	محيي	163	1
ان	إن	164	7
وعز أكسبهم	وعزا أكسبهم	168	8
ونذور	وندرة	169	1
ولأبي عبد هذا	ولأبي عبد الله هذا	169	11
التسيير	التيسير	169	السطر قبل الأخير
تأليف	تآليف	170	2
الفرع	المبحث	171	5
الفتخ	الفتح	174	6
مصدرة	مصدره	174	7
ابو	ابي	174	8
وعشين	وعشرين	174	9
بصفة وفي الفقه	بصفة عامة وفي الفقه	176	7
وما نصه الشارع	وما نصبه الشارع	177	3
فيها	فيما	177	4
مختلف	المختلف	177	7
ولا كان الذين	ولا كان الدين	177	12
ولا نروى كتبهم	ولا تروى	178	13
استقر عنده مذاهبهم أبو حنيفة	استقر عندهم مذهب أبي حنيفة	179	6-5

إلى المشاهدة من قبلهم	إلى مشاهدة من قبلهم	179	19
مهجور تقليد	مهجور تقليده	180	13
التتر	التتار	180	17
المختصر	مختصر	181	الهامش 4
مصرعيه	مصراعيه	187	11
أخذت بقول أصحاب من شئت	اخذت بقول أصحابه	188	14

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الآخر	آخر	191	11
طيتها	طيا ا	192	17
كثيرا	كثيرة	193	الهامش 3
في	من	194	17
اخذه الكثيرون	اخذه كثيرون	195	9
بالرغم أن	بالرغم من أن	196	10
لا يجوز قال	لا يجوز، قال	198	9
وليعطيك صورة	ولأعطيك صورة	198	7
نزح بقدرها	نزح بقدرهما	198	21
بل يتيم	بل يتيمم	199	9
او	او	199	13
لا بنجسه	لا ينجسه	199	16
ظاهر	طاهر	199	17
ثم تراها بعد ذلك خلوا	ثم تراها بعد ذلك خالية	200	7
مع أي الفقه	مع أن الفقه	200	10
إلى نتساءل	إلى أن نتساءل	201	10
في القـــرن الثالـــث بظهـــور المختصرات	في القـرن الثالـث كـان بظهـور المختصرات	202	9
ابو عمر	ابو عمرو	205	5
الكثير	كثير	206	15
في التشيع	في التشنيع	207	7
مختصرا عليها	مقتصرا عليها	207	12

الغير من	تحذف	209	12
ويحذف	ويحذف	210	21
التسيير	التيسير	213	السطر الأخير
عندما جنحوا إليه	إلى ما جنحوا إليه	214	السطر الأخير
لا لاستهجانه	لاستهجانه	215	5
اخبار	اخبار	216	السطر قبل الأخير
يتناوله	يتناولها	218	7
تقيدات	تقييدات	219	4
ورفات	ورقات	224	8

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
عن	في	224	16
ويأتي في مقدمة هذه النقطة	ويأتي في مقدمة هذه النقط	228	14
ويحذف ما استغنى عنه	ويحذف ما استغنى عنه	228	14
ويحذف وبسط	ويحذف وبسط	228	14
الغير من	تحذف	229	15
التي يعتبر فيها	التي يعبر فيها	231	10
ان يتفقوا	ان يتفقهوا	232	3
كلفة	تكلفة	232	4
هذه الكتب المدونة ظهرت	هذه الكتب ظهرت	232	11
التشريع	الشريعة	232	الهامش 1
كلفة	تكلفة	233	7
في أقوال	تحذف "في"	233	10
والتفريع والتجريح	والتفريع والترجيح	233	14
التشريع الإسلامي	الشريعة الإسلامية	233	الهامش 1
تأوله في غيرها	تأمله في غيرها	234	4
إنما يجب	إنما يجيب	234	16
يجد الكثير	يجد كثيرا	236	1
كلفة	تكلفة	236	3
لما كان كنت مشتغلا	تحذف "كان"	237	7
إني بعد ربما احتاج	إني بعد ربما أحتاج	237	9

الممبتدئين	المبتدئين	237	13
إضعاف	اضعاف	238	17
في هذا الفصل	تحذف "في"	239	1
علبها	عليها	240	3
التميز	التمييز	242	2
بمعاني	بمعان	242	10
إذَا	إذاً	244	السطر 2 قبل الأخير
وقد عرف بدوره	وقد عرف الفقه بدوره	246	6
الالغاز	الألغاز	246	9
بن فرحون	ابن فرحون	247	2
والكثير	وكثير	247	13

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
مختمة ا	مهتمة ا	248	1
تحذ	تشحذ	248	8
فاله	قاله	249	16
إذا لقي الخطيب وتكلم	إذا لقي الخطيب تكلم	251	8
إذا خرج بيته	إذا خرج من بيته	251	12
او المبيدأ	او المبتدإ	255	4
سمى	سمي	255	6
البعض	بعضهم	255	6
البعض	بعضهم	256	21
مهتدلين	معتدلين	260	11
اهتدال	اعتدال	260	12
المتمسكن	المتمسكين	260	15
جعلته	جعله	261	10
المرري	المراري	262	الهامش 2
بإلغاء	بإلقاء	263	6
بعد قبولها	بعد لقبولها	263	7
عبد الواحد	علي عبد الواحد	263	الهامش 1
العيا	العليا	265	الهامش 1

لابن عمران	لأبي عمران	268	8
اشار	اشار عليه	269	7
فضاق على يوما	فضاق عليه يوما	269	14
ادنيا	ادينا	270	9
في تلمذي مالك بن وهب	في تلميذي مالك ابن وهب	270	14
مالك	ما لك	272	1
اجبتك بجوابه	اجابك بجوابه	272	1
فأجابه فنسخوها	فأجابه فنسخها	272	5
لأتبارك	لا تبارك	273	4
منصوص السماعات	نصوص السماعات	275	3
على أصولهم	على أصوله	275	12
ومذكرا م	ومذاكرا م	273	11
وإن السبب يرجع إلى	ام إن السبب يرجع إلى	277	8

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
او	او	278	السطر الأخير
المسخرجة	المستخرجة	279	4
المسترخجة	المستخرجة	280	1
حطأ	خطأ	280	16
يجمع	بجمع	281	4
انه	انه	284	12
وسكون الجيم	وسكون الميم	285	5
وشجرة النور	شجرة النور	286	الهامش 6
توفيق	توقيف	287	11
هذا المختصرات	هذا المختصر	290	2
إذا	إذاً	299	19
على ما غير ذلك	على غير ما ذكر	301	6
وانظر انظر	حذف "انظر" الثانية	302	الهامش 1
ولا يعد	ولا بعد	303	12
طليلطة	طليطلة	304	السطر قبل الأخير
عبادة معاملة	عبادة ومعاملة	307	12

كثير الروايات	كثيرا من الروايات	307	السطر قبل الأخير
خطا	خطأ	308	5
كذوبا	مكذوبا	308	9
لم يقف على أصحا ا	لم يوافق عليها أصحا ا	308	10
إذا	إذاً	310	12
والأصغر (200) مسألة	والأصغر ألف ومائتا (1200) مسألة	312	4
فاله	قال	314	11
المنور	المنورة	320	14
وثماني	وثمانين	321	5
يترك	بترك	321	9
عيبا	عيب	321	9
لا يدرى فيها ما زيد فيها مما	لا يدرى فيها ما زيد ما	321	13
اثنتي عشر	اثنتي عشرة	324	5
اثنتي عشر	اثنتي عشرة	324	7-6

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ثلاثة عشر	ثلاث عشرة	324	11
عزيز	غزير	325	3
سمعت	سمحت	325	السطر الأخير
المغارب	المغاربة	327	السطر الأخير
ويمكن القول أن	ويمكن القول إن	329	11
ثماني عشرة ألف	ثمانية عشر ألف	329	18
وذهب عنه وامتلأت تواليفه	وذب، وامتلأت البلاد بتواليفهُ	330	4
وسموا	وهموا	330	13
وفيه ست وثلاثون ألف	وفيه ستة وثلاثون ألف	330	السطر الأخير
الفت المتقدمون	الف المتقدمون	332	15
يلاحظ عن غياب	يلاحظ غياب	340	4

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المتاهل وتعددت المشارب والمدارس	المناهل والمشارب، وتعددت المدارس	341	16
الكثيرون	كثيرون	342	13
مبهوبي	ميهوبي	347	6
الصنف الثالث	الصنف الثالث:	350	10
ولا خلاف فيمن ابنته	ولا خلاف فيمن وهب ابنته	356	15
الجواز في المستخرجة المنع	الجواز، وفي المستخرجة المنع	356	17
لابن عمران	لأبي عمران	358	الهامش 1
حاله	ماله بال	360	11
وأما التي منعها	والتي منعها	359	15
تضع بحكم	تقع بحكم	361	2
ذلك الإراثة	تلك الإراثة	361	3
حسن المحاصرة	حسن المحاضرة	363	الهامش 2
إذا	إذاً	365	17
سنه تسعة	سنه تسع	366	5
سنة اثنين	سنة اثنتين	367	5
سنة اثنين	سنة اثنتين	368	18
حتى أن	حتى إن	367	13
بكنى	يكنى	368	1
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	368	4
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	368	13
الخطأ	**الصواب**	**الصفحة**	**السطر**
سنة اثنين	سنة اثنتين	368	17
بتقي الدين دقيق العيد	بتقي الدين ابن دقيق العيد	368	19
سنة ثلاثة عشر	سنة ثلاث عشر	369	السطر الأخير
وطاهر عنه مطهر	وطاهر غير مطهر	370	13
تنعملت	تنغملت	370	الهامش 3
بالحزانة	بالخزانة	371	11
نفسه، ورقة	تحذف "ورقة"	371	الهامش 2

توفي سنة 805	توفي سنة 805هـ	372	16
شذرات	شذرات الذهب	373	الهامش 6
القسطنتي	القسطنتيني	374	11
سنة اثنين	سنة اثنتين	379	13
تتدرج	تندرج	380	السطر قبل الأخير
سنة خمسة	سنة خمس	381	4
لمختصرات	المختصرات	384	1
حسن	الحسن	384	4
اخذ	اخذ	386	9
عنجس	عجنس	388	7
إسباط	اسباط	388	7
حريز	جرير	388	11
المغرب	المقرب	389	14
وأقر ا ألفاظ	وأقر ا ألفاظا	389	16
لا يلحق أحدها	لا يلحقه أحد	390	8
الأندلسيون	الأندلسيين	391	2
زياد بن شبطون	زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون	392	السطر الأخير
تولي	تولى	392	السطر الأخير
مدرسة	المدرسة	393	الهامش 3
الآتى	الآتي	395	12
المتاخرة	المتأخرة	395	17
فقد احتج هواه	فقد اتبع هواه	396	19
ولا يفتى	لا يفتى	396	20

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
يجيب الحديث عنهما الآتي	يجيب عنهما الحديث الآتي	397	18
ضمنها	ضمن	399	السطر الأخير
حسن	الحسن	401	12
علي وجوب	على وجوب	402	12
الانشغال به	الاشتغال به	404	8-7

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الآحناف	الأحناف	407	8
منطومة	منظومة	407	11
منطومة	منظومة	407	15
المنطومات	المنظومات	407	16
المنطومات	المنظومات	407	17
المنطومات	المنظومات	411	16
تنظر	تنتظر	415	6
إذا	إذاً	417	السطر 3 قبل الأخير
ما هي	وما هي	419	10
على الرد	في الرد	423	2
سنة ست وثمانين	سنة ست وثمانين وثلاثمائة	426	3
بزيادة أربع عشرة ألف	بزيادة أربعة عشر ألف	426	12
واعتقد	وأعتقد	427	السطر الأخير
«وهذا	وهذا»	428	5
وتغير	وتغيير	430	السطر الأخير
إذ ليس	إذ ليسا	430	3
العقيقية	العقيقة	432	17
اله	الله	433	11
التي يفضلها	التي بفضلها	436	5
بن	ابن	437	7
يفضلها ويفضل	بفضلها وبفضل	437	17
انشر	انتشر	437	18
ليعبر على	ليعبر عن	437	السطر قبل الأخير
قلت والدنانير أو	قلت الدنانير أو	439	15
في المعز	إلى المعز	439	21
فيما دون	ليس فيما دون	439	السطر الأخير
في عشرين دينارا نصف إلخ (فيه حذف)	في عشرين دينارا نصف دينار، فعلم أن الدينار بعشرة دراهم سنة ماضية. قال: وقال مالك بن أنس: من كانت عنده دنانير وتبر مكسور يكون وزن التـبر	439	السطر الأخير

	تمام عشرين دينارا كانت فيه الزكاة.		
من الدنانير عشـرها إلخ. فيـه حذف	من الدنانير ربع عشرها ومـن التـبر كذلك، وكذلك الدراهم والتبر. قال: وقال مالك بن أنس: من كانت لـه دنانير وجبت فيها الزكاة، فـأراد أن يخرج ما وجب عليه من زكاة الدنانير دراهم بقيمتها فلا بأس بذلك.	440	السطر الأول
النموذج الثاني	يغلط هذا العنوان	440	2
مائة درهم	مائتا درهم	440	8
يقاد	يفاد	440	13
على أن المؤلف	على أن المؤلفين قد هضما هذا العلم واستوعباه وتمكنا من	442	5
من أحد قوله	من أحد قوليه	443	11
سنة اثنين	سنة اثنتين	449	13
ذيب	ذيب	450	8
سنة اثنتين	سنة اثنتين	451	1
على سبع وثلاثين	على سبعة وثلاثين	451	9
وصيحه	وصحبه	451	12
وصححت على روايتي على	وصححت روايتي على	452	6
ولا اثنين	ولا اثنتين	452	17
البرادعي	البراذعي	453	الهامش 1
سنة اثنا عشر	سنة اثنتي عشرة وستمائة	457	السطر الأخير
الإزراء	الازدراء	458	11
لفظ	رفض	458	11
الكتب أنست	الكتب التي أنست	458	السطر الأخير
فليزم	فيلزم	460	السطر 2 قبل الأخير
ولا يستطيع فلا زكاة	ولا يستطيع تملكه، فلا زكاة	461	7
الإحكام في أصول الفقه	الإحكام في أصول الأحكام	466	10

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الكثيرون	كثيرون	467	5
السؤل والأمل	السول والأمل	468	7

فوائدا	فوائد	474	4
والتقعيد	والتعقيد	474	5
ابي عمرو وعثمان بن الحاجب	ابي عمرو عثمان ابن الحاجب	474	11
لما رأينا	كما رأينا	475	15
بن قطرال	ابن قطرال	478	14
الا يرى إلا ساعيا إلا في	الا يرى إلا ساعيا في	480	3
فإن راجعه تفهمها راجعه تفهما لا تعنتا	فإن راجعه راجعه تفهما لا تعنتا	480	5
عن العاقل ما لا ينبغي	عن العاقل لا ينبغي	480	9
تنعملت	تنغملت	481	الهامش 6
الجاري وهو عليها	الجاري هو عليهما	483	13
بن محمد	ابن محمد	485	3
به على المتغير	به المتغير	485	17
بن أبي بكر	ابن أبي بكر	487	9
تنعملت	تنغملت	488	الهامش 7
يهرب	يبهر	490	3
بن فرحون	ابن فرحون	490	7
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	490	الهامش 7
فكا	فكان	491	5
من جاء بعده لشرحه	من جاء بعده تعرض لشرحه	491	7
بن راشد	ابن راشد	494	2
بن فرحون	ابن فرحون	497	6
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	497	8
وصل	وصلى	497	السطر الأخير
الأشكال	الإشكال	498	8
إذا	إذاً	500	13
بن عبد السلام	ابن عبد السلام	501	2
في سنه	قياسه	501	السطر الأخير
الأزرايفية	الأزاريفية	501	الهامش 6

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الإحدد	الإحداد	505	7
على ابن	على يد ابن	506	1
واثنين وثمانين ورقة	واثنتين وثمانين ورقة	507	7
القضاء الشهادات	القضاء، الشهادات	508	7
والباقي	وهو الباقي	509	2
بن الكعياش	ابن الكعياش	509	7
عام إحدى وستين	عام واحد وستين	509	21
بن محمد	ابن محمد	512	السطر قبل الأخير
بن عبد الكريم	ابن عبد الكريم	514	12
بطاهر: مثله	بطاهر مثله	515	6
ست وستون ألف	ستة وستون ألف	518	12
الكثير	كثير	519	10
وليس... صحيحا	وليس صحيحا	519	12
ان يكون الولد غير	إلى غيره	521	14
عثمان أبي بكر	عثمان بن أبي بكر	525	6
«نحن	نحن»	527	14
ستا وتسعين	ستة وتسعين	529	5
لابن الحسن	لأبي الحسن	529	الهامش 1
بن أنس	ابن أنس	530	1
ان التبصرة	إن التبصرة	531	7
ان المؤلف	إن المؤلف	531	12
منه اختيارات	من اختيارات	532	14
ابو عمر	ابو عمرو	536	15
سبط	بسط	542	2
وصـلى بـ الجلاب، وصـام بالتلقين، وزكى بابن الحاجب	وصل بالجلاب، وصم بالتلقين، وزك بابن الحاجب	542	14
ا م	ا م	543	15
بل فقد	بل	544	قبل الأخير
القول بأن	القول إن	545	1
حاولت أن الاحتكاك	حاولت الاحتكاك	546	12

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ولاسيما أن	لاسيما وأن	547	8
البعض	بعض الباحثين	547	8
البعض	بعض الباحثين	547	10
وخاصة أن	خاصة وأن	548	5
بن الحاجب	ابن الحاجب	573	2
المغرب	المقرب	581	الأخير
تحقيق: شاكر	تحقيق: احمد محمد شاكر	582	17
زيد الدين	زين الدين	583	21
المراقب	المرقبة العليا	585	11
بن علي	ابن علي	585	14
بن الحاجب	ابن الحاجب	586	4 قبل الأخير
والوراق	والوراقة	586	الأخير
بن عبد الله	ابن عبد الله	587	2
للسيطي	للسيوطي	587	15
الإمام الموطأ	موطأ الإمام مالك	588	16
عباس ـ	عباس،	589	6
سخص الدين	شمس الدين	589	16
الشفاء	الشفا	590	16
بن عبد الملك	ابن عبد الملك	590	22
عبد اللن	عبد الله	592	4
الجزي	الجزري	592	7
بن الأثير	ابن الأثير	595	قبل الأخير
التاريخ دمشق	تاريخ دمشق	597	11
افضته	اقتضته	598	13
محمد البجاوي	علي محمد البجاوي	599	20
العلل الحديث	علل الحديث	601	18
هاشي	هاشمي	602	1
الأحمدي	الأحمدية	603	4

لائحة الخطإ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ما ساعدني	من ساعدني	2	13
ناقشني	فناقشني	3	9
ازجي له خالص	اجزل له خالص	3	12
شيخه	تلميذه	6	18
(إضافة في النقطة الثانية)	هذا الاتجاه؟ باستثناء ما كتبه احد الباحثين السعوديين، ويتعلق الأمر بالأستاذ خالد بن عبد الله تحت عنوان: "المدخل إلى دراسة المختصرات"، وعدد صفحات هذه الدراسة أربعون صفحة كما اطلعت على ذلك من خلال شبكة الإنترنيت.	7	10
بالبحث	بالحديث	8	6
مطالب	فروع	8	12
عرفت المختصرات	عرفتها المختصرات	8	16
عناية العلماء بالمختصرة	عناية العلماء بمختصره	9	السطر الأخير
فروع	فروعا	10	5
فيما قلده في المختصر	فيمن قلده في مختصره	10	9
والأقوال ملزمة	ولأقوال ملزمة	12	13
وغيرها	وغيرها	14	8
التشريع	التشريع الإسلامي	14	الهامش 2
الهرواس	الهروس	15	الهامش 1
الدكتور حمادة	الدكتور فاروق حمادة	15	الهامش 1
وكان	»وكان	16	ما قبل الأخير
إلا أن	إلى إن	17	4
وينتصف القرن الرابع	إلى منتصف القرن الرابع	22	3
170ه	170هـ	22	الهامش 3
مختلطة	مغلظة	20	11
الراعية	الرعاية	24	9
تذكر	تذكرة	24	8

وزيادة	وزياد	24	الهامش 4 السطر 3
ولتجنب	وتجنب	25	2

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
امام المذهب	إمام المذهب	29	6
من اقتنى كلبا إلا كلبا صائدا	إلا كلب صيد أو ماشية	29	9
الملك	الملوك	30	7
فينشئ	فإنشاء	31	11
الخضروات	الخضراوات	32	4
بن العربي	ابن العربي	32	4
بن الماجشون	ابن الماجشون	32	5
بن العربي	ابن العربي	32	10
العشور	العشر	32	11
وتحديد النظر	وتجديد	32	12
على سبيل الإيجاز	على سبيل ا از	34	9
الثابت قطعيتها	الثابتة قطعيتها	34	14
مسائل معرفية تؤهله	مسائل معرفية تجعل الفقيه مؤهلا	35	13
تغيير ما كان	بتغيير ما كان	35	الثالث قبل الأخير
تغر	تتغير	36	14
لا يؤول	لئلا يؤول	36	18
اوائيهم	اوائلهم	36	18
يحلمون	يحملون	37	الثالث قبل الأخير
الفترة	الفقرة	38	5
طرو	طروء	38	الأخير
رتبه	رتبة	39	12
العبد من	البعد عن	44	14
ومن نتائج ذل	ومن نتائج ذلك	46	3
ولم يبن	ولم يبق	46	12
فيروات	القيروان	46	الهامش 5
الكتب	لكتب	47	16
قيود	قبول	48	1

وهو الذي	هو الذي	49	18
طبعة صادر الكتاب العربي	دار صادر للكتاب	49	الهامش 1
بن رشد	ابن رشد	52	1
نب بكر	بن بكر	53	الهامش 3

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
النجدي	الجندي	53	الهامش 5
البعض	بعضهم	57	1
تاريخ التشريع للحصري	تاريخ التشريع الإسلامي للخضري	58	الهامش 1
بينه للناس في الدورين	ويبينه للناس، وفي الدورين	58	2
كان إمامام	كان إماما	58	الهامش 3
بن عبد الكافي	ابن عبد الكافي	58	الهامش 5
إذا	إذًا	60	2 قبل الأخير
سيجيب	ستجيب	61	6
الانتفاء	الانتقاء	65	الهامش 1
في وقت خلق القرآن	في زمان القول بخلق القرآن	67	1
واصلوا	وأصلوا	67	6
سريح	سريج	67	9
للمذهبي	للمذهب	67	2 قبل الأخير
الكثيرون	كثيرون	69	8
المعرف	المعروف	69	12
وعدم ..... (حذف سطر)	(تتمة) وعدم استطاعته مواجهة مذهبين الشافعي والمالكي ولو في عقر داره	71	الأخير
جعل	جعلت	72	2 قبل الأخير
يقولون أن	يقولون إن	73	18
البعض	بعض الباحثين	74	6
وخصوصا أن	خصوصا وأن	79	12
المفتي	للمفتي	79	13
وكتب علي ابن القاسم	وكتب على ابن القاسم	81	6
العتيقي	العتقي	81	الهامش 4
لا تعد كثيرة	لا تعد كثرة	85	17
فكما قطع	فكلما قطع	85	21

تلغي	تلغى	86	6
دور التطور والتطور	دور التطور: والتطور	86	16
الجعل السني	الجعل السنوي	91	17
فلم ترك الأول للآخر	فلم يترك الأول للآخر شيئا	93	5
اختصاصية، فغير مستبعد	اختصاصية؛ فغير مستبعد (جواب: ولكن إذا أحرز .....).	93	6

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
عليهم الأمر	عليه الأمر	93	12
البعض	بعضهم	96	5
للكثير	لكثير	97	4
بن	ابن	97	15
يبدءون	يبدأون	97	15
التشريع الإسلامي	الشريعة الإسلامية	97	الهامش 3
سحنون	سحنونا	98	16
الأخرى	اخرى	99	7
عن	عند	99	8
فكما	فكلما	99	8
البعض	بعض العلماء	100	11
جدا إلا في	جدا في	101	15
ابن	بن	104	الهامش 7
بأ ا	ا ا	105	4
الفقه الإسلامي والفقه	الفقه الإسلامي بصفة عامة، والفقه	105	10
حفاظ	الحفاظ	108	الهامش 1
ترجمة أحمد بن المعدل	تحذف لأ ا سبقت في الهامش 6	108	الهامش 10
الدعوى	الدعوة	112	الهامش 5
لاسيما أن	لاسيما وأن	115	13
والى	والي	119	2
حديج	خديج	119	الهامش 3
وهو	وهم	121	12
عطت	غطت	122	11

الشيء الذي	مما	124	7
يذكر	تذكر	126	الهامش 1
وعشرون	وعشرين	127	4
كتاب	كتابه	127	السطر 2 قبل الأخير
على ما فيها. تأليفه	تحذف النقطة	127	آخر الصفحة
الدارسية	الدراسية	129	2
ويخلص	ويلخص	130	7
وحلفائه	وخلفائه	132	7

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
فيه	فيها	133	السطر 2 قبل الأخير
ترجمته في ص: من هذا البحث	ترجمته في ص: 126 من هذا البحث	134	الهامش 7
مرويان	قيروانيان	134	الهامش 5
يجرنا أن	يجرنا إلى أن	136	3
ما هي	ما هو	136	4
إفراد	إفرادا	137	6
أدعى	ادعى	138	9
المعتمد من	المعتمدين	138	18
قوى	قوي	138	20
قوى	قوي	139	6
سنن	سنين	140	5
عشر سنين	عشرِ (بدون كلمة سنين)	140	7
قوله وفرقوا معطوف على اضربوا	**قوله: "وفرقوا" معطوف على: "اضربوا"**	140	10-9
ما ذهب إليه القليل صوابا وحقا لقوة دليله وما قاله به الكثير خطا وباطلا	ما ذهب إليه قليل صوابا وحقا لقوة دليله وما قال به كثير خطأ وباطل	141	17
عليه	يحذف	141	السطر الأخير
يفضى	يقضى	142	4
انه	لأنه	142	13

لا يستطيع أن يؤصل المسـالة، ومع هذا فقد أسهمت المـدارس المالكية في تطوير الكتب الفقهية، ولا أن يقعد لها قاعد ا.	لا يستطيع أن يؤصل المسالة، ولا أن يقعد لها قاعد ا، ومـع هـذا فقـد أسهمت المدارس المالكية في تطـوير الكتب الفقهية.	142	قبل الأخير والأخير
من ناحية أخرى شرف تـأثير المدرسة المصرية فتأثرت تأثيرا	من ناحية أخرى كان تأثير المدرسة المصرية تأثيرا	143	13
الحيلة	الحَلْبة	145	5
طرق	بطرق	145	7
تلميذه	تلاميذه	145	12
التذهيب	التهذيب	145	16
الأحمدي	الأحمدية	146	الهامش 2
وضد الإطناب	وضده الإطناب	152	14
معجم المحيط: 820/2	معجم المحيط: مادة لخص	153	الهامش 3

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
المرجع نفسه: 979/2	المرجع نفسه: مادة هذب	153	الهامش 4
تتمثل	تمثل	155	16
وفيه ثماني عشر ألف	وفيه ثماني عشرة ألف	157	11
ووقع هذا الانحلال لم يعد	ووقع الانحلال، فلم يعد	159	5
الوصول إلى مبتغاها	الوصول إلى مبتغاه	160	3
محي	محيي	163	1
ان	إن	164	7
وعز أكسبهم	وعزا أكسبهم	168	8
ونذور	وندرة	169	1
ولأبي عبد هذا	ولأبي عبد الله هذا	169	11
التسيير	التيسير	169	السطر قبل الأخير
تأليف	تآليف	170	2
الفرع	المبحث	171	5
الفتخ	الفتح	174	6
مصدرة	مصدره	174	7
ابو	ابي	174	8
وعشين	وعشرين	174	9

بصفة وفي الفقه	بصفة عامة وفي الفقه	176	7
وما نصه الشارع	وما نصبه الشارع	177	3
فيها	فيما	177	4
مختلف	المختلف	177	7
ولا كان الذين	ولا كان الدين	177	12
ولا نروى كتبهم	ولا تروى	178	13
استقر عنده مذاهبهم أبو حنيفة	استقر عندهم مذهب أبي حنيفة	179	6-5
إلى المشاهدة من قبلهم	إلى مشاهدة من قبلهم	179	19
مهجور تقليد	مهجور تقليده	180	13
التتر	التتار	180	17
المختصر	مختصر	181	الهامش 4
مصرعيه	مصراعيه	187	11
أخذت بقول أصحاب من شئت	اخذت بقول أصحابه	188	14

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الآخر	اخر	191	11
طيتها	طيا ا	192	17
كثيرا	كثيرة	193	الهامش 3
في	من	194	17
اخذه الكثيرون	اخذه كثيرون	195	9
بالرغم أن	بالرغم من أن	196	10
لا يجوز قال	لا يجوز، قال	198	9
وليعطيك صورة	ولأعطيك صورة	198	7
نزح بقدرها	نزح بقدرهما	198	21
بل يتيم	بل يتيمم	199	9
او	او	199	13
لا بنجسه	لا ينجسه	199	16
ظاهر	طاهر	199	17
ثم تراها بعد ذلك خلوا	ثم تراها بعد ذلك خالية	200	7
مع أي الفقه	مع أن الفقه	200	10

إلى نتساءل	إلى أن نتساءل	201	10
في القــرن الثالــث بظهــور المختصرات	في القـرن الثالـث كـان بظهـور المختصرات	202	9
ابو عمر	ابو عمرو	205	5
الكثير	كثير	206	15
في التشيع	في التشنيع	207	7
مختصرا عليها	مقتصرا عليها	207	12
الغير من	تحذف	209	12
ويحذف	ويحذف	210	21
التسيير	التيسير	213	السطر الأخير
عندما جنحوا إليه	إلى ما جنحوا إليه	214	السطر الأخير
لا لاستهجانه	لاستهجانه	215	5
اخبار	اخبار	216	السطر قبل الأخير
يتناوله	يتناولها	218	7
تقيدات	تقييدات	219	4
ورفات	ورقات	224	8

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
عن	في	224	16
ويأتي في مقدمة هذه النقطة	ويأتي في مقدمة هذه النقط	228	14
ويحذف ما استغنى عنه	ويحذف ما استغنى عنه	228	14
ويحذف وبسط	ويحذف وبسط	228	14
الغير من	تحذف	229	15
التي يعتبر فيها	التي يعبر فيها	231	10
ان يتفقوا	ان يتفقهوا	232	3
كلفة	تكلفة	232	4
هذه الكتب المدونة ظهرت	هذه الكتب ظهرت	232	11
التشريع	الشريعة	232	الهامش 1
كلفة	تكلفة	233	7
في أقوال	تحذف "في"	233	10
والتفريع والتجريح	والتفريع والترجيح	233	14

التشريع الإسلامي	الشريعة الإسلامية	233	الهامش 1
تأوله في غيرها	تأمله في غيرها	234	4
إنما يجب	إنما يجيب	234	16
يحد الكثير	يجد كثيرا	236	1
كلفة	تكلفة	236	3
لما كان كنت مشتغلا	تحذف "كان"	237	7
إني بعد ربما احتاج	إني بعد ربما أحتاج	237	9
الممبتدئين	المبتدئين	237	13
إضعاف	اضعاف	238	17
في هذا الفصل	تحذف "في"	239	1
علبها	عليها	240	3
التميز	التمييز	242	2
بمعاني	بمعان	242	10
إذَا	إذاً	244	السطر 2 قبل الأخير
وقد عرف بدوره	وقد عرف الفقه بدوره	246	6
الالغاز	الألغاز	246	9
بن فرحون	ابن فرحون	247	2
والكثير	وكثير	247	13

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
مختمة ا	مهتمة ا	248	1
تحذ	تشحذ	248	8
فاله	قاله	249	16
إذا لقي الخطيب وتكلم	إذا لقي الخطيب تكلم	251	8
إذا خرج بيته	إذا خرج من بيته	251	12
او المبيدأ	او المبتدإ	255	4
سمى	سمي	255	6
البعض	بعضهم	255	6
البعض	بعضهم	256	21
مهتدلين	معتدلين	260	11
اهتدال	اعتدال	260	12

المتمسكن	المتمسكين	260	15
جعلته	جعله	261	10
المرري	المراري	262	الهامش 2
بإلغاء	بإلقاء	263	6
بعد قبولها	بعد لقبولها	263	7
عبد الواحد	علي عبد الواحد	263	الهامش 1
العيا	العليا	265	الهامش 1
لابن عمران	لأبي عمران	268	8
اشار	اشار عليه	269	7
فضاق على يوما	فضاق عليه يوما	269	14
ادنيا	ادينا	270	9
في تلمذي مالك بن وهب	في تلميذي مالك ابن وهب	270	14
مالك	ما لك	272	1
اجبتك بجوابه	اجابك بجوابه	272	1
فأجابه فنسخوها	فأجابه فنسخها	272	5
لأتبارك	لا تبارك	273	4
منصوص السماعات	نصوص السماعات	275	3
على أصولهم	على أصوله	275	12
ومذكرا م	ومذاكرا م	273	11
وإن السبب يرجع إلى	ام إن السبب يرجع إلى	277	8

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
او	او	278	السطر الأخير
المسخرجة	المستخرجة	279	4
المسترخجة	المستخرجة	280	1
حطأ	خطأ	280	16
يجمع	بجمع	281	4
انه	انه	284	12
وسكون الجيم	وسكون الميم	285	5
وشجرة النور	شجرة النور	286	الهامش 6
توفيق	توقيف	287	11

هذا المختصرات	هذا المختصر	290	2
إذا	إذاً	299	19
على ما غير ذلك	على غير ما ذكر	301	6
وانظر انظر	حذف "انظر" الثانية	302	الهامش 1
ولا يعد	ولا بعد	303	12
طليلطة	طليطلة	304	السطر قبل الأخير
عبادة معاملة	عبادة ومعاملة	307	12
كثير الروايات	كثيرا من الروايات	307	السطر قبل الأخير
خطا	خطأ	308	5
كذوبا	مكذوبا	308	9
لم يقف على أصحا ا	لم يوافق عليها أصحا ا	308	10
إذا	إذاً	310	12
والأصغر (200) مسألة	والأصغر ألف ومائتا (1200) مسألة	312	4
فاله	قال	314	11
المنور	المنورة	320	14
وثماني	وثمانين	321	5
يترك	بترك	321	9
عيبا	عيب	321	9
لا يدرى فيها ما زيد فيها مما	لا يدرى فيها ما زيد مما	321	13
اثنتي عشر	اثنتي عشرة	324	5
اثنتي عشر	اثنتي عشرة	324	7-6

الخطأ	**الصواب**	**الصفحة**	**السطر**
ثلاثة عشر	ثلاث عشرة	324	11
عزيز	غزير	325	3
سمعت	سمحت	325	السطر الأخير
المغارب	المغاربة	327	السطر الأخير
ويمكن القول أن	ويمكن القول إن	329	11
ثماني عشرة ألف	ثمانية عشر ألف	329	18
وذهب عنه وامتلأت تواليفه	وذب، وامتلأت البلاد بتواليفهُ	330	4

وسموا	وهموا	330	13
وفيه ست وثلاثون ألف	وفيه ستة وثلاثون ألف	330	السطر الأخير
الفت المتقدمون	الف المتقدمون	332	15
يلاحظ عن غياب	يلاحظ غياب	340	4
المناهل وتعددت المشارب والمدارس	المناهل والمشارب، وتعددت المدارس	341	16
الكثيرون	كثيرون	342	13
مبهوبي	ميهوبي	347	6
الصنف الثالث	الصنف الثالث:	350	10
ولا خلاف فيمن ابنته	ولا خلاف فيمن وهب ابنته	356	15
الجواز في المستخرجة المنع	الجواز، وفي المستخرجة المنع	356	17
لابن عمران	لأبي عمران	358	الهامش 1
حاله	ماله بال	360	11
وأما التي منعها	والتي منعها	359	15
تضع بحكم	تقع بحكم	361	2
ذلك الإراثة	تلك الإراثة	361	3
حسن المحاصرة	حسن المحاضرة	363	الهامش 2
إذا	إذاً	365	17
سنه تسعة	سنه تسع	366	5
سنة اثنين	سنة اثنتين	367	5
سنة اثنين	سنة اثنتين	368	18
حتى أن	حتى إن	367	13
بكنى	يكنى	368	1
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	368	4
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	368	13

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
سنة اثنين	سنة اثنتين	368	17
بتقي الدين دقيق العيد	بتقي الدين ابن دقيق العيد	368	19
سنة ثلاثة عشر	سنة ثلاث عشر	369	السطر الأخير

وطاهر عنه مطهر	وطاهر غير مطهر	370	13
تنعملت	تنغملت	370	الهامش 3
بالحزانة	بالخزانة	371	11
نفسه، ورقة	تحذف "ورقة"	371	الهامش 2
توفي سنة 805	توفي سنة 805هـ	372	16
شذرات	شذارت الذهب	373	الهامش 6
القسطنتي	القسطنتيني	374	11
سنة اثنين	سنة اثنتين	379	13
تتدرج	تندرج	380	السطر قبل الأخير
سنة خمسة	سنة خمس	381	4
لمختصرات	المختصرات	384	1
حسن	الحسن	384	4
اخذ	اخذ	386	9
عنجس	عجنس	388	7
إسباط	اسباط	388	7
حريز	جرير	388	11
المغرب	المقرب	389	14
وأقر ا ألفاظ	وأقر ا ألفاظا	389	16
لا يلحق أحدها	لا يلحقه أحد	390	8
الأندلسيون	الأندلسيين	391	2
زياد بن شبطون	زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون	392	السطر الأخير
تولي	تولى	392	السطر الأخير
مدرسة	المدرسة	393	الهامش 3
الآتى	الآتي	395	12
المتاخرة	المتأخرة	395	17
فقد احتج هواه	فقد اتبع هواه	396	19
ولا يفتى	لا يفتى	396	20

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
يجيب الحديث عنهما الآتي	يجيب عنهما الحديث الآتي	397	18

ضمنها	ضمن	399	السطر الأخير
حسن	الحسن	401	12
علي وجوب	على وجوب	402	12
الانشغال به	الاشتغال به	404	8-7
الآحناف	الأحناف	407	8
منطومة	منظومة	407	11
منطومة	منظومة	407	15
المنطومات	المنظومات	407	16
المنطومات	المنظومات	407	17
المنطومات	المنظومات	411	16
تنظر	تنتظر	415	6
إذا	إذاً	417	السطر 3 قبل الأخير
ما هي	وما هي	419	10
على الرد	في الرد	423	2
سنة ست وثمانين	سنة ست وثمانين وثلاثمائة	426	3
بزيادة أربع عشرة ألف	بزيادة أربعة عشر ألف	426	12
واعتقد	وأعتقد	427	السطر الأخير
«وهذا	»وهذا	428	5
وتغير	وتغيير	430	السطر الأخير
إذ ليس	إذ ليسا	430	3
العقيقية	العقيقة	432	17
اله	الله	433	11
التي يفضلها	التي بفضلها	436	5
بن	ابن	437	7
يفضلها ويفضل	بفضلها وبفضل	437	17
انشر	انتشر	437	18
ليعبر على	ليعبر عن	437	السطر قبل الأخير
قلت والدنانير أو	قلت الدنانير أو	439	15
في المعز	إلى المعز	439	21
فيما دون	ليس فيما دون	439	السطر الأخير

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
في عشرين دينارا نصف إلخ (فيه حذف)	في عشرين دينارا نصف دينار، فعلم أن الدينار بعشرة دراهم سنة ماضية. قال: وقال مالك بن أنس: من كانت عنده دنانير وتبر مكسور يكون وزن التبر تمام عشرين دينارا كانت فيه الزكاة.	439	السطر الأخير
من الدنانير عشرها إلخ. فيه حذف	من الدنانير ربع عشرها ومن التبر كذلك، وكذلك الدراهم والتبر. قال: وقال مالك بن أنس: من كانت له دنانير وجبت فيها الزكاة، فأراد أن يخرج ما وجب عليه من زكاة الدنانير دراهم بقيمتها فلا بأس بذلك.	440	السطر الأول
النموذج الثاني	يغلط هذا العنوان	440	2
مائة درهم	مائتا درهم	440	8
يقاد	يفاد	440	13
على أن المؤلف	على أن المؤلفين قد هضما هذا العلم واستوعباه وتمكنا من	442	5
من أحد قوله	من أحد قوليه	443	11
سنة اثنين	سنة اثنتين	449	13
ذيب	ذيب	450	8
سنة اثنتين	سنة اثنتين	451	1
على سبع وثلاثين	على سبعة وثلاثين	451	9
وصيحه	وصحبه	451	12
وصححت على روايتي على	وصححت روايتي على	452	6
ولا اثنين	ولا اثنتين	452	17
البرادعي	البراذعي	453	الهامش 1
سنة اثنا عشر	سنة اثنتي عشرة وستمائة	457	السطر الأخير
الإزراء	الازدراء	458	11
لفظ	رفض	458	11
الكتب أنست	الكتب التي أنست	458	السطر الأخير
فليزم	فيلزم	460	السطر 2 قبل الأخير
ولا يستطيع فلا زكاة	ولا يستطيع تملكه، فلا زكاة	461	7
الإحكام في أصول الفقه	الإحكام في أصول الأحكام	466	10

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الكثيرون	كثيرون	467	5
السؤل والأمل	السول والأمل	468	7
فوائدا	فوائد	474	4
والتقعيد	والتعقيد	474	5
ابي عمرو وعثمان بن الحاجب	ابي عمرو عثمان ابن الحاجب	474	11
لما رأينا	كما رأينا	475	15
بن قطرال	ابن قطرال	478	14
الا يرى إلا ساعيا إلا في	الا يرى إلا ساعيا في	480	3
فإن راجعه تفهمها راجعه تفهما لا تعنتا	فإن راجعه راجعه تفهما لا تعنتا	480	5
عن العاقل ما لا ينبغي	عن العاقل لا ينبغي	480	9
تنعملت	تنغملت	481	الهامش 6
الجاري وهو عليها	الجاري هو عليهما	483	13
بن محمد	ابن محمد	485	3
به على المتغير	به المتغير	485	17
بن أبي بكر	ابن أبي بكر	487	9
تنعملت	تنغملت	488	الهامش 7
يهرب	يبهر	490	3
بن فرحون	ابن فرحون	490	7
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	490	الهامش 7
فكا	فكان	491	5
من جاء بعده لشرحه	من جاء بعده تعرض لشرحه	491	7
بن راشد	ابن راشد	494	2
بن فرحون	ابن فرحون	497	6
بن دقيق العيد	ابن دقيق العيد	497	8
وصل	وصلى	497	السطر الأخير
الأشكال	الإشكال	498	8
إذا	أذاً	500	13
بن عبد السلام	ابن عبد السلام	501	2

في سنه	قياسه	501	السطر الأخير
الأزرايفية	الأزاريفية	501	الهامش 6

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
الإحدد	الإحداد	505	7
على ابن	على يد ابن	506	1
واثنين وثمانين ورقة	واثنتين وثمانين ورقة	507	7
القضاء الشهادات	القضاء، الشهادات	508	7
والباقي	وهو الباقي	509	2
بن الكعياش	ابن الكعياش	509	7
عام إحدى وستين	عام واحد وستين	509	21
بن محمد	ابن محمد	512	السطر قبل الأخير
بن عبد الكريم	ابن عبد الكريم	514	12
بطاهر: مثله	بطاهر مثله	515	6
ست وستون ألف	ستة وستون ألف	518	12
الكثير	كثير	519	10
وليس... صحيحا	وليس صحيحا	519	12
ان يكون الولد غير	إلى غيره	521	14
عثمان أبي بكر	عثمان بن أبي بكر	525	6
نحن»	»نحن	527	14
ستا وتسعين	ستة وتسعين	529	5
لابن الحسن	لأبي الحسن	529	الهامش 1
بن أنس	ابن أنس	530	1
ان التبصرة	إن التبصرة	531	7
ان المؤلف	إن المؤلف	531	12
منه اختيارات	من اختيارات	532	14
ابو عمر	ابو عمرو	536	15
سبط	بسط	542	2
وصـلى بـالجلاب، وصـام بالتلقين، وزكى بابن الحاجب	وصل بالجلاب، وصم بالتلقين، وزك بابن الحاجب	542	14
ا م	ا م	543	15

بل فقد	بل	544	قبل الأخير
القول بأن	القول إن	545	1
حاولت أن الاحتكاك	حاولت الاحتكاك	546	12

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ولاسيما أن	لاسيما وأن	547	8
البعض	بعض الباحثين	547	8
البعض	بعض الباحثين	547	10
وخاصة أن	خاصة وأن	548	5
بن الحاجب	ابن الحاجب	573	2
المغرب	المقرب	581	الأخير
تحقيق: شاكر	تحقيق: احمد محمد شاكر	582	17
زيد الدين	زين الدين	583	21
المراقب	المرقبة العليا	585	11
بن علي	ابن علي	585	14
بن الحاجب	ابن الحاجب	586	4 قبل الأخير
والوراق	والوراقة	586	الأخير
بن عبد الله	ابن عبد الله	587	2
للسيطي	للسيوطي	587	15
الإمام الموطأ	موطأ الإمام مالك	588	16
عباس ـ	عباس،	589	6
سخص الدين	شمس الدين	589	16
الشفاء	الشفا	590	16
بن عبد الملك	ابن عبد الملك	590	22
عبد اللن	عبد الله	592	4
الجزي	الجزري	592	7
بن الأثير	ابن الأثير	595	قبل الأخير
التاريخ دمشق	تاريخ دمشق	597	11
افضته	اقتضته	598	13
محمد البجاوي	علي محمد البجاوي	599	20

العلل الحديث	علل الحديث	601	18
هاشي	هاشمي	602	1
الأحمدي	الأحمدية	603	4